البتراء

تاريخها وآثارها

الأستاذ الدكتور

زياد مهدي السلامين

وزارة الثقافة

طبع بدعم من وزارة الثقافة

2018

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٨/٤/١٩٢٩)

٩٥٦،٥٣٣
السلامين، زياد مهدي
البتراء: تاريخها وآثارها/ زياد مهدي السلامين.- عمان: المؤلف، ٢٠١٨

( ) ص.
ر.أ.: ٢٠١٨/٤/١٩٢٩
الواصفات:/الآثار//البتراء//الأردن/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

- البتراء: تاريخها وآثارها
- المؤلف : الأستاذ الدكتور زياد مهدي السلامين
- الطباعة : مطبعة السفير

طبع بدعم من وزارة الثقافة /عمان . الاردن
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر عن وجهة نظر الجهة الداعمة .

البتراء: تاريخها وآثارها

الأستاذ الدكتور

زياد مهدي السلامين

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرةالمكتبة الوطنية
(٢٠١٨/٤/١٩٢٩)

٩٥٦.٥٣٣
السلامين، زياد مهدي
البتراء: تاريخها وآثارها/ زياد مهدي السلامين.ـ عمان: المؤلف، ٢٠١٨

( ) ص.
ر.أ.: ٢٠١٨/٤/١٩٢٩
الواصفات:/الآثار//البتراء//الأردن/

جدول المحتويات

الإهداء

إلى شيخ الآثاريين الأردنيين

الدكتور فوزي زيادين

تقديراً وعرفاناً لجهوده المتميّزة في دراسة آثار البتراء

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

وبعد أن تمّ هذا العمل لا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل من ساعدني وساندني ودعمني لإخراج هذا الكتاب بصورته الحالية، وخصوصاً زوجتي الغالية وفاء الشخيبي وأبنائي مناف وجود ورشد الذين أولوني الرعاية الكاملة، ووفَّروا لي كل السبل لأتمكّن من الوصول بالكتاب للمستوى الذي هو عليه حالياً، فلهم جميعاً جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

وكذلك أشكر كلَّ من تعاون معي وساهم في إنجاز هذا العمل بصورة مباشرة وغير مباشرة، وقدّم لي النصح والمساعدة والمشورة خلال فترة إعداد هذا الكتاب وجمع مادته وتحريره، وأخص بالذكر هنا الأخوة والأصدقاء الأعزاء الدكتور مولاي محمد جانيف والسيد محمود الفقير والسيد محمد البشتاوي والسيد هاني الفلاحات والأستاذ أحمد الفضول.

وأخيراً، أتقدّم بالشكر الجزيل لوزارة الثقافة لتكرمها بدعم طباعة هذا الكتاب، كما أشكر كلَّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب بصورته الحالية، وأخص بالذكر مطبعة السفير ممثلة بالسيد خالد حتر.

وأرجو أن أكون قد وفقّت فيما قصدت إليه، وأسأل الله العلي القدير، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يمدّنا بعونه وتوفيقه، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

واختم كلامي هنا بكلمات حول تأليف الكتب لابن قيم الجوزية رحمه الله القائل: "فلك أيها القارئ صفوه ولمؤلفه كدره وهو تجشم غراسه وتعبه، ولك ثمره، وها هو قد استهدف لسهام الراشقين، وأستعذر إلى الله من الزلل والخطأ".

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

والله الموفق ،،،

زياد مهدي السلامين

البتراء

2018

قائمة الاختصارات الأجنبية

AAE	*Arabian Archaeology and Epigraphy*
AASOR	*Annual of the American Schools of Oriental Research*
ADAJ	*Annual of the Department of Antiquities of Jordan*
AJA	*American Journal of Archaeology*
ANRW	*Aufstieg und Niedergang der römischen Welt*
BASOR	*Bulletin of the School of Oriental and African Studies*
BES	*Bulletin of the Egyptological Seminar*
BIA	*Bulletin of the Institute of Archaeology*
BW	*The Biblical World*
CIS	*Corpus Inscriptionum Semiticarum*
CRAI	*Comptes rendus des séances de l'année, Académie des inscriptions et belles-lettres*
EP	*Eurasian Prehistory*
HSCP	*Harvard Studies in Classical Philology*
IEJ	*Israel Exploration Journal*
INJ	*Israel Numismatic Journal*
JEA	*The Journal of Egyptian Archaeology*
JJHA	*Jordan Journal for History and Archaeology*
JNES	*Journal of Near Eastern Studies*
JRA	*Journal of Roman Archaeology*
JRS	*Journal of Roman Studies*
JSS	*Journal of Semitic Studies*
LA	*Liber Annuus*
MAA	*Mediterranean Archaeology and Archaeometry*
NAC	*Numismatica e Antichità Classiche*
NCh	*Numismatic Chronicle*
NEA	*Near Eastern Archaeology*

PEQ	*Palestine Exploration Quarterly*
PSAS	*Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*
QDAP	*Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine*
RB	*Revue Biblique*
RES	*Répertoire d'Epigraphie Sémitique*
SHAJ	*Studies in the History and Archaeology of Jordan*
WO	*Die Welt des Orients*
ZDPV	*Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins*
ZPE	*Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*

توطئة

لعبت البتراء بفضل موقعها الجغرافي ومكانتها الاستراتيجية دوراً هاماً في تاريخ المشرق العربي القديم، حيث شكَّلت همزة وصلٍ تجارية بارزة على طول طريق البخور التجاري القديم، ولعبت دوراً حضارياً بارزاً وهاماً منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر، وكان لها دورٌ رياديٌّ في تسيير دفة الأمور السياسية في المنطقة خلال الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الأول الميلادي، وأظهرت انفتاحاً غير محدود على العالم الخارجي انعكس وبشكلٍ مباشرٍ على عطائها الحضاري.

يعاني الدارس لحضارة مدينة البتراء من قلة المصادر التاريخية الكتابية التي تتناول تاريخها السياسي والحضاري، مما جعل آثارها مصدراً أساسياً لفهم ماضيها، وبدأت تبعاً لذلك الحفريات الآثارية فيها عام 1929م، ومنذ ذلك التاريخ بدأت معلوماتنا حول تاريخ البتراء وحضارتها تتعمق يوماً بعد يوم، ولأهميتها فقد أُدرجت ضمن قائمة مواقع التراث العالمي عام 1985م، كما تم اختيارها عام 2007م لتصبح إحدى عجائب الدنيا السبع الجديدة، وأدرجت البتراء عدة مرات على قائمة المواقع الأثرية الأكثر عُرضة للخطر في العالم[1]، وذلك بسبب العديد من العوامل الطبيعية والبشرية التي يزداد تأثيرها يوما بعد يوم[2].

أُعتبرت البتراء إرثاً مميزاً من قِبَل اليونسكو كأنموذج على الإبداع الإنساني، وقد أدرجت على قائمة التراث العالمي لانسجامها مع المعايير التي حددتها اليونسكو والتي تتضمن أن يكون للموقع المرشح للانضمام "قيمة عالمية استثنائية"، واشترطت المعايير أن تكون المواقع المدرجة مستوفية على الأقل واحداً من عشرة معايير منها[3] أن تُمثِّل هذه المواقع تحفة عبقرية خلَّاقة من صُنع الإنسان، وأن تُمثِّل إحدى القيم الإنسانية الهامة التي تعكس شهادة فريدة من نوعها واستثنائية لتقليد ثقافي، وأن تكون مثالاً بارزاً على نوعية من البناء والتقنية التي توضح مرحلة هامة في تاريخ البشرية، وأن يحتوى مظاهر طبيعية فائقة أو مناطق ذات جمال طبيعي استثنائي.

جاءت فكرة هذا الكتاب لإبراز الدور المتميّز الذي لعبته هذه المدينة في تاريخ المشرق القديم وعلى مدى العصور، وقد تم إعداده للمهتمين بالتاريخ والتراث الحضاري القديم لمدينة البتراء، سواء أكانوا مختصين أم غير مختصين، وهو محاولة متواضعة نتطرَّق من خلالها للأحداث التاريخية التي شهدتها هذه المدينة، ولأبرز معالمها الحضارية عبر عصورها المختلفة، وبشكلٍ

---

[1] قائمة يعدُّها الصندوق العالمي للمعالم والتراث.

[2] وتشتمل العوامل الطبيعية على العوامل المناخية (كالسيول والفيضانات والأمطار، والتعرية الناتجة عن الرياح، وتبلور الأملاح، والشمس، والحرارة...الخ)، أما العوامل البشرية فهي متعددة، وتشمل السياحة غير المُنظَّمة، والاعتداءات البشرية المختلفة، ونقص مشاريع الترميم الأثري والترميم الخاطئ.

[3] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D9%82%D8%B9_%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB_%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A.

زمنيٍ متسلسلٍ، وقد سعينا جاهدين لتوضيح الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي لعبتها المدينة وجوارها منذ أقدم العصور وحتى نهاية العصر العثماني.

ولتحقيق هذه الأهداف، فقد قسّمت الكتاب إلى عدة فصول، بدأتها بفصلٍ تناول موجزاً لتاريخ البتراء وحضارتها منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى نهاية الفترة العثمانية، واشتمل الفصل على مناقشة للفترات الزمنية التي مرَّت على المنطقة وتاريخها مع إيراد أبرز الأدلة الأثرية التي تؤرّخ لتلك الفترات.

أما الفصل الثاني، فقد ناقشت فيه النظريات المتعلقة بأصل الأنباط، واشتمل الفصل على موجزٍ لتاريخهم السياسي بدءاً من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى بداية القرن الثاني الميلادي، وتطرَّقت في هذا الفصل لما كتبه عنهم الكُتّاب الإغريق والرومان، في حين خصصت الفصل الثالث للحديث عن ديانة البتراء وممارساتها الدفنية في العصور القديمة، واشتمل هذا الفصل على عدة مواضيع هي ديانة البتراء المبكرة، الديانة النبطية والمعبودات والمعابد، تأليه الملوك، المنشآت والطقوس الدينية النبطية، الطقوس الدينية، المعابد النبطية في البتراء، ديانة البتراء خلال العصر الروماني، المباني الدينية المسيحية والإسلامية، وعادات الدفن في البتراء ومحيطها.

وناقشت في الفصل الرابع العمارة والفنون النبطية في مدينة البتراء، وتناولنا في هذا الفصل نحت الواجهات الصخرية في البتراء والأصول الفنية لفنون نحتها وعناصرها الفنية والمعمارية، والفنون الزخرفية النبطية والعمارة السكنية في البتراء.

أما الفصل الخامس، فقد خصصته للحديث عن صناعات البتراء واشتمل الفصل على مناقشة لعدة مواضيع هي: استخراج الأنباط للخامات المعدنية، صناعة الفخار، التماثيل الفخارية، الصناعات الزجاجية، صناعة المسكوكات، الإصدارات النقدية الرومانية في البتراء، والصناعات الخشبية.

ونظراً لأهمية نظام الري في تشكيل حضارة البتراء، فقد خصصت له الفصل السادس والذي اشتمل على مواضيع مرتبطة بأنظمة السيطرة على الفيضانات الناتجة عن مياه الأمطار، والنظام المائي النبطي في البتراء، بالإضافة إلى الزراعة في البتراء وجوارها خلال العصور المختلفة.

وتناولت في الفصل السابع موضوع تجارة البتراء والطرق التجارية القديمة والأسواق النبطية، أما الفصل الثامن فقد خُصِّص للحديث عن النقوش والكتابات التي عُثر عليها في البتراء وجوارها، في حين خُصِّص الفصل الأخير للحديث عن أبرز المواقع الأثرية في البتراء وجوارها.

ولا يسعني سوى تقديم آيات الشّكر والعرفان لكلّ من قدّم لي النّصح والمساعدة والمشورة خلال فترة إعداد البحث، ويسرني أن أضع هذه الفصول بين يدي القارئ الكريم، راجياً من الله تعالى أن تكون ذات نفع للباحثين والمهتمين، وأن تسدَّ ثغرة في دراسة حضارة مدينة البتراء، وتبقى المادة المقدّمة لعزيزنا القارئ هنا، شأنها شأن أيّ مادة تعتمد على الشواهد والأدلة الأثريّة، قابلة للتغيير

أو الإثبات أو النفي أو التّصويب في ضوء المسوحات والتّنقيبات الأثريّة، التي ستُجرى في المستقبل بإذن الله.

وإن كنتُ قد وُفقت فهو من فضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الفصل الأول:

البتراء منذ أقدم العصور حتى العصور الإسلامية المتأخرة

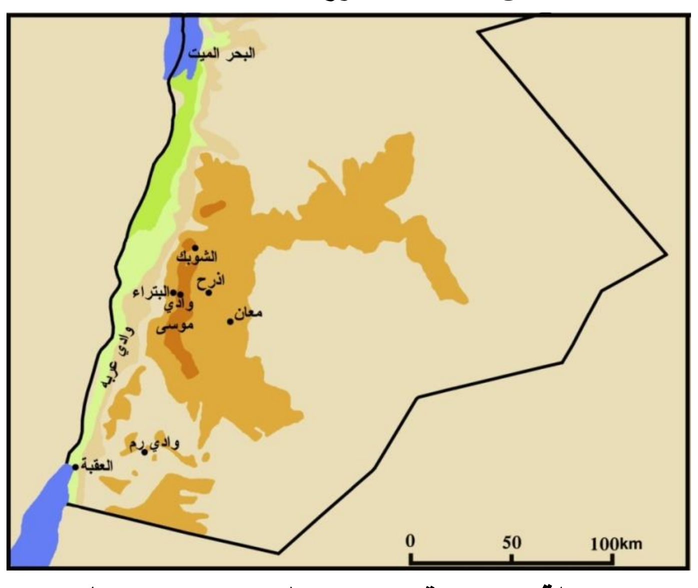
الفصل الأول:

البتراء منذ أقدم العصور حتى العصور الإسلامية المتأخرة

هذا فصلٌ تمهيديٌ سيأخذ القارئ في رحلة عبر الزمن إلى مدينة البتراء، وسنبدأ حديثنا حيث أقدم دليل أثري على وجود الإنسان في هذه المنطقة، والذي يؤرّخ للمرحلة الأولى من العصر الحجري القديم، ثم سنتتبع بعد ذلك أنماط الاستيطان البشري ومميزاته وخصائصه خلال العصور اللاحقة، وسنورد، وبشكلٍ كرونولوجيٍ متسلسلٍ، موجزاً عن كل عصر وفترة زمنية، والمواقع التي تؤرّخ لها، وأبرز اللقى التي عُثر عليها في كل موقع. وينتهي الفصل بانتهاء الدولة العثمانية. وقبل أن نبدأ حديثنا هذا لا بد من أن نُعرّج على تسمية البتراء وموقعها.

أولا: البتراء –الموقع

تقع البتراء على بعد حوالي 220 كم جنوبي العاصمة الأردنية عمان، وقد بيَّنت نتائج الأعمال الآثارية الميدانية أن هذه المنطقة وجوارها كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ، وساعد على ذلك عدة عوامل منها موقع هذه المنطقة الجغرافي، وقدرة سكانها على التكيف والعيش رغم تذبذب معدلات التساقط واختلاف الأحوال المناخية بين فترة وأخرى، كما ساهمت جيولوجيا المنطقة في تحديد أنماط الاستيطان خلال العصور المختلفة.



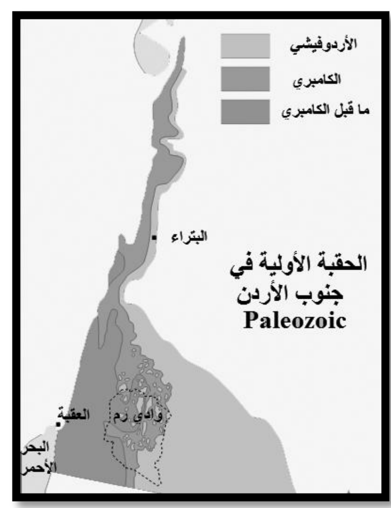
خريطة تبين موقع البتراء (المصدر: الباحث)

وقد استخدم اسم البتراء سابقاً للدلالة على المدينة فقط، أما بعد تأسيس محمية البتراء الأثرية عام 2007، فقد أطلق اسم "البترا" على منطقة جغرافية أوسع غطت مساحة 264 كيلو متر مربع، واصبح الاسم يطلق على المناطق التالية مجتمعة: وادي موسى، محمية البتراء، الطيبة، ام صيحون، الراجف ودلاغه، أما بخصوص الموقع الأثري نفسه فلا تزيد مساحته عن 12 كم

مربع، ويغلب على هذه المنطقة التي يتراوح ارتفاعها بين 900–1200م عن سطح البحر المناخ الجاف وشبه الجاف، وهي ذات معدلات تساقط لا تزيد أحياناً عن 200ملم في السنة.

أما من الناحية الجيولوجية، فتنتمي البتراء إلى تكوينات صخور وادي رم الرملية التي تعود زمنياً للفترة الممتدة ما بين العصر الكامبري الأدنى وحتى الأوردوفيشي، وتشتمل على تكوينات أم عشرين (من منتصف إلى نهاية العصر الكامبري 540–520 مليون سنة مضت) وتكوينات الديسي/ الديسه (من الكامبري المتأخر إلى الأردوفيشي المبكر 520–490 مليون سنة مضت)، وتتكون تكوينات أم عشرين من الكوارتز ومكونات أخرى مثل الفلدسبار وأكاسيد الحديد ومعادن اخرى مثل المسكوفيت والكلوريت والكاولين والالليت[4].





الحقبة الأولى في جنوب الأردن وتشكيلات رم الجيولوجية[5]

ثانياً: التسمية

تشير المادة الأثرية والتاريخية المتوفرة أن اسم البتراء القديم هو الرقيم= رقمو، والذي لم يرد بهذه الصيغة في المصادر الكلاسيكية التي تناولت تاريخ الأنباط بشكل مباشر ككتابات ديودوروس الصقلي وسترابو والتي أطلقت على عاصمة الأنباط اسم (بترا) Πετρα باليونانية التي تعني (الصخر)، واطلق على بلاد الأنباط في المصادر الكلاسيكية تسمية (العربية البتراوية/ الصخرية = Αραβια Πετραια =Arabia Petraia)[6].

وقبل الولوج في موضوع تسمية البتراء القديمة، أجد من المفيد أن نُعرّج على اسمٍ آخرٍ ربطه بعض الباحثين من ذوي التوجهات التوراتية بالبتراء وهو اسم (سلع)، فهناك من يرى أن اسم سلع

[4] Barjous, M., and Jaser, D. (1992): Geotechnical studies and geological mapping of ancient Petra city, Natura Resources Authority, Amman, 29-35.

[5] Allen, C. (unpublished): Brief Overview of Wadi Rum Geology and Implications for Rock Art and Inscriptions.

[6] قسم المؤرخون الكلاسيكيون بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام هي العربية الصحراوية (Arabia Deserta) والعربية الصخرية الذي اطلق على بلاد الأنباط (Arabia Petraea) وتشمل المنطقة الواقعة بين جنوب سوريا إلى شرق الدلتا، والعربية السعيدة (Arabia Felix).

الوارد في العهد القديم هو البتراء[7]، رغم أن هذا الاسم لم يرد على الإطلاق في النقوش النبطية كاسم لموقع جغرافي، وإنما ورد للإشارة إلى اسم فئة نقدية يبدو أنها كانت معروفة عند الأقوام الذين استوطنوا الجزيرة العربية وأجزاء من بلاد الشام[8]. وقد وردت كلمة "سلع" סלע (والتي تعني "صخرة" أو "شق")[9] في العهد القديم مراراً كاسم لموقعٍ جغرافيٍ، ولكن هذه الأسفار لا تُجمع على تحديد موقع سلع الجغرافي بصورة دقيقة، شأنها شأن الكثير من المواضع الجغرافية الواردة في العهد القديم، والتي تتضارب الآراء بشأن مواقعها الجغرافية الدقيقة، فنجد أن هذه الأسفار تُحدد موقعها أحياناً في آدوم، وتارة أخرى تضعها في مؤاب[10]، وفي موضع آخر تحددها على الحدود الآمورية[11]، ويرد في العهد القديم أن سلع هي مدينة في آدوم سُميّت أيضاً بيقتئيل استولى عليها امصيا اليهودي وقتل عشرة آلاف من بني سعير وسبى عشرة آلاف وأخذهم إلى سلع ورماهم منها[12].

ويحتوي الجدول التالي على جميع الآيات التي وردت فيها كلمة (سلع = סֶלַע =الصخرة) في العهد القديم، والتي حاول بعض الدراسين والمفسرين ربطها بالبتراء[13]:-

السفر	محتوى الآية
الملوك الثاني (14: 7)	يذكر أن أمصيا بن يؤاش ملك يهودا "هُوَ قَتَلَ مِنْ أَدُومَ فِي وَادِي الْمِلْحِ عَشَرَةَ آلاَفٍ، وَأَخَذَ سَالِعَ (אֶת-הַסֶּלַע) بِالْحَرْبِ، وَدَعَا اسْمَهَا يَقْتَئِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ".
أخبار الأيام الثاني (25: 11-12)	يتحدث السفر عن قيام أمصيا برمي باقتياد شعبه وذهابه بهم إلى وادي الملح " وَضَرَبَ مِنْ بَنِي سِعِير عَشَرَةَ آلاَفٍ، وَعَشَرَةَ آلاَفٍ أَحْيَاءَ سَبَاهُمْ بَنُو يَهُوذَا وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَأْسِ سَالِعَ (לְרֹאשׁ הַסָּלַע) وَطَرَحُوهُمْ عَنْ رَأْسِ سَالِعَ فَتَكَسَّرُوا أَجْمَعُونَ".
سفر اشعيا (16: 1)	يرد في السفر ما يلي " أَرْسِلُوا خِرْفَانَ حَاكِمِ الأَرْضِ مِنْ سَالِعَ نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ (מִסֶּלַע מִדְבָּרָה, אֶל-הַר) إِلَى جَبَلِ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ".
سفر اشعيا (42: 11)	لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ (קֵדָר). لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ (סֶלַע). مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا.

[7] انظر على سبيل المثال Murray, M. (1939): Petra: The Rock City of Edom, Blackie and Son, London; Forder, A. (1901): Sela or Petra, "The Strong City." The Ruined Capital of Edom, BW, 18: 5, 328-337.

[8] وردت كلمة (سلع) في النقوش العربية الجنوبية والتدمرية والآرامية اليهودية والسريانية لتعني "نقود" وليس لها علاقة بموقع جغرافي، كما أن معنى كلمتي "س ل ع ي ن ح ر ت ي" اللتان تردان في نقوش مدائن صالح النبطية تعنيان "نقوداً حارثية".

[9] انظر على سبيل المثال سفر القضاة 1: 36، الملوك الثاني 14: 7، أخبار الأيام الثاني 25: 12.

[10] 16: 1.

[11] 1: 36.

[12] الملوك الثاني 14: 7، 2؛ أخبار الأيام الثاني 25: 12.

[13] انظر Hart, S. 1986. Sela: The Rock of Edom? PEQ 118:91–95.

سفر ارميا (49– 16)	قَدْ غَرَّكَ تَخْوِيفُكَ، كِبْرِيَاءُ قَلْبِكَ، يَا سَاكِنُ فِي مَحَاجِئِ الصَّخْرِ (בְּחַגְוֵי־סֶלַע)، الْمَاسِكَ مُرْتَفَعِ الأَكَمَةِ. وَإِنْ رَفَعْتَ كَنَسْرٍ عُشَّكَ، فَمِنْ هُنَاكَ أُحْدِرُكَ، يَقُولُ الرَّبُّ.
عوبديا (3: 3)	تكبر قلبك قد خدعك أيها الساكن في محاجئ الصخر (בְּחַגְוֵי־סֶלַע)، رفعة مقعده، القائل في قلبه: من يحدرني إلى الأرض
سفر القضاة (1: 36)	وَكَانَ تُخْمُ الأَمُورِيِّينَ مِنْ عَقَبَةِ عَقْرِبِّيمَ مِنْ سَالَعَ (מֵהַסֶּלַע) فَصَاعِدًا.

نستنتج مما سبق ما يلي:–

1. وردت كلمة سلع = סֶלַע في هذه الأسفار للدلالة على معنيين الأول هو (الصخرة/ الصخر) والثاني للدلالة على موقع جغرافي لا زال غير معروف بصورة دقيقة.
2. يذكر أحد الأسفار أن الموقع لم يحافظ على اسمه بل تغير ليصبح (يقتئيل) التي لا نعرف أين تقع على وجه التحديد.
3. يتضح لنا أن جميع هذه الإشارات تُشير إلى صعوبة تحديد موقع سلع اعتماداً على العهد القديم الذي طالما أربك الباحثين الدارسين للجغرافيا التاريخية لبلاد الشام بشكلٍ عامٍ، ولدارسي أسماء المواقع الجغرافية بشكل خاص، ولا نستطيع بالتالي أن نُحدّد موقع سلع الجغرافي هذا بدقة، فمن الباحثين من يرى أنها أم البيارة الواقعة في البتراء ومنهم من يرى أن سلع هي ذلك الموضع الموجود في الطفيلة الذي ما يزال محافظاً على اسمه حتى الآن[14]، ومنهم من يرى قصة امصيا قد حدثت غرب وادي عربة في مكان ما شرقي صحراء النقب[15].

ومما يمكن استنتاجه أن العهد القديم لا يمكن الركون إليه كمصدر تاريخي، للتناقض الواضح في الكثير من أسفاره التي تتحدث عن منطقتنا على اعتبار أنها الجغرافيا التي حدثت عليها العديد من الأحداث الواردة في هذا المصدر، وقد حاول عالم الآثار التّوراتي نيلسون جلوك على سبيل المثال، تحديد وتعريف مواقع وردت أسماؤها في التّوراة، وحاول تفسير الآثار في ضوء السّرد التّوراتي، واستخدم جلوك النص التّوراتي هذا ليُحدد العديد من المواقع مثل تيمان وعصيون جابر وسلع وطويلان، واستنتج أن سلع الواردة في العهد القديم هي أم البيارة الواقعة في البتراء[16]، في حين أعتبر أم البيارة هي المكان الذي هجم عليه إمصيا الوارد ذكره في سفر الملوك الثاني[17]

[14] Finkelstein, I. (1992): Edom in the Iron I. Levant 24, 159-165.
[15] Retsö, J. (2011): Petra and Qadesh. Svensk Exegetisk Årsbok, Volume 76, 115-136.
[16] Glueck, N. (1935): Explorations in Eastern Palestine II. P. 49, 82-83.
[17] سفر الملوك الثاني 14: 7، 2.

وأخبار الأيام الثاني[18]، وبقي هذا الاعتقاد سائداً إلى أن جاءت كريستال بينيت، وأكدّت أن سلع لا يُمكن أن تكون أم البيارة لأن أقدم الآثار التي عُثر عليها في أم البيارة تؤرّخ لنهاية القرن السّابع قبل الميلاد، ولا يُمكن أن تؤرّخ بأيّ حال من الأحوال لفترة خروج بني إسرائيل من مصر، كما استنتجت كريستال بينيت أنّ بداية الاستيطان الآدومي لم يكن قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كما اعتقد جلوك، بل إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد. كما اعتبرت فترة الاحتكاك الآدومي مع الآشوريّين فترة ازدهار، ورفضت تحديد أسماء المواقع الجغرافية الآدومية وربطها بالأسماء التّوراتيّة كما قام جلوك[19].

ورد الجذر (رقم) في النقوش النبطية بصيغتين هما (ر ق م) و(ر ق م و)[20]، ووردت كلمة (ر ق م و) مرة واحدة كاسم موضع في أحد النقوش النبطية التي عُثر عليها عند مدخل البتراء ليشير لهذه المدينة، وهذا هو الشاهد النبطي الوحيد الذي يذكر اسم مدينة البتراء النبطي القديم (رقمو)، ويذكر هذا النقش غير المؤرخ اسم شخص من البتراء توفي في جرش ودفن هناك [21].

ويقرأ هذا النقش كالتالي:-

هذا قبر بطريس بن

ترفطس وكُرّم لأنه كان في

ر ق م و (الرقيم) وقد مات في

ج ر ش و (جرش) ودفن هناك.

عمله له تيمو سيده.

لم يرد الجذر (ر ق م) كاسم علم في نقوش جنوب الجزيرة العربية حتى الآن، وقد ورد مرة واحدة –في حدود ما نعلم– في نقشٍ قتبانيٍ يعود لنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، وهذا النقش مكون من واحد وعشرين سطراً، وهو مكتوب على لوحة برونزية، ويتحدث عن قيام شخصين بتقديم قرابين للإله القتباني حوكم وإلى إله معبد شبعان لعودتهما من رحلتين تجاريتين لبلاد الشام، كانت الأولى لمدن بلاد الشام (ش أ م ت) وبلاد الأنباط (ن ب ط م) وبلاد الكلدانيين (ك ش د) ومصر (م ص ر) وأيونيا (ي و ن م)، وكانت الثانية رحلة للبتراء التي أطلقت عليها تسمية (هـ ج ر ن ر ق م م) أي مدينة الرقيم= البتراء، وقد قام بالرحلة

---

[18] سفر أخبار الأيام الثاني 25: 12.

[19] Bennett, C. M. (1966): Fouilles d'Umm el-Biyara: Rapport Preliminaire. RB 73:372 – 403, 386-387; Bennett, C. M. (1969): Tawilan (Jordanie). RB 76, p. 389.

[20] Negev, A., (1991): Personal Names in the Nabatean Realm, Jerusalem: The Hebrew University, Qedem 32, 61.

[21] Starcky, J. (1965): Nouvelle epitaphe Nabatéenne donnant le nom semitique de Pétra. RB 72, 95-7.

الثانية "ثواب إيل" الذي يذكر النقش انه تنقل في رحلتين برية وبحرية، ويبدو أن رحلته قد انطلقت من ساحل بحر العرب ثم خليج عدن والبحر الأحمر إلى أيلة ثم براً إلى البتراء[22].

ورد ذكر الجذر (ر ق م) في كتاب المؤرخ اليهودي فلافيوس جوسيفوس الموسوم (آثار اليهود)، إذ يقول أن (رقم) هو اسم مدينة رئيسة في بلاد العرب، وهي عاصمة هذه المنطقة، وكان العرب يطلقون عليها آنذاك اسم (اركيم) نسبة إلى الملك الذي بناها، ولكن الإغريق أطلقوا عليها اسم البتراء[23]، وهنا نجد اختلافاً في كيفية كتابة هذا الاسم بين نص جوسيفوس في صيغتيه اليونانية واللاتينية، إذ يرد اسم المدينة في النص اليوناني بصيغة Αρκην[24]، في حين يرد بصيغة Archim في النص اللاتيني[25]، ويبدو أن هذه الكلمة بصيغتيها، تقابل الكلمة العربية (الرقيم) التي كانت عاصمة منطقة في بلاد العرب آنذاك خلال فترة القرن الأول الميلادي وهي الفترة التي عاش فيها هذا المؤرِّخ.

ويرد الجذر (ر ق م) عند جوسيفوس في موضع آخر في معرض حديثه عن قتل ملوك المدينين الخمسة الوارد ذكرهم في سفر العدد، يتحدث عن الملك المديني Ῥέκεμος، ويقول إن هناك مدينة تسمى باسم هذا الملك وهي Ρεκέμης̓ ولها مكانة في بلاد العرب، ويسميها الإغريق بترا=Πέτρα [26]، ولا نستطيع الجزم بصحة الشق الأول من هذه الرواية لأن معلوماتنا عن الاستيطان الميداني في هذه المنطقة ما تزال محدودة، كما أن مدينة (رقم) لم تذكر كأحد مدن مدين في المصادر التاريخية القديمة، رغم تركز آثارهم في مناطق عديدة من شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام، فنجد لهم آثاراً، على سبيل المثال، في وادي عربة القريب من البتراء، والذي يمثل امتداداً لأرض مدين، ولربما كان للملك المديني (رقم) ارتباط بمؤسس مدينة الرقيم– البتراء التي قد تكون سُميّت باسمه[27].

يورد لنا هذا الكاتب السرياني ابن ديصان والمتوفى عام 222م في كتابه الموسوم (كتاب شرائع البلدان = ܟܬܒܐ ܕܢܡܘܣܐ ܕܐܬܪܘܬܐ) إشارة إلى ضم الرومان للمملكة النبطية حيث يقول: "فمؤخراً الرومان سيطروا على العربية وقد تخلصوا من كل القوانين التي قبلهم وخصوصا الختان الذي كان عادة في المنطقة"[28] وهذه أول إشارة تاريخية إلى ممارسة الختان في المنطقة النبطية والجزيرة العربية، ثم يشير ابن ديصان في كتابه هذا إلى منطقة الرقيمين، التي على ما يبدو أنها

---

[22] مرقطن، محمد (2014): حول العلاقات ما بين بلاد الشام واليمن قبل الإسلام. في: رائد من رواد الجزيرة العربية- دراسات في آثار ونقوش بلاد الشام والجزيرة العربية، مقدمة تكريما للأستاذ الدكتور معاوية إبراهيم، تحرير، زيدان كفافي ومحمد مرقطن، "لا سابينز" البعثة إلى فلسطين والأردن، روما، 97-114.

[23] Josephus, F.: Jewish Antiquities. Translated by Thackeray, H. and Marcus, R. William Heinemann, London, IV. 82.

[24] Thackeray, H., (1957): Josephus IV, Cambridge, 516.

[25] Blatt, F. (1958): The Latin Josephus, Copenhagen, 270.

[26] Jewish Antiquities IV. 161

[27] سلامه، عواطف (2001): أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات 1360-110 ق.م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 172.

[28] Drijvers, H.(1965): The Book of the Laws of the Countries. Koninklijke Van Gorcum, The Netherlands, p. 54.

كانت منطقة المملكة النبطية (أو البتراء بالتحديد) قائلا :" تُقتل الزوجة التي ارتكبت الزنا، وتُعاقب التي يشك أنها مارست الزنا في منطقة الرقيمين ومنطقة الرها والمنطقة العربية "[29]، وكلمة "الرقيميين" ܒܝܬ ܪܩܡܝܐ متأتية من الجذر "رقم " والتي نتناولها في هذا البحث، حيث يبدو لنا من خلال السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة، واقتران اسم منطقة الرقيميين ببلاد العرب معاً، أنهما يقعان ضمن نطاق جغرافي واحد، وما يمكن استنتاجه أن أرض الرقيميين هنا هي أرض الأنباط على الأغلب الأعم، ولربما قصد الكتاب بها مدينة البتراء على وجه الخصوص.

ويذكر المؤرخ والجغرافي يوسيبيوس القيساري (265–340م) في معجمه الجغرافي اسم الرقيم باليونانية بعدة صيغ منها Αρκέμ[30] و Ργκέμ[31]، وذكرها في مكانٍ آخر باسمها الإغريقي (البتراء= Πέτρα)[32]، وقال أنها مدينة في الجزيرة العربية في أرض آدوم، وأن السوريين يسمونها Ῥεϰέμ، ويقول في موضع آخر أن حاكم البتراء Ῥοϰὸμ هو من قتل أبناء اسرائيل[33].

يرد في المصادر العربية والإسلامية اسم "الرقيم" للدلالة على أكثر من موقع أحدهما في البلقاء، وآخر في جنوب الأردن، إلا أن هذه المصادر تخلط بين الموقعين، فقد ذكر ياقوت الحموي مثلا الرقيم بأنه موضع بالقرب من البلقاء من أطراف الشام[34]. كما يرد في كتاب الكامل وفي معرض حديث الكاتب عن رحيل صلاح الدين الأيوبي من مصر إلى الكرك وعودته منها حيث يقول أن نور الدين "وعندما وصل إليه كتاب صلاح الدين برحيله من مصر، فرق الأموال، وسار إلى الكرك حيث وصل إلى الرقيم، وبينه وبين الكرك مرحلتان"[35] إذ يحددها الكاتب بجنوب الأردن.

ويشير الإصطخري إلى الرقيم قائلا :"وأما رقيم، فإنها مدينة بقرب البلقاء وهي صغيرة ، منحوتة بيوتها كلها ، وجدرانها من صخر كأنها حجر واحد "[36]، وهذا الوصف يطابق البتراء تماماً، إلا أن الإصطخري، على ما يبدو، قد أخطأ في تحديد موضعها، ووضعها بالقرب من البلقاء البعيدة عن البتراء، كما يبدو أن المصادر العربية الإسلامية قد خلطت بين رقيم أهل الكهف ورقيم البلقاء والبتراء.

ويبدو أن اسم الرقيم الذي اطلق للدلالة على البتراء ليس له علاقة بأصحاب الكهف والرقيم التي ورد ذكرها في سورة الكهف في القرآن الكريم، ويرى الكثير من المفسرين أن أصل كلمة الرقيم الوارد ذكرها في القرآن هو الكتاب أو اللوح، وقيل هو كتاب مع أصحاب أهل الكهف[37]، ومنهم

---

[29] Drijvers, H. (1965): The Book of the Laws of the Countries, 46-47.
[30] Eusebius (1966): Das Onomastikon der biblischen Ortsnamen, 36.13.
[31] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 144.7.
[32] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 142.7.
[33] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 112, 8.
[34] الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، مج 3، 600.
[35] الشيباني، محمد بن محمد (1995): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، مجلد 10، 49.
[36] الاصطخري، أبو القاسم إبراهيم (1937): المسالك والممالك، بريل، لايدن، 46 .
[37] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (1986): تذكرة الأريب في تفسير الغريب. تحقيق علي حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض، 335.

من قال أن الرقيم هو اسم الوادي الذي يوجد فيه الكهف وهو قرب أيله[38]، ويرى ابن فضل الله العمري أن الكهف والرقيم في بلاد الروم عند موقع اسمه أفسوس[39]، واختلف المفسرون في تحديد موقع الكهف والرقيم، فمنهم من وضعها في أفسوس وطرطوس وفلسطين وغرناطة والرجيب بالقرب من العاصمة الأردنية عمّان، وقد ورد ذكر هذه الحادثة في العديد من المصادر النصرانية والسريانية والأثيوبية والأرمنية، وعُرف أصحاب الكهف في هذه المصادر باسم (النيام السبعة) و(نيام أفسوس السبعة).[40]

ويبدو لنا عدم وجود علاقة بين (رقم) التي نناقشها هنا وأصحاب الرقيم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم[41]، فلم تذكر المصادر التاريخية والدينية البتراء كاسم موقعٍ مُحتملٍ لهذه الحادثة[42].

ثالثاً: البتراء منذ أقدم العصور حتى العصور الإسلامية المتأخرة

أ. البتراء خلال عصور ما قبل التاريخ

يعتبر العصر الحجري القديم أقدم العصور التي شهدت وجوداً بشرياً على سطح الأرض وأطولها، حيث يبدأ هذا العصر مع ظهور الإنسان، وقد أرجع بعض الباحثين بداية الوجود البشري على سطح الأرض إلى حوالي مليون ونصف عام مضت تقريباً، وخلال هذه الفترة التي تمتد حتى حوالي 20.000 سنة مضت كان الإنسان صياداً متنقلاً جامعاً للقوت وغير منتجٍ له، وغير مستقر في مستوطنات دائمة، أي لم يقم ببناء أية منازل تدل على استيطان دائم، وقد اعتمد في حياته على صيد الحيوانات البرية وجمع الثمار. وقد تركزت إقامة إنسان العصور الحجرية بالقرب من مصادر المياه، وفي مناطق ذات مناخ مناسب.

تعتبر الأدوات الصوانية أقدم الأدلة الأثرية التي صنعها الإنسان خلال هذه العصور، وتعتبر الصناعة المعروفة بالآشولية أبرز الصناعات الممثلة للمرحلة الأولى من العصر الحجري القديم (بين مليون ونصف و12000 سنة مضت)، وقد عُثر على أمثلة لها في إفريقيا، أما بخصوص منطقة جنوبي بلاد الشام فقد عُثر على أفضل النماذج الممثلة لها في منطقة العبيدية في الغور الشمالي، والتي أُرخت لحوالي مليون عام مضت.

---

[38] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1987): التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق عبد مهنا، دار الكتب العامة، بيروت، 100؛ السيوطي، جلال الدين (د. ت): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، ، ج5، 212.

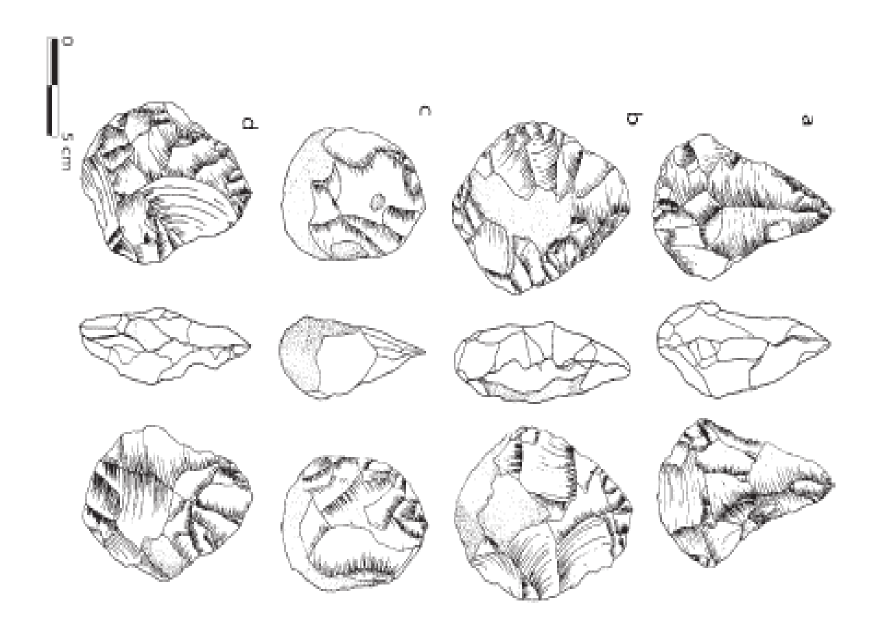
[39] ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (1988): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إعداد فؤاد سزكين، استانبول، ج1، 161.

[40] للمزيد حول هذا الموضوع انظر بن صراي، حمد والشامسي، يوسف (2000): المعجم الجامع لما صُرح به وأُبهم في القرآن الكريم من المواضع، مركز زايد للتراث والتاريخ، 289-298.

[41] سورة الكهف: 9.

[42] للمزيد انظر السلامين، زياد (2015): (رِقِمْ= الرقيم) في المصادر التاريخية والنقشية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية- جامعة الملك سعود، العدد 31، 7-35.

أما في البتراء، فما تزال الصورة عن طبيعة الأرض واستخداماتها غير واضحة خلال المراحل المبكرة من العصر الحجري القديم، فقد وجدت بعض الأدوات الصوانية الثنائية الوجه في بعض الأودية والمنحدرات حول البتراء، ومن الصعب إعطاء تاريخ دقيق لهذه الأدوات، كما أننا لا نستطيع اعتماداً على هذه الأدوات أن نتفهم بشكلٍ شمولي طبيعة الاستيطان في البتراء خلال تلك المرحلة المبكرة من عمر البشرية ولكنها دليلٌ على أية حال عن وجود نوع من النشاطات البشرية خلال تلك الفترة[43]، إذ كشفت المسوحات الآثارية التي أجريت مؤخراً في المنطقة الواقعة إلى الشمال من البتراء عن مجموعة من الأدوات التي تعود للدور الأول من العصر الحجري القديم، ومن أبرزها فؤوس يدوية وفؤوس ثنائية الوجه[44].



فؤوس يدوية وفؤوس ثنائية الوجه تعود للدور الأول من العصر الحجري القديم عُثر عليها إلى الشمال من البتراء[45]

أما خلال المرحلة المتوسطة من العصر الحجري القديم (120000–40000 سنة مضت) فقد عُثر على أدلة تُشير إلى ازدياد النشاطات البشرية في المنطقة، وخاصة في الجزء الغربي من البتراء، حيث عُثر على أدواتٍ في وادٍ يقع على بعد حوالي 2 كم جنوب غرب البتراء، كما عُثر على مواقع تعود لهذا العصر في بعض المناطق المحيطة بجبل هارون، وهي تُؤكِّد وجود نشاطات بشرية موسمية.

[43] Gebel H. G. (1988): Late Epipalaeolithic - Aceramic Neolithic sites in the Petra area. In Garrard, A. N. & Gebel, H. G. (eds.): The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986. BAR IS 396 (i), 67-100.

[44] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project: Landscape Archaeology in the Northern Hinterland of Petra, Jordan. AJA, Vol. 121, No. 4, fig. 7.

[45] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project, fig. 7.

ومن المواقع الأخرى التي تعود لهذه الفترة منطقة جبل البره[46]، بالإضافة إلى المواقع التي تم الكشف عنها خلال إجراء مسح في المنطقة الواقعة شمال البتراء (منطقة بيضا)، إذ كشفت الحفريات عن مجموعة من الأدوات الصوانية منها أدوات وشفرات ليفلوائية تعود لهذا الدور والدور الأعلى من العصر الحجري القديم[47].

أما فيما يخص الدور الأعلى من العصر الحجري القديم (40.000-20.000 ق.م)، فقد عُثر على عدة مواقع تعود لهذه الحقبة في سيق أم العلدا في بيضا شمال البتراء إضافة إلى صبرا جنوبها، وتتميز هذه المواقع، بشكلٍ عامٍ، بأنها أصغر من مواقع الدورين الأول والثاني من العصر الحجري القديم [48].

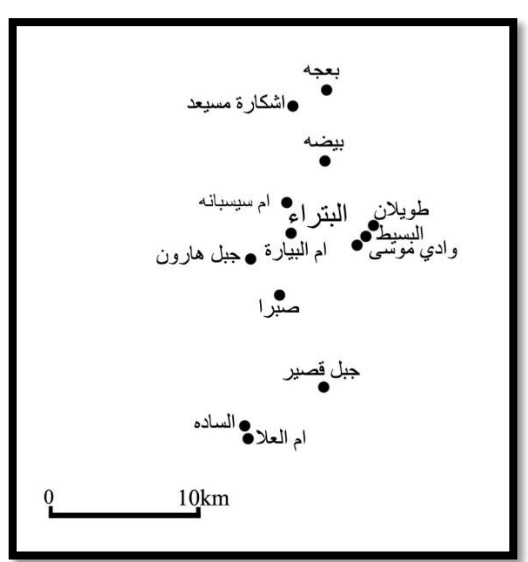
يعتبر العصر الحجري اللاحق للقديم (حوالي 20000-10500 ق.م) مرحلة انتقالية ما بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، وقد كان يطلق عليه سابقاً فترة العصر الحجري الوسيط، وقد اعتمد إنسان هذا العصر على التنقل والصيد والالتقاط[49].

يُعتبر ملجأ وادي المدمغ الصخري في بيضا أفضل المواقع الممثلة لهذا العصر، وقد نقبت فيه ديانا كركبرايد بدءاً من عام 1956، وعُثر هناك على أدواتٍ صوانيةٍ دقيقة وعظمية، وقد صنفت المنقبة الأدوات الصوانية التي عُثر عليها ضمن مجموعة ما يعرف بالكبارية الصغيرة[50]، وقد استمر العمل في هذا الموقع من قبل فريق ألماني عام 1983، حيث تمكن الفريق من جمع مئات القطع الصوانية، وتم تأريخ هذه اللقى عن طريق تحليل وتأريخ عينات عظمية[51]، وكشفت الأعمال الميدانية التي أجريت في هذا الموقع عام 2011 عن مناقيش صوانية دقيقة (microburins) ونصلات (شفرات صوانية) ونصلات صوانية مشظية (retouched bladelets) بالإضافة إلى مناقيش (burins) ومكاشط (scrapers)، وقد بلغ عدد الأدوات الحجرية المشذبة التي عُثر عليها في هذه المنطقة أثناء التنقيب الذي أجري عام 2011 حوالي 13,894 أداة[52].

ومن المواقع الأخرى التي يمكن أن تؤرّخ لهذا العصر وادي صبرا جنوب البتراء ووادي المطاحه داخل البتراء، والذي عُثر فيه على مدفن يعود لهذا العصر،وتم تأريخ مرحلتين استيطانتين باكرتين في هذه الموقع اعتماداً على دراسة بقايا عظام حيوانية، وهما مرحلة الكبارية الهندسية

[46] Schyle, D. and Uerpmann, H. (1988): Palaeolithic sites in the Petra area. In Garrard, A. N. and Gebel, H. G. (eds.): The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986. BAR IS 396 (i), 39-40.
[47] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project, fig. 8.
[48] Schyle, D. and Uerpmann, H. (1988): Palaeolithic sites in the Petra area.: 44-47.
[49] محيسن، سلطان (2008): القرى الزراعية الأولى في المشرق العربي القديم. في: المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية: النشأة والتطور، تحرير، عبد الرحمن الانصاري واخرون، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ط 1، 51-65.
[50] تقنية صناعية صوانية.
[51] Schyle, D. and Uerpmann, H. (1988): Palaeolithic sites in the Petra area, 48-49.
[52] Olszewski, D., al-Nahar, M. (2012): New Excavations at Wadi Madamagh, Petra Region, Neo-Lithics 2/11, 8-13.

والتي تعود لحوالي (14000 سنة مضت)، والنطوفية المتأخرة التي تعود لحوالي (11000 سنة مضت)، وبيَّنت دراسة البقايا العظمية أن سكان هذه المنطقة آنذاك قد استهلكوا أنواعاً عديدة من الحيوانات كالغزلان والماعز ولأرانب الوحشية وطيور الحجل، بالإضافة إلى أدلة أخرى تؤكد استهلاكهم للنباتات[53].



خريطة تبين أبرز المواقع الأثرية التي عُثر فيها على أدلة تؤرّخ للفترة ما بين العصور الحجرية وحتى نهاية العصر الحديدي (المصدر: الباحث)

تعتبر النطوفية أبرز الثقافات الصناعية الممثلة للمرحلة الثانية من هذا العصر في منطقة بلاد الشام، حيث شهدت هذه الحقبة بدايات محاولات الإنسان لإنتاج غذائه اعتماداً على الزراعة، كما بدأ الاستقرار التدريجي، وبدأ باستغلال الموارد المتاحة، واستمر اعتماده على الصيد وجمع القوت، ومن أبرز المواقع الممثلة لهذه الفترة القرية النطوفية في بيضا التي يبدو أن الاستيطان فيها كان موسمياً قصير الأمد[54].

شهد العصر الحجري الحديث (8.500-4.500 ق.م) تطورات عديدة في حياة الإنسان، حيث بُنيت القرى وموُرست الزراعة وصنع الفخار في المرحلة المتأخرة من هذا العصر، كما تطورت العمارة، وصنع الإنسان التماثيل الحجرية والطينية خصوصاً ما يُعرف بتماثيل الآلهة الأم، وقد عُثر على العديد من المواقع التي تعود لبدايات هذا العصر في محيط البتراء مثل موقع صبرا 1 الذي عُثر فيه على نماذج من الصناعات التي تعرف بالخيامية (نسبة لموقع الخيام بفلسطين) حيث يعتقد أن هذا الموقع كان مكاناً لمخيمٍ موسميٍ.

---

[53] Baadsgaard, A & Chazan, Michael & Scott Cummings, L & Janetski, Joel. (2010): Natufian strategy shifts: evidence from Wadi Mataha 2, Petra, Jordan. EP, 7. 9-30.

[54] Byrd, B. (1991): Beidha: An Early Natufian encampment in southern Jordan. In Bar-Yosef, O. and Valla, F. R. (eds.): The Natufian Culture in the Levant. Ann Arbor, International Monographs in Prehistory.

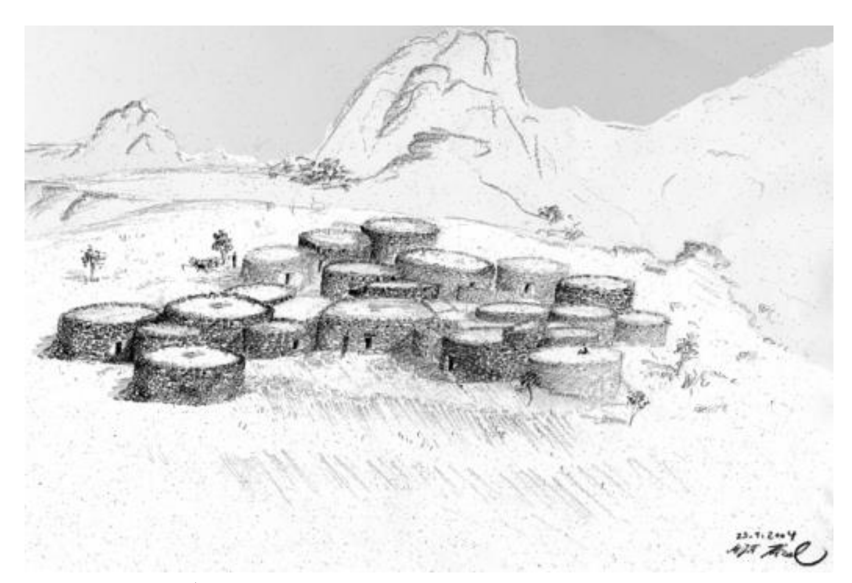
أما أبرز مواقع المرحلة الأولى من هذا العصر، والتي تعرف لدى الباحثين بمرحلة العصر الحجري ما قبل الفخاري، فهو موقع بيضا الذي نقبت به ديانا كركبرايد بين 1957-1968 و 1983، وقد كشفت الحفريات الآثارية عن بقايا معمارية يمكن أن تؤرَّخ لمرحلتين متتاليتين: المرحلة الأولى وتشتمل على مبانٍ دائريةٍ تحت مستوى سطح الأرض، في حين تشتمل المرحلة الثانية على بيوتٍ مبنيةٍ بشكلٍ خطيٍ، وقد مثَّلت الأغنام أعلى نسبة عظام حيوانية مكتشفة في الموقع، ويمكن الاستنتاج أن بداية تدجين هذا النوع من الحيوانات حدثت لأول مرة خلال هذه الفترة، كما عُثر على عددٍ كبيرٍ من حجارة الطحن التي تُشير إلى بداية الاعتماد على الزراعة، وعُثر كذلك على أدواتٍ حجريةٍ استخدمت لطحن الحبوب، وهذه الأدوات مصنوعة من الجرانيت والحجر الرملي والكلسي، كما عُثر على بعض الأصداف التي كانت تستخدم للزينة إضافة إلى تماثيل طينية صغيرة للآلهة الأم[55].



صورة لقرية العصر الحجري الحديث في بيضا (من تصوير ديفيد كينيدي)

ومن المواقع الأخرى التي تعود لهذه الفترة ضمن محيط البتراء موقع اشكارة مسيعد الذي يقع على بعد حوالي 13 كم شمال البتراء، حيث نقب في الموقع فريق دينماركي وكُشف عن مبانٍ دائريةٍ مشابهةٍ لتلك التي عُثر عليها في بعض المواقع المعاصرة الأخرى، وأرخت اللقى إلى المرحلة الثانية من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري[56].

[55] Kirkbride, D. (1966): Five seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village at Seyl Aqlat, Beidha near Petra. PEQ 98, 5-61.
[56] Kaliszan L., Hermansen B., Jensen C., Skuldbøl T., Bille M., Bangsgaard P., Sørensen M., Markussen B. (2002): Shaqarat Mazyad - The village on the edge. Neo-Lithics 1/2002, 16-19.



إعادة تخيل لبعض مباني اشكارة مسيعد[57]

ويعتبر موقع بعجه – الواقع على بعد 11 كم شمال البتراء– من أفضل المواقع الممثلة لفترة العصر الحجري الحديث المتأخر ما قبل الفخاري: المرحلة الثانية (8800–6900 ق.م)[58]، حيث بُنيت المنطقة السكنية في هذا الموقع خلال هذه الفترة على مصطبةٍ جبلية علوية يتم الوصول إليها عبر سيق ضيق. وقد بدأ التنقيب بالموقع فريق ألماني بإشراف هانس جيبل، وكشفت الحفريات عن قرية مساحتها عشرة آلاف متر مربع، وهي مكونة من بيوت مبنية من الحجارة ذات جدران مقصورة، كما عُثر على أدواتٍ حجريةٍ وأصدافٍ استخدمت للزينة، إضافة إلى عددٍ من حجارة الطحن، كما كُشف عن بقايا مدفن مزخرف تحت أرضيات إحدى البيوت، وأشارت الحفريات إلى أن الموقع كان كبير الحجم مما يشير إلى ازديادٍ مضطردٍ في عدد السكان.

وعثر في منطقة بعجة على نماذج تُمثّل أقدم الرسومات الجدارية المعروفة في الأردن حتى الآن، وقد رسمت الأشكال –التي تلفت كافة تفاصيلها وملامحها –على طبقةٍ جصيةٍ كانت تغطي أحد جدران غرف القرية التي كانت تحوي مدفناً.

---

[57] http://books.openedition.org/ifpo/4881?lang=en.

[58] Gebel H. G. (1988): Late Epipalaeolithic, 67-100.



مخطط المنطقة (ب الشمالية) في قرية بعجة الحجرية (يمين)، صورة جزئية لهذه المنطقة (يسار)[59]



لوحة من رسومات بعجه الجدارية، معروضة في متحف الأردن (تصوير الباحث)

ومن المواقع التي تعود لذلك العصر، موقع البسيط شمال غربي وادي موسى، حيث عُثر فيه على أدلة وشواهد تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري والفخاري[60]، ويغطي هذا الموقع حوالي 7.5 هكتار، وعثر فيه على مبانٍ تتألف من غرف صغيرة لها أرضيات مدهونة باللون الأحمر وتشير بقايا الجدران إلى احتمال وجود مبان من طابقين[61].

ب. البتراء خلال العصرين الحجري النحاسي والبرونزي (4500- 1200 ق.م)

ما تزال معلوماتنا عن هذين العصرين قليلة جداً، لقلة الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في البتراء وجوارها، وقد كشف الفريق الآثاري الذي رافق أعمال تنفيذ مشروع الصرف الصحي في وادي

---

[59] https://www.exoriente.org/baja/2005/2.php.

[60] Fino, N. (1998): Al-Basit Neolithic site in southern Jordan. ADAJ 42, 103-111; ‘Amr, K. and al-Momani, A. (2001): Preliminary Report on the Archaeological Component of the Wadi Musa Water Supply and Wastewater Project (1998-2000). ADAJ 45, 262-264.

[61] ‘Amr, K. and al-Momani, A. (2001): Preliminary Report, 262-63.

موسى عن بعض اللقى التي تعود للعصر الحجري النحاسي[62] (4500- 3500 ق.م) ، كما كُشف مؤخراً في منطقة بيضا عن أدوات حجرية تؤرَّخ لنهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحجري النحاسي، وأخرى تعود إلى العصر الحجري النحاسي وبداية العصر البرونزي المبكر اشتملت على شفراتٍ ومكاشطٍ[63].

ومن المواقع الأخرى التي عُثر فيها على أدلة قد تشير إلى نشاطات بشرية خلال العصور البرونزية (3500-1200 ق.م): موقع صبرا والذي عُثر فيه على مستوطنة تعود لتلك الفترة[64] إضافة إلى موقع الساده الذي يقع على بعد حوالي 14 كم جنوب البتراء[65]. وعُثر أيضاً على بقايا أبنية تعود إلى العصر البرونزي المبكر في منطقة أم سيسبانه شمال الدير، ومنطقة الخُبْثَه، وجبل فدره[66]، ومنطقة القرن ضمن ضواحي بيضا شمالي البتراء[67].

ج. البتراء خلال العصر الحديدي (1200-586 ق.م)

سكن الآدوميون منطقة جنوب الأردن خلال العصر الحديدي، وكانت مملكتهم تمتد من وادي الحسا وحتى العقبة جنوباً، وقد قام عالم الآثار التوراتي نيلسون جلوك، بتأريخ مواقع العصر الحديدي في الأردن إلى الفترة ما بين القرن الثالث عشر وحتى القرن الثامن قبل الميلاد، وحدد البداية بالقرن الثالث عشر حتى ينسجم ذلك مع مخرجات نظريته، ويتطابق مع القصة التوراتية لخروج بني إسرائيل، ولكن أشارت الحفريات الآثارية التي أُجريت في العديد من المواقع الآدومية إلى أن بداية ظهور المواقع تعود إلى حوالي القرن السابع قبل الميلاد[68] ، أي أن آدوم لم تكن موجودة كمملكة إبان فترة الخروج.

ومن المصادر التي تلقي الضوء على تاريخ آدوم إضافة إلى المصادر التوراتية، المصادر المصرية القديمة والرافدية، حيث يذكر الملك الآشوري ادد-نيراري الثالث (810-796 ق.م) أنه أخضع آدوم وجعلها تابعة له، كما يرد ذكر اسم الملك قوس ملكو ملك آدوم كأحد الملوك

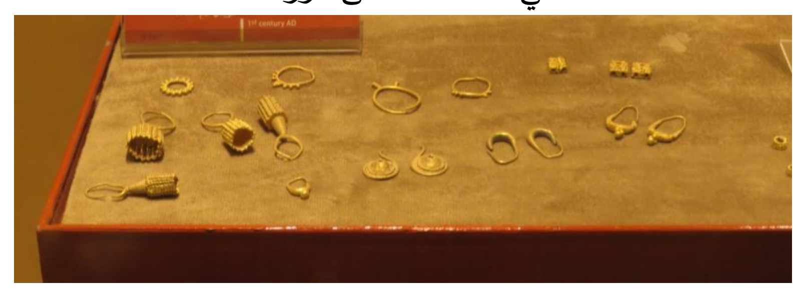
[62] ‘Amr, K. and al-Momani, A. (2001): Preliminary Report, 280.
[63] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project, fig. 9.
[64] Lindner, M. (1992): Survey of Sabra (Jordan) 1990 Preliminary Report. ADAJ 36: 193-216.
[65] Lindner, M. (1990): Uunique Lithic- Early Bronze - Edomite - Nabataean Site in Southern Jordan – Life both Past and Present. Aram 2: 1&2, 77-92.
[66] Lindner M. and Zeitler J.P. (1998): Sabra - Entdeckung, Erforschung und Siedlungsgeschihte einer antiken Oasenstadt bei Petra (Jordanien). Archiv für Orientforschung XLIV und XLV 1997/1998, 535-565.
[67] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project, 652.
[68] Bienkowski, P. (1992): The beginning of the Iron Age in southern Jordan: a framework. In Bienkowski, P. (ed.): Early Edom and Moab. The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan. Sheffield Archaeological Monographs 7. Sheffield, J. R. Collis Publications, 1-12.

الآدوميين الذين دفعوا الجزية للملك تيجلات فلاصر الثالث، ومن الملوك الآدوميين الآخرين الذين وصلتنا أسماؤهم الملك قوس جابر [69].

وتتميز المملكة الآدومية بوجود العديد من التحصينات والقرى التي تنتشر في كافة أرجائها. وقد عُثر على العديد من المستوطنات الآدومية في محيط البتراء وبداخلها، وتم تصنيف عدة مواقع آدومية ضمن هذه المناطق تحت عنوان "مواقع المستوطنات على قمم الجبال" منها أم البياره، بعجه، جبل القصور، أم العلا، وتقع جميعها على قمم جبال لا يمكن الوصول إليها بسهولة، كما أنها تتميز بعمارتها ومادتها الحضارية، وتتوسط مساكن هذه المواقع حفرة في وسط أرضية بيوتها ويبدو أنها كانت تحمل دعامة تساعد في حمل السقف، كما تحتوي هذه المنشآت على غرف ضيقة يبدو أنها كانت تستخدم للأغراض الزراعية[70].

ومن المواقع الآدومية المهمة أم البياره في البتراء والتي كُشف فيها عن غرف طولية مزوَّدة بغرفٍ صغيرةٍ مربعةٍ، وعُثر في هذه المواقع على فخاريات تتكون من الزبادي وأواني التخزين ووزنات النول، وقطع مغازل والواح زينة إضافة إلى العثور على ختم للملك الآدومي قوس جابر، وفخاريات تحمل كتابة وجرة مختومة ووزنة تحمل كتابة[71].

ومن المواقع الأخرى التي عُثر فيها على آثار تؤرّخ للعصر الحديدي خربة المْعَلَّق بالقرب من عين آمون على الطريق الواصل بين وادي موسى والطيبة، وهي تؤرَّخ للفترة ما بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، كما سُكنت المنطقة خلال العصور الإسلامية المتوسطة كما سنرى لاحقاً، والغرف التي كشف عنها هنا وتؤرّخ للعصر الحديدي ذات جدران سميكة مبنية من الحجارة الجيرية المقطوعة والدبش، كما كُشف في المْعَلَّق عن مجموعة من اللقى الأثرية التي اشتملت على المطاحن والجواريش وجرار التخزين وعظام الحيوانات كالماعز حيث يبدو أنها كانت منطقة معتمدة في اقتصادها على الزراعة[72].





[69] Oppenheim, L., (1955): Babylonian and Assyrian Historical Texts. In: Ancient Near Easter Texts Relating to the Old Testament, (ed.) Pritchard, J. Princeton University Press, 282.

[70] Lindner, M., Knauf, E. A., Zeitler, J. P. and Hübl, H. (1996): Jabal al-Qseir: A fortified Iron II (Edomite) mountain stronghold in southern Jordan, its pottery and its historical context. ADAJ 40, 137-166.

[71] Bienkowski, P. (1990): Umm el-Biyara, Tawilan and Buseirah in retrospect. Levant 22, 91- 109.

[72] Bienkowski, P. (1990): Umm el-Biyara, Tawilan, 91-109.

صور لمجموعة من الحُلي الذهبية التي عثر عليها في طويلان (يمين)، وعاء نذري من الحجر الجيري يؤرخ للعصر الحديدي عُثر عليه في خربة المُعَلَّق (يسار) (معروض في مركز زوار البتراء، تصوير الباحث)

د. البتراء والعالم الهلنستي (332- 64 ق.م)

كما هو معلوم لدى الباحثين، فإن العصر الهلنستي يبدأ في منطقتنا مع دخول الإسكندر المقدوني إلى الشرق وتشكيله لإمبراطوريته، وبعد وفاته حدثت خلافات بين ورثته وقادته وانتهت بتقسيم الإمبراطوريّة، وقُسِّمت الإمبراطوريّة نتيجة لهذه الخلافات، حيث سيطر سلوقس على الأراضي التي أصبحت تابعة للدولة السّلوقية التي اتخذت من سلوقيا مركزاً لها، ومن ثَمّ انتقلت إلى انطاكيا[73] وقد شملت الدولة السّلوقية أجزاءً عدّة من شمالي بلاد الشام، أما بطليموس فقد أسس دولة عرفت بالدولة البطلميّة، فسيطر على جنوبي سوريا ومصر وكانت الإسكندرية عاصمته. وبعد هذا الانقسام حدثت خلافات جديدة بين هاتين الدولتين نتيجة لدوافع سياسيّة وتجاريّة.

وكما سنرى تالياً، فقد كانت البتراء مستقلة خلال هذه الفترة، ولم تكن تابعة لإمبراطورية الإسكندر وخلفائه، وقد بيَّنت نتائج الأعمال الآثارية الميدانية وجود تواصل حضاري بين البتراء ومنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط خلال هذه الفترة، وكشفت الحفريات والمسوحات الآثارية التي أجريت في عدد من المواقع النبطيّة عن مجموعة من الآثار التي تعود لهذه الفترة، والمستوردة من الجزر اليونانيّة وحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث تؤكد هذه اللقى أن البتراء كانت على تواصل مع بلاد الإغريق خلال فترة مبكرة من تاريخ الأنباط؛ وتشتمل هذه اللقى على جرار وكسر جرار نبيذ، بعضها يحمل أختاماً باليونانيّة وبعضها غير مختوم، وهي مستوردة من جزيرة رودس اليونانيّة،[74] وأخرى من كنيدوس، حيث أرّخت للفترة ما بين 240 – 220 ق.م[75].

كما عُثر في البتراء على بقايا أواني فخاريّة مستوردة تعود لهذه الحقبة من نوع الفخّار الأسود المزجج[76]، وبقايا أواني تنتمي لمجموعات التيرا سيجيلاتا (د) ومصدرها قبرص[77]، بالإضافة إلى

[73] أنطاكيا: كانت عاصمة المملكة السّلوقية، أسسها سلوقس الأول عام 300 ق.م، ثم أصبحت خلال العصر الرّومانيّ عاصمة للولاية الرّومانيّة في سوريا، وكان لها دور سياسي وحضاري مميز خلال العصور الكلاسيكيّة.

[74] Horsfield, G. and Conway, A. (1938): Sela-Petra, the Rock, of Edom and Nabatene, I. II. QDAP 7, nos. 96, 97, 101, 103; Hammond, Ph. (1977-78): Excavations at Petra, 1975-1977, ADAJ 22: fig. 83; Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik , in : Petra. Ez-Zantur I. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen 1988-1992, edited by Bignasca, A. et al, Mainz : Terra archaeologica 2: 3-521; Joukowsky, M. (1998): Petra Great Temple, Vol. I, Brown University excavations, 1993-1997, Providence, R.I.: n. 97.

[75] Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, The Rock of Edom and Nabatene, IV: The Finds. QDAP 9, 104-105.

[76] Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik nos. 14-16, Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, n. 81.

[77] ‘Amr, K. (1987) : The Pottery from Petra. A Neutron Activation Analysis Study, BAR-IS 324, Oxford : British Archaeological Report: p. 8; Khairy, N. (1990): The 1981 Petra Excavations, Wiesbaden : O. Harrassowitz: figs. 1-19.

مجموعة أسرجة مستوردة من الجزر اليونانيّة[78]، وقوارير عطور فخّارية هلنستيّة مزججّة باللون الأسود، تؤرّخ للفترة ما بين القرنين الثالث إلى الثاني قبل الميلاد، وهي مستوردة من بلاد اليونان[79].

هـ. البتراء خلال الفترة النبطية (القرن الرابع قبل الميلاد ؟– بداية القرن الثاني الميلادي)

بدأنا نسمع عن الأنباط بعد غياب ذكر الآدوميين في المصادر التاريخية، وأولئك الأنباط هم خلفاء الآدوميين إذ اتخذوا من آدوم وطناً لهم، وورد ذكر الأنباط لأول مرة في المصادر التاريخية الكلاسيكية[80] عام 312 قبل الميلاد عند المؤرخ اليوناني ديودوروس الصقلي، وهو مؤرخ يوناني عاش خلال القرن الأول قبل الميلاد. وقد وصف محاولة أنتيغونوس، أحد قادة المقدونيين وأحد أتباع الإسكندر المقدوني لإخضاع الأنباط.

إن أصل الأنباط وتاريخ ظهورهم على مسرح التاريخ السياسي ما يزال موضع جدل ونقاش بين الباحثين ولكن الرأي الذي يقترحه معظم الباحثين هو أنهم قد جاءوا إلى منطقة جنوب الأردن من موضع ما من الجزيرة العربية في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد. وقد أشار ديودوروس الصقلي إلى معقلهم الصخري البتراء التي تعني الصخرة باليونانية؛ ويبدو من خلال وصف ديودوروس أنهم قد ظهروا كقبائل بدوية تمكنت من جمع ثروة طائلة نتيجة امتهانها واشتغالها بالتجارة بين مناطق جنوب الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأبيض المتوسط .

ما تزال معلوماتنا قليلة عن الفترة المبكرة من تاريخ الأنباط حيث غلب على حياتهم طابع البداوة والتنقل، وحدثت لاحقاً تطورات غيرت أنماط استيطانهم، ومع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد يبدو أنهم قد بدأوا ببناء مستوطنات دائمة، ويعتبر هذا التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي النبطي السريع نتاج عوامل داخلية وخارجية، وتتمثَّل العوامل الخارجية بضعف دول الجوار، أما الداخلية، فتتمثَّل بالانتعاش الاقتصادي والتطور الاجتماعي، واستقرار مؤسسة الحكم الملكي الوراثي، الذي تطور عن نمط القيادة القبلية، ممثلة بشيخ القبيلة.

أما ما يخصُّ ملوك الأنباط، فقد استطاع الباحثون تحديد حقب حكمهم بدءاً من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى عام 106م، وما زلنا نجهل الكثير عن تاريخهم المبكر، ولكن مع بداية القرن الأول قبل الميلاد تبدأ معرفتنا عن تاريخ الأنباط السياسي تَتَحسَّن بشكلٍ أفضل من السابق مع بداية القرن الأول قبل الميلاد، إذ تتوفر بعض المصادر التي تلقي الضوء على هذه الفترة ككتابات المؤرخ اليهودي فلافيوس جوسيفوس، الذي ترك لنا مصدرين اثنين مهمين هما: آثار

---

[78] Grawehr, M. (2006): Die Lampen der Grabungen auf ez Zantur in Petra. In : Keller, D and Grawher, M. Petra, Ez-Zantur III. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen, Terra Archeologica V, Mainz : Verlag Philipp von Zabern: nos. 549-550.

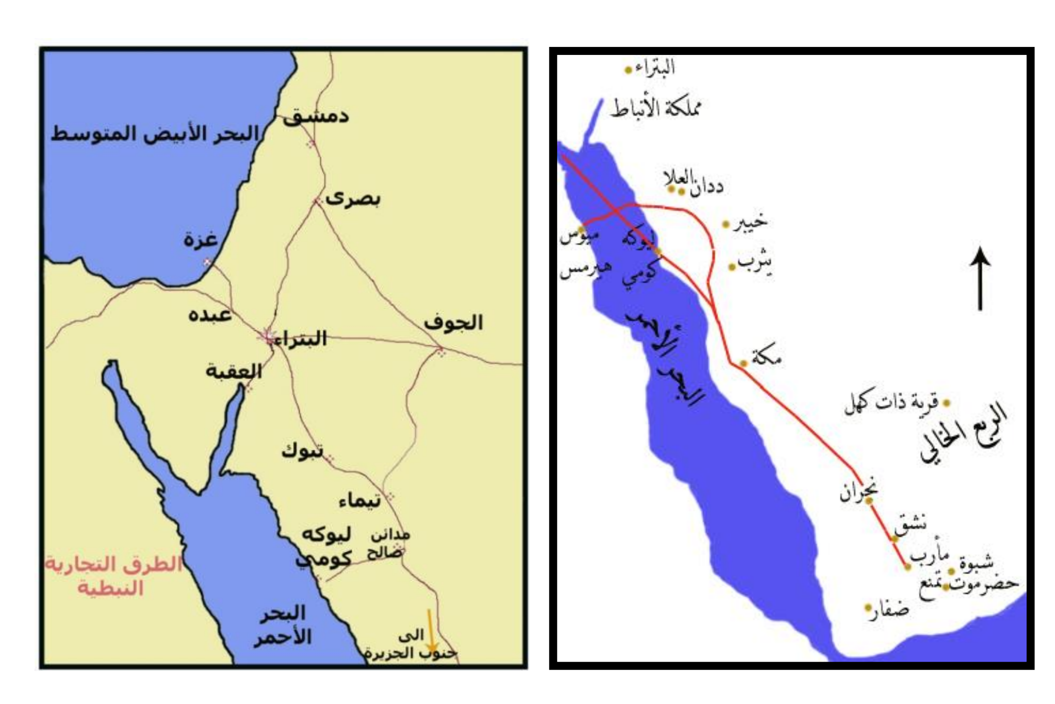
[79] Sachet, I., (2009): Refreshing and Perfuming the Dead: Nabataean Funerary Libations, SHAJ, p. 110.

[80] نقصد بالمصادر الكلاسيكية كتابات المؤرخين اليونان والرومان.

اليهود، وحرب اليهود والذي تطرَّق فيها إلى علاقات اليهود الخارجية، وزوَّدنا ببعض المعلومات عن الأنباط، حيث يذكر أنه في حوالي عام 93 ق.م قام الملك النبطي عبادة الأول بهزيمة الملك الحشموني الإسكندر جنايوس، كما حدثت معركة في مؤاب بين الأنباط والسلوقيين عام 84 ق.م توفي فيها الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني عشر. ويبدو أن انتصار الأنباط في هذه المعركة قد دفعهم إلى التوسع شمالاً باتجاه دمشق حيث ضُمَّت دمشق إلى المملكة النبطية وسكَّ الأنباط نقوداً خاصة بهم في هذه المدينة.

عندما قام القائد الروماني بومبي بإدخال بقايا المملكة السلوقية إلى إمبراطورية روما عام 63 ق.م كانت أنظاره تتجه صوب مملكة الأنباط، وقد قام ايميليوس سكاوروس قائده بمحاولة إخضاع الأنباط، ولكن محاولاته فشلت ، وفي عام 55 ق.م قام القائد الروماني جابينوس بإرسال جيوشه باتجاه الأنباط إلا أنه لم يتمكن من تحقيق أهدافه.

حقق الأنباط ثروة هائلة نتيجة لاشتغالهم بالتجارة، إذ كانت تمر من أراضيهم العديد من الطرق التجارية الرئيسة التي تربط الجزيرة العربية بمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وسوريا، مما جعلهم نشطاء في هذا المجال، وفرضوا الضرائب على السلع المارة من أراضيهم، والتي كان من أبرزها البخور القادم من الجزيرة العربية، والتوابل القادمة من الهند، وكان البخور يستخدم على نطاق واسع في مختلف مجالات الحياة اليومية إذ كان مكوناً أساسياً لبعض الأدوية، كما كان يستخدم في المعابد حيث كانت تحرق كمياتٌ كبيرة منه في الاحتفالات الجنائزية والدينية، ويبدو أن هذا الثراء الذي حقَّقه الأنباط، والقائم أساساً على هذه التجارة، قد دفع الإمبراطور الروماني أغسطس بعد ضمه لمصر البطلمية عام 30 ق.م إلى إرسال حملة إلى جنوب الجزيرة العربية عام 24 ق.م، حيث عُرفت هذه الحملة بحملة ايليوس جالوس. وقد قام سُلي (سيلايوس) الوزير النبطي المشهور، وأكبر شخصية نبطية في ذلك الوقت، بمرافقة الحملة كدليل. وقد فشلت تلك الحملة بسبب نقص التموين في الصحراء، التي كان الرومان يجهلونها، إضافة إلى تضليل دليل الحملة سُلي للقوات الرومانية، إذ أخذهم عبر ممرات ومسالك أدت إلى هلاك عدد من أفرد الحملة وتيههم.



خريطة تبين خط سير حملة ايليوس جالوس (يمين)[81]، أبرز محطات القوافل المرتبطة بالبتراء (يسار، إعداد الباحث)

كانت النتيجة المباشرة لهذه الحملة انتعاش وتطوير موانئ البحر الأحمر المصرية التي كان الهدف منها تسريع وتطوير تجارة البخور، وعدم الاعتماد على الطريق البري، ولكن لا يوجد ما يُشير إلى إيقاف الأنباط لاستخدامهم لطرقهم البرية، بل على العكس من ذلك يبدو أن الأنباط قد طوَّروا تجارتهم خلال القرن الأول قبل الميلاد، إذ يرى بعض الباحثين انه بدأت تظهر في البتراء أدلة على بداية صناعات عطرية محلية معتمدة على البخور[82].

استوطن الأنباط البتراء واتخذوها عاصمة لهم، وتحولوا من نمط حياة البداوة إلى الاستقرار، ويبدو أنهم استمروا يعيشون بخيام وكهوف صخرية داخل البتراء وحولها. ومع نهاية القرن الأول قبل الميلاد نلاحظ ازدياداً في النشاط العمراني، حيث بُني الشارع المُعمَّد الذي يقطع وسط المدينة من الشرق إلى الغرب ، كما بُني المدرج الكبير في البتراء مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول للميلاد، وفي نفس الوقت بُني معبدان آخران في البتراء هما: معبد قصر البنت ومعبد الأسود المجنحة، حيث يعكس هذان المعبدان مزيجاً من الخصائص الحضارية المحلية والخارجية؛ فبني معبد قصر البنت على نمط المعابد السورية واليونانية، وبُني معبد الأسود المجنحة على نمط معابد جنوب الجزيرة العربية. وخلال تلك الفترة تم بناء بعض المعالم الأخرى، كالحمامات والسوق، كما أن المرحلة الأولى من بناء "المعبد الجنوبي" قد تمت خلال هذه الفترة.

---

[81] الجرو، اسمهان، (1996): التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات، اربد، 200.
[82] Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.

لقد رافق ازدياد النشاط العمراني تغير اجتماعي أيضاً، وتغير في نمط الحياة، إذ بدأ الأنباط ببناء بيوت من الحجارة، وبشكلٍ عامٍ، فقد عُثر على نوعين من المساكن في مدينة البتراء: كهوف صخرية وبيوت مبنية من الحجارة. وقد عُثر على بيوت تعود إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وهي بيوت بسيطة لكنها شهدت تطوراً مع بداية القرن الأول الميلادي، وهي الفترة التي شهدت بناء بيوت وفلل فارهة ومن الأمثلة على ذلك:- منازل الزنطور والفيلا النبطية بوادي موسى، التي تحتوي على غرف كبيرة متعددة، وساحات وخزانات للمياه وحمامات، كما زينت جدرانها الداخلية بالفريسكو، واستخدمت الفسيفساء لتزيين بعض أرضياتها.

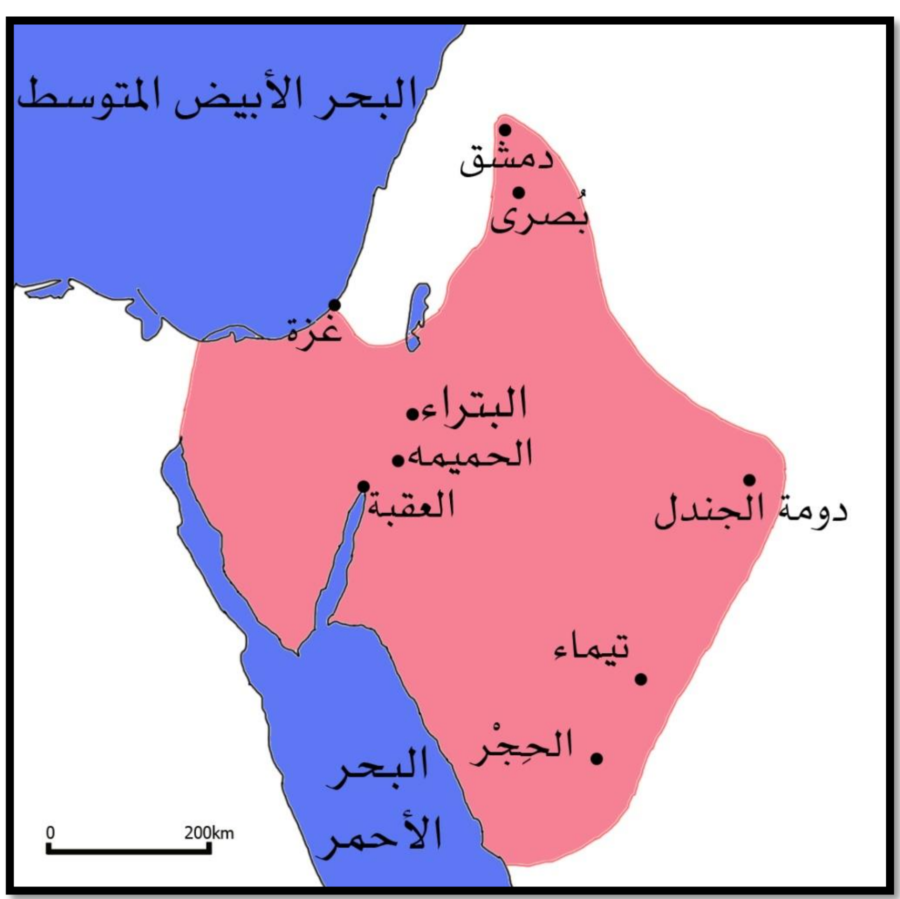
تعتبر الواجهات الكبيرة المحفورة بالصخر أكثر المعالم اللافتة للنظر في البتراء، ومعظم هذه المنشآت مبانٍ دفنيةٍ، وللأسف لم يعثر على هذه المدافن كاملة لأنها تعرضت للعبث والسرقة والنهب على مر العصور التي تلت، ومما يزيد الأمر غموضاً قلة النقوش على هذه الواجهات مقارنة بواجهات مدائن صالح الدفنية المعاصرة لها. ويغلب على واجهات البتراء أنها مقصورة بالجص، وربما كُتبت على طبقة الجص بعض النصوص ولكنها تساقطت مع مرور الزمن وعوامل التعرية، وبالتالي فإن معلوماتنا عن هذه الواجهات محدودة جداً، كما أن تأريخ هذه الواجهات بشكل دقيق ما يزال موضوع جدل بين الباحثين.

تعكس المدافن النبطية في البتراء بشكل عام الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمتوفى، حيث تتوزع فيها القبور البسيطة التي تمثل حفراً بسيطة، بالإضافة إلى الواجهات البسيطة المنحوتة بالصخر، والتي حُفر بداخلها حُجرات للدفن، وتوجد أيضاً واجهات ضخمة تعكس المكانة الاجتماعية المتميزة للمتوفى. وفي معظم الحالات فإن هذه الواجهات التي قطعت بأكملها بالصخر قد غطيت بطبقة من الجص ومن ثم دهنت، حيث تمت هذه الإضافة لتحقيق غايتين اثنتين: الأولى جمالية، والثانية وقائية للحد من تأثير التعرية، وخطر المياه الجارية في فصل الشتاء، ولتحقيق الغاية الوقائية ذاتها، قام الأنباط بحفر قنوات لتصريف المياه فوق الواجهات نفسها. وبشكل عام، تعكس هذه الواجهات تأثيرات خارجية، كما يبدو أن القبور المحفورة بالصخر قد صممت كمقابر عائلية ضخمة، ولم تكن مقابر فردية.

تتميز البتراء بوجود شبكة متطورة ومعقدة من أنظمة المياه وتصريفها وإدارتها، حيث تجلب القنوات الماء إلى المدينة من المناطق المحيطة ومن مناطق تبعد مسافات خارج المدينة تصل إلى عدة كيلومترات، كما استخدم نظام التصريف المائي في المدينة للحفاظ على الواجهات من خطر المياه المتدفقة خلال موسم الشتاء الماطر.

إذن، الأنباط هم شعب من أصل عربي، وهم في الأصل بدو رعاة رُحّل، وأصبحوا فيما بعد يلعبون دوراً أساسياً في تجارة المواد العطرية، وقد أدى ثراؤهم الناتج عن اشتغالهم بالتجارة إلى تبني نمط حياة مختلف، فمالوا إلى الاستقرار وبنوا المدن وطوروا نظاماً سياسياً ملكياً وراثياً. أما

ما يخص المساحة الجغرافية التي غطّتها مملكتهم، فقد كانت حدودها الخارجية متغيرة نتيجة للنشاطات السياسية وللحروب، ولكنها شملت في بعض الأحيان ذلك الجزء الممتد من دمشق شمالاً وحتى شمال الجزيرة العربية جنوباً، ومن ميناء غزة على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرباً وحتى الأجزاء الشرقية من الأردن (وادي السرحان)، واشتملت المملكة على منطقة النقب بجنوبي فلسطين بالإضافة إلى صحراء سيناء.



خريطة مملكة الأنباط خلال فترة ازدهارها (المصدر: الباحث)

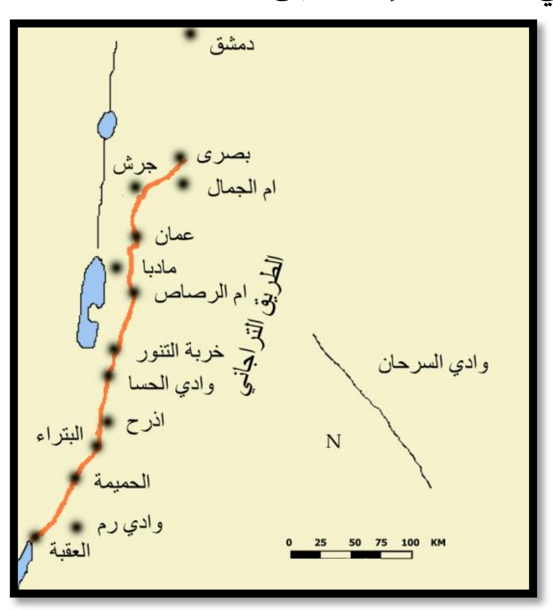
سقطت دولة الأنباط بيد الرومان عام 106م حيث يقول المؤرخ الروماني ديوكاسيوس من القرن الثالث الميلادي:- (أخضع بالما حاكم سوريا هذا الجزء من العربية حول البتراء وأصبحت تابعة للرومان)[83]. كما ترد رواية أخرى عن ضم المملكة النبطية من قبل الرومان في كتابات المؤرخ الروماني اميانوس ماركيلينوس من القرن الرابع الميلادي حيث يقول:- (أعطيت العربية اسم ولاية، وتم تعيين حاكم لها وأجبرها الإمبراطور تراجان على إطاعة قوانيننا)[84].

أما بخصوص ضم المملكة النبطية من قبل الرومان، فيبدو أن مرده أسباب استراتيجية مرتبطة بأطماع توسعية استعمارية، إضافة إلى دوافع اقتصادية أخرى، وبعد أن تم ضم المملكة النبطية

[83] Dio Cassius: Dio’s Roman History. Translated by Cary, E. William Heinemann, London.68.15

[84] Ammianus Marcellinus, (1956): Res Gestae, 3rd, 3 Vols, Harvard University Press, 8.13.

تم تشكيل ما يعرف بالولاية العربية Provincia Arabia، ونُقلت العاصمة إلى بصرى في جنوب سوريا. واختلف الباحثون حول كيفية الضم؛ فهناك آراء تتحدث عن ضم سلمي وأخرى تتحدث عن غزوٍ عسكريٍ، والحُجَّة التي يُقدِّمها أصحاب نظرية الضمّ السلمي هي أن تراجان لم يُسمِّ نفسه "قاهر الأنباط"، كما هي العادة عند الأباطرة الرومان عند سيطرتهم على أي شعب، ولكننا نميل إلى الرأي الثاني، إذ أن المعروف أن الأنباط قد قاوموا السلوقيين والبطالمة واليهود والرومان وخاضوا العديد من المعارك التي أثبتوا فيها بسالتهم وتحمسهم للدفاع عن بلادهم، فكيف يسلمون دولتهم إلى المستعمر الروماني على طبق من ذهب ودون مقاومة؟ ويدعم هذا الرأي نتائج الحفريات الآثارية التي أُجريت في البتراء والتي كشفت عن طبقةٍ تشير إلى تدمير يعود إلى بداية القرن الثاني للميلاد، أي معاصرة تماماً لحقبة ضم المملكة النبطية[85]، وهذا يُرجح على الأغلب تدميراً ناتجاً عن غزوٍ عسكريٍ أجنبيٍ. ومن المواقع التي عُثر فيها على طبقات تدمير المنطقة السكنية في الزنطور بالإضافة إلى معبد الأسود المجنحة.



خريطة الطريق التراجاني (المصدر: الباحث)

وبشكلٍ عامٍ، ما تزال المصادر التي تتحدث عن الفترة التي تم بها ضم المملكة النبطية قليلة وغير دقيقة، ولا يمكن أن نستنتج طبيعة الضم وكيفيته، ثم إن أسباب الضم نفسه ما تزال مثار جدل. ومن الملفت للنظر أن الضم قد حدث فعلاً عام 106م، ولكن الإعلان الرسمي عن هذا الحدث تم بعد خمس سنوات عام 111م. بدليل ضرب مسكوكات نقدية كُتب عليها "ضم العربية ARABIA CAPTA "وليس "إخضاع العربية" ARAB[IA] ADQVIS[ITA]

[85] Schmid, S. (1997): Nabataean Fine Ware Pottery and the Destruction of Petra in the Late First and Early Second Century AD. SHAJ 6, 413-20





قطعة نقد ضُربت في عهد تراجان، تظهر عليها عبارة ARAB[IA] ADQVIS[ITA][86]

و. البتراء خلال العصرين الروماني والبيزنطي (106–636م)

يبدو أن الإعداد لضم المملكة النبطية من قبل الرومان قد بدأ قبل عدة سنوات من حدوثه، وهنا فإننا نستبعد الضم السلمي، ونُرجّح الخيار العسكري، لأن مملكة قوية ومزدهرة كمملكة الأنباط لا يمكن أن تستسلم للرومان بسهولة، فقد تمّ نقل قواتٍ رومانيةٍ من مصر إلى فلسطين في حوالي عام 105م للإعداد لهذا العمل الضخم، وقد كانت الحاميات الرومانية في الولاية العربية بعد إلحاق المملكة النبطية بروما تتكون من فيلقين الأول هو الفيلق البرقي (القوريني)[87] الثالث III Cyrenaica[88] λεγιων Κυρηναιχη والذي كان مقره بصرى، وكانت وحدات تابعة له تخدم في كافة أرجاء الولاية. كما يُشير نقش عُثر عليه في جرش إلى فيلق فيراتا الرابع IV Ferrata[89]، والنقش مؤرخ لعام 118م، ووردت إشارة كذلك إلى تواجد قوات من هذا الفيلق في مناطق عمان والسلط وأذرح ثم انتقلت إلى يهودا في حوالي عام 117م[90].

ومن الكتائب الأخرى التي نسمع عنها الكتائب البتراوية Cohortes Petraeorum التي سُميّت نسبة لمدينة البتراء، ويبلغ عددها ستة، ويبدو أنها كانت تُمثّل بقايا الجيش النبطي الذي تم دمجه في الجيش الروماني، وكانت تدعم الحاميات العسكرية قوات مساندة مساعدة قوامها المشاة والفرسان الخيالة، وقد ذكرت لنا وثيقة أو لائحة نوتيتيا ديغنيتاتيوم (المراتب التشريفية) (Notitia

---

[86] Nünnerich-Asmus, A. (2002): Traian: ein Kaiser der Superlative am Beginn einer Umbruchzeit? Mainz am Rhein: Verlag Philipp von Zabern, 36.

[87] نسبة لبرقة الواقعة شرقي ليبيا حيث يبدو أن هذا الفيلق قد تم تشكيله بداية على يد مارك انطونيوس عندما كان حاكماً هناك وذلك في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.

[88] Kennedy, D. (2000): The Roman Army in Jordan, 48.

[89] Kennedy, D. L. (1980): Legio VI Ferrata, the annexation and early garrison of Arabia, HSCP 81: 297-299.

[90] Speidel, M. P. (1977): The Roman army in Arabia, in: ANRW II.8, 689.

Dignitatum)، والتي يعود تاريخها إلى حوالي عام 408م، معلومات عن أماكن تواجد الفرق العسكرية الرومانية التي تم جلبها إلى الولاية العربية خلال الفترة الرومانية المتأخرة[91].

ويرى الباحث غلين بورسوك أن هذه الكتائب، بالإضافة إلى فرقة تراجان لحاملي السهام Gentilicium of Trajan وفرسان الأنباط الذين ينتمون إلى المركز الرئيسي في البتراء، كان يتم إرسالهم خارج الولاية لخدمة الجيش الروماني، وهؤلاء الأنباط الذين خدموا في مرتبة أدنى كفرسان الكتائب equites cohortates، كان يتم إرسالهم إلى خارج الولاية العربية ربما لدواعٍ أمنية[92].

ويبدو أن البتراء، عاصمة مملكة الأنباط، قد ازدهرت بعد ضمّها من قبل الرومان، إذ أثبتت الأدلة الآثارية توسّع وسطها الحضري خلال الفترة الرومانية، فمَنَحَها الرومان العديد من الألقاب مثل: بوليس πολις (مدينة) ومتروبوليس μητρόπολις (المدينة الأم) في القرن الثاني للميلاد[93]، ومُنحت لقب مستعمرة (كولونيا= colonia) من قبل الإمبراطور الروماني إيلاغابال في القرن الثالث كنوعٍ من التكريم. كما مُنحت العديد من الألقاب التشريفية خلال الفترة الرومانية، والتي استمرت تُستخدم خلال العصر البيزنطي، كما تُشير لذلك الوثائق البيزنطية التي عُثر عليها في البتراء، والتي تعود للقرن السادس الميلادي[94]، ومَنَحَ الرومان مدينة البتراء الحقَّ بإصدار نقود خاصة محلية.

وقد قام الإمبراطور الروماني هادريان بزيارة للبتراء عام 129م، وسُكَّت نقود لتُخلّد هذه الزيارة، ومَنَحَها هادريان لقب هادريانا Hadriana تيمناً باسمه، واستمر اللقب بالظهور على القطع النقدية التي ضُربت في المدينة منذ عهد هادريان وحتى عهد كل من كراكلا وجيتا[95].

قام الرومان بعد هذا الضم بتطوير شبكة من المواصلات لتحقيق العديد من المهام الإدارية والعسكرية، كإنشاء الطريق التراجاني الذي كان طريقاً رئيساً في المنطقة، حيث بني على شكل قطاعات، وكان أول قطاع يتم بناؤه ذلك الذي يربط البتراء بمادبا، وبُني في الوقت نفسه القطاع الذي يربط البتراء بالعقبة، وتشير خارطة الطرق الرومانية المعروفة باسم تابولا بيوتنجريانا، والتي تعود النسخة الأصلية منها إلى القرن الثالث الميلادي إلى أن البتراء كانت أهم المحطات على هذا الطريق[96].

---

[91] Seeck, O. (1867): Notitia dignitatum; accedunt Notitia urbis Constantinopolitanae et laterculi prouinciarum, Berolini, apud Weidmannos, Oriens XXXVII: Dux Arabiae; DuBois, M. (2015): Auxillae, Lulu com.

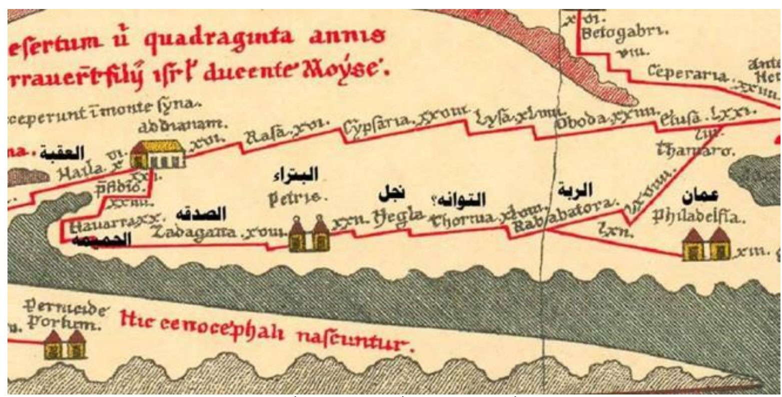
[92] Bowersock, G. (1983): Roman Arabia. Cambridge University Press, Cambridg, 159.

[93] Stevenson, E. (1991): The Geography of Ptolemy, Dover Publications, New York, V. 17.5.

[94] Gitler, H. (2002): A Group of 120 Clay Bullae from Petra with Titles of the City, NCh 165, 183–192.

[95] Gitler, H. (2002): A Group of 120 Clay Bullae from Petra.

[96] Graf, D. (1995): The Via Nova Traiana in Arabia Petraea. Journal of Roman Archaeology Supplementary Series 14, 141-67.



البتراء على الخريطة الرومانية المعروفة بـ تابولا بيوتنجريانا

ومع أن البتراء قد فقدت مكانتها سياسياً بعد ضمها من قبل الرومان، إلا أنها استمرت تلعب دوراً اقتصادياً وقضائياً وإدارياً، ففي حوالي عام 107م كتب جندي روماني إلى والديه في مصر أنه مذهولٌ بفخامة البضائع التي تحملها القوافل إلى البتراء[97]. وتؤكد وثائق بباثا[98] أن البتراء كانت مركزاً إدارياً مهماً خلال القرن الثاني للميلاد وتشير إلى وجود مجلس للمدينة Boule في عام 124م[99]، وتذكر هذه الوثائق أنه بحلول عام 124م قام مجلس البتراء بتعيين رجلين اثنين لرعاية ابن بباثا، المدعو جيسوس وكان احدهما نبطياً، وبعدها ولعدم اهتمام هذين الشخصين بابنها فقد قامت بتقديم شكوى بحقهما في محكمة الحاكم يوليوس جوليانوس في البتراء[100]، ونعرف من أوائل حكام المقاطعة العربية الرومان سيكستوس فلورنتينوس الذي اختار البتراء مكاناً ليُدفن فيه عام 129م كما سنرى لاحقاً.

وقد أنجبت البتراء العديد من الفلاسفة والمفكرين خلال العصرين الروماني والبيزنطي، ومنهم السفسطائي كالينيكوس Καλλινικος الذي كان يسمى أيضاً سويتوريوس، والذي عاش في القرن الثالث الميلادي، وقد درّس كالينيكوس البلاغة في أثينا، ومن أبرز أعماله الأدبية والتاريخية التي ضاعت ولم تصلنا كتاب عن التأنق البلاغي، وكتاب إلى جالينيوس، وكتاب مناهضة الطوائف الفلسفية، وكتاب حول إحياء روما، وكتاب تاريخ الإسكندرية إلى كليوباترا ويقع هذا الكتاب في عشرة مجلدات أهداها إلى زنوبيا ملكة تدمر والتي أسماها كليوباترا[101]. ومن الفلاسفة الآخرين الذين أنجبتهم مدينة البتراء الفيلسوف دوساريوس البتراوي، والفيلسوف

---

[97] Nehme, L (2002): The World of the Nabataeans 312 BC-106 AD. In: The Levant: History and Archaeology in the Eastern Mediterranean. (Ed.) Olivier Bonst, Konemann, 151.

[98] بباثا كانت امرأة غنية حيث كانت تعيش بمنطقة غور الصافي في بداية القرن الثاني للميلاد.

[99] Cotton, H. (1993): The Guardianship of Jesus son of Babatha: Roman and Local Law in the Province of Arabia. JRS 83, 94-107.

[100] Lewis, N., Yadin, Y. and Greenfield, J. (1989): The Documents from the Bar Kokhba Period in the Cave of Letters: Greek Papyri. Israel Exploration Society, Jerusalem, 14.

[101] Jacoby, Felix (1999): Die Fragmente der griechischen Historiker, Part 4, Biography and antiquarian literature. – A, Biography. - Fasc. 7, Imperial and undated authors, Brill, Leiden, von Jan Radicke, 318-320.

والطبيب المشهور غيسيوس البتراوي الذي تلقى تعليمه على يد أمونيوس في الإسكندرية[102]، والسفسطائي جينيثليوس Γενεθλιος، وهو تلميذ مينوسيانوس بن اجابيتوس، وقد درَّس في أثينا أيضاً وكان منافساً لكالينكوس[103].

شهدت نهاية القرن الثالث الميلادي تطورات وتغيرات جذرية قام بها الإمبراطور الروماني ديوقليشيان (284–305م) وخلفاؤه؛ وذلك استجابة لأزمات اقتصادية واجتماعية حدثت خلال هذا القرن، فقد أصبح نمط الإدارة مركزياً، وقُسّمت الإمبراطورية إلى ولايات، وبدأت المسيحية بعد ذلك بعدة عقود بالتغلغل في الإمبراطورية، إلى أن تم اعتمادها ديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية، ونُقلت العاصمة إلى بيزنطة حوالي 330م، ونتيجة لهذه التطورات الإدارية في القرن الرابع أصبحت البتراء عاصمة فلسطين الثالثة، والتي كانت تشمل جنوب الأردن والنقب في جنوب فلسطين وسيناء.



خريطة تبين تقسيمات جنوبي بلاد الشام الإدارية في نهاية الفترة الرومانية وخلال العصر البيزنطي (المصدر: الباحث)

تعرَّضت مدينة البتراء إلى هزة أرضية في شهر أيار من عام 363 م أدت إلى إحداث دمار يمكن ملاحظة نتيجته عند زيارة البتراء الآن، ونجد إشارة لهذه الهزة الأرضية المدمرة في رسالة تعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادي منسوبة لسيريل المقدسي (Cyril of Jerusalem) حيث

[102] Curnow, Trevor (2006): The Philosophers of the Ancient World: An A-Z Guide, Bristol Classical Press, 135.
[103] Jacoby, Felix (1999): Die Fragmente der griechischen Historiker, 318-320.

تذكر هذه الرسالة أن "ܪܩܡ ܦܠܓܗ ܡܢ ܦܠܓܗ" أي أن نصف مدينة الرقيم= ر ق م= البتراء قد تدمَّر في هذه الهزة التي ضربت جنوبي بلاد الشام يوم الاثنين الموافق السادس عشر من شهر أيار من عام 363م[104]، ولم تتم إعادة بناء بعض المباني والمنشآت المدمرة، خصوصاً النبطية وبقيت كما هي عليه مثل: معبد الأسود المجنحة، و"المعبد الجنوبي" والمدرج وتم إعادة بناء بعض المباني الأُخرى وترميمها ولكنها تعرضت لدمار آخر خلال الأعوام 419م، 551م و749م.

كشفت الدراسات الآثارية الميدانية التي أُجريت في منطقة وادي موسى عن آثار تعود لنهاية العصر الروماني وبداية العصر البيزنطي[105]، إذ عُثر على مجموعة من الأواني والكسر الفخارية التي تؤرّخ لنهاية الفترة الرومانية وبداية الفترة البيزنطية، وتتوزع في عدة مناطق من وادي موسى مثل الجي ودار البركه والزُرابه ومنطقة حي الفلاحات، وتُمثِّل هذه بقايا أواني طبخ وكؤوس وأباريق وزبادي وأسرجة، ومن أهم هذه المكتشفات أجزاء من جرة نبيذ عُثر عليها في منطقة السوق، وهي أسطوانية الشكل ومصنوعة بواسطة دولاب الخزاف، عميقة ولها قاعدة مدببة حيث ترى المنقبة خيرية عمرو أن مصدر هذه الجرة مصر، مما قد يشير إلى وجود علاقات تجارية بين مصر ومنطقة الدراسة خلال القرن الرابع الميلادي[106].

كشفت الأعمال الآثارية التي رافقت تنفيذ مشروع الصرف الصحي في وادي موسى في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي عن مجموعة من المسكوكات الرومانية المتأخرة، حيث بلغ عددها مئة وست عشرة قطعة نقدية برونزية حيث يشير هذا الاكتشاف إلى استيطان بشري في منطقة وادي موسى خلال القرن الرابع الميلادي، وتُمثل هذه المسكوكات مجموعة نقدية هامة تؤرّخ لمرحلة تاريخية انتقالية ما بين نهاية العصر الروماني وبداية العصر البيزنطي الذي يتمثل في بداية ظهور المسيحية كديانة رسمية معترف بها في كافة أرجاء الإمبراطورية، وتحمل هذه المرحلة الانتقالية ملامح استمرارية العصر الروماني. وهي تؤرّخ جميعها إلى فترة حكم قسطنطين الكبير وعائلته، وتحديداً إلى الفترة ما بين 329–350م، ومنها ما ضُرب تكريماً للإمبراطور قسطنطين الكبير بعد وفاته، ومنها ما سُك خلال حكم أبناء قسطنطين الكبير[107].

---

[104] Brock S.P. (1977): A letter attributed to Cyril of Jerusalem on the rebuilding of the Temple. BASOR 40, 267–286.

[105] للمزيد حول منطقة البتراء خلال العصر البيزنطي انظر طربوش، ماهر (2001): البتراء خلال العصر البيزنطي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.

[106] رحال، محمود (2005): الأواني الفخارية المكتشفة أثناء حفريات الانقاذ الأثرية في مشروع شبكات المياه و الصرف الصحي في وادي موسى للمواسم 1998-2000م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 146؛ طجو، تانيا، 2004، الفخار المكتشف في خربة النوافله لموسم عام 1997، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.

[107] للمزيد انظر السلامين، زياد (2011): دراسة للمسكوكات الرومانية المكتشفة في وادي موسى عام 2000م، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض.



مجموعة من المسكوكات الرومانية المتأخرة التي عُثر عليها في وادي موسى[108]

لقد تطرَّق العديد من المؤرخين الكنسيين للبتراء، فقد أشار المؤرخ الكنسي يوسيبيوس إلى وجودٍ وثنيٍ في البتراء، كما لاحظ وجود كنائس في المدينة خلال القرن الرابع الميلادي[109]، وقد ورد اسم البتراء عدة مرات في كتابات يوسيبيوس من القرن الرابع الميلادي حيث ذكرها باسمها السامي Αρκέμ وقال أنها مدينة مشهورة في فلسطين[110]، وذكرها في موضعٍ آخرٍ باسم Ργκέμ ووضعها في بلاد العرب[111]، وذكرها في مكانٍ آخر باسمها الإغريقي (البتراء= Πέτρα) وقال أنها مدينة في "بلاد آدوم في بلاد العرب"[112].

وتطرَّق المؤرخ إبيفانيوس إلى ممارسات دينية تمثل مزيجاً بين الممارسات الوثنية والمسيحية[113] .

أما المؤرخ سوزمين فقد أشار إلى وجود معابد وثنية في البتراء مع نهاية القرن الرابع الميلادي استمرت تستخدم حتى القرن الخامس أيضاً.

وأشار بارصوما، مؤسس الكنيسة السورية الشرقية، إلى البتراء خلال رحلته إلى منطقة جنوب الأردن، وذلك في المدة ما بين (420–423م) حيث وصل على حد زعم تقريره إلى مدينة كبيرة اسمها (الرقيم التي في جايا)[114] وقد أغلقت المدينة أبوابها بوجهه وهدد أن يشن حربا على المدينة

---

[108] السلامين، زياد (2011): دراسة للمسكوكات الرومانية المكتشفة في وادي موسى عام 2000م.

[109] Eusebius (1966): Das Onomastikon der biblischen Ortsnamen. Georg Olms Verlag, Hildesheim, 36.13-14.

[110] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 36.13.

[111] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 144.7.

[112] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 142.7.

[113] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans: A Conspectus. (Religions in the Graeco-Roman World). E. J. Brill, Leiden.

[114] (ج ي ا) كلمة كنعانية وآرامية تعني (الوادي)، وهي في النقوش النبطية تُشير إلى وادي موسى التي يُطلق عليها سكان المنطقة وجوارها اسم (الوادي). وحتى فترة قريبة، كان الجزء الوسطي من بلدة وادي موسى يطلق عليه اسم (الجي)، وهو الاسم العربي المقابل لكلمة (جايا) الآرامية، وقد ذكر الرحالة الذين زاروا المنطقة في القرنين الماضيين هذا الاسم Eldji في مدوناتهم Burckhardt, J. (1930): Travels in Syria and the Holy Land. London, Palestine Exploration Fund, 433; Canaan, T. (1930): Studies in the Topography and Folklore of Petra, Beyt-Ul-Makdes Press, Jerusalem, 2.، كما اقتران اسم (ج ي ا) بـ (رقم= البتراء) في المصادر الترجومية والتلمود، Lightfoot, J. (1989): A Commentary on the New Testament from the Talmud and Hebraica, Volume 1m Place Names in the Gospels , Hendrickson Publishers, Chapter VII; The Babylonian Talmud, Gittin 6a. وورد اسم جيا في جزءٍ متبقٍ من عملٍ للمؤرخ جلاوكوس Glaukos الموسوم Arabica، والذي يعود للعصر الهلنستي حيث يقول في إحدى كتاباته (جيا مدينة قرب البتراء)

وأن يحرقها إذا لم يتم استقباله هو ورفقائه البالغ عددهم أربعين شخصاً، وحسب الرواية ولمدة أربعين عاما، لم تسقط أمطار على منطقة البتراء، وعندما دخل المدينة تساقطت الأمطار من السماء، وتدمرت أسوار المدينة من الفيضانات، الأمر الذي أدى إلى اعتناق كهنة المدينة الوثنيين المسيحية[115] (للمزيد حول هذه الرحلة انظر ملحق (2)).

كانت البتراء خلال العصر البيزنطي تابعة لبطريركية أنطاكيا وللأسقفية الموجودة في بُصرى، وعندما أنشئت بطريركية القدس ألحقت البتراء بها، ومُنحت لقب أسقفية أو مطرانية[116]، وكانت خلال هذه الفترة أيضاً مكاناً لنفي الخارجين عن الكنيسة، وقد أشارت المصادر التاريخية والكنسية أنه خلال الفترة ما بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس كان يتم نفي بعض المجرمين والمعارضين السياسيين إلى البتراء، وخاصة أولئك الخارجين والمنشقين عن الكنيسة، ومن الأشخاص الذين عوقبوا بالنفي إلى البتراء: نسطوريوس الذي نُفي للبتراء ومنها لمصر عام 435م، وفلافيان الثاني بطريرك أنطاكيا وجون اسثيموس الأنطاكي اللذان نفاهما الإمبراطور انستازيوس إلى البتراء في بداية القرن السادس الميلادي، وكذلك الأسقف مير (Mare) الذي نفاه الإمبراطور جوستين الثاني إليها[117].

وقد أشارت المصادر المسيحية إلى قيام أساقفة من البتراء بالمشاركة في عددٍ من المجامع الكنسية، فشارك استيريوس في مجمع سارديكيا الذي عُقد عام 343م، والذي تم نفيه لاحقاً خارج حدود بلاده، كما شارك أساقفة آخرون في مجمعي الإسكندرية (362م) والقدس (536م) وغيرها من المجامع. وقد وصلتنا أسماء بعض أساقفة البتراء مثل جيرمانوس من منتصف القرن الرابع الميلادي، وبولس البتراوي الذي قُتل في سيناء بين 373–378، وجاسون المذكور اسمه في نقش قبر الجرة ونقش يوناني آخر عُثر عليه في البتراء ومؤرَّخ لعام 447م، بالإضافة إلى الأسقف جون الذي عاش في القرن الخامس الميلادي[118].

شهدت البتراء خلال العصر البيزنطي نهضة عمرانية دينية ومدنية، وتم تحويل بعض المباني النبطية المنحوتة بالصخر، والتي تنسجم مع الاتجاه العام للكنيسة إلى كنائس مثل الدير والمحكمة (قبر الجرة) الذي تحوّل إلى كنيسة في عام 446 خلال فترة جاسون على نحو ما

Graf, D.F. (2013): Rediscovering Early Hellenistic Petra: Recent Excavation in the City Center, in: Studies on the Nabataean Culture I. N.I. Khairy, T. M. Weber (ed.), Amman, 37، كما يشير يوسيبيوس إلى جايا Gaia حيث ذكر أنها تقع ضمن ضواحي البتراء Eusebius 62,17-18.

[115] Nehme, L. (2002): The World of the Nabataeans, 151.

[116] Schick, R. (2001): Ecclesiastical history of Petra. In Fiema, Z.T., C. Kanellopoulos, T. Waliszewski and R. Schick, The Petra Church, 1–5. Amman: American Center of Oriental Research, 1.

[117] Schick, R. (2001): Ecclesiastical history of Petra, 1–5. Amman: American Center of Oriental Research, 2-3; Theodoret, (1953): The History of the Church, Grand Rapids, MI, W.M. Eerdmans., IV, 12-15; Malalas, J. (1986): The Chronicle of John Malalas, Australian Association for Byzantine Studies, University of Sydney, XVI. 5:222; Evagrius, (1964): The History of the Church, Amsterdam, A.M. Hakkert, VIII, 32, p 131.

[118] Schick, R. (2001): Ecclesiastical history of Petra, 1.

يذكر نقش كُتب هناك[119]، كما بُني دير على قمة جبل هارون بقي مستخدماً خلال الفترة الأموية المتأخرة وحتى فترة الحروب الصليبية، وقد تمت إعادة استخدام بعض المساكن التي تعود لفترات سابقة، وفي منتصف القرن الخامس أو نهايته تم البدء بتنفيذ مشروع معماري كنسي إلى الشمال من الشارع المُعمَّد حيث بنيت ثلاث كنائس بجانب بعضها في هذه المنطقة ويبدو أن معظم الحجارة التي بنيت بها هذه الكنائس وتاجيات أعمدتها قد أخذت من مناطق سكنية مجاورة لهذه المباني، وذلك بعد تعرض ذلك الجزء من البتراء إلى تدمير نتيجة للهزات الأرضية، كما حُفرت على صخور البتراء وجوارها العديد من الصلبان التي نجد أمثلة عليها في منطقة الدير وقطَّار الدير ووادي فَرَسَه والحبيس وغيرها من المناطق.

وتشير الحفريات التي أجريت في الكنيسة الرئيسة في البتراء إلى أنها قد تدمرت مع نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع للميلاد، ويبدو أن الكنيستين المجاورتين لهذه الكنيسة قد بنيتا في نفس الوقت وتعرضتا للدمار في نفس الفترة الزمنية التي تدمرت فيها الكنيسة.

وقد عُثر في الكنيسة الرئيسة على أرشيف خاص مكتوب باليونانية على ورق البردي، يتحدث عن الزراعة والضرائب في تلك المنطقة خلال القرن السادس، وتعتبر هذه الوثائق أكبر أرشيف يوناني يعثر عليه في المنطقة، وهو يشابه من حيث المحتوى البرديات اليونانية البيزنطية التي عُثر عليها في منطقة عوجا الحفير في جنوب فلسطين، والتي تؤرّخ للفترة ما بين القرنين السادس والسابع للميلاد.



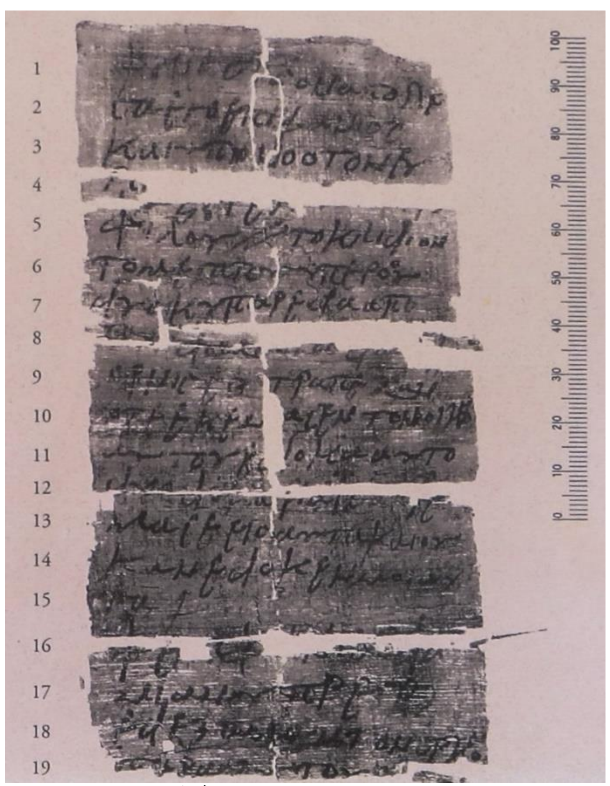
صورة تبين مواقع الكنائس الثلاث الموجودة في وسط مدينة البتراء (من تصوير ديفيد كنيدي)

[119] Brunnow. R. E., and Domaszewski von A., (1904): Die Provincia Arabia, Strasburg, volume III, 345.

وتعتبر هذه البرديات من المصادر الأساسية لدراسة التاريخ الاقتصادي لمنطقة البتراء وجوارها خلال الفترة البيزنطية، وبالتحديد خلال القرن السادس؛ إذ تلقي هذه الوثائق الضوء على بعض الأمور الإدارية والشؤون الزراعية. وقد عُثر على هذه الوثائق في كانون أول عام 1993م في إحدى الغرف المجاورة للكنيسة من قبل فريق من المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية، وعُثر عليها بشكل لفائف وبرديات بلغ عددها حوالي 140 بردية تعود لإحدى العائلات المهمة في البتراء، وقد كُتبت الوثائق باليونانية، وهي مشابهة من حيث المحتوى لغيرها من الوثائق القانونية المعاصرة والسابقة والتي عُثر عليها في عدة مناطق من الشرق الأدنى القديم. أما التاريخ الذي تتحدث عنه الوثائق، فهي الفترة ما بين 528-582م، وتشير هذه الوثائق إلى علاقات متميزة بين البتراء وغزة، وتُمثِّل هذه الوثائق عقوداً تجارية، ووثائق ضريبية واجتماعية، ووثائق مرتبطة باستغلال الأرض زراعياً، وأمور الميراث ومن مميزات هذه البرديات[120]:-

- أنها تشير إلى أن البتراء كانت مركزاً إدارياً متميزاً في جنوب الأردن خلال العصر البيزنطي، حيث كان يتبع لها العديد من المناطق المحيطة، وكان في البتراء خلال هذه الفترة مكتب للضرائب فيه موظفون مختصون.
- بيَّنت هذه الوثائق أهمية الكنيسة في حياة أهل البتراء؛ إذ كانت هي الجهة الرسمية المخولة بالبت في النزاعات بين الأفراد.
- رغم عدم اعتماد الأنباط على الرقيق في حياتهم بكثرة، إلا أن هذه الوثائق تشير إلى أن مجتمع البتراء وجواره خلال العصر البيزنطي كان يضم طبقة من العبيد، كانت تعمل في الغالب بالزراعة.
- تحتوي هذه الوثائق على العديد من أسماء المواقع الجغرافية الواقعة في محيط البتراء، والتي ما تزال مستخدمة حتى يومنا هذا، كما تورد لنا أسماء ينابيع بمحيط البتراء كالبصي، والرفيد، وعين عليس، والتي ما تزال تستخدم حتى يومنا هذا.
- تحتوي الوثائق على العديد من الأسماء المحلية العربية، رغم هيمنة الثقافة اليونانية خلال تلك الفترة ومن هذه الأسماء ما هو نبطي، إضافة إلى احتوائها على العديد من الألفاظ والمظاهر اللغوية العربية.
- تشير الوثائق إلى العديد من المواقع المهمة خلال تلك الفترة كأذرح (اوغستوبوليس) والصدقة (زاداكاثون) كما تشير إلى وجود كنائس في هذه المناطق.

[120] Frösén, J, Arjava, A and Lehtinen, M., (2002): The Petra Papyri I; Arjava, A. Buchholz, M and Gagos, T. (2007): The Petra Papyri III, Amman, American Center of Oriental Research; Frösén, J. (2004): Archaeological Information from the Petra Papyri, SHAJ, 8, 141-144.



صورة لإحدى البرديات المكتشفة في البتراء

- من خلال مقارنة طريقة كتابة هذه العقود ومصطلحاتها ونصوصها القانونية، نلاحظ أنها تنهج النمط النبطي في كتابة العقود.
- تبين هذه البرديات أن الزراعة كانت الدعامة الرئيسة لاقتصاد البتراء خلال العصر البيزنطي، أما بخصوص ملكية الأرض، فقد كانت لأفراد وجماعات وللكنيسة أيضاً، كما تحتوي هذه النصوص على العديد من أسماء المهن التي كانت موجودة بالمنطقة خلال تلك الفترة.

ومن الوثائق المهمة التي عُثر عليها ضمن هذا الأرشيف وصية عبوديانوس والمؤرخة لعام 573م، والتي تذكر أن صاحبها كان مصاباً بمرضٍ خطيرٍ، وكان طريح الفراش ويخشى الموت، فأراد ترك كل ممتلكاته لأعمال الخير، ولجأ أثناء مرضه إلى كنيسة سماها كنيسة مريم العذراء، التي يبدو أنها نفس الكنيسة التي كُشف فيها عن البرديات.

كان عبوديانوس من عائلةٍ ثريةٍ، وتذكر وصيته أنه أراد ترك نصف ممتلكاته إلى مستشفى (بيت ضيافة) القديس الشهيد كيرياكوس، الذي قال إنه يقع في مدينة البتراء. ويبدو أن هذا المستشفى (بيت الضيافة)، والذي نجهل مكانه حالياً، كان مرتبطاً بكنيسة مريم العذراء ومقر الأسقف، لأن عبوديانوس أوصى أن يكون ممثله رئيس الشماسنة ثيودوروس ابن عبوديانوس الذي كان حاضراً هناك أيضاً، كما أراد عبوديانوس ترك النصف الآخر من ثروته لبيت رئيس الكهنة القديس

هارون الذي لا يذكر موقعه، ولكن يبدو أن الوصي قد تعافى من مرضه في نهاية المطاف، ولم يتحقق لهذا شرط الهبة وفقدت الوثيقة أهميتها القانونية[121].

ز. البتراء خلال العصور الإسلامية (636م– نهاية العصر العثماني)

يبدو أن البتراء قد بدأت تفقد مكانتها تدريجياً بعد زلزال عام 749م فقد هُجرت تدريجياً، وساعد على هذا الهجران تعطُّل النظام المائي في المدينة بأكمله، وتدمير معظم أبنيتها الأمر الذي دفع السكان إلى التوجه إلى المناطق المحيطة بالبتراء، للسكن بالقرب من مصادر المياه.

من الصعوبة بمكان الحديث عن البتراء خلال العصر الإسلامي المبكر؛ نظرا لقلة المصادر التي تتحدث عن المنطقة خلال هذه الفترة. فللأسف، لا توجد لدينا معلومات عن منطقة البتراء وجوارها خلال فترة الفتوحات الإسلامية، ذلك أن المصادر الإسلامية المبكرة تشير إلى العديد من المواقع المهمة في جنوب الأردن كأذرح، والحميمة، والعقبة ولكن اسم البتراء لا يرد على الإطلاق في هذه المصادر وبالتالي فان معلوماتنا عن البتراء خلال العصرين الأموي والعباسي غير واضحة، ونستقيها بشكل مباشر من بعض اللقى الأثرية، التي عُثر عليها في بعض المواقع داخل البتراء وحولها. وترد عند الواقدي إشارة لوادي موسى عند حديثه عن فتح مصر، حيث توجه أربعة من الصحابة وهم خالد بن الوليد والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر ومالك بن الحرث (الحارث)" وأخذوا معهم دليلا يدلهم على الطريق إلى وادي موسى والشوبك وأخذوا معهم ما يحتاجون إليه وساروا يريدون مصر فما زالوا يجدون إلى أن قربوا من عقبة أيلة وإذا هم بخيل ومطايا تزيد على الف فارس فأسرعوا إليهم فإذا هم من ثقيف وطي ومرداس قد وجههم عمر بن الخطاب إلى مصر مع رفاعة بن قيس وبشار بن عون قال فلما رأوهم سلموا عليهم ورحبوا بهم واستبشروا بالنصر لما رأوا خالد وعمارا والمقداد ومالكا وارتفعت أصواتهم بالتهليل والتكبير وساروا بأجمعهم"[122].

ورغم الانتشار الكبير للإسلام في جنوب الأردن خلال الفترة الإسلامية، فإن المسيحية قد استمرت خلال هذه الحقبة[123] واستمر بناء الكنائس حيث استمر الوجود المسيحي في المنطقة حتى قدوم بيركهاردت عام 1812، والذي أشار إلى وجود بعض العائلات المسيحية في المنطقة والتي هجرت المنطقة على ما يبدو وتوجهت إلى الكرك لأسباب ليس هذا موضع مناقشتها.

[121] فروسين، ياكو (2017): من أوراق البردي المتفحمة إلى حفريات جبل هارون: الفنلنديون ينقذون سجل أوراق البردي المتفحمة. مجلة مرحبا 41: الجمعية الفنلندية العربية، 12-17.

[122] الواقدي، محمد بن عمر (1997): فتوح الشام، دار الكتب العلمية، ج 2، 55.

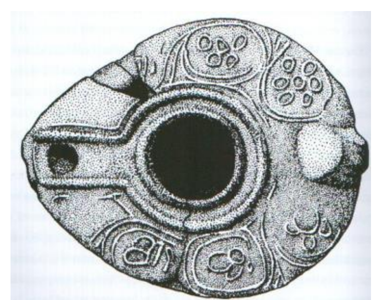
[123] 'Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results of the Archaeological Project at Khirbat an-Nawafla/ Wadi Mousa. ADAJ 44, 241.

ومن الأدلة على استمرار المسيحية في وادي موسى والبتراء خلال العصر العباسي، السراج الفخاري الذي عُثر عليه في خربة النوافله، وهو مزخرف بالصلبان[124]. لقد كشفت الحفريات الآثارية التي أجريت في خربة النوافله بوادي موسى[125] أن المنطقة قد شهدت استيطاناً خلال الفترة الأموية والعباسية والأيوبية والمملوكية، ويبدو من خلال دراسة القرى التي عُثر عليها أنها تعكس ملامح استيطانية من الفترة البيزنطية، والتي تؤكد أن نمط الاستيطان في المنطقة قد استمر خلال الفترتين الأموية والعباسية تماماً كما كان عليه خلال العصر البيزنطي. وقد عُثر في منطقة وادي موسى على بعض الآثار التي تعود لهذه الفترة كالكسر والأواني الفخارية إضافة إلى النقوش، منها شاهد قبر عباسي، عُثر عليه في خربة النوافله وهو شاهد قبر يعود للحسين بن عبدالله والذي توفي في شهر جمادي الآخرة 170 هـ/ 786 أو 787م[126].

أما داخل البتراء فالمكتشفات الآثارية التي تعود للفترة الإسلامية المبكرة قليلة، حيث عُثر في وادي الفراشه على موقع وجد فيه بناء يشبه نموذج المساجد المفتوحة، التي عثر عليها في النقب، والتي تؤرّخ للفترة ما بين القرنين السابع والثامن للميلاد[127]، كما عُثر في منطقة جبل النبي هارون على مجموعة من الكتابات الإسلامية المبكرة، والتي تعود للفترات الممتدة من العصر الأموي وحتى العصر العثماني، مما يدل عل أهمية جبل هارون خلال الفترة الإسلامية المبكرة[128].







أواني فخارية أيوبية وسراج عباسي[129] عُثر عليها في خربة النوافله (معروضة في مركز زوار البتراء، تصوير الباحث)

خضعت منطقة جنوب الأردن لحكم الفاطميين، وقد كشفت الحفريات التي أجريت في منطقة خربة بني عطا (ريدان) وأثناء البدء بتنفيذ مشروع مدرسة هناك عن مجموعة من القطع النقدية

[124] عمرو، خيرية (2003): الإنسان والأرض في وادي موسى عبر العصور، في: التاريخ الاجتماعي لمنطقة البتراء وجوارها الاستمرارية والتغير، تحرير باسم الطويسي، البترا، بيت الأنباط، 33.

[125] 'Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results, 243-44.

[126] كريم، جمعه (1999): نقش كوفي من وادي موسى-البترا يعود للعصر العباسي الأول: دراسة نقشية تحليلية. دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 36، 670-685.

[127] Kouki, P. (2006): Environmental Change and Human History in the Jabal Harun Area, Jordan, Unpublished PhD Dissertation, University of Helsinki, 89.

[128] Al-Salameen, Z., al-Falahat, H. (2007): Jabal Haroun during Islamic Periods: A Study in the Light of Newly Discovered Islamic Inscriptions. AAE, 18,2, 258-64.

[129] 'Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results.

الفاطمية إضافة إلى كسر فخارية فاطمية مزججة، بالإضافة إلى شاهد قبر غير منشور يعود لهذه الفترة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الكسر الفخارية الفاطمية يمكن ملاحظتها بالقرب من العديد من القرى التراثية المنتشرة في وادي موسى والتي تعود إلى السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية، والفترة التي عاصرت تأسيس إمارة شرق الأردن عام 1921.

وخلال المدة ما بين بداية القرن العاشر ونهاية القرن الثاني عشر، حدثت العديد من الأحداث التاريخية في منطقة جنوب الأردن. وقد كانت البتراء نقطة مهمة لفتت أنظار الفرنجة الذين طمعوا بالسيطرة على المنطقة، وتساعدنا المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية المعاصرة لهذه الفترة على فهم أكثر لمجريات الأمور آنذاك حيث تؤكد تلك الأحداث على الأهمية الاستراتيجية للبتراء، فقد عادت منطقة البتراء وجوارها للظهور من جديد في المصادر التاريخية خلال فترة الحروب الصليبية، وتشير المصادر التاريخية التي تعود لهذه الفترة إلى أن منطقة وادي موسى وجوارها كانت منطقة خصبة، وبها مياه وفيرة، وتذكر هذه المصادر أنه في عام 1071م قامت القوات السلجوقية بغزو جنوب الأردن حيث تشير المصادر التاريخية إلى وجود عسكري سلجوقي في منطقة وادي موسى[130].

قام ملك الفرنجة بلدوين الأول في نهاية عام 1100م بشن حملةٍ عسكريةٍ على جنوب الأردن تألفت من الفرسان والمشاة، ووصل إلى وادي موسى وأقام فيها عدة أيام، ووجد منطقة وادي موسى مزدهرة ووجد ديراً لا يزال مسكوناً على قمة جبل هارون، وقد تمّت الإشارة إلى هذه الزيارة في العديد من المصادر التاريخية الصليبية[131].

وبين عامي 1106-1107م قام سكان وادي موسى بطلب العون من حاكم دمشق السلجوقي، من أجل مساعدتهم في حرب الفرنجة حيث يشير ابن القلانسي إلى هذه الحادثة قائلا: "وصل إلى دمشق الأمير الأصفهد التركماني من ناحية عمله فأكرمه ظهير الدين وأحسن تلقيه وأقطعه وادي موسى ومآب والشراة والجبال والبلقاء وتوجه إليها في عسكره وكان الإفرنج قد نهضوا إلى هذه الأعمال وقتلوا فيها وسبوا ونهبوا فلما وصل إليها وجد أهلها على غاية من الخوف وسوء الحال عما جرى عليهم من الإفرنج فأقام بها. ونهض الإفرنج إليه لما عرفوا خبره من ناحية البرية ونزلوا بإزاء المكان الذي هو نازل به وأهملوه إلى أن وجدوا الفرصة فيه فكبسوه على غرة فانهزم في أكثر عسكره وهلك باقيه واستولوا على سواده"[132].

[130] Schick, R. (1997): Southern Jordan in the Fatimid and Seljuq periods. BASOR 305, 77-78.
[131] Walmsley, A. (2002): Fatimid, Ayyubid and Mamluk Jordan and the Crusader interlude. In MacDonald, B., Adams, R. & Bienkowski, P. (eds.): The Archaeology of Jordan. Copenhagen, Carsten Niebuhr Institut, 518; Vannini, G. & Vanni Desideri, A. (1995): Archaeological research on Medieval Petra: a preliminary report. ADAJ 39, 509-540.
[132] ابن القلانسي، ابو يعلي (1908) تاريخ ابي يعلي حمزه بن القلانسي، مكتبة المثنى.

وفي عام 1116/1115م قاد بلدوين الأول حملة من أجل بناء حصون في جنوب الأردن لحماية الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية لمملكته وليُمكن الفرنجة من السيطرة على التجارة وطرق المواصلات بين مصر والجزيرة العربية وسوريا.

ويذكر المؤرِّخ وليم الصوري (1130 – 1185م) في كتابه تاريخ الحروب الصليبية أنه وفي السنة الأولى من حكم الملك بلدوين الثالث (1130– 1162م) احتل الترك وادي موسى (Vallis Moysi)، حيث كان استيلاؤهم عليه بموافقة واستدعاء من قبل السكان القاطنين، فسار بلدوين بجيش بعد أن وصله نبأ استيلاء "العدو" على القلعة و"فتكه بالمسيحيين"، وتوجه ماراً بالشوبك، وعندما سمع سكان المنطقة بقدومه لجأوا بنسائهم وأولادهم إلى القلعة التي يبدو أنها قلعة الوعيرة، وحاصرت قوات بلدوين القلعة لأيام ولكنها لم تتمكن من إسقاطها، فكان لا بد من خطة بديلة لدفع السكان للاستسلام، حيث يذكر وليم أن المنطقة كانت مكسوة بأشجار الزيتون التي كان منظرها "أشبه ما يكون بالغابات الكثيفة"، وسكان المنطقة يعيشون على ما تنتجه هذه المزارع، فعزم الفرنجة على اجتثاث الأشجار وحرقها، وما كاد الأهالي يرون تساقط أشجارهم حتى استسلموا، فتسلم بلدوين القلعة وأقام بها حامية[133].

وقد انعكست الأطماع الصليبية ببناء قلاع عدة ضمن نطاق البتراء، وقاموا بتحصين هذه المنطقة وذلك ببناء عدة قلاع كالحبيس والوعيرة، ويشير هذا إلى الأهمية الاستراتيجية للمنطقة كنقطة اتصال، وتشير العديد من المصادر إلى وجود قلاع في محيط البتراء منها ما هو غير معروف موضعه بالتحديد[134].

وبعد انتهاء معركة حطين، أصبح جنوب الأردن تحت الحكم الأيوبي، وأصبحت القلاع التي بناها الصليبيون في المنطقة تحت سيطرة الأيوبيين، والذين قاموا بإجراء بعض الإضافات عليها بعد أن هدمت بسبب ضربها بالمنجنيقات، وخلال الفترتين الأيوبية والمملوكية، شمل الاستيطان البشري جميع المناطق المحيطة بالبتراء، حيث كشفت المسوحات الآثارية التي أجريت في محيط البتراء عن وجود قرى عديدة تعود للفترة ما بين العصرين الأيوبي والعثماني، والتي كانت تعتمد في اقتصادها على الزراعة، ومن هذه القرى خربة النوافله، بعجه، وكتله شمال البتراء، خربة المْعَلَّق جنوب البتراء، خربة براق، العدمل، الجي، الفرش، خربة النقعة، وجبل الصفاحه شمال البتراء. وقد احتوت هذه القرى على مناطق سكنية وساحات وبقايا معاصر زيتون وأدوات زراعية وطوابين[135].

---

[133] الصوري، وليم (1991): الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 16: 6.

[134] Walmsley, A. (2002): Fatimid, Ayyubid and Mamluk Jordan and the Crusader interlude.

[135] Lindner, M. (2003): Über Petra hinaus: Archäologische Erkundungen im südlichen Jordanien, Gebundene Ausgabe.



منظر عام لخربة المُعَلَّق في المنطقة الواقعة ما بين وادي موسى والطيبه (المصدر: الباحث)

ومن المواقع المهمة التي عُثر عليها مؤخراً والتي تؤرّخ للفترات الإسلامية المتوسطة والمتأخرة، قرية كُشف عنها في منطقة بيضا بالقرب من سيق البارد، حيث تم تأريخ الاستيطان البشري فيها إلى هذه الفترات اعتماداً على الفخار المكتشف[136].



صورة جوية تبين موقع القرية الإسلامية في بيضا (من تصوير ديفيد كينيدي)

لقد وسَّعت الحفريات التي أجريت في محيط البتراء مداركنا حول الاستيطان وطبيعته خلال هذه الفترة، ويبدو أن المنطقة قد شهدت استيطاناً وازدياداً في عدد السكان، كما شكَّلت الزراعة إحدى

---

[136] Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project, fig. 30.

الدعائم الأساسية لاقتصاد المنطقة، إذ عُثر على عشرات من كسر معاصر الزيتون الحجرية في العديد من المواقع داخل وادي موسى.

أما داخل البتراء نفسها، فالمعلومات قليلة، إذ عُثر في بعض المواقع على لقى تعود لهذه الفترة كبعض الفخاريات التي كُشف عنها في منطقة وادي فَرَسَه، ومن المواقع الإسلامية الهامة داخل البتراء مقام النبي هارون، الذي أعاد تجديده السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (1285-1341م)، وقد عُثر في منطقة جبل هارون على كسر فخارية اشتملت على فخار مطلي أو عليه بطانة حمراء ومزينة بزخارف هندسية وهي تعود للفترة ما بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر للميلاد[137] .

وخلال العصر المملوكي وتحديدا عام 1276م، قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بالسفر من القاهرة إلى الكرك، ومر بالبتراء وجبل هارون، ووادي موسى، ويذكر لنا النويري أخبار هذه الحادثة في كتابه نهاية الأرب، ويذكر أسماء المواقع التي زارها واستراح فيها. وقد غادر القاهرة في ذي الحجة عام 674 هـ/أيار 1276م متوجها إلى الكرك حيث ذكر النويري حصن اسمه "الصويت" ضمن نطاق البتراء، وفيما يلي اقتباس حرفي من كتاب النويري عن هذه الزيارة، كما ورد في مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس رقم 1578 والتي نشرها فوزي زيادين[138]:-

"ورحل (أي السلطان) وبات تحت جبل يعرف بنقب الرّباعي، فلما أسفر الصبح صعد الجبل وإذا هو جبل عظيم به عقاب صعبة، وهي حجارة رخوة تشبه الرمل المتجمد، متغيرة الألوان إلى الحمرة والزرقة والبياض، وثم ثقوب في الجبل يعبر الراكب منها، وبها أمكنة تشبه السلالم من حجارة. وبها قبر هرون نبي الله أخي موسى ابن عمران، عليهما السلام، على يسرة السالك المتوجه إلى الشام. وثم قلعة تعرف بالأصويت صعدها السلطان وشاهدها، فوجدها من أعجب الحصون وأمنعها لا يكون أحصن منها. ونزل من ثقوب الرباعي إلى مدائن بنى إسرائيل[139]، وهى ثقوب في الجبال من أحسن الأشكال ذات بيوت بالعمد وأبواب، وظواهر البيوت مصوقة بالنقوش في الحجارة بالإزميل كلها مخرمة، بها صور أشكال وهى على قدر دور الناس المبنية الآن.

وداخل هذه البيوت الأواوين المنورة المعقودة والصفف المتقابلة والخزائن والدهاليز والحرميات. وليس ذلك مبنيا بل جميعه منحوت بالحديد أشكال المغاير. قال: وقد خلق

---

[137] Frösén,, J., Fiema, Z. T., Lavento, M., Danielli, C., Holmgren, R., Latikka, J., Rajala, A., Mikkola, E., Lahelma, A., Holappa, M. & Juntunen, K. (2004): The 2003 Finnish Jabal Harun Project: Preliminary Report. ADAJ 48, 112.

[138] Zayadine, F. (1985): Caravan Routes between Egypt and Nabataea and the Voyage of Sultan Baibars to Petra in 1276 A.D, SHAJ, 2, 172

[139] ويقصد بها البتراء، ولا نعرف لماذا نسبها لبني إسرائيل وليس لهم علاقة بها.

الله تعالى جبلين متقابلين، بينهما طريق، وكل جبل منهما كأنه شكل سور مرتفع، والدور متصلة يميناً وشمالاً[140].

ثم خرج السلطنة (السلطان) من تلك الأمكنة إلى وادى المدرة، ثم منه إلى قرية تعرف بالعدما، عرفت بذلك لأن بها العين التي نخسها موسى بن عمران عليه السلام بعصاه، وكانت تجرى دما، فقال:عد بأمر الله ماء عذبا فعادت العين ماء حلوا رائقا باردا. فبات السلطان بها، ورحل منها ليلة السبت حادي عشرين الشهر، فوصل قلعة الشوبك نصف نهار الأحد وخيم هناك.

وقد طرحت العديد من الآراء حول مكان الحصن الذي أورده النويري أعلاه، وبشكل عام فإن الحصون التي كانت موجودة في البتراء خلال تلك الفترة هي: الحبيس، وعطوف ضمن منطقة المذبح، والوعيرة، وكانت تقيم بهذه الحصون حاميات عسكرية وكان هجرانها نتيجة للمعارك والزلازل، ويرى فيليب هموند أن قلعة الصويت التي تحدث عنها النويري هي الوعيرة[141]، أما فوزي زيادين، فيرى أنها الحبيس أو عطوف[142].



بقايا القلعة الصليبية الموجودة في منطقة المذبح (المصدر: الباحث)

لقد بدأ الحكم العثماني في المنطقة بعد أن هزم السلطان العثماني الجيش المملوكي في معركة مرج دابق عام 1516م، ولا نعرف الكثير عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة الدراسة خلال هذه الفترة، فلا نجد في الوثائق العثمانية ذكراً للبتراء، ولكنها تذكر وادي موسى، ونجد في دفتر مفصل لواء عجلون (970) والعائد لعام 1538م حدود اللواء والتي كان

[140] يتكلم النويري هنا عن وسط المدينة ومنطقة الشارع المُعمَّد.

[141] Hammond, Ph. (1970): The Crusader Fort on El-Habis: Its Survery and Interpretation. Salt Lake City, Utah, 33.

[142] Zayadine, F. (1985): Caravan Routes between Egypt and Nabataea, 159-174.

وادي موسى حدها الجنوبي[143]، وبحسب هذا الدفتر بلغ عدد سكان وادي موسى آنذاك كالآتي: عدد خانات المسلمين 136، المجردون من المسلمين 11، والأئمة 3[144].

ومنذ مطلع السبعينات من القرن التاسع عشر، حدَّدت السالنامات العثمانية عدد القرى التابعة لكل منطقة إدارية، وكانت معان مركز القضاء وطان يتبعها حسب سالنامة ولاية سوريا الشوبك والمقارعيه ووادي موسى[145].

ونجد أسماء مناطق تابعة لوادي موسى في دفاتر الطابو العثمانية منها الجبة والحية[146] ومحيل[147]، كما نجد في الخرائط العثمانية المتأخرة أن اسم الجي قد اطلق على وادي موسى الحالية، في حين اطلق اسم وادي موسى على منطقة أخرى كما يظهر ذلك على الخرائط العثمانية، وكما يذكر الرحالة التركي سليمان شفيق سويله مز اوغلو الذي قام بزيارة إلى الديار المقدسة عام (1307هـ/1890م) والذي يقول "ووادي موسى الذي يمتد من قلعة الحسا وعلى وجه الخصوص من عنيزة وحتى العقبة الشامية"[148].

وخلال هذه الفترة، لم تتغير الأوضاع كثيراً عن الفترة السابقة حيث كان تركيز الاستيطان البشري في المناطق المحيطة بالبتراء، وخلال الفترة العثمانية المتأخرة، وربما المبكرة، كانت البتراء ملجأ لسكان وادي موسى خلال فصل الشتاء، حيث كانوا يقيمون بكهوفها، وكانوا يقومون بزيارة مقام النبي هارون، وكانت هذه الزيارة تمر عبر طريق محدد ويتم الصعود إلى الجبل بسكينة ووقار، وبطقوس على ما يبدو مشابهة لتلك التي كان يمارسها الأنباط إبان توجههم لمعلياتهم بالمذبح والخُبْثَه.

وبالإضافة إلى مقام النبي هارون، كانت هناك العديد من الأماكن التي كانت تزار من قبل سكان المنطقة بما فيها مقامات ما يسمونهم الناس بالأولياء بالإضافة إلى زيارة بعض الأشجار. ويبدو أن جميع هذه الطقوس والممارسات هي استمرار لطقوس وممارسات اعتاد سكان المنطقة على ممارستها منذ فترات طويلة، ولم تقتصر هذه الممارسات على البتراء وجوارها بل شملت جميع مناطق الشرق الأدنى القديم منذ فترة ما قبل ميلاد السيد المسيح.

لقد كانت هناك العديد من الطقوس المرتبطة بزيارة هذه المقامات والأماكن المقدسة، حيث كان الزوار يدخلونها بهدوء وسكينة، ويدعون الله ويبتهلون إليه ويحرقون البخور، ويشعلون النار في أماكن محددة. ومن مقامات الأولياء المهمة الأخرى مقام الحسني وقبور الفقرا بمنطقة عين

---

[143] أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني (922 هـ -1337 هـ/ 1516-1918م)، وزارة الثقافة، عمَّان، 11.

[144] أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، 49.

[145] أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، 87.

[146] الرواضية، المهدي عيد (2007): مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه. منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان، ج1، 333.

[147] الرواضية، المهدي عيد (2007): مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه، ج2، 352.

[148] بيات، فاضل (1999): رحلة سويله مز اوغلي إلى بلاد الشام 1307هـ/1890م، جامعة آل البيت، 154.

آمون، وشجرة عطايا، ومقام الجراش، وبطمة المنية، وبطمة عين موسى وزقنانة الشرور في الطيبه.

ومنذ زيارة الظاهر بيبرس للبتراء بقيت المدينة مطوية إلى أن أعاد اكتشافها وقدمها إلى العالم الأوروبي الرحالة السويسري بيركهاردت عام 1812م، وتبعه عشرات من الرحالة الغربيين الذين ساهموا في تعريف العالم الغربي بهذه المدينة الفريدة (للمزيد انظر ملحق 1).

ومع انطلاق الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك عام 1916م بقيادة الشريف الحسين بن علي، فقد ساهم أبناء وادي موسى في هذه المعارك، وخصَّص الأمير فيصل بن الحسين حملة عسكرية بقيادة ضابط عراقي اسمه مولود مخلص لخوض معارك في وادي موسى لإحكام الحصار على معان من الجهة الغربية، وللسيطرة على المنطقة وتأسيس اتصال عبر منطقة وادي عربه مع القوات الحليفة، حيث شهدت وادي موسى أكثر من عملية عسكرية آنذاك[149]، وتمخضت هذه المواجهات عن انتصار العرب وتقهقر الأتراك.

وفي الختام، لا بد من أن نُعرِّج قليلاً غلى أنماط الاستيطان في المنطقة المجاورة للبتراء خلال الفترة العثمانية المتأخرة، حيث يمكننا تمييز نمطين اثنين: نمط موسمي، ونمط دائم يتمثَّل في القرى التي ما تزال بعض آثارها ماثلة للعيان، وقد كان اقتصاد هذه القرى يعتمد على الزراعة، والرعي بشكل أساسي؛ وقد عُثر على العديد من الطواحين المائية الموزعة على مجاري أودية عين موسى، وعين الصدر حيث يبدو أن هذه الطواحين كانت تستخدم بدءاً من العصر المملوكي وحتى نهاية العصر العثماني.

وقد أقام البدول داخل مدينة البتراء، وكانوا يتخذون من كهوفها مسكناً لهم، وكانوا يضيفون أمام الكهوف أحياناً إضافات لمساكنهم، وكانت المساكن تقسم إلى أجزاء منها ما كان مخصصاً للسكن ومنها ما كان مخصصا للدواب وآخر للدواجن.

وتعتبر القرى التراثية من أبرز المعالم المعمارية الموجودة في المناطق المحيطة بالبتراء والتي تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد جاءت هذه القرى متأثرة بكل أنماط البناء التي استخدمت في المنطقة عبر تاريخها الطويل، ولكنها مهددة بالتدمير بفعل التوسع الحضري والعمراني الذي دمر الكثير منها. ولما لهذه القرى من جمالية جاءت بفعل مواقعها التي اختيرت بعناية على قمم التلال المطلة وبقرب منابع المياه ومصادرها، بالإضافة إلى إنشائها على أنقاض قرى قديمة تعود في بداياتها إلى العصر النبطي والعصور اللاحقة، فقد كان إعادة استخدام مواد البناء من حجارة وعقود لحمل الأسقف ظاهرة ميَّزت هذه الأبنية، وكان تصميم القرى وساحاتها وممراتها وأدراجها منسجماً مع حاجات الناس ونمط حياتهم.

[149] المجالي، بكر خازر، والدروع، قاسم (1995): التاريخ العسكري للثورة العربية الكبرى فوق الأرض الأردنية، سلسلة دراسات في الثورة العربية الكبرى (1)، 128-132.




صور من القرى التراثية الموجودة في وادي موسى (المصدر: الباحث)

ويتحدث الشيخ حمزة العربي الذي زار وادي موسى والبتراء في حوالي عام 1924 ويصفها بأنها قرية في حضيض تحيط بها سفوح الهضاب والجبال من جميع جهاتها، بناياتها عبارة عن "مخازن" بسيطة الشكل متناهية في الكبر متصلة ببعضها، عقدت في كل قاعة من قاعاتها قناطر عديدة يفتخر أهلها بكثرتها، ويعضدون كل قنطرة من تلك القناطر بدعامتين عريضتين ملتصقتين بالجدار من اليمين والشمال يرتكز عليها قوس القنطرة، وبين كل دعامة والتي تليها من تلك الدعائم مصطبة مرتفعة عن الأرض تكون مأوى لأحد أفراد العائلة، أما (بحبوحة) تلك القاعة فتكون عادة موقفا للدواب والمواشي[150].

أما نظام التسقيف فكان متشابهاً في العديد من القرى التراثية، فكانت تستخدم أخشاب العرعر واللزاب التي كان يعلوها الشيح والقيصوم وغيرها من الشجيرات الصغيرة ويوضع فوقها الطين الذي كان يمزج مع القش حتى يتماسك وكيلا يتشقق، والناظر إلى كل قرية من صورة جوية يلاحظ أن القرى عبارة عن أسطح متصلة ببعضها. أما الجدران فكانت مبنية من الحجر وبسماكاتٍ كبيرةٍ وهذه الحجارة غالبا ما تكون مأخوذة من مبان تراثية أقدم، حيث كانت تثبت المداميك الحجرية بالملاط الطيني ويستخدم الشيد للقصارة. وبعيد الثورة العربية الكبرى، وبعد خراب خط سكة الحديد الحجازي من قبل قوات الثورة العربية الكبرى، فقد تم جلب العديد من قضبان سكة الحديد المعدنية، لاستخدامها في حمل الأسقف ،بدلاً من جذوع الأشجار الطويلة ، والتي قضى على معظمها مشروع سكة الحديد نفسه في نهاية القرن التاسع عشر.

---

[150] العربي، حمزه، (2002) **جولة بين الآثار**، الجزء الأول، تحقيق وتقديم ودراسة تركي المغيض، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان.



خربة بني عطا في بداية القرن الحالي (المصدر: هاني الفلاحات)

ومن أبرز القرى الموجودة في قرية إلجي وخربة الفلاحات وخربة بني عطا (خربة ريدان)، خربة صبحية، الحي، خربة النوافله، خربه النقلة وخربه طور العراق وخربه جلواخ وخربه المحيله وخربه العميريه، خربة بيضا، خربة النقعة وغيرها من القرى، ويمكن إيجاز خصائص مساكن القرى التراثية المنتشرة في وادي موسى بشكل عام بما يلي:-

1. معظم البيوت تتألف من طابق واحد، كما أن الجداران مبنية من صفين من الحجارة وملئت الفراغات بين هذين الصفين بالحجارة الصغيرة، وتتألف هذه البيوت من عدد قليل من الغرف التي قصرت جدرانها في بعض الحالات.
2. استخدمت الأخشاب لتسقيف البيوت، كما استخدمت الأقواس أحياناً لسقف بعض الغرف، وهذه الغرف في الغالب صغيرة وجدرانها سميكة، أما أرضياتها وأرضيات ساحاتها، فهي من الرمل والطين المدكوك.
3. بُنيت معظم المساكن بحجارةٍ غير مشذبةٍ ومشذبةٍ أُخذت من مواقع أثرية نبطية، كما أن هذه البيوت تفتقر إلى شبابيك، واستعيض عنها بوجود عدة ساحات مكشوفة كانت تمثل مصدر التهوية الرئيس.

رابعاً: مجتمع البتراء عبر العصور

لا تتوفر لدينا معلومات عن مجتمع البتراء خلال الفترة التي سبقت قدوم الأنباط لندرة المادة المكتوبة التي تعود لتلك الفترة، وقد كان المجتمع النبطي يقسم إلى إلى فئتين: بدو وحضر، وكانت المملكة تُشكِّل اتحاداً أو ائتلافاً بين مجموعة من القبائل التي كانت تترأسها قبيلة "نبطو"، وعلى الرغم من ورود أسماء العديد من القبائل في النقوش النبطية إلا أن نقوش البتراء لا تحتوي

على أي اسم لقبيلة، وسنناقش في الفصل الثاني بعض مظاهر مجتمع البتراء النبطي في ضوء المصادر الإغريقية بشيء من التفصيل، إذ يُشير الجغرافي الإغريقي سترابو إلى بعض ملامح الحياة الاجتماعية في المجتمع النبطي، فيقول أنهم شعب حساس يميلون إلى التملك، فيكرمون من يزيد ملكياته، ويغرمون من ينقصها، ويتحدث عن لباسهم ويقول بأنهم يمشون دون أن يلبسوا الأردية الرومانية، وأنهم كانوا يرتدون نطاقا حول الخصر كما كانوا يلبسون الصنادل، وكان ملوكهم يفضلون اللون الأرجواني، ويتحدث سترابو أيضا عن احتفالات عامة كان ينظمها الأنباط في جماعات، ربما كانت تعقد في المضافات الجنائزية، حيث يتناول المشاركون في الاحتفال الشراب بكؤوس ذهبية، بما لا يزيد عن أحد عشر كأسا وبوجود موسيقيتين اثنتين (للمزيد انظر الفصل الثاني).

كان نظام الحكم في مملكة الأنباط ملكياً وراثياً، وكان الملك يمثل رأس الهرم في هذا النظام، وكانت زوجته الملكة تسمى "أخته" كما كان الوزير يلقب بـ"اخ الملك"، وتزودنا النقوش النبطية بأسماء أفراد العائلة المالكة النبطية، حيث عثر على ثلاثة نقوش في البتراء نستطيع من خلالها وضع شجرة عائلة للملكة النبطية، بدءاً من حكم عبادة الثالث (58–30 ق.م) وحتى حكم رب ايل الثاني (70–106م).

وقد قدَّمت لنا النقوش النبطية أسماء العديد من الوظائف والمهن العسكرية والمدنية، التي يبدو إن معظمها متأتٍ من أصول يونانية، مما يعني أن المؤسسة العسكرية النبطية كانت متأثرة في تنظيمها بالمؤسسة العسكرية اليونانية، ومن الألقاب العسكرية التي ترد في هذه النصوص "ا س ر ت ج ا"[151] أي" حاكم ولاية أو مقاطعة عسكري أو مدني"، " هـ ف ر ك ا"[152] أي "قائد الفرسان"، "ر ب م ش ر ي ت ا "[153] أي "قائد المعسكر" وغيرها من الوظائف. كما تزودنا النقوش النبطية بالعديد من المهن والوظائف داخل المجتمع النبطي، ويبدو أن الوظائف الحرفية كانت متوارثة في المجتمع النبطي، كما هي عليه حالياً، وتُشير دراسة المدافن النبطية في البتراء إلى وجود طبقات في المجتمع النبطي، فالواجهات المنحوتة في الصخر كان يملكها القادة العسكريون والمدنيون وأبناء وبنات الذوات في المجتمع، أما أفراد الطبقة الدنيا، فكانوا يدفنون في مدافن بسيطة.

لقد كان للمرأة بالمجتمع النبطي مكانة مميزة، حيث نُحتت بعض الواجهات الصخرية النبطية لهن، ويبدو أن النساء اللواتي كن يدفن في هذه القبور لم يَكُنَّ من الطبقة العامة في المجتمع، بل كُنَّ من الطبقات العليا، كما تشير لذلك النقوش النبطية التي عُثر عليها في مدائن صالح[154]،

---

[151] CIS II 169, 214, 238, 235
[152] CIS II 207, 173
[153] CIS II 234
[154] CIS II 213, 173

وتُشير هذه النصوص إلى أن المرأة النبطية كان لها حق التملك والميراث، كما ظهرت صورتها أحيانا جنباً إلى جنب مع زوجها على القطع النقدية التي سكها ملوك الأنباط[155] .

أما فيما يخص العبيد في المجتمع النبطي، فيذكر سترابو أن الأنباط لم يكونوا يحرصون على أن يكون لديهم عبيد، حيث كانوا يخدمون أنفسهم بأنفسهم، ولم تقتصر هذه العادة على عامتهم، بل شملت ملوكهم[156] مما يشير إلى اعتمادهم المطلق على أنفسهم، ومع ذلك فقد قدمت لنا بعض النقوش النبطية أسماء لعبيد، ولكنها قليلة[157] ، ونستنتج من النقوش النبطية وجود غرباء داخل المجتمع النبطي، كما زودتنا النقوش النبطية بالعديد من الأسماء الغريبة غير المعروفة في المنطقة، والتي ربما تكون لغرباء عاشوا هناك، وهذه الأسماء يونانية ورومانية، وأحياناً فارسية ومصرية[158] ويؤكِّد هذا ما أورده سترابو عن وجود غرباء في المجتمع النبطي.

وقد عرف الأنباط تعدد الزوجات، ونجد ذلك عند ملوكهم كالحارث الرابع ورب ايل الثاني، كما لم يمانع الأنباط الزواج الخارجي، وخير مثال على ذلك زواج ابنة الحارث الرابع من انتيباس، كما رغب سُلي في الزواج من سالومي لولا اشتراط والدها عليه اعتناق اليهودية.

استمرت تركيبة مجتمع البتراء على نفس هذا النمط على ما يبدو بعد أن تم الحاق المملكة النبطية بروما عام 106م، مع وجود القليل من التغيرات المجتمعية التي تطلَّبها نظام الحكم الجديد، ولا تتوفر لدينا معلومات نقشية تمكننا من فهم معالم مجتمع البتراء خلال الفترة الممتدة ما بين الفترة الرومانية وحتى الفترات الإسلامية، فما زلنا نجهل الكثير عن السكان الذين عاشوا في البتراء خلال هذه الفترات، وتُشير الشواهد الأثرية المكتشفة إلى استمرار الثقافة النبطية في المنطقة بعد سقوط البتراء بأيدي الرومان عام 106م[159]، واستمرت الآرامية والعربية كما كانت خلال الفترة النبطية لغتا الحياة اليومية، لأن المستعمر عادة لا يُغير لغة قوم احتلهم بالقوة، وأكَّدت مجموعة البرديات البيزنطية التي اكتشفت في البتراء، والتي تؤرِّخ للقرن السادس الميلادي أن بعض المظاهر الحضارية النبطية كانت ما تزال حاضرة في البتراء خلال القرن السادس الميلادي على أقل تقدير[160].

ومما يجدر ذكره هنا أن البرديات اليونانية التي كُشف عنها في البتراء قد احتوت على معلومات عن عددٍ من المظاهر الاقتصادية والاجتماعية في البتراء وجوارها آنذاك، حيث تشتمل هذه الوثائق على برديات مرتبطة ببيع وقسمة العقارات، ووصولات ضريبية وطلبات تحويل ضرائب،

---

[155] Meshorer, Y. (1975): *Nabataean Coins*, 33-34
[156] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.26
[157] CIS II 276
[158] CIS II 197; Littmann, E., (1914): Semitic Inscriptions. Section A, Nabataean Inscriptions from Southern .Hauran. Publication of Princeton University Archaeological Expedition to Syria, Leiden,
[159] Cotton, H. M., (2009): Continuity of Nabataean law in the Petra papyri: a methodological exercise, in: H. M. Cotton et al. (eds.), *From Hellenism to Islam: cultural and linguistic change in the Roman Near East*, 154-174.
[160] الغول، عمر (2008): الهويات الحضارية للبترا: لا شرقية ولا غربية يكاد إرثها يضيء، **اليرموك**، 94، 11-15.

ورسائل ووثائق مرتبطة بالمنازعات القضائية، وبعض الوثائق الكنسية، وتشتمل هذه البرديات على عددٍ وافرٍ من أسماء المواقع الجغرافية التي ما يزال الكثير منها مستخدماً حتى الآن، بالإضافة إلى أعدادٍ كبيرة من أسماء الأعلام، والسواد الأعظم منها أسماء سامية محليّة، منها ما هو مُفرد ومنها ما هو مُركّب مع أسماء الآلهة، وقد تمّت أغرقة الكثير من أسماء الأعلام دوساريوس Δουσαριος أي ذو الشرى، و Ἀβδάλλος= عبدالله، و Ἀβραάμιος= ابراهيم/ ابراهام، وΟβεδος = عبيدة، وΜεγέθιος= مغيث وغيرها الكثير من الأسماء.

ويتبين من خلال دراسة مُعمّقة للبرديات التي عُثر عليها في البتراء أنها تعكس العديد من الخصائص اللغوية السامية، بالإضافة إلى احتوائها على ألفاظٍ ساميةٍ تمت كتابتها باليونانية حسب تهجئتها بالعربية، ومن الكلمات العربية التي ترد في هذا الأرشيف γαννaθ= جنة/ بستان، μαλ = مال/ عقار، cιρα= صيرة/ حضيرة أغنام وغيرها، كما ترد في البرديات أسماء قبائل ومجموعات بشرية مثل Αλ−Cαρουα وαλ−Αουαουερ وαλ−Acαφιρ و−αλ Εβαδ وαλ−Κουαβελ، وجميعها يبدأ بأل التعريف ولا نعرف تفاصيل عن هذه القبائل[161].

وقد احتوى هذا الأرشيف على إشارات أخرى تُشير إلى مجتمع البتراء، منها تلك التي تشير إلى وجود طبقة من العبيد، كما اشتمل الأرشيف على عقد زواج لإمراة بتراوية اسمها (كيرا) والتي كُتب عقد زواجها في حوالي 582−593م في البتراء بحضور والدها (بردية رقم 42)، بالإضافة إلى وثيقة تعديل مهر تعود لعام 539م (بردية رقم 14)، ومعلومات عن عائلة ثيوروروس وعبوديانوس التي تعود لهم الكثير من هذه البرديات.

وفي الختام، لا بد من التعريج قليلاً على سكان منطقة البتراء الحاليين وهم البدول واللياثنة، الذين بدأنا نسمع باسمهم منذ قرنين في كتابات الرحالة الذين زاروا البتراء خلال القرنين الماضيين، ويبدو أنهم ينتمون للقبائل التي سكنت المنطقة خلال فترة طويلة من الزمن، وقد أقام البدول داخل مدينة البتراء حتى قامت الحكومة بإخراجهم منها في عام 1985م بعد أن أقامت لهم إسكان أم صيحون، وينتسب البدول إلى قبائل الحويطات التي قد يكون أصلها الحجاز، أو قد تكون من القبائل القحطانية، أما اللياثنة والذين يقيمون في وادي موسى والطيبة، فقد اختلف الباحثون في أصلهم، فمنهم من يرى أنهم ينتسبون لليث بن سود من قضاعة، ومنهم من يعتقد أنهم من بني ليث بن بكر بن مناة من كنانة، ولا نجد إشارة تؤكد ذلك في كتب الأنساب القديمة، ولم تذكر كتب التاريخ أسماء أشخاص مشهورين انتسبوا لهذه المناطق كما لا نعرف سبب غياب اسم المنطقة عن كتب التاريخ الإسلامي التي نسخ الكثير منها ما ذكره ياقوت الحموي ولم تزد عليه، وإنما اكتفت بذكر بعض الأحداث التاريخية التي ارتبطت بالحروب الصليبية، وقد ذكرت

---

[161] للمزيد انظر Al-Jallad, A., Daniel, R., and al-Ghul, O. (2013): The Arabic toponyms and oikonyms in 17. In Ludwig Koenen, Maarit Kaimo, Jorma Kaimio, and Robert Daniel (eds.), The Petra Papyri II. Amman: American Center of Oriental Research, 23.

المصادر التاريخية اسم شخص انتسب لمنطقة حبال التي لا نعرف مكانها على وجه التحديد، ولكنها وكما يقول ياقوت الحموي "من قرى وادي موسى من جبال السراة قرب الكرك بالشام" وهو "يوسف بن إبراهيم بن مرزوق بن حمدان أبو يعقوب الصهيبي الحبالي، رحل إلى مرو وتفقه بها وسمع أبا منصور محمد بن علي بن محمود المروزي، وكان متقشفاً، قال الحافظ أبو القاسم: وسمعت منه وكان شافعياً، بلغني أنه قتل بمرو لما دخلها خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين في سنة 530 في ربيع الأول"[162]، وربما كانت حبال هذه هي تلك التي ذكرها جميل بثينة حين قال[163]:-

ولما نزلنا بالحبال عشية ..... وقد حبست فيها الشراة وأذرح

وقد يكون المقصود هنا (جِبَال) وربما اسقط الناسخ سهواً نقطة حرف الجيم، وجبال هي المنطقة المعروفة في الكتابات الكلاسيكية باسم (غوبوليس = Γoβoλίς)، كما تطرَّقت لها بعض المصادر العربية[164].

[162] الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، ج 2، 211.

[163] البكري الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (1982): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، 130.

[164] ورد ذكر اسم غوبوليس = Γoβoλίς في عددٍ من المصادر التاريخية القديمة، كما يذكر جوسيفوس اسم منطقة في آدوميا كان يسكنها (الجباليين)، أي سكان منطقة الجبال، ويؤكد أن العماليق وأبناء عيسو كانوا يسكنون هناك، ويورد لنا جوسيفوس اسمهم بصيغتين هما غوبوليتيس Γoβoλιτις و غاباليتاي Γαβαλιται. ومن أكثر المصادر القديمة ذكراً لمنطقة الجبال (غيباليني= Γεβαληνη) المؤرخ الكنسي يوسيبيوس في كتابه الاونوماستيكون حيث يذكرها مراراً، ويقول أن ايدومايا هو اسم اطلق على أرض حول البتراء سميت لاحقاً باسم (غيباليني= Γεβαληνη)، وذكرها كذلك الاصطخري وابن حوقل. للمزيد انظر السلامين، زياد (2017): المدن والقرى النبطية المتنازع عليها بين الأنباط والمكابيين: دراسة لقائمة المدن الاثني عشر الواردة عند المؤرخ فلافيوس جوسيفوس، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، 11:1، 64- 65.

الفصل الثاني: من هم الأنباط؟

الفصل الثاني:

من هم الأنباط ؟

يشتمل هذا الفصل على ثلاثة أجزاء، خُصِص الأول منها لمناقشة النظريات والآراء المتعلقة بأصل الأنباط وموطنهم الأم وتاريخ ظهورهم، ويحتوي الجزء الثاني على مناقشةٍ وقراءة نقدية للروايات التاريخية اليونانية والرومانية المتعلقة بالأنباط وبلادهم، في حين يسرد الجزء الثالث وبشكل متسلسل تطور الأحداث السياسية التاريخية النبطية من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي.

أولاً: أصل الأنباط

ورد في المصادر الآشورية القديمة اسم مجموعة عربية اطلق عليها اسم "نبآتي" Na–ba–a–te, Na–ba–a–a–ti, Na–ba–a–ati–a–a إذ يشير أحد نصوص آشوربانيبال (668–627 ق.م) إلى قيام شخص بمهاجمة قافلة غادرت لتوها أرض "نبآتي"، وتُشير هذه النصوص، بشكلٍ عامٍ، إلى وجود صلات مع القبائل العربيّة، حيث تذكر النصوص الآشوريّة التي تعود لحقبة آشوربانيبال خاصة أن هؤلاء الأقوام كانوا يقيمون بالقرب من الحدود الآشوريّة، وتُشير هذه الحوليات إلى أنّهم عرب، وقد ربط بعض الباحثين هذه المجموعات بالأنباط وعارضهم فريقٌ آخرٌ مبررين معارضتهم بأن اسم الـ "نبآتي" الواردة في النصوص الآشوريّة مشتق من الجذر "نـ بـ ي" في حين اشتق الأنباط من الجذر "نـ بـ ط"[165].

وفي نصوص آشورية تعود لعهد آشوربانيبال (668–627 ق.م) نسمع عن ملك نُعت بـ"ملك العرب"، وتسميه النصوص ياتع أو ياتاع بن حزائيل ملك قيدار[166]، حيث ثار على آشوربانيبال، وشجَّع العرب على التمرد والثورة، فأرسل آشوربانيبال حملةً ضدّ بلاد العرب، فهرب ياتع عقب إحدى الهجمات الآشوريّة خائفاً إلى "بلاد نبآتي"، وذلك لرؤية نتنو زعيم هذه المنطقة ولكن نتنو رفض مساعدته[167]، ووردت في نصٍ آشوريٍ آخر إشارة إلى إعلان نتنو ولاءه إلى ملك آشور، وتعَّهده بدفع الجزية له وذلك بسبب خوفه من آشور[168].

ومن أسماء الملوك العرب الآخرين الذين اصطدموا مع الآشوريّين، ملك اسمه ابياتي بن تيري الذي كان يطمح في التحالف مع نبآتي ومع نتنو[169]، وقد توجهت الجيوش الآشوريّة لمواجهة هذا

---

[165] Broom, E. (1973): Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans: The Linguistic Problem, JSS 18: 2-10.

[166] Luckenbill, D. (1968): Ancient Records of Assyria and Babylonia, New York: Greenwood Press, 337-338.

[167] Oppenheim, A. Leo. (1969): Babylonian and Assyrian Historical Texts, p. 300-301.

[168] Oppenheim, A. Leo. (1969): Babylonian and Assyrian Historical Texts, p. 298.

[169] Oppenheim, A. Leo. (1969): Babylonian and Assyrian Historical Texts, p. 298-299.

التحالف الذي كان يضمّ كلّ من ياتع وابياتي ونتنو، ونتج عن هذه المواجهات أسر جميع من شارك فيها[170].

أما نهاية نتنو ملك النبآتي، فنجدها في النص التالي:

"نتنو ملك نبآتي الذي (توجد) منطقته في مكان بعيد، ولم يخضع لحكم أجدادي الملوك، ركع لي، ولهذا، وتبعا لأوامر وحي آشور وإنليل الآلهة الكبرى ...وقد هزمت ياتع الذي ساعد نبآتي ...لقد حولت المدن إلى تلال خراب، وأكوام من التراب، وقد أنقذته وزوجته وأطفاله (وأخذت) الغنائم الكثيرة من وطنه، ونوهرو ابنه الذي هرب قبل الهجوم لآشور وعشتار ....لقد قبل أقدامي ورحمته وأجلسته على عرش والده[171]".

اختلف الباحثون في تحديد أصل الأنباط وتاريخ وكيفية ظهورهم، والمكان الذي جاءوا منه، وما هي ظروف نشوء دولتهم، فقد ربطهم البعض بنبايوت بن إسماعيل عليه السّلام الوارد في سفر التكوين[172]، وهناك من ربطهم بنبآتي (Na–ba–a–a–ti) الوارد ذكرهم في النصوص الآشوريّة، وخاصة تلك التي تعود لفترة حكم تغلات فلاصر الثالث، وأسرحدون وآشوربانيبال[173] الذي تحدث عن حرب له مع ياتع، ملك العرب، الذي هرب إلى أرض نبآتي، وذكرت النصوص الآشوريّة أنّ ياتع بن حزائيل، ملك القيداريين العرب، قد نهب "الحدود الغربيّة للصحراء، فزحفت القوات الآشوريّة لمواجهته، وهرب بعد هزيمته إلى نتنو ملك نبآتي الذي كان مكانه بعيداً" وتمكّن من إقناعه بمحاربة الآشوريّين، ولكن آشوربانيبال سيطر على شماليّ بلاد العرب، الأمر الذي دفع نتنو ملك نبآتي أن يعترف به.

ومرة أخرى نسمع عن قيام آشوربانيبال بإرسال حملة تأديبيّة ضدّ نتنو، ملك نبآتي، وقد ربط بعض الباحثين هذه القبائل التي ورد ذكرها مراراً في المصادر الآشوريّة بالأنباط، الذين أقاموا بأرض آدوم جنوبي الأردن، ومن الباحثين من اعتبر هذا الربط أمراً غير مقنع[174]، ويبدو أنّ التطابق بين هاتين الجماعتين (نبآتي والأنباط) مقبول من حيث الجغرافيا، ولكن هناك قضايا لغويّة وتاريخيّة تزيد الأمر غموضاً وتعقيداً؛ فالطاء الموجودة في كلمة نبطو، أي: الأنباط كما يُسمون أنفسهم، هي حرف أصيل في الكلمة، في حين أنّ التّاء الواردة في كلمة "نبآتي" في الحوليات الآشوريّة هي علامة للجمع[175]. ومن الجدير بالذكر أنّ معظم الباحثين قد رفض الربط

---

[170] Oppenheim, A. Leo. (1969): Babylonian and Assyrian Historical Texts, p. 298-300.

[171] Oppenheim, A. Leo. (1969): Babylonian and Assyrian Historical Texts, p. 300-301.

[172] سفر التكوين 25: 12-15.

[173] للمزيد حول هذا الموضوع انظر Retsö, J. (2003): The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads. Routledge, London.

[174] Knauf, E. (1984): Nabataean Origins. In: M.M. Ibrahim (ed.), Arabian Studies in Honour of Mahmoud Ghul, Wiesbaden, 59.

[175] Starcky, J. (1955): The Nabataeans: A Historical Sketch. BA 18, 84-106.

بين هاتين الجماعتين استناداً لاعتبارات لغويّة، رغم ما يُشير إلى احتمالية وجود علاقة بينهما وذلك للمبررات التالية:-

1. تَصِفُ النصوص الآشوريّة قبائل النبآتي بأنها قبائل بدوية متنقّلة، وأنها كانت تقضّ مضاجع الدولة الآشوريّة. والتركيبة القبيلة لهذه القبائل مشابهة للتركيبة القبلية للأنباط في بداية عهدهم، كما يصفهم المؤرِّخ اليوناني ديودوروس، فقد كانوا بدواً رُحلاً يعتمدون في حياتهم على الرعي والتّجارة.
2. إذا لم تكن قبائل النبآتي الواردة في المصادر الآشوريّة هي نفسها القبائل النبطيّة التي نتناول علاقاتها الخارجيّة هنا بالدراسة والتحليل، فما هو مصير تلك القبائل التي كانت تقف في وجه الخطر الآشوريّ؟ هذه القبائل التي ورد ذكرها مراراً في تلك النصوص مع قبائل أخرى كانت مجاورة لها، فإذا لم تكن هي نفسها قبائل الأنباط فكيف كانت نهايتها وأين اختفت فجأة ؟.
3. كما أنّ ديودوروس الصقلي، وعند حديثه عن الأنباط، يُشير إلى أنّ الآشوريّين والميديين والفرس والمقدونيين لم يتمكّنوا من "استعباد الأنباط" والسّيطرة عليهم، وهذه هي الإشارة الوحيدة في المصادر الكلاسيكيّة إلى وجود مشاحنات بين الآشوريّين والأنباط ، الأمر الذي يؤكد ما ورد في الحوليات الآشوريّة[176].

بدأنا نسمع عن الأنباط بعد اختفاء ذكر الآدوميين، حيث سكنوا أرضهم، واتخذوا من آدوم وطناً لهم، وتوسعت مملكتهم، فغطَّت مساحة جغرافية واسعة، وهنا تُطرح نظريتان رئيستان حول أصل الأنباط: هل كان الأنباط استمرارا للآدوميين؟ أم أنّهم كانوا قادمين جددا نزحوا من مكان ما إلى أرض آدوم خلال نهاية العصر الحديدي، أو خلال ما يعرف بالفترة الفارسيّة؟.

يتّضح من خلال مقارنة العطاء الحضاريّ الآدومي بالنّبطيّ أنه لا توجد دلائل واضحة على استمراريّة الاستيطان في عدد كبير من المناطق الآدومية ما بين نهاية العصر الحديدي وبداية العصر النّبطيّ، وذلك من خلال الحفريات الأثريّة التي أجريت في عدد من المواقع الآدومية، كبصيرا وطويلان وتلّ الخليفة[177] وغيرها من المواقع.

ما يزال أصل الأنباط وتاريخ ظهورهم موضوع جدال وخلاف بين الباحثين، شأنهم في ذلك شأن العديد من الأقوام التي سَكَنَت الشرق الأدنى القديم، فلا نعرف على وجه التحديد من أين جاء السّومريون والآشوريّون والآراميون والكنعانيون وغيرهم من الشعوب، التي انتشرت حضارتها وازدهرت وتطورت في منطقة شاسعة من الشرق القديم، ولكن الرأي الذي يقترحه معظم الباحثين

[176] Pritchard, J. (1969): Ancient Neat Eastern Texts Relating to the Old Testament. Princeton University Press, Princeton, 300.
[177] Bienkowski, P. (1990a): The Chronology of Tawilan and the 'Dark Age' of Edom. Aram 2/1, 2:35-44.

هو أنّ الأنباط قد جاءوا إلى منطقة جنوبيّ الأردن من موضع ما من الجزيرة العربيّة، في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، وقد أشار ديودوروس إلى منطقة صخرية مُحصَّنة اعتاد الأنباط أن يخفوا فيها ممتلكاتهم والمستضعفين من عائلاتهم في وقت الخطر. ويرى بعض من الباحثين أن هذا المعقل – الذي أشار إليه ديودوروس– إنما هو موضع في البتراء، وهو موقع أم البيارة، في حين يرى فريق آخر أنّ هذا الموقع هو سلع بالقرب من الطفيلة. ونستنتج من وصف ديودوروس أنّهم قد ظهروا كقبائل بدوية، تمكّنت من جمع ثروة طائلة نتيجة امتهانها واشتغالها بالتّجارة بين مناطق جنوبيّ الجزيرة العربيّة، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.

ما تزال معلوماتنا قليلة عن الفترة المبكرة من العصر النّبطيّ؛ إذ عُثر على أدلة محدودة تدلُّ على استيطان بشريّ خلال هذه الحقبة من تاريخ البتراء وجوارها وغيرها من المواقع النبطيّة، فعُثر على فخاريات في مدينة البتراء تعود للقرن الثالث قبل الميلاد، يبدو من خلالها أنّ الأنباط لم يكونوا قد استقروا بعد، إذ كان يغلب على حياتهم طابع البداوة والتنقل، وبالتالي لم تكن هناك مستوطنات دائمة، الأمر الذي جعل مهمة الآثاري الباحث عن أدلة استيطانيّة صعبة جداً. ومع نهاية القرن الثاني قبل الميلاد يبدو أنّهم قد بدأوا ببناء مستوطنات دائمة، وتطورت هذه المستوطنات وازدهرت مع بداية القرن الأول قبل الميلاد.

ولا يُعرف، على وجه التحديد، متى ظهر الأنباط في أرض آدوم، ولا المكان الذي قدموا منه، وقد اقُترحت عدّة آراء حول ذلك نوجزها فيما يلي:–

<u>الرأي الأول:</u> ربط بعض الباحثين الأنباط بـ نبآتي الوارد ذكرهم في السّجلات الآشوريّة والعهد القديم، وهم أقوام كانوا يعيشون على ضفاف نهر الفرات، في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد. وأيَّد هذه النظرية الباحث بروم[178]، وقد يكون هذا الرأي صحيحاً؛ فنبآتي في النصوص الآشوريّة ونبايوت في العهد القديم هم عرب، وتحتوي التوراة على ذكر نبيت נבית ونبيوت נביות حيث تحدد موطنهم التقريبي في منطقة شمالي غرب الجزيرة العربيّة، وتُشير إلى أنّ نبايوت هو أحد أبناء إسماعيل[179].

ويتحدث جوسيفوس عن أصل الأنباط الذين يربطهم بإسماعيل، حيث يقول أن إسماعيل عندما كبر تزوج امرأة مصرية الأصل وكانت أمها كذلك تنتمي لنفس الأصل، وأنجبت هذه الزوجة اثني عشر ولداً هم نابايوث (Ναβαιώθης)، (قيدار) كيدار (Κήδαρος)، أبديل (Ἀβδεῆλος) ، ماسام (Μάσσαμος)، ماسماس (Μάσμασος)، إيدوماس (Ἰδουμᾶς)، ماسميسو (Μάσμησος)، كودام (Χόδαμος)، ثيمان (Θέμανος)، يتورو (Ἰετοῦρος)، نافايس (Νάφαισος) و كادماس (Κάδμασος)، وقد أقام هؤلاء جميعاً في المنطقة الواقعة بين نهر

---

[178] Broome, E., (1973): Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans, 1–16.

[179] سفر التكوين 25: 13، 28، 36: 6، سفر أشعيا 6: 7، سفر أخبار الأيام الأول 1: 92.

الفرات إلى البحر الأحمر وأطلقوا عليها تسمية الأنباط (Ναβατηνὴν) وهم أمة عربية (Ἀράβων ἔθνος)[180].

الرأي الثاني: اعتبر بعض الباحثين شماليّ الجزيرة العربيّة موطنهم الأصلي، ويدعم هذا الرأي أيرنست كناوف[181] إذ يرى أنّهم قد انحدروا من القيداريين، الذين كانوا يقطنون الجزء الشمالي من الجزيرة العربيّة في الفترة الواقعة ما بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد، وسيطروا على هذه المنطقة والمنطقة الجنوبيّة من الأردن.

الرأي الثالث: أما سليمان الذييب فيرى أن الموطن الأصلي للأنباط يقع في المنطقة الواقعة بين حائل والقصيم شمالي نجد[182]، ويستبعد أن تكون منطقة شمالي الحجاز موطنهم الأم؛ لأنّ هذا الرأي بحسبه لا يستند إلى دليلٍ علميٍ، كما أن المنطقة في القرنين السّادس والخامس قبل الميلاد قد شهدت قيام مملكة في دادان كانت على مستوى حضاريّ وفكريّ مرموق، وهذا يتناقض مع نمط حياة البدو الأنباط في تلك الفترة.[183]

الرأي الرابع: واعتبر فريق من الباحثين منطقة شمالي شرق الجزيرة العربيّة موطنهم الأصلي ودعم هذا الرأي ميليك[184] الذي ربط نظريته بعبادة الإله (صعبو) إله الحظ في تلك المنطقة وعند الأنباط، وأيَّد هذا الرأي ديفيد جراف الذي يقول: إن الأنباط قد جاءوا من المنطقة الواقعة شمالي شرق الجزيرة العربيّة، بالقرب من الخليج العربي، حيث يرى جراف أنّ أسماء الأعلام النبطيّة تُهجأ بناءاً على قواعد الآرامية المبكرة، ويرى جراف أن اللهجة العربيّة التي استعملها الأنباط ربّما تبلورت خلال فترة ما يعرف بالآرامية الإمبراطوريّة في منطقة سوريا والعراق[185]. ويرى ستيفان شميد أن الأنباط قد هاجروا من الجزء الشمالي أو الشمالي الشرقي من الجزيرة العربيّة في حوالي منتصف الألف الأولى قبل الميلاد[186].

الرأي الخامس: يرى بعض الباحثين أنّ جنوبي الجزيرة العربيّة هي موطنهم الأصلي، وأنّهم قد هاجروا منها بعد انهيار سدّ مأرب، ويدعم هذا الرأي كلٍ من ستاركي وجلوك الذين يرون أنّ مهارات الأنباط في الحفاظ على الماء وإدارتها لا بد أن تكون قد أُخذت عن جنوبي الجزيرة العربيّة، التي شهدت تطوراً وتقدماً بهذا المجال[187]. ويرى الذييب أن هذه التبريرات غير كافية كدليل على أن الأنباط قد جاءوا من جنوبي الجزيرة العربيّة –لأنّهم لو فعلوا ذلك– لما اكتفوا بنقل

---

[180] Josephus, Antiquities I: 220-221.

[181] Knauf, E., (1984): Nabataean Origins, 60-61.

[182] الذييب، سليمان (2002): نقوش أم جذايذ النبطية: دراسة تحليلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 8.

[183] الذييب، سليمان، (2002): نقوش جبل ام جذايذ، 8.

[184] Milik, J., (1982): Origines des Nabatéens. SHAJ, 1: 261–265.

[185] Graf, D. (1990): The Origin of the Nabataeans. Aram 2, 45-75.

[186] Schmid, S., (2001): The Nabataeans. Travellers between Lifestyles, in: B. MacDonald and R. Adams and P. Bienkowski (eds.), The Archaeology of Jordan, Sheffield, 367–426.

[187] Starcky, J., (1966) : Pétra et la Nabatène, Dictionnaire de la Bible, Supplément 7, Paris 900-903.

هذه الظاهرة الوحيدة، بل لنقلوا –على الأقل– النظام الكتابيّ، ومظاهر حضاريَة أخرى[188]. كما أنّ ممارسة الأنباط لتقنيات متقدمة في مجال الحصاد المائي ليس دليلاً كافياً للجزم بأصل الأنباط؛ إذ إن بعض هذه التقنيات كانت موجودة في شماليّ الجزيرة العربيّة قبل قدوم الأنباط[189]، كما أن الآلهة الرئيسة التي عُبدت في جنوبي الجزيرة العربيّة لم تُعبد من قبل الأنباط.

ويفسر كل من صبا فارس وفوزي زيادين أسباب وجود الكتابات الديدانية والمعينية في منطقة الديسه ووادي رم في جنوبي الأردن، والتي يعود معظمها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، بأن من كتب هذه الكتابات كانوا أناساً مستقرين. ويرى هذان الباحثان أنّ من كتب هذه الكتابات هم الأنباط الذين وصلوا إلى أرض آدوم في القرن السّادس قبل الميلاد، وأنّهم في البداية كانوا يستخدمون الحرف الجنوبيّ المسند، وبدأوا استعمال الآراميّة عندما استقروا في بلاد آدوم في القرن الرابع قبل الميلاد[190].

ويرى رفعت هزيم، أنّ الزعم الذي يفترض أنّ جنوبي الجزيرة العربيّة كان "في العصور القديمة خزاناً بشرياً عامراً، خرجت منه في أزمان مختلفة هجرات كبرى، ملأت المشرق والمغرب، أتى به الإخباريون والنسّابون لأغراض معينة، ولكننا لا نجد دليلاً على صحّة هذا في أيّ من المصادر التي بين أيدينا"[191].

<u>الرأي السادس:</u> هنالك من يعتقد أنّ الأنباط هم استمرار للآدوميين، ويطرح هذا النظرية الباحث بارتلت الذي يرى أنّ الأنباط لم يكونوا قادمين جدداً، بل كانوا أحفاداً للآدوميين[192]. ويرى أصحاب هذه النظرية أنّ بعض معالم الحضارة الآدومية قد استمرت خلال الفترة النبطيّة، وخاصة عبادة المعبود (قوس) الذي عُبد عند الأنباط والآدوميين، ولكن هذا الدليل لا يكفي وحده لإثبات هذه النظرية؛ لأن ذلك المعبود هو من أصول عربيّة، وقد عُبد في العديد من الأماكن غير آدوم، وبالتالي فإننا لا نجد أيّ ارتباط أو علاقة بين الحضارتين: الآدومية والنبطيّة، مما يُشير إلى أن الأنباط قادمون جدد، ففخّارهم مختلف تماماً عن الفخّار الآدومي، كما أنّ كتاباتهم مختلفة، فالآدوميون كتبوا بالخط الآدومي الكنعاني، في حين أن الأنباط كتبوا بالخط النّبطيّ الآرامي، ويرى بيتر بار أنّه لا يوجد بقايا من اللهجة الآدومية من القرن السّابع إلى السّادس قبل الميلاد في اللهجة النبطيّة[193].

ويبدو، وكما أسلفنا سابقاً، أنّ الأنباط هم تلك القبائل التي تحاربت مع الآشوريّين خلال النصف الأولى من الألف الأولى قبل الميلاد، وهم الذين ورد اسمهم في نصوصهم بعدّة صيغ منها

---

[188] الذييب، سليمان ، (2002): نقوش جبل أم جذايذ ، 8.

[189] Parr, P. (2003): The Origins and Emergence of the Nabateans. In, Petra Rediscovered, 30.

[190] فارس، صبا وزيادين، فوزي (1997): استكشاف النّقوش في وادي ارم (1996). حولية دائرة الآثار العامة الأردنية، 37-.44

[191] هزيم، رفعت (2007): الهجرات من جنوبي الجزيرة العربيّة حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 99-100، 127-148.

[192] Bartlett, J. (1990): From Edomites to Nabataeans: The Problem of Continuity. Aram 2, 25-34.

[193] Parr, P. (2003): The Origins and Emergence of the Nabateans, 35.

"نبآتي" حيث نزحوا باتجاه آدوم، وهم نفس الأقوام الذين يرد اسمهم بصيغة "نبيت" و"نبايوت" في العهد القديم.

ثانياً: الأنباط وبلادهم في المصادر الكلاسيكية

لم يترك لنا الأنباط تاريخاً سياسياً مدوناً نستقي منه معلومات عن جوانب حياتهم الحضارية، مما يجعلنا نعتمد لدراسة تاريخهم السياسي والحضاري، وبالدرجة الأولى، على كتابات المؤرِّخين الإغريق والرومان الذين بدأت أنظارهم تتجه صوب منطقة الجزيرة العربيّة بشكلٍ خاصٍ، ومنطقة الشرق الأدنى القديم بشكلٍ عامٍ، بعد النجاحات المتكررة التي حقَّقها الإسكندر المقدوني في فتوحاته للشرق، وتبعاً لذلك، فقد كانت هناك رغبة شديدة لاستكشاف المنطقة وذلك لدوافع عديدة منها الرغبة في السيطرة على طرق التجارة القديمة، وازدادت تبعاً لذلك نشاطات المؤرِّخين اليونانيين في المنطقة إبّان الفترة الهلنستيّة، وقام عددٌ من مؤرِّخي هذه الفترة بتدوين ملاحظاتهم ومشاهداتهم عن منطقتنا، وتبعهم بعد ذلك مجموعة من المؤرخين الرومان الذين قاموا بالسير على نفس النهج، وأرَّخو لغزو روما للشرق وتحدثوا عن مجريات الأحداث في البلاد التي أصبحت خاضعة لحكم الرومان بدءاً من عام 63 ق.م

وقد تناول العديد من المؤرخين الإغريق والرومان جوانب كثيرة من معالم حضارات الشرق القديم، وعرَّج بعضهم على مملكة الأنباط، وسرد لنا البعض الآخر معلومات عن بعض معالم حضارتهم، وتُعتبر هذه المصادر مهمّة؛ لأنها دُوِّنت في حينها، كما أنها تُعاصر، إلى حدٍ ما، الأحداث التي دوَّنتها، ورغم تضاربها أحياناً، وعدم صحة ما ورد في بعضها أحياناً، إلا أنها تعتبر المصادر الأساسية لدراسة تاريخ الأنباط السياسي والحضاري، وسنناقش تالياً الروايات الكلاسيكية المتعلقة بالأنباط وبلادهم.

ديودوروس الصقلي (Diodorus of Sicily)

من بين أبرز المصادر الكلاسيكيّة، التي تتناول حضارة الأنباط كتاب ديودوروس الصقلي[194]، وهو مؤرّخ يونانيّ عاش خلال القرن الأول قبل الميلاد، وألف كتاباً عن تاريخ العالم القديم، ويُعتبر ديودوروس المصدر التّاريخيّ الأساس الذي يتناول الفترة النبطيّة المبكّرة، خاصة خلال نهاية القرن الرابع قبل الميلاد؛ فقد وَصَفَ الأنباط وتطرّق لبعض مظاهر حضارتهم، وتحدَّث بإيجاز عن طبيعة بلاد الأنباط، وتطرّق لمحاولة أنتيغونوس، أحد قادة المقدونيين وأحد أتباع

---

[194] ديودوروس الصقلي: مؤرخ يوناني (80-30 ق.م) ترك لنا عملاً تاريخيا مميزاً يقع في أربعين مجلداً يعرف باسم "مكتبة التاريخ"، وقد زار مصر عام 59 ق.م ودوَّن في مؤلفه بعض مشاهداته فيها، كما اعتمد على بعض أصدقائه في تدوين العديد من المعلومات التّاريخيّة.

الإسكندر المقدوني لإخضاع الأنباط، وقد اعتمد في تدوين ملاحظاته عن الأنباط على مصادر سابقة منها كتابات هيرانيموس الكارديائي، ولكنه لم يُدوِّن ملاحظات شاهدها بأمّ عينه.

إن أقدم ذكر تاريخي للأنباط في المصادر الكلاسيكيّة هي الإشارة التي أوردها ديودوروس الصقلي فيما رواه عن هيرونيموس الكارديائي، عندما تحدث عنهم في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، في معرض حديثه عن الحملات الفاشلة التي شنَّها القادة السّلوقيون على بلاد الأنباط، وكما أوردنا سابقاً[195]، فقد ذكر ديودوروس أنّ هناك قبائل عربيّة كثيرة كانت تتخذ الصحراء مراعي لقطعانها، ولكن الأنباط كانوا يفوقون الجميع بثرائهم، وأشار في موضع آخر إلى أن عددا غير قليل منهم قد تعوَّدوا أن يجلبوا إلى السّاحل البخور والمرّ، وأغلى أنواع العطور التي كانوا يحصلون عليها ممن ينقلونها إليهم مما يسمى بالعربيّة بالسّعيدة[196].

وذكر ديودوروس الصقلي أن أنتيغونوس قد أرسل حملة بقيادة أثينايوس عام 312 ق.م وتكوّنت الحملة من أربعة آلاف من المشاة وستمائة من الفرسان، وهاجمهم أثينايوس وهم يحتفلون أو يجتمعون وقتئذٍ في مكان لقاء سنوي تاركين في "صخرة معينة" ممتلكاتهم وشيوخهم ونساءهم وأطفالهم، وهذه الصخرة توصف بقوتها، وأنها تبعد حوالي مسيرة يومين عن البتراء، ويعتقد بعض الباحثين أن الصخرة الواردة عند ديودوروس هي البتراء نفسها، رغم أنها وكما ذكر ديودوروس، كانت تبعد مسيرة يومين عن مكان سكنهم الرئيس أي البتراء، وقد ورد ذكر "سلع" التي تعني "صخرة" في الكتاب المقدس[197]، ويرى البعض أن (سلع) الوارد ذكرها هنا تُشير لمنطقة السّلع في الطفيلة[198].

هاجم أثينايوس الأنباط على حين غرة، وقتل عدداً منهم وجرح عدداً آخر، وأخذ غنائم قوامها البخور والذهب والفضة، وفي طريق عودة الجيش السّلوقي، وبسبب التعب، اضطرّ الجيش إلى الخلود للراحة، وعندما سمع الأنباط المحتفلون ما حلَّ بأهلهم ومدينتهم لحقوا بالجيش السّلوقي وهاجموا معسكرهم والجنود نيام، فقتل من قتل، وانسحب الجيش السّلوقي يجر أذيال الخيبة،[199] وبعد فترة نجهل تفاصيلها، أرسل أنتيغونوس حملة ثانية مكونة من ثمانية آلاف من الفرسان والمشاة، بقيادة ديمتريوس بن أنتيغونوس، ولكن الأنباط كانوا مدركين لنوايا السّلوقيين السّيئة هذه المرة، فكشف مراقبو الأنباط تحركات الجنود السّلوقيين، وحدثت مفاوضات أدت إلى انسحاب السّلوقيين، ولكن أنتيغونوس أنّب ديمتريوس على عقد هذا الاتفاق مع الأنباط ووبّخه؛ لأن ذلك

---

[195] Diodorus: The Library of History, XIX. 94-100.
[196] Diodorus: The Library of History, XIX. 94.
[197] سفر القضاه 1: 36.
[198] Starcky, J. (1955): The Nabataeans.
[199] Diodorus: The Library of History, XIX 93, 6-94.

"قد يجعل البرابرة (الأنباط) أشدّ جسارة وجرأة، حيث تركهم دون عقاب، لأنّهم قد يتخيلون أنّهم أحرزوا عفوه لا من جرّاء سماحة فيه ولطف، بل بسبب عجزه عن الظهور والغلبة".[200]

وقد ردَّ الأنباط على السّلوقيين برسالة كتبوها "بحروف سورية"[201] أكدّوا فيها مطمحهم في الحياة، وذكروا في رسالة لهم ما يلي: "ليس من الحكمة في شيء أن يشنّ اليونان حرباً على شعب لا يملك ماء أو خمراً أو حَباً، نحن لا نعيش كما يعيش أبناء اليونان، ولا نرغب في أن نُصبح عبيداً لهم، نعيش في الصحراء مثل الحيوانات البريّة، ولن نُسبب لكم الأذى مطلقاً... ولن تستطيعوا إجبارنا على العيش بطريقة أُخرى"[202].

ومهما يكن من أمر، فانّه يُمكن تلخيص دوافع هذه الحملات العسكريّة السّلوقية على بلاد الأنباط في سببين رئيسين: الأول سياسي، ويتمثّل في كون الأنباط يشكلون عقبة ضدّ المصالح السّلوقية، إضافة إلى منعهم من التحالف مع البطالمة، والثاني، والذي يُرجِّحه معظم الباحثين، هو اقتصادي مرتبط بالرغبة في السّيطرة على التّجارة.[203]

وصف لنا ديودوروس الصقلي الأنباط اعتماداً على روايات أصدقاء له، ويمكن إيجاز وصفه بما يلي[204]:- كان الأنباط خلال نهاية القرن الرابع قبل الميلاد لا يمارسون الزراعة على الإطلاق، فلا يبذرون الحبوب ولا يغرسون الأشجار، ولا يبنون بيوتا من الحجر، ولا يشربون الخمر، كما أشار إلى تقدمهم في مجال هندسة المياه، ويذكر أنهم كانوا يحفرون خزانات مائية ويقصرونها من الداخل، ويملأونها في فصل الشتاء ويقفلون أبوابها، ويخفونها فلا يستطيع أحد الاستدلال عليها. والأنباط بالنسبة له قوم يعشقون الحريّة، ويرفضون العبوديّة، ويبلغ عددهم حوالي عشرة آلاف شخص. أما من الناحية الاقتصاديّة، فيُشير ديودوروس إلى أنّهم كانوا يعتمدون على تربية الأغنام والماشية، ويعمل قسم منهم بالتّجارة، ويستخرجون الإسفلت من البحر الميت، ويبيعونه للمصريين[205].

وقد تطرّق ديودوروس الصقلي إلى موضوع تجارة العرب، فتحدث عن المنتجات العطريّة لبلاد جنوبي الجزيرة العربيّة، وتحدث عن الأشجار التي تنمو في بلاد العرب، وذكر أنّ العطور تفوح رائحتها على طول البلاد، فكانت القرفة تنمو في هذه المناطق، التي تحوي غابات كثيفة تشتمل على أشجار البخور الضخمة، والنخيل، وكانت تنتج كميات كبيرة من العطور التي تحمل الرياح عادة روائحها وتوصلها إلى أماكن بعيدة، وقد لعب الأنباط دوراً هاماً في هذه التّجارة منذ القرن

---

[200] Diodorus, The Library of History, XIX, 96, 4–97.

[201] أي بالخط الآرامي.

[202] Diodorus, The Library of History, XIX 96, 4-98

[203] الذييب، سليمان (1432 هـ): التاريخ السياسي للأنباط، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 8-9.

[204] Diodorus: The Library of History, XIX, 94-100.

[205] Diodorus: The Library of History, XIX.

الرابع قبل الميلاد على الأقل، حيث ذكر ديودوروس أن السّلوقيين، وأثناء حملتهم على بلاد الأنباط، استولوا على كميات من البخور[206].

نستنتج من وصف ديودوروس أنّ الأنباط قد ظهروا كقبائل بدوية، تمكّنت من جمع ثروة طائلة نتيجة امتهانها واشتغالها بالتّجارة بين مناطق جنوبيّ الجزيرة العربيّة، ومنطقة البحر الأبيض المتوسط .

برديات زينون (Zenon Papyri)

تُشير برديات زينون أحد مدراء مالية بطليموس فيلاديلفوس[207]، والمؤرَّخة لحوالي عام 259 ق.م إلى دليلٍ على وجود الأنباط في منطقة حوران الواقعة جنوبي سوريا[208]، أو تُشير، على الأقل، إلى وجود نشاطات تجاريّة نبطيّة في هذا الإقليم الجغرافي المهم والحيوي من بلاد الشام، ولا نعرف شيئاً عن حياة أولئك الأنباط خلال تلك الفترة، ولا عن طبيعة هذه النشاطات بصورة واضحة، ولكن هذه الإشارة تدل على أن نشاط الأنباط كان يمتدُّ، وعلى أقل تقدير، من البتراء جنوباً، وحتى جنوبيّ سوريا شمالاً خلال تلك الفترة.

بوسيديبوس البيلاوي (Posidippus of Pella)

ولد الشاعر الإغريقي بوسيديبوس البيلاوي في مدينة بيلا عاصمة مقدونيا في حوالي عام 310 ق.م، وتوفي في حوالي عام 240 ق.م، وعاش بوسيديبوس في بداية حياته في جزيرة ساموس الواقعة في بحر إيجه في بلاد اليونان، ثم انتقل بعدها إلى الإسكندرية خلال حكم بطليموس فيلاديلفوس الثاني (309–246 ق.م). وقد كتب قصائد قصيرة ساخرة من النوع الأدبي المعروف باسم الايبغرامات epigrams وذلك تكريماً لبعض الحكام والشخصيات المرموقة في بلاد البطالمة[209]، وقد وصلتنا بردية منسوبة له عُرفت باسم بردية ميلان، وهي تعود للقرن الثالث قبل الميلاد، وتحتوي هذه الوثيقة على نصٍ أدبيٍ كتبه هذا الشاعر فُقد معظمه، ويحمل الرقم ((16–7 II) AB 10)، وترد في هذا النص كلمة "الأنباط Ναβαταῖος" وعبارة غير مكتملة يظهر منها الاسم الذي يعني "عرب" وبقية العبارة أكْمِلَت بما يعني "ملك الفرس[ان العرب]"على النحو التالي: Ἀράβω[ν ἱππο]μάχων βασιλεύς، ويسبق هذا اللقب كلمة تالفة تبدأ بحرف الميم، فربَّما يُمثِّل هذا الحرف بداية اسم (مالك) (μ[άλιχος ὢ]ν) الذي قد يكون ملكاً لا نعرف

---

[206] Diodorus : The Library of History XIX. 95.3.

[207] بطليموس فيلادلفوس: هو بطليموس الثاني، اعتلى سدة الحكم عام 282 ق.م بعد وفاة والده بطليموس الأول، تتلمذ على يد استراتون وفيلتاس فكان مثقفاً واسع الاطلاع.

[208] Graf, D. (1990): The Origin of the Nabataeans, 45-75.

[209] Fain, Gordon, L., (2010): Ancient Greek Epigrams: Major Poets in Verse Translation, University of California Press, 91-94.

عنه أية معلومات[210]، لا سيما وإن اسم مالك كان أحد الأسماء المفضَّلة عند العائلة الملكية النبطية.

يُثير نص بوسيديبوس هذا العديد من التساؤلات حول البدايات الأولى للأنباط، حيث يُشير إلى أن مرحلة التحضُّر والتمدُّن (الملكية) قد بدأت من نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وليس خلال القرن الأول قبل الميلاد كما كان يُعْتَقَد، فقد اقترن اسم الأنباط في البردية بلقب "ملك βασιλεύς"، ولم يستخدم كاتب البردية لقب "زعيم قبلي"، مما يؤكد على تطور النظام السياسي النبطي خلال القرن الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير، وهي فترة قريبة جداً من الفترة التي أرَّخ لها ديودوروس الصقلي، الذي يتحدث عن الأنباط في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد والذي وصفهم كبدو ورعاة متنقلين غير مستقرين[211]. ويبدو أن المرحلة التي أرَّخ لها ديودوروس هي آخر مراحل عدم الاستقرار والتنقل، وهي المرحلة المُمهِّدة لمرحلة التمدن التي بدأت تشهد تغيُّراً في أحوالهم الاجتماعية والسياسية في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد.

لقد قام عدد من الباحثين بتقسيم التاريخ النبطي إلى مراحل بدأت بمرحلة البداوة، وانتهت بمرحلة التوسع والتحضر، ولكن التواريخ التي تغطيها تلك التقسيمات أصبحت مرفوضه في ضوء المادة المتوفرة حالياً، فقد سبق أن قسَّم الباحثون التاريخ النبطي إلى مراحل تطورية مثَّلت كل مرحلةٍ من تلك المراحل تغيُّراً في نمط الحياة، حيث ذكر بيتر بار، على سبيل المثال، أن الطابع شبه البدوي قد غلب على المجتمع النبطي خلال الفترة الواقعة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد وحتى عام 50 ق.م[212]، كما تحدَّث أفراهام نيجف عن المرحلة النبطية المبكرة، والتي تُغطِّي بحسبه الفترة الواقعة ما بين عام 300 ق.م إلى عام 30 ق.م واستنتج أن البداوة هي الصفة الغالبة على هذه المرحلة[213].

ويدعم الرأي القائل أن بدء الملكية في مملكة الأنباط كان في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أن لم يكن قبيل ذلك بقليل، بالإضافة إلى بردية ميلان، عدة دلائل أخرى كُشف عنها خلال العقد الماضي منها ذلك النقش النبطي الذي يعود إلى تلك الفترة والمُدوَّن على حجرٍ بازلتيٍ، ربما عُثر عليه في مدينة بصرى في سوريا الجنوبية، وهو موجود الآن في متحف الآثار في دمشق، ويبدو أن هذا النقش يعود للقرن الثالث قبل الميلاد، وذلك اعتماداً على أشكال أحرفه[214]، ويذكر النص

[210] Graf, D. F., (2006): The Nabateans in the Early Hellenistic Period: The Testimony of Posidippus of Pella. Topoi, 1/14, 58.
[211] Diodorus: The Library of History. 19:94-100.
[212] Parr, P., (1970): A Sequence of Pottery from Petra. In: Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century: Essays in Honor of Nelson Glueck, (Ed. Sanders, J. A.), Doubleday, Garden City, 348-81.
[213] Negev, A., (1986): Nabataean Archaeology Today, New York.
[214] Milik, J.T., (2003): Une bilingue araméo-grecque de 105/104 avant J.-C. In: J. Dentzer-Feydy, J.-M. Dentzer, P.-M. Blanc (ed), Hauran II, BAH 164, IFPO, Beyrouth, 275.

اسم "ملك الأنباط"، وربما يكون الملك الوارد اسمه هنا هو نفس الملك الوارد ذكره في بردية ميلان.

وهناك دلائل أخرى تؤكِّد وجود الملكية في المملكة النبطية خلال القرن الثاني قبل الميلاد منها النقش الذي عُثر عليه في منطقة خلصة في النقب والمؤرخ لعام 168 ق.م والذي يذكر اسم "الحارث ملك الأنباط"[215]، ومع أن هذا النقش غير مؤرَّخ، إلا أن أشكال أحرفه ترقى إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، كما جاء ذكر هذا الملك في الفصل الخامس من سفر المكابيين الثاني، الذي يرد فيه ذكر الحارث "طاغية العرب"[216]، كما كُشف عن مجموعة نقود في بئر السبع ضُربت على ما يبدو خلال هذه الفترة، وربما يكون بعضها قد تمَّ سكُّه قبل بدء حكم الحارث الثاني، حيث يبدو أن مجموعة النقود هذه تعود إلى الفترة ما بين 128/129–104 ق.م[217].

ويمكننا تقسيم تاريخ الأنباط إلى مرحلتين رئيستين في ضوء المادة التاريخية المتوفرة حالياً:–

1. مرحلة ما قبل المَلَكية، وتبدأ من تاريخ ظهور الأنباط على مسرح التاريخ السياسي والذي نجهله، وتمتد حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، إن لم يكن قُبيل ذلك بقليل، حيث غلب على هذه المرحلة الطابع البدوي غير المستقر.
2. مرحلة المَلَكية، وتبدأ من منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، إن لم يكن قُبيل ذلك بقليل، وتستمر إلى نهاية حكم الأنباط عام 106م، حيث شهدت بداية هذه المرحلة تطوراً مجتمعياً وسياسياً أدى إلى ظهور الملكية.

وتؤكِّد الأدلة الأثرية ذلك، إذ كشفت الحفريات الآثارية عن استقرارٍ بشريٍ في البتراء عاصمة الأنباط خلال الفترة الهلنستية المبكرة (القرن الثالث قبل الميلاد) وذلك بدلالة الكشف عن بقايا جدران يُمثِّل بعضها بقايا مباني سكنية، بالإضافة إلى عملات عربية جنوبية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد، وفخاريات مستوردة من بلاد اليونان تؤكِّد عمق الصلات التجارية بين سكان البتراء وحوض البحر الأبيض المتوسط خلال تلك الفترة، حيث عُثر على بقايا جرار نبيذ مستوردة من جزر رودس وكنيدوس في البتراء والنقب جنوبي فلسطين، وهي تؤرِّخ للفترة ما بين القرن الرابع والثاني قبل الميلاد، بالإضافة إلى قوارير عطور مستوردة تعود للفترة ما بين القرنين الثالث والثاني ق.م[218].

---

[215] Negev, A., (1977): The Nabateans and the Provincia Arabia. In: ANRW, 2, 8, Berlin, 520–686.

[216] سفر المكابيين الثاني 5: 8.

[217] Kushnir-Stein, A. and Gitler, H., (1992-93): Numismatic Evidence from Tel Beer-Sheva and the Beginning of Nabatean Coinage, INJ, 12, 13-20, pl.1-2.

[218] السلامين، زياد (2014): العلاقات الخارجية النبطية، دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية. الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 115-117.

ونستنتج مما ذكرنا أعلاه أن التغير الاجتماعي النبطي كان سريعاً، وكان ناتجاً عن عددٍ من العوامل الداخلية (التطور الاقتصادي، تطور نظام المُلكية، تطور النظام السياسي، التطور التقني، التغييرات الفكرية، وعوامل ديموغرافية) بالإضافة إلى مجموعة أخرى من العوامل الخارجية (مثل الاتصال الثقافي بالأمم الأخرى وما تبعه من تثاقف وعوامل عديدة مرتبطة بالازدهار التجاري).

أجاثارخيديس الكنيدي Agatharchides of Cnidus

وهو مؤرخ وجغرافي إغريقي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد تطرَّق في معرض حديثه عن العرب إلى الأنباط وعاصمتهم البتراء التي كان يجلب إليها الجرهائيون والمعينيون اللبان والبخور والنباتات العطرية من جنوب بلاد العرب[219]، وتحدَّث عن أرض الأنباط التي وصفها بأنها منطقة مأهولة بالسكان وغنية بالماشية، وذكر أن الأنباط كانوا يقطنون الجزر الواقعة بالقرب منهم (وكانوا يعيشون من قبل في سلامٍ، ثم أخذوا يغيرون بالقوارب على الناس المبحرين من مصر، ولكنهم لقوا جزاءهم بعدما هاجمهم أسطول بحري ودمر أراضيهم)[220]، ولا نعرف أية معلومات عن هذه المواجهات العسكرية وكيف تم تدمير أسطولهم هذا.

يوبيلموس (Eupelmus)

يوبيلموس مؤرخٌ يهوديٌ لا نعرف الكثير عنه، ولكنه عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد[221]، ولربما يكون هو نفس أوبولمس بن يوحنا بن أكوس، أحد المندوبين الذين قام بإرسالهما يهوذا المكابي إلى روما في حوالي عام 161 ق.م "ليعقدوا معهم عهد الموالاة والمناصرة"[222].

كتب يوبيلموس عملاً باليونانية عن ملوك يهودا وصلنا منه القليل، وقد ضاعت أعماله باستثناء بعضها الذي وصلنا عن طريق مؤرخين آخرين أمثال أبو التاريخ الكنسي يوسيبيوس القيصاري (260-339م) الذي يقتبس بعضاً مما كتبه في كتابه الإعداد للإنجيل (*Praeparatio Evangelica*)[223] ويبدو واضحاً أن يوبيلموس قد أخذ معلوماته من سفر صموئيل الثاني (8: 1-18)، وأضاف إليه أسماء شعوبٍ أُخرى غير مدرجة في هذا السفر، حيث يقول أن صموئيل قد أختار شاؤول ملكاً وتبعه ابنه داوود" الذي أخضع السوريين الذين يسكنون بجانب نهر الفرات،

---

[219] العبدالجبار، عبدالله (2017) (محرر): أجاثارخيديس الكنيدي والجزيرة العربية، ترجمة الحسين عبدالله، تعليق عبدالمعطي سمسم، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 41ز

[220] العبدالجبار، عبدالله (2017) (محرر): أجاثارخيديس الكنيدي والجزيرة العربية، 42.

[221] للمزيد عنه انظر Wacholder, B. Z., Eupolemus. A Study of Judaeo-Greek Literature. Cincinnati, (1974).

[222] سفر المكابيين الأول 8: 17؛ سفر المكابيين الثاني 4: 11.

[223] Eusebius of Caesarea, (1903): Praeparatio Evangelica (Preparation for the Gospel), Tr. E.H. Gifford, XXX.

وكوماجيني[224]، والآشوريين ، والفينيقيين، وشنَّ حملات على الآدوميين، والعمونيين، والمؤابيين، والأيطوريين[225]، والأنباط (ناباتايوس= Ναβαταίους) والنبدايوس Ναβδαίους" .

تُثير إشارة ايوبليموس هذه المُبالغ فيها العديد من التساؤلات منها:-

أولا: هل خضع الأنباط وغيرهم من الأقوام الذين ورد ذكرهم هنا فعلاً لحكم داوود (1050-970 ق.م) ؟ لقد أشار الكاتب إلى خضوع الأنباط لداوود وذلك في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وهذا كلامٌ غير دقيق، حيث يبدو أنه كان يتحدث عن قبائل عاصرها خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وخلط بينها وبين سكان بلاد الشام الذين كان معظمهم مقيماً في المنطقة خلال العصر الحديدي، ونجده يذكر لنا أحداثاً حدثت في القرن التاسع قبل الميلاد، ويذكر شعوباً معاصرة له في القرن الثاني قبل الميلاد كان لها دور في هذه الأحداث.

ثانيا: هل تزامن وجود الأنباط مع وجود ممالك العصر الحديدي في جنوبي بلاد الشام؟ وهل عاصروا الآشوريين الذين انتهت إمبراطوريتهم عام 612 ق.م والفينيقيين الذين انتهى وجودهم في بلاد الشام في حوالي عام 333 ق.م؟ لقد أقام الأنباط في أرض الآدوميين والمؤابيين وجزءٍ من أراضي العمونيين بعد أن تلاشت هذه الممالك، وبالتالي فإن إدراج جميع هذه الأقوام معاً خطأ يجب التعامل معه بحذر، كما أن الأدلة الأثرية التي كُشف عنها تؤكد أن بداية الاستيطان الآدومي يعود إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد وليس قبل ذلك[226].

ويؤكِّد مبالغة يوبيلموس إدراج الأيطوريين ضمن قائمة الشعوب التي أخضعها داوود، والذين انتقلوا إلى سهل البقاع اللبناني في القرن الثاني قبل الميلاد، وخضعوا لحكم الرومان في عام 63 ق.م، ولم يكن لهم وجود حقيقي آنذاك بل كان أول ظهور لهم خلال الفترة الهلنستية[227].

ثالثاً: من هم النبدايوس Ναβδαίους الذين اقترن ذكرهم بالأنباط؟ يرى بعض الباحثين أن يوبيلموس كان يقصد الزبديين ولكنه أخطأ في تهجئة الاسم، والزبديين قوم ورد ذكرهم في سفر المكابيين الأول[228] وكانوا يقيمون بين دمشق ونهر الخابور، كما خلط فريق من الباحثين بين هذا الاسم واسم مادبا[229]، ولكن الزعم الأخير غير مقبولٍ للاختلاف الكبير بين تهجئة الاسمين،

---

[224] مملكة قديمة عاصمتها ساموساتا كانت قائمة في جزء من جنوب غرب آسيا الصغرى، وقد حققت هذه المملكة ثراء جراء اشتغالها بالتجارة، وازدهرت المملكة مع بداية حكم بطوليمايوس في حوالي عام 163 ق.م. وبقيت قائمة حتى عام 72م عندما جعلها الإمبراطور الروماني فسباسيان جزءاً من الإمبراطورية الرومانية.

[225] تكرر ذلك الإيتوريين/ اليطوريين في المصادر الكلاسيكية وكانت مواطنهم ما بين اللجا في حوران والجليل، كما ارتحلوا إلى الشمال في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد حيث سكنوا الأقسام الجنوبية من لبنان وسهل البقاع ، علي، جواد، (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، 2/ 94-95.

[226] Bennett, C. M., (1966): Fouilles d'Umm el-Biyara, 372 – 403; Bennett, C. M., Tawilan (Jordanie), 386-390.

[227] Retsö, J., (2003): The Arabs in Antiquity, 407-408.

[228] سفر المكابيين الأول 12: 31

[229] Bartlett, John R., (1985): Jews in the Hellenistic world: Josephus, Aristeas, the Sibylline oracles, Eupolemus, New York: Cambridge University Press, 63.

ويبدو على أية حال أن الكاتب لم يكن مُلِمّاً بشكلٍ جيدٍ بالقبائل العربية التي كانت تسكن المنطقة، فلربما أخطأ في تهجئة الاسم، ولربما قصد بهم مجموعة نجهلها.

رابعاً: هل كان يوبيلموس يقصد بالأنباط أولئك القوم الذين أطلقت عليهم الحوليات الآشورية اسم Na–ba–a–te, Na–ba–a–a–ti, Na–ba–a–ati–a–a ؟ والذين يتكرر ورودهم في تلك الحوليات التي تعود لفترة حكم تغلات فلاصر الثالث، وأسرحدون وآشوربانيبال[230]، والذين ربطهم بعض الباحثين بالأنباط، والسؤال الذي نطرحه هنا: إذا لم تكن قبائل النبآتي الوارد ذكرها في المصادر الآشوريّة هي نفسها القبائل النبطيّة فما هو مصير تلك القبائل التي ورد ذكرها مراراً في تلك النصوص مع قبائل أخرى كانت مجاورة لها، فإذا لم تكن هي نفسها قبائل الأنباط فكيف كانت نهايتها وأين اختفت فجأة ؟

أولوس هيريتوس Aulus Hirtius

وهو رجلٌ عسكريٌ رومانيٌ كان صديقاً ليوليوس قيصر (100–44 ق.م) وخدم بمعيته في بلاد الغال[231]، وأصبح قنصلاً، وعندما تم اغتيال قيصر عادى أنطونيوس وقُتل بعدها، ويبدو أنه مؤلف الكتاب الثامن عن حروب قيصر في بلاد الغال، كما يبدو أنه مؤلف كتاب حرب الإسكندرية *Bellum Alexandrinum*، وقد عاش خلال الفترة ما بين (90–43 ق.م)[232]، وربما يكون يوليوس قيصر نفسه هو مؤلف هذا الكتاب.

وفي معرض حديث هيريتوس عن اندلاع حرب الإسكندرية نجده يُعرّج على دور الأنباط فيها، حيث يذكر أن قيصراً قد استدعى كل أسطوله من رودس وسوريا وكيليكيا، كما نشر ووزع الرماة من كريت بالإضافة إلى "مشاة مالك ملك الأنباط"[233].

ويشير هيريتوس هنا إلى مساعدة ملك الأنباط مالك الأول (59–30 ق.م) ليوليوس قيصر الذي تمكَّن من هزيمة بومبي عام 48 ق.م في معركة فارسالوس، وقد دعم الأنباط قيصراً بتنسيق من أنتيباتر الآدومي[234] (ت. 43 ق.م)، كما تحدث عن هذه الأحداث فلافيوس جوسيفوس في كتابيه[235].

---

[230] Eph'al, I., (1982): The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th- 5th Centuries BC. Magness Press, The Hebrew University of Jerusalem; Pritchard, J., (1969): Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

[231] هي البلاد التي تشمل حالياً بلجيكا وفرنسا وجزء من ألمانيا.

[232] Batstone, W.W. and Damon, C., (2006): Caesar's Civil War (Oxford Approaches to Classical Literature). Oxford, Oxford University Press.

[233] Hirtius, Aulus?, (1869): Commentary on the Alexandrian War. translated from Latin to English, by W. A. McDevitte and W. S. Bohn (New York: Harper & Brothers, 1.1.

[234] هو انتيباتر بن انتيباس الإيدومي مؤسس السلالة الهيرودية، ووالد هيرود الكبير، وقد توفى عام 43 ق.م.

[235] Josephus, F.: Jewish Antiquities. XIV.8.5; Josephus, F., The Jewish War I.10.3.

سترابو (Strabo)

ومن المصادر الكلاسيكيّة المهمة كذلك كتاب جغرافيّة سترابو[236] (64-21 ق.م)، الذي يقع في سبعة عشر كتاباً، وقد وصف لنا في هذا الكتاب أقاليم العالم القديم، وتحدَّث في الفصل السّادس عشر من هذا الكتاب عن بعض المظاهر الاجتماعيّة النبطيّة، كما عرَّج على العلاقة النبطيّة الرّومانيّة خلال فترة حكم عبادة الثالث والإمبراطور أغسطس مع نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وناقش حملة إيليوس جالوس على بلاد العرب وتطرّق لأسبابها ودوافعها ومجرياتها حيث عزا سبب فشل الحملة إلى الأنباط، خاصة إلى الوزير سُلي وليس إلى صديقه إيليوس جالوس. ومما يجدر ذكره أن سترابو لم يدُوِّن ملاحظات عن الأنباط شاهدها هو بنفسه، وإنما دَوَّن ملاحظات استقاها من أصدقاء له زاروا بلاد الأنباط، لذلك نلاحظ أنه جانب الصواب في عدد من التّفاصيل والمعلومات التي ذكرها عنهم[237]، وربما صحَّ الحديث الذي نقله عن صديق احد هو أثينودوروس الذي أقام في البتراء زمناً، لكن شهادته مجروحة لأنه كان كفيفاً.

تحدَّث سترابو عن الأوضاع عند الأنباط في فترة القرن الأول، وهنا نجد أن كتاباته تختلف عن كتابات ديودوروس، وسبب الاختلاف بين ما أورده ديودوروس وسترابو هو اختلاف الفترة الزمنية التي تحدث عنها كل منهم، كما زوَّدنا بمعلوماتٍ جديدةٍ أثبتت الحفريات الآثارية عدم صحة بعضها، فهو لم يورد ملاحظات شاهدها، وإنما يرويها لنا نقلاً عن أصدقائه، الذين يبدو أنّهم زاروا بعض المواقع النبطيّة،.

وصف سترابو الأنباط بأنّهم لم يكونوا محاربين جيدين، بل كانوا بارعين في الزراعة والتّجارة، وذكر أن مدنهم غير مسورة، هذا كلام غير صحيح إذ بيَّنت الحفريات والمسوحات الآثارية أن بعض مدنهم كالبتراء ومدائن صالح كانت مسوَّرة، ويضيف قائلاً أن الأعمال الزخرفية لم تكن من إنتاجهم بل كانت مستوردة، وتحدَّث عن عادات الدفن عند الأنباط؛ فيذكر أنّ الأنباط كانوا يُلقون موتاهم بالقمامة، وهذا كلام غير صحيح كما سنرى عند الحديث عن عادات الدفن في البتراء، كما كانوا يربون الخيل والجمال، وكانوا يعيشون حياة رفاه، خاصة ملكهم الذي كان يلبس الثياب الأرجوانيّة[238].

ومن الأمور الأخرى التي ذكرها سترابو:

---

[236] سترابو: جغرافي ومؤرخ يوناني عاش في الفترة ما بين 63 ق.م-21م، له كتاب مشهور هو "الجغرافيا" ويتكون من 17 جزء، تلقَّى تعليمه في بلاد اليونان، ثم في روما حيث تتلمذ على يد تيرانيون معلم شيشرون.

[237] Strabo, The Geography of Strabo, Translated by, Jones, H. William Heinemann Ltd, London, 16, 2.3.4; 2.4.12.

[238] Strabo: The Geography of Strabo, 16.4.

1. يذكر أن البتراء هي عاصمة الأنباط، وهي تقع في مكانٍ مُحصَّنٍ وتحيط بها الجبال الشاهقة الارتفاع، وهي من الداخل مليئة بالينابيع الصالحة للأغراض المنزلية ولري الحدائق[239].
2. يذكر نقلاً عن أحد أصدقائه أنه رأى الكثير من الرومانيين والغرباء يسكنون البتراء، وقد لاحظ أن هؤلاء الغرباء كانوا منهمكين في مقاضاة بعضهم بعضاً، ومقاضاة السكان المحليين، وكان السكان المحليون يعيشون في وفاقٍ واتفاقٍ ولا يتشاجرون[240].
3. يذكر أن البضائع كانت تنقل من ميناء ليوكه كومي إلى البتراء ومنها إلى العريش ومنها إلى باقي الأمم[241].
4. يذكر أن الأنباط شعبٌ حساسٌ، وأنهم مغرمون بجمع الثروة حيث كانت تُفرض غرامات مجتمعية على من ينقص ماله، ويكرمون من يزيده، وكان لديهم القليل من العبيد حيث يخدمون أنفسهم بأنفسهم بما فيهم ملوكهم، وانهم كانوا يتناولون طعاماً في مجموعات تتألف الواحدة منها من ثلاثة عشر شخصاً يرافقها موسيقيان، وكان الملك يقيم مآدب في المباني الضخمة، ولا يشرب أحدهم في هذه المآدب أكثر من أحدى عشر كأساً تختلف الواحدة عن الأخرى وكلها من الذهب[242].
5. يذكر أن الملك كان قريباً جداً من الشعب، وكان يخدم نفسه بنفسه، وفي كثير من الأحيان يقدم تقريراً عن سير حكمه أمام الملأ ويقومون أحياناً بإجراء تحقيق في نمط معيشته، ويذكر أن منازلهم كانت فارهة وفاخرة ومبنية من الحجر، كما أن قسماً كبيراً من بلادهم خصب وينتج كل شيء باستثناء زيت الزيتون ويستعيضون عنه بالسمسم[243] (وهذه خطأ سنناقشه عند الحديث عن صناعات البتراء).

بوبليوس أوفيدوس (أوفيد) Publius Ovidius Naso

وهو شاعرٌ رومانيٌ ولد عام 43 ق.م، وتوفي عام 17م، ومن أهم أعماله كتاب التحولات أو التناسخات Metamorphoses والواقع في خمسة عشر جزءاً، ويذكر أوفيد في أحد أشعاره أن أحد الآلهة وأسمه إيوروس قد شقّ طريقه إلى عددٍ من البلدان ومن بينها بلاد الأنباط (Nabataeque)[244].

---

[239] Strabo: The Geography of Strabo. 16. 4.21.
[240] Strabo: The Geography of Strabo. 16. 4.21.
[241] Strabo: The Geography of Strabo. 16. 4.24-25.
[242] Strabo: The Geography of Strabo. 16. 4.26.
[243] Strabo: The Geography of Strabo. 16. 4.24-26.
[244] العبدالجبار، عبدالله (2017): مقتطفات النصوص الشعرية اللاتينية الثانوية عن الجزيرة العربية، ترجمة السيد جابر، تعليق حمد بن صراي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، 41، 121.

لوكيوس أنايوس سينيكا الأصغر Lucius Annaeus Seneca

وهو شاعر وأديب روماني ولد في حوالي عام 4 ق.م وتوفى عام 65م، حيث يُشير في عمله الموسوم "موضوعات طبيعية" إلى رياح بلاد الأنباط، ويذكر أن هناك رياحاً مرتبطة برياح اسمها يوروس وأورورام اللتين تتجهان صوب بلاد الأنباط (Nabataeque) وبلاد فارس[245]، وقد أشار أيضا لرياح بلاد الأنباط الشاعر الروماني ماركوس لوكانوس (Lucanus) حيث أشار إلى قدوم بومبي إلى بلاد العرب وانه "ساق أمامه السحب التي تهب على بلاد الأنباط بلطف"[246].

فلوروس Lucius Florus

وهو لوسيوس انايوس فلوروس Lucius Annaeus Florus، ويعرف أيضاً باسم يوليوس فلوروس Julius Florus وببليوس انايوس فلوروس Publius Annius Florus، وهو مؤرِّخٌ وشاعرٌ رومانيٌ أفريقي الأصل (74–130م)، ومن أبرز أعماله كتابٌ موجزٌ عن التاريخ الروماني[247]، ويذكر فلوروس في هذا الكتاب أن القائد الروماني بومبي قد توجه أثناء غزوه للشرق جنوباً، ومرَّ عبر لبنان وسوريا حيث مرَّ بدمشق "وكانت الأعلام الرومانية تمر عبر البساتين المعطرة الشهيرة وأخشاب اللبان والبلسم وقد وجد العرب مستعدين لتنفيذ أية أوامر يطلبها منهم"[248].

تُشير هذه الرواية إلى قدوم بومبي إلى بلاد الشام وتوجهه إلى بلاد الأنباط في حوالي عام 63 ق.م، وقد وصلتنا عدة روايات متناقضة بشأن ما حدث لبلاد الأنباط نتيجة هذا الغزو الذي أشار إليه أبيانوس الإسكندري (95–165م) وفلافيوس جوسيفوس (37–100م) وبلوتارخ (46–120م)، واوروسيوس (ت. 418م) على النحو التالي:

1. أشار المؤرِّخ أبيانوس إلى قيام بومبي بشنِّ حربٍ على "العرب الأنباط الذين كان ملكهم الحارث" الذي يبدو أنه الحارث الثالث (84–62 ق.م)، ثم يذكر أن بومبي قد تمكَّن من جعل المناطق التالية تحت حكم الرومان دون قتال: "بقية سوريا الواقعة على طول الفرات، والبلد المسماة جوف سوريا[249]، فينيقيا، فلسطين، ايدومايا[250] وبلاد الإيطوريين والمناطق الأخرى من سوريا أياً كان اسمها"[251]، وتوحي إشارة أبيان هذه إلى أن جميع

[245] العبدالجبار، عبدالله (2017): مقتطفات النصوص الشعرية اللاتينية الثانوية عن الجزيرة العربية، 71، 131.
[246] العبدالجبار، عبدالله (2017): مقتطفات النصوص الشعرية اللاتينية الثانوية عن الجزيرة العربية، 93، 139.
[247] Bunson, Matthew, (2002): Encyclopedia of the Roman Empire, Facts on File, 215.
[248] Florus, (1929): The Epitome of Roman History, Loeb Classical Library, 1,40,29–30.
[249] اختلف العلماء في معنى مصطلح جوف سوريا (Coele Syria) فيرى بعضهم أن المقصود بالمصطلح بلاد الشام، وهناك من يرى أن المصطلح قد استخدم للدلالة على سوريا الممتدة من حوض العاصي إلى شمال فلسطين.
[250] الأجزاء الشمالية من صحراء النقب في فلسطين.
[251] Appian, (1913): Roman history, Cambridge, Mass, Harvard University Press, 12:106, 107.

بلاد الشام قد خضعت لحكم الرومان، وهذا كلامٌ غير صحيح، لأن مملكة الأنباط بقيت مستقلة السيادة ومترامية الأطراف وممتدة شمالاً حتى حدود حوران الشمالية، واستمرت تحت حكم ملوك الأنباط حتى عام 106م.

2. يتحدث جوسيفوس في كتابه آثار اليهود عن هذه الأحداث، ويقول أن سكاوروس قد أرسل "حملة للبتراء في بلاد العرب، وأشعل النيران في كل المناطق المحيطة بها بسبب الصعوبة الكبيرة في الدخول إليها، ولمعاناة جيشه من المجاعة، فقد زوّده أنتيباتر[252] بذرة وأشياء أخرى كان يحتاجها من يهودا، وذلك بناءً على طلب هيركانوس[253]، وعُندما أُرسل كسفيرٍ للحارث من قبل سكاوروس[254]، لأنه عاش معه سابقاً، أقنع الحارث أن يُعطي سكاوروس مبلغاً من المال لتجنب حرق بلاده، وتعهَّد أن تكون قيمة الكفالة ثلاث مئة وزنة وانسحب سكاوروس بناءً على هذه الشروط، برغبته ورغبة الحارث نفسه"[255].

وخلال فترة حكم الملك مالك الأول على ما يبدو، رغم عدم ذكر اسمه صراحة عند جوسيفوس، حدثت توترات سياسيّة في المنطقة، فبعد عامٍ من استلامه الحكم عاد القائد الرّومانيّ سكاوروس إلى روما تاركاً الأمور خلفه في سوريا بيد قائده جابينوس[256]، الذي قام بشنِّ حملة على بلاد العرب الأنباط عام 55 ق.م واستطاع، كما قال جوسيفوس، أن يهزمهم[257].

نستنتج من إشارة جوسيفوس الأولى، إذا كانت صحيحة، أن الرومان كانوا عاجزين عن دخول عاصمة الأنباط بالقوة، أو إخضاع مملكتهم عنوة، مما دفعهم إلى محاولة الحصول على بعض المال مقابل عدم التعرض للأنباط، أما حملة جابينوس التالية فلا نعرف تفاصيل عنها.

3. يرد ذكر حملة بومبي العسكرية على بلاد الأنباط عند المؤرِّخ الروماني بلوتارخ لذي يذكر أنه كانت لدى بومبي رغبةٌ جامحةٌ بأن يسير عبر بلاد العرب إلى البحر الأحمر لكي تشمل سيطرته على العالم المنطقة الممتدة من المحيط إلى المحيط[258]، ثم يضيف قائلاً "إن ملك العرب المقيمين في منطقة البتراء لم يكن يُلقي بالاً لنفوذ الرومان، ولكن عندئذ انتابه قلق شديد، وكتب كتاباً مفاده أنه قرَّر أن يُعلن خضوعه لهم (أي للرومان**!**) وأن ينفذ جميع الأوامر، فسار بومبي استجابة لرغبة الملك باتجاه البتراء في حملة كانت

---

[252] هو انتيباتر الأدمي الذي تحدثنا عنه سابقاً.
[253] هو يوحنا هيركانوس الثاني، أحد القادة الحشمونيين، ولا نعرف تاريخ ولادته، ولكنه توفي عام 30 ق.م.
[254] هو ماركوس ايميليوس سكاوروس Marcus Aemilius Scaurus، وهو الذي قاد حرب الرومان ضد الأنباط بعد عودة بومبي إلى روما.
[255] Josephus, Antiquities, XIV.5.
[256] هو اولوس جابينوس Aulus Gabinus أحد قادة بومبي، ولا نعرف تاريخ ولادته الدقيق، وقد توفي في حوالي عام 47 ق.م.
[257] Josephus, Antiquities, XIV. 6.
[258] Plutarch, (1917): The Parallel Lives: The Life of Pompey, Loeb Classical Library, 38: 2.

موضع انتقادٍ شديدٍ من قبل معظم أتباعه" لأنهم كانوا يرغبون بأن يُركِّز بومبي على جبهات القتال الأخرى"، وعندما أصبح بومبي على بعد مسافة قصيرة من البتراء أقام معسكره هناك، وكان مُمتطياً صهوة جواده بالقرب من المدينة، وحينها وصل إليه بعض السفراء من بونطوس يحملون أخباراً طيبة مفادها أن عدوهم ميثريداتيس قد توفي، واحتفل الجيش حينها وقدموا الأضاحي، ويكمل بلوتارخ قائلاً: "وبعد أن أنهى بومبي إنجازاته بهذه النهاية غير المتوقعة والسهلة، انسحب على الفور من بلاد العرب"[259]، وكان هناك موكبٌ خلَّد هذه الانتصارات في روما ،كما يقول بلوتارخ، حيث عُرضت في هذا الموكب أسماء الشعوب التي انتصر عليها ومن بينها "فلسطين، ويهودا، وبلاد العرب"[260].

وهذه الرواية مبالغٌ فيها لأسبابٍ منها:-

أ) كيف يُقرِّر ملك الأنباط أن يُعلن خضوعه للرومان وأن ينفذ جميع أوامرهم؟ وكيف يُطلب ذلك من بومبي الذي يستجيب حسب بلوتارخ بسرعة إلى هذا الطلب؟

ب) كيف يُعلن بومبي انتصاره على العرب في روما في الوقت الذي انسحب من بلاد الأنباط دون تحقيق أي إنجازٍ يُذكر على أرض الواقع ودون أن يدخل عاصمتهم؟.

ت) توحي هذه العبارة أن مملكة الأنباط لم تكن أولوية في فتوحات الرومان آنذاك، حيث يذكر بلوتارخ أن أتباع بومبي لم يكونوا متحمسين لغزو الأنباط آنذاك، وكانوا يرغبون بأن يتم إيلاء مناطق أخرى من العالم أولوية، وأن يتفرغَّ لجبهات القتال الأخرى الأكثر أهمية بالنسبة لهم.

4. يتحدث باولوس أوروسيوس Paulus Orosius، وهو مؤرخٌ ورجل دين مسيحي الأصل (ولد حوالي 375م وتوفي حوالي 418م)[261]، أنه وبعد ستمائة وتسعة وثمانين عاماً من تأسيس روما قام بومبي بغزو جوف سوريا Syria Coele وفينيقيا، واخضع الإيطوريين وبعدهم العرب واستولى على مدينتهم التي يسمونها البتراء[262].

نستنتج من خلال تحليل الروايات السابقة أن الكثير منها غير مقنعٍ لأسبابٍ عديدةٍ منها أنها مختلفة ومتناقضة لأنها قدَّمت معلومات متضاربة، كما أنها تعكس نهج المؤرخين الرومان الذين دأبوا على تضخيم إنجازات أباطرتهم وقادتهم ولم يكن الكثير منهم موضوعيين في سرد الحقائق المتعلقة بعلاقاتهم ومواجهاتهم العسكرية مع أعدائهم، كما يتضح من خلال مقارنة هذه الروايات أن غزو الرومان للبتراء آنذاك لم يمس سيادة الأنباط واستقلالهم، إذ لم ترد في هذه المصادر أية

---

[259] Plutarch, (1917): The Parallel Lives, 41: 1-4; 42: 1.
[260] Plutarch, (1917): The Parallel Lives 45: 1-2.
[261] ألف كتاباً عن التاريخ الوثني أسماه Historiae adversus Paganos تكلم فيه عن التاريخ القديم بدءاً من آدم وحتى عام 417م.
[262] Orosius, (2010): Seven Books of History against the Pagans, Translated with commentary by Andrew Fear, Translated Texts for Historians, 6.6.

إشارة تؤكِّد دخولهم مدينة البتراء، وبقيت مملكتهم مستقلة حتى سقوطها بيد الرومان فعلياً في بداية القرن الثاني الميلادي.

كتاب الطّواف حول البحر الإرتيري

ومن المصادر الأخرى، التي تلقي الضوء على حضارة الأنباط: كتاب The Periplus Maris Erythraei" الطّواف حول البحر الإرتيري" المجهول المؤلف، والذي يُعتقد أنّه قد دُوِّن في حوالي القرن الأول للميلاد، ويعطينا هذا المصدر معلومات عن تجارة الجزيرة العربيّة مع الهند، ويذكر لنا أسماء بعض المراكز التّجاريّة والموانئ المهمة في هذه المنطقة مثل: مخا وقنا وعمانا، ويُشير إلى انخراط الأنباط بالتّجارة، وأخذ ضريبة على قيمة السّلع المستوردة، بنسبة ربع قيمة السّلع المارّة بأراضيهم، حيث كانت هذه الضريبة تُجبى في ميناء ليوكه كومي النّبطيّ، الواقع على ساحل البحر الأحمر[263].

بليني (Pliny)

تحدَّث المؤرِّخ الرّومانيّ بليني الكبير[264] المتوفى عام 77م بإسهابٍ عن منطقة الجزيرة العربيّة وخيراتها وسكانها، وأهم السّلع التي كانت تُنتجها وتُتاجر بها، ولكنه لم يزودنا بمعلومات مفصَّلة عن البتراء والأنباط، ومعلوماته عنهم مختصرة جداً ، ويقول في كتابه التّاريخ الطبيعيّ بعد أن يتحدث عن العرب ساكني الخيام[265]:- (وبجوار هؤلاء يقيم الأنباط الذين تحمل مدينتهم اسم البتراء، وهي تقع في وادٍ عميقٍ عرضه أقل من ميلين[266]، والمدينة محاطة بالجبال الشاهقة الارتفاع التي لا يمكن صعودها، ويجري بينها أحد الأنهار، وهي تبعد عن غزة الواقعة على ساحلنا-أي الساحل الروماني- مسافة ستمائة ميل، وتبعد عن الخليج الفارسي مائة وخمسة وثلاثين ميلاً[267]، ويتقاطع في البتراء طريقان، يتجه أحدهما من سوريا إلى تدمر، والآخر قادم من غزة)، وبعدها يتحدث عن كراكس (ميسان) التي كانت من أبرز المحطات التّجاريّة على

---

263 Casson, L. (1989): The Periplus Maris Erythraei: Texts with introduction, Translations, and Commentary. Princeton University Press, Princeton.

264 بليني الكبير: مؤرخ روماني ولد في كوما (23-79م)، كان قائداً عسكرياً توفي عقب بركان فيزوف، وترك لنا مؤلفاً عُرف باسم التاريخ الطبيعي ويقع في سبعة وثلاثين كتاب.

265 يبدو من خلال ترتيب بليني لجميع الأسماء التي يوردها هنا أن منطقة سكان الخيام التي يقصدها بليني هنا هي في مكان ما بالقرب من الصحراء التدمرية.، ويرى جواد علي أن سكان الخيام هم الذين كانوا ينزلون البوادي وهم من الأعراب الشماليين. علي، جواد (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 3/ 38. وقد ورد ذكر العرب سكان الخيام Arabian Scenitae عند الجغرافي سترابو الذي يصفهم كمجموعة من الرعاة وقطاع الطرق الذين يسكنون الأجزاء الجنوبية من بلاد الرافدين يتنقلون من مكان إلى آخر بحثا عن المراعي (Strabo 16.1.26).

266 يشير هنا إلى الوادي الموجود على طول الشارع المعمد الذي يخترق مدينة البتراء من شرقها إلى غربها ولكنه في واقع الحال وادي غير عميق.

267 المسافات الذي يذكرها بليني هنا خاطئة، وقد سبق أن أخطأ في تحديد مسافات بين العديد من المواقع الجغرافية، فالبتراء قريبة جدا من غزة مقارنة بالخليج العربي، ولكنه جعل المسافة بين البتراء وغزة أطول من المسافة بين البتراء والخليج العربي.

رأس الخليج العربي، ويُشير كذلك إلى مدينة فُرات (Forat)[268] حيث يقول أنها (تابعة لملك كراكس، ويتوقف في هذا المكان المسافرون القادمون من البتراء، ومنها يبحرون بعد ذلك إلى كراكس)[269].

بلوتارخ (Plurarch)

يُشير المؤرِّخ الرومانيّ بلوتارخ[270] إلى حدثين سياسيين مهمين حدثا داخل المملكة النبطيّة، أولهما: تلك الحملة التي شُنّت ضدّ بلاد الأنباط من قبل ديمتريوس السّلوقي ابن أنتيغونوس، والتي أشار إليها مسبقاً المؤرِّخ ديودوروس، ويذكر بلوتارخ أن ديمتريوس قد واجه خطراً عظيماً، إذ مَرَّ بجنوده من منطقة لا ماء بها، ولكنه نجح في أخذ حوالي سبعمائة جمل من الأنباط[271]، وثانيهما مرتبط بعلاقة ماركوس أنطونيوس [272] بكليوبترا[273]، إذ يذكر بلوتارخ أن ماركوس أنطونيوس قد مَنَحَ كليوباترا مزارع بالقرب من البحر الميت، وأراضٍ من المملكة النبطيّة، وقامت بتأجيرها إلى هيرود.

فلافيوس جوسيفوس (Flavious Josephus)

يُعتبر جوسيفوس (37–100م) ، واسمه يوسف بن ماتيتياهو، من أبرز مؤرخي اليهود[274]، وقد ترك لنا كتابين مهمين عرَّج فيهما على الأنباط وعلاقاتهم بروما واليهود:– الأول هو "آثار اليهود" وعنوانه باليونانية Ἰουδαϊκὴ ἀρχαιολογία، وقد تحدَّث فيه عن اليهود وعقائدهم وتاريخهم منذ بدء الخليقة وحتى عام 66م، أما الكتاب الثاني فهو "كتاب فلافيوس جوسيفوس حول تاريخ حرب يهودا ضد الرومان"، ويُعرف بين الباحثين باسم "حرب اليهود" وعنوانه الكامل باليونانية: Φλαυίου Ἰωσήπου ἱστορία Ἰουδαϊκοῦ πολέμου πρὸς Ῥωμαίους βιβλία، وناقش فيه تاريخ اليهود منذ استيلاء أنطيوخوس إبيفانيوس على القدس عام 170 ق.م وحتى سقوطها في أيدي الرومان عام 70م، وقد تطرّق جوسيفوس في هذين الكتابين لعلاقات اليهود

---

[268] تقع فرات على بعد (12) ميلا من كراكس، وقد وردت الإشارة إليها بلفظ برات (فرات) دي ميسان في المصادر السريانية، وتسمى في المصادر العربية فرات أو فرات البصرة، وتقع الآن في مكان يدعى مغلوب الى الجنوب الشرقي من جبل خيابر. بن صراي، حمد (د.ت): تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج العربي للكتب، 85.

[269] Pliny: Natural History. Translated by Rackam, H. William Heinemann Ltd., London VI.XXXII.143-44.

[270] بلوتارخ (46-120م) مؤرخ روماني من أصل يوناني له عدة مؤلفات.

[271] Plutarch (1917): Plutarch's Lives. Revised by Clough, Volume 3. J.M. Dent and Sons Ltd., London and Toronto, 231.

[272] مارك انطونيوس: كان قائداً رومانياً مشهوراً ولد عام 83 ق.م، ارتبط ذكره بعلاقته الغرامية مع كليوباترا السّابعة.

[273] كليوباترا السّابعة: آخر وأشهر ملكات البطالمة، وهي ابنة بطليموس الثاني عشر، عاشت ما بين 69-30 ق.م، وأصبحت ملكة عام 51 ق.م، وكانت تتميز بقوة الشخصية والحنكة السّياسيّة، كما كانت على علاقة مع يوليوس قيصر ثم أحبت مارك انطونيوس.

[274] للمزيد من المعلومات حول حياته وأعماله انظر Feldman, L. H. (1991): Josephus, in: The Anchor Bible Dictionary, volume III, Garden City, NY: Doubleday, Edited by David Noel Freedman, 981-98.

الخارجية، وزوَّدنا ببعض المعلومات عن تاريخ الأنباط السّياسي وعن علاقتهم باليهود والتي سنتناولها بشكلٍ مفصلٍ عند حديثنا عن تاريخ الأنباط السياسي في الجزء اللاحق من هذا الكتاب.

تُعتبر مؤلفات فلافيوس جوسيفوس المصدر الأساسي لدراسة تاريخ الأنباط السياسي، ونلاحظ في مؤلفاته مبالغته في ذكر الحقائق أحياناً وتحيزه لليهود، كما كان موالياً لروما، وحاول في كتاباته، وعند مناقشته لأحداث كثيرة تتصل بعلاقات اليهود والأنباط تحسين صورة اليهود، حيث حاول – على سبيل المثال– تضخيم العون اليهودي ليوليوس قيصر في حرب الإسكندرية مُدَّعياً أنه لولا اليهود لقُضي على قيصر، وفي الوقت نفسه أغفل الدور الذي لعبته كتيبة الفرسان التي بعث بها مالك الأول (59–30 ق.م) لمساعدة قيصر بناءاً على التماس القائد الروماني، كما بذل جهداً كبيراً في تغييب الحقائق في حرب عام 32 ق.م، والتي حدثت بين مالك وهيرود لتحسين صورة هيرود، وحاول التقليل من قيمة الانتصار الذي حققه الأنباط الذين وصفهم بالغزاة رغم أن المعركة قد حدثت داخل الأراضي النبطية[275]، وفي ضوء ذلك نجد أن الاعتماد على هذه المصادر يجب أن يكون بحذر لأنها كُتبت من قبل شخص لم يكن أميناً في كتابة الكثير من المعلومات المتعلقة بالأنباط وعلاقتهم باليهود.

بيدانيوس ديوسقريديس Pedanius Dioscorides

ومن المصادر الكلاسيكية التي يرد فيها ذكر الأنباط والبتراء كتاب الطبيب اليوناني بيدانيوس ديوسقريديس Πεδάνιος Διοσκουρίδης والمولود في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وقد ألَّف كتاباً عنوانه Materia Medica وعُرف بين الباحثين المسلمين الذين ترجموا أجزاء منه من اليونانية إلى العربية بعدة أسماء منها " كتاب الحشائش" و"كتاب الخمس مقالات" و"كتاب الأدوية المفردة"، والذي ترجم ابن البيطار (ت. 646 هـ/ 1248م) جزءاً كبيراً منه، وقد تطرَّق ديوسقريديس في كتابه هذا إلى بعض النباتات والأشجار التي تشتهر بها بلاد العرب الأنباط والبتراء، حيث جاءت هذه الإشارات في الفصلين الأول والرابع من هذا العمل وعلى النحو التالي:–

1. يتحدث في كتابه الأول عن نبات اسماه سخوينوس σχοίνος ، حيث يقول أن ينمو في ليبيا وبلاد العرب وفي "ذلك الجزء من بلاد العرب المعروف بالنبطية، وهذا أفضلهم"[276]، وقد ذكر ابن البيطار أن نبات سخوينوس هذا هو الأذخر، وهو "تبن مكة بلغة

---

[275] عقاب، فتحية حسين (2014): العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، سلسلة دراسات أثرية محكمة رقم 17، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 157، 197.

[276] Dioscorides, (2005): De Materia Medica, translated by Lily Y. Beck, (Publisher Hildesheim: Olms-Weidmann), 1,17,1.

المغرب"[277] ويُسمَّى اليوم "الحلفاء"، وهو ينتمي للفصيلة النجيلية وتدخل منتجاته في العديد من الصناعات الطبية والتجميلية، ويقول عنه ابن البيطار أنه مثل الأسل، وله ثمرة تطحن فتدخل في الطيب، وهو ينبت في السهول وإذا جف ابيضَّ "وهو دواء يدر البول ويحدر الطمث إذا استعمل على جهة التكميد، وإذا شرب وإذا تمضمض به وهو نافع أيضاً للأورام الحادثة في الكبد والمعدة وفم المعدة" وهو نافع "لأوجاع المعدة والرئة والكبد والكلى"[278].

2. يذكر عند حديثه عن نبات البلسان (Ὀποβαλσάμου) في كتابه الأول نبات آخر مشابه يتم الحصول عليه من البتراء واسمه اوبيريكون ὑπερικόν[279]، وقد عرَّبه ابن البيطار على نحو أوفاريقون/ الهيوفاريقون وذكر أن له إسماً آخر هو الذاذي الرومي[280]، وأوراقه بيضاوية ولون أزهاره صفراء اللون، وله سيقان رفيعة، ويقول عنه ابن البيطار أن هناك من سمَّاه "أنروسا ومنهم من سماه قوريون ومنهم من يسميه حامانيطس لمشاكلة رائحة بزره لرائحة الراتينج الذي هو صمغ الصنوبر ونيطس هو الصنوبر"، وذكر أن له استخدامات علاجية فهو يدر الطمث والبول ولتضميد حروق النار والقروح ويذهب الحمى[281].
3. يتحدَّث في كتابه الأول أيضاً عن شجرة البطم (τέρμινθος) حيث يقول أنها معروفة بأوراقها وثمارها ويقول أن ثمارها صالحة للأكل ولكنها قد تضر المعدة، وهي مدرة للبول وتستخدم في حالة إرتفاع درجات الحرارة، كما أنها فعَّالة للأمراض التناسلية، ويذكر[282] أن راتنج هذه المادة يُجلب من العربية البترائية[283].
4. يتحدث في كتابه الرابع عن ثمر شجر اسماه βάλανος μυρεψική وهو شجر البان، ويقول أنه يشبه البندق حيث يُنتج عند عصره مواد تستخدم كمراهم ثمينة بدلاً من الزيت، ويذكر أن هذا الشجر ينمو في اثيوبيا، مصر، بلاد العرب والبتراء.

---

[277] ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (1989): في الأدوية المفردة: كتاب دياسقوريدوس، تحقيق إبراهيم مراد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 115-116.

[278] ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (2001): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1/ 15-16.

[279] Dioscorides, De Materia Medica, 1,19,3.

[280] ابن البيطار (1989): في الأدوية المفردة، 265-266.

[281] ابن البيطار (2001): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 4/ 200-201.

[282] وتسمى أيضاً العربية البترائية والعربية الصخرية Arabia Petraea، وقد كانت بحسب الجغرافي بطليموس تمتدُّ من جنوبي دمشق حتى شرق الدلتا المصرية، حيث يبدو أنها كانت تشمل مساحة كبيرة من بلاد الأنباط MacAdam, H., (1989) Strabo, Pliny the Elder and Ptolemy of Alexandria: Three Views of Ancient Arabia and its Peoples. In: L'Arabie Preislamique et son environnement historique et culturel, (Ed: Fahad, T.) Universite de Sciences Humaines de Strasbourg,: 305-307.)

[283] Dioscorides, De Materia Medica, 1,71,1–2.

ويُعرف البان باللاتينية باسم *moringa peregrine*، وهو مكملٌ غذائِّي عُثر عن أدلة تؤكد وجوده في الطبقات النبطية التي تم التنقيب فيها في مدائن صالح[284]، وللبان استخدامات عطرية ودوائية، تنمو أشجاره بسرعة في المناطق الجافة والحارة، وهي غنية بالعناصر الغذائية وكان يستخدم لمعالجة العديد من الأمراض كما يذكر ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية[285].

جوفينال Juvenal

هو ديكيموس يونيوس يوفيناليس Decimus Junius Juvenalis، ويعرف عادة باسم جوفينال Juvenal، وهو شاعرٌ رومانيٌ فصيحٌ عاش في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الميلاديين، ولد في مدينة أكينو Aquinum الإيطالية في حوالي عام 59م، وانتقل بعدها إلى روما، وخدم في الجيش الروماني وقام بهجائه بعد أن أخفق في أن يحقق أي نجاح فيه.

كتب جوفينال ست عشرة قصيدة هجائية حيث تعتبر هذه الهجائيات مصدراً هاماً من مصادر دراسة تاريخ روما آنذاك، وقد ظهر هذا العمل إلى حيز الوجود خلال الفترة ما بين 100–125م في كتاب اسماه كتب الهجائيات الخمس Saturarum libri V، وتناول فيه مواضيع الفساد وأشكال الرذائل التي كانت تعاني منها روما حينها[286].

يقول جوفينال في هجائيته الحادية عشرة: "تخفض الفيلة أنيابها في غابات الأنباط لأنها تكون كبيرة وثقيلة على رؤوسها"[287]. =Nabataeo belua saltu عند قراءة هذا النص باللاتينية نجد أن الكلمة التي تمت ترجمتها في الإصدارات الإنجليزية من هذه الهجائية على أنها تعني "غابات" يقابلها باللاتينية كلمة saltu، والتي تعني أيضاً "ممر ومعبر ضيق"[288]، وهذا التفسير ينسجم أكثر مع طبيعة أرض مملكة الأنباط التي كانت ممراً ومعبراً للقوافل التجارية.

تعتبر إشارة جوفينال هذه الإشارة التاريخية الوحيدة التي تُشير إلى وجود الفيلة في أرض الأنباط، وهي تُثير العديد من التساؤلات منها:–

1. لماذا تمُرُّ الفيلة في أرض الأنباط، وما دورها عندهم؟.
2. ما هي غابات الأنباط التي يقصدها الشاعر، إذا افترضنا أن الشاعر كان يقصد من استخدامه لكلمة saltu غابات؟

[284] Bouchaud, Ch., (2010): Archaeobotanical Report. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the Third Excavation Season (2010) of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris, , fig. 4b

[285] ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، 93-94.

[286] Bunson, Matthew, (2002): Encyclopedia of the Roman Empire, 296.

[287] Juvenal, (2011): The Satires, Translated by Kline, A. S., Satire 11.10-11.

[288] Tholbecq, L. (2001): The Hinterlands of Petra from the Edomite to the Islamic periods: the Jabal ash-Sharah Survey (1996-1997), SHAJ, VII, 403 note 21.

يصعب الإجابة على هذه التساؤلات في ضوء عدم وجود أدلة تاريخية تساعدنا على فهم طبيعة وجود الفيلة في بلاد الأنباط.

لقد شاع استخدام الفيلة في العالم الكلاسيكي الذي عرف نوعين منها هما: النوع الأفريقي Loxodonta africana والهندي Elephas maximus وهناك اختلافات بين هذين النوعين، ولم تلعب الفيلة بشكلٍ عامٍ دوراً مهماً في حضارات الشرق القديم سواء في الحروب أو في الأعمال اليومية، بل كانت أهميتها بالنسبة لهم تكمن في العاج الذي بدأت تجارته في بلاد الشام خلال العصر الحجري النحاسي، واستمر يلعب الدور ذاته خلال العصور التاريخية المختلفة[289]، وازدادت أهميتها في هذه المنطقة بعد مجيء الإسكندر المقدوني حيث كان للفيلة المقاتلة دورٌ كبيرٌ في حسم الكثير من المعارك بين البطالمة والسلوقيين الذين تنافسوا للحصول على الفيلة وتوظيفها في جيوشهم، وحظيت الفيلة بمكانة مرموقة عند أغلب الملوك السلوقيين الذين صوَّروها بكثرة على مسكوكاتهم[290].

ويبدو أن الأنباط كانوا على درايةٍ تامةٍ بتفاصيل الفيل ومعالم وجهه، حيث كشفت الحفريات الآثارية التي أُجريت في مدينة البتراء عن أعدادٍ كبيرةٍ من تاجيات الأعمدة التي تعود للفترة النبطية والتي تمَّ تشكيلها على هيئة رؤوس فيلة[291]، حيث نُحتت هذه التاجيات مظهرة تفاصيل تؤكِّد أن الفنان النبطي كان مُلِّماً بتفاصيل وجه الفيل، ولربما نُحتت هذه التاجيات من قبل فنانين أجانب.

وربما تكون إشارة جوفينال مرتبطة باستيراد الفيلة لغايات تصديرها إلى المناطق المجاورة، فقد كان السلوقيون والبطالمة يستخدمون الفيلة في حروبهم، وربما كان بعضها يُصدَّر إليهم من خلال بلاد الأنباط، فقد كان نقل الفيلة يتمّ من أفريقيا إلى مصر خلال العصر البطلمي، ويبدو أنّ استيرادها قد ازداد خلال العصر البطلمي، فقد بُنيت عدّة موانئ على طول السّاحل الشرقي للبحر الأحمر من أجل تسهيل مرور البضائع، التي تشتمل على الفيلة من أفريقيا، والتي كانت تستخدم في الحروب، وذلك لمواجهة الفيلة الهنديّة، التي كان يستخدمها السّلوقيون[292].

أبيوليوس Apuleius

وهو لوكيوس أبيوليوس ماداورينسيس Lucius Apuleius Madaurensis، وهو كاتبٌ وأديبٌ وروائيٌ وشاعرُ رومانيٌ ولد عام 124م في مادوروس (وهي مداوروش الحالية الواقعة شرق الجزائر) وتوفي في حوالي عام 170م، وقد تعلَّم في قرطاجة ودرس بعدها الفلسفة الأفلاطونية

---

[289] Barnett, R., (1982): Ancient Ivories in the Middle East, Qedem 14. Jerusalem.

[290] انظر جواد، حسن حمزه (2015): السلوقيون وفيلة الحرب، دراسات في التاريخ والآثار، 48، 489-521.

[291] Blagg, Th. (1990): Column Capitals with Elephant-Head Volutes at Petra. Levant, 22, 131-37.

[292] Sidebotham, S., (1986): Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 BC-AD 217. E. J. Brill, Leiden, 4.

في أثينا، وزار العديد من البلدان وبعدها عاد إلى قرطاجه، وقد ألَّف ابيوليوس العديد من الكتب منها كتاب الحمار الذهبي المعروف باسم "التحولات"، ومجموعة خُطبٍ له عنونها باسم فلوريدا Florida، بالإضافة إلى عددٍ من الأعمال الأخرى[293].

يُشير ابيوليوس في عمله الموسوم فلوريدا Florida، وفي معرض حديثه عن تجارة الهند، إلى وجود تجار أنباط آنذاك (Nabathaeos mercatores)، كما أشار للعرب "الأغنياء بالطيوب"[294]، حيث يؤكِّد حديث ابيوليوس هذا استمرار تجارة الطيوب خلال القرن الثاني الميلادي، وانخراط الأنباط في التجارة بعد سقوط مملكتهم عام 106م، والتي يبدو أنها استمرت ولكن ليس بالمستوى الذي كانت تلعبه خلال فترة أوج مجدهم، وبقيت التجارة رافداً هاماً من روافد اقتصاد الولاية العربية الرومانية الجديدة.

جوستينوس Justinus

وهو ماركوس جونيانوس جوستينوس Marcus Junianus Justinus الذي يبدو أنه عاش في القرن الثاني أو الثالث الميلادي، وقد ألَّف عملاً تاريخياً يقع في أربع وأربعون كتاباً أسماه "التواريخ الفيليبية " Historiae Philippicae، حيث تحدث في هذا العمل عن العديد من الأقوام والشعوب، وقال في معرض حديثه عن البطالمة: "إن سوريا ومصر قد أصبحتا محاطتين بالرومان، ولم يعد لديهما الفرصة لتوسيع تخومهما، وكانوا يتحاربون فيما بينهم حيث أرهقتهما الحروب وأصبحوا فريسة لسكان بلاد العرب الذين لم يكونوا محاربين جيدين، وأن ملكهم ايروتيموس Erotimus = الحارث، والذي كان معتمداً على سبعمائة من أبنائه، والذين انجبهم من محظياته، قد قسَّم قواته التي انتشرت في مصر وأخرى في سوريا وأحرزت سمعة عظيمة للعرب بعد استنفاذ قوات جيرانهم"[295].

تحتوي هذه الرواية على عددٍ من المواضيع التي يتوجَّبُ علينا مناقشتها هنا وهي:-

1. أنها تؤكِّد استغلال الأنباط للعلاقات البطلمية السلوقية السيئة خلال القرن الثاني قبل الميلاد، والتي ساعدت الأنباط على التوسع والاصطدام معهم حفاظاً على مصالحهم العامة.
2. يذكر جوستينوس أن الأنباط لم يكونوا محاربين جيدين، وهذه إشارة نجدها أيضاً في جغرافية سترابو[296] وكذلك عند جوسيفوس[297]، ولكن يبدو أن هذه الرواية مبالغٌ فيها، فقد

---

[293] Bunson, Matthew (2002): Encyclopedia of the Roman Empire, 28.
[294] Apuleius, (1959): Apulei Platonica Madaurensis: Opera quae supersunt Vol. 11:2 Florida, ed. R. Helm, Lipsias, 6.1.
[295] Justinus, Marcus Junianus, (1853): Epitome of the Philippic History of Pompeius Trogus, XXXIX.5.
[296] Strabo, The Geography of Strabo. 7 16.4.
[297] Josephus, Antiquities XIV.2.3.

كانت لدى الأنباط قوات برية وأخرى بحرية، ونستنتج من خلال النقوش أن مؤسستهم العسكرية كانت مُنظَّمة، وجيشهم كبير العدد[298]، كما نستنتج من خلال قراءة العديد من الروايات التاريخية أنهم قد حققوا نجاحات في حروب عدة خاضوها ضد اليهود[299].

3. هذا أول مصدرٌ تاريخيٌ يذكر اسم ملكهم ايروتيموس Erotimus، والذي يُسمَّى عادة عند جوسيفوس باسم اريتاس Ἀρέτας، ولا نعرف ماذا كان يقصد جوستينوس بقوله أن هذا الملك كان يعتمد على سبعمائة من أبنائه الذين انجبهم من محظياته، فهل كان المقصود الإشارة إلى حرس الحارث الخاص خاصة أننا نستبعد أن تكون الأبوة هنا حقيقية بل مجازية، تماماً كما تم وصف الوزير النبطي سُلي بأنه "أخو الملك"[300]، وهو في الحقيقة ليس أخاه بل كان قريباً جداً منه.
4. يذكر جوستينوس أن الملك النبطي كان له محظيات أو عشيقات *paelicibus*، ولا نعرف ماذا كان يقصد بذلك على وجه التحديد، فهل كُنَّ نساء نبطيات، أم جواري تمَّ سبيّهن في الحروب، ولكن يبدو أن المجتمع النبطي عرف هذا النوع من النساء، حيث جاءت كلمة "ا س ر ت ا= المحظية" في نقشٍ نبطيٍ عُثر عليه في البتراء[301].
5. يبدو أن الملك المقصود هنا هو الحارث الثاني لأن الأحداث المشار إليها قد حدثت في حوالي عام 102 ق.م[302]، ونستبعد أن يكون الحارث الثالث كما يزعم البعض[303].

روفوس فيستوس Rufus Festus

ويُعرف أيضاً باسم سيكستوس فيستوس Sextus Festus وسكستوس روفوس Sextus Rufus، وهو مؤرخٌ رومانيٌ عاش في القرن الرابع الميلادي، وتوفي في حوالي عام 380م، كتب مُلخَّصاً عن تاريخ روما يقع في ثلاثين فصلاً اسماه *Breviarium rerum gestarum populi Romani* حيث ألفَّه بدعمٍ من الإمبراطور فالنس (328–378م) ويغطي تاريخ روما حتى عام 364م[304].

يقول فيستوس في كتابه هذا أنه وبعد أن تم التخلص من أنطيوخوس الثالث وضعت روما أقدامها في آسيا، وبعدها تمت السيطرة على أرمينيا الوسطى ووصل الجيش الروماني بلاد

---

298 يذكر جوسيفوس أن عدد القوات التي أرسلها الحارث الثالث لمساعدة ودعم هيركانوس الثاني في حربه ضد ارسطوبولس كان حوالي 50.000 جندي، وهذا مؤشرٌ على أن عدد منتسبي الجيش النبطي كان كبيراً جداً Josephus, Antiquities XIV.2.3.

299 للمزيد عن هذا الموضوع انظر Graf, D. F., (1994): The Nabatean Army and the cohortes Ulpiae Petraeorum. Pp. 265-311. In: The Roman and Byzantine Army in the East (Ed, E. Dabrowa), Krakow.

300 Cantineau, J., (1978): Le Nabatéen. Osnabruck, Otto Zeller, 46.

301 Zayadine, F. (1982): Recent excavations at Petra (1979-1981), ADAJ, 26, 366-367.

302 Wenning, R. (1993): Eine neuerstellte Liste der nabatäischen Dynastie, Boreas, 16, 29.

303 Altheim, F. and Stiehl, R. (1964): Die Araber in der Alten Welt, vol. 1, Berlin, 290-3.

304 Bunson, Matthew (2002): Encyclopedia of the Roman Empire, 211.

الرافدين وتم توقيع معاهدة حينها مع البارثيين، وحاربت روما السراسين Saracenos والعرب Arabas، وأصبحت سوريا تحت سيطرة الشعب الروماني، ثم يُكمل قائلاً أن جميع بلاد بونطوس[305] وأرمينيا الكبرى وبلاد الرافدين وآشور وبلاد العرب وقعت تحت السيطرة الرومانية[306] ويبدو انه يقصد بالإشارة الثانية حملة تراجان، في حين أن الإشارة الأولى هي لغزو بومبي لبلاد الشام التي تمَّ الحديث عنها سابقاً.

نلاحظ أن فيستوس قد ميَّز بين السراسين Saracenos والعرب Arabas، حيث يبدو أنه كان يقصد بالسراسين البدو من العرب، في حين قصد من كلمة العرب سكان الحضر، والسراسين تسمية أطلقتها المصادر اليونانية واللاتينية على السكان البدو الذين كانوا يقطنون فلسطين الثالثة خلال العصر البيزنطي، ونجد إشارة لهم عند بطليموس وبروكوبيوس القيساري وغيرها من المصادر التي تعود للفترة البيزنطية المبكرة[307].

فلافيوس يوتروبيوس Flavius Eutropius

وهو مؤرِّخٌ وقنصلٌ رومانيٌ عاش في القرن الرابع الميلادي، ألف كتاباً عن التاريخ الروماني أسماه Breviarivm Historiae Romanae، حيث يتحدث فيه عن تاريخ روما منذ تأسيسها وحتى وفاة الإمبراطور جوفيان في عام 364م[308].

وقد تحدث يوتروبيوس في الجزء الثامن من كتابه هذا عن فتوحات تراجان العسكرية، وذكر أنه أخضع العرب وأنه قد "قلَّص بلاد العرب لتصبح مقاطعة"[309]، وهذه إشارة لضم الرومان للمملكة النبطية، ونجد إشارة لهذه الحادثة التّاريخيّة في عدة مصادر أخرى مثل ديوكاسيوس وأميانوس ماركيلينوس بالإضافة إلى إشارة فيستوس السالفة الذكر.

ثالثاً: تاريخ الأنباط السياسي

يبدو لنا من خلال دراسة المادتين التاريخية والأثرية إن انتقال الأنباط من مرحلة البداوة إلى مرحلة التمدن والاستقرار قد بدأ خلال القرن الثالث قبل الميلاد، إن لم يكن قبل ذلك، وذلك في ضوء إشارة الشاعر الإغريقي بوسيديبوس البيلاوي (310-240 ق.م) والتي أشرنا إليها سابقاً حيث اقترن اسم الأنباط في بردية ميلان المنسوبة لهذا الشاعر، والتي تعود للقرن الثالث قبل

---

[305] اسم اطلق على المنطقة الواقعة شمال شرق آسيا الصغرى.

[306] Festus, Sextus, (2010): Breviarium rerum gestarum populi Romani, Brepols Publishers, Turnhout, 14,2–3.

[307] للمزيد انظر Shahid, I. (1984): Rome and the Arabs: A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs. Washington, D.C., Dumbarton Oaks, 125-126.

[308] Bunson, Matthew, Encyclopedia of the Roman Empire, 204.

[309] Eutropius, (1853) Abridgement of Roman History, London: Henry G. Bohn, York Street, Convent Garden, 8.3.

الميلاد، بلقب "ملك βασιλεύς، مما يؤكد على وجود الملكية خلال تلك الفترة (انظر الباب السابق)، ويمكننا بالتالي تقسيم تاريخ الأنباط إلى مرحلتين رئيستين هما:- مرحلة ما قبل المَلَكية التي غلب عليها الطابع البدوي غير المستقر والتي تمتدُّ حتى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، ومرحلة المَلَكية التي تتبعها وتستمر إلى نهاية حكم الأنباط عام 106م.



ملوك الأنباط كما تم تصويرهم على مسكوكاتهم[310]

لقد حكم البتراء مجموعة من الملوك، الذين وردتنا أسماؤهم متفرقة، غير متتابعة في العديد من المصادر. ولقد طُرحت عدة قوائم ذكرت أسماء ملوك الأنباط، وفترات حكمهم، وسنقوم بإيراد تاريخ الأنباط حسب آخر تسلسل معتمد، والذي يبدأ بحكم الحارث الأول عام 168 ق.م وينتهي بعام 106 م. وتعتبر كتابات المؤرخ اليهودي جوسيفوس (37-101م) أبرز مصادر دراسة تاريخ الأنباط السياسي، وسنورد تالياً أبرز التطورات، والأحداث التي شهدتها فترة حكم كل ملك:-

الحارث الأول (168/169ق.م)

وهو أول شخصية تاريخية نبطية وُصف بشكلٍ مؤكدٍ بأنه "ملك الأنباط"، ويبدو لنا وجود ملك/ ملوك قبله كما أشرنا في الجزء الأول من هذا الفصل، ولكن لم تردنا أخبارهم، وقد ورد اسم الحارث هذا في نقشٍ عُثر عليه بمنطقة "خلصه" بالنقب في جنوبي فلسطين، ويشير النقش إلى "الحارث ملك الأنباط"[311]، ومع أن هذا النقش غير مؤرَّخ، إلا أن أشكال أحرفه ترقى إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، ونستنتج من هذا النص أن النفوذ السياسي النبطي قد شمل جغرافيا أجزاء من جنوب فلسطين.

---

[310] Kropp, A. (2013): Kings in Cuirass — Some Overlooked Full-Length Portraits of Herodian and Nabataean Dynasts, Levant, 45:1, fig. 4.
[311] Negev, A., (1977): The Nabateans and the Provincia Arabia, 520–686.

لم يرد اسم هذا الملك في أي مصدر من المصادر الكلاسيكية، باستثناء ما ورد في الفصل الخامس من سفر المكابيين الثاني، الذي يتحدث عن الحارث "طاغية العرب" وذلك في معرض حديث السفر عن النزاع اليهودي على تولي منصب الكهنوت الأعلى، عندما حصل "ياسون" على المنصب ولكنه اختلف مع مينيلاووس عليه وتمكن من انتزاعه، ويذكر السفر أن ياسون قد خرج إلى أرض الحارث، زعيم العرب، حيث طرده ولم يستقبله "فجعل يفر من مدينة إلى مدينة والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ويمقتونه"[312].

كما يذكر سفر المكابيين الثاني أنه وفي عام 163 ق.م عبر يهوذا المكابي وأخوه يوناثان "الأردن وسارا مسيرة ثلاثة أيام في البرية فصادفوا النباطيون –أي الأنباط– فتلقوهما بسلام، وقصوا عليهما كل ما أصاب إخوتهما في أرض جلعاد"[313] . ولا يعرف أين حدث هذا اللقاء بالتحديد، ولكن يرى إحسان عباس أن هذا اللقاء على الأرجح تم في حوران[314].

ومما يجدر ذكره أنه عُثر على نقش من منطقة بيريني في آسيا الصغرى يذكر اسم سفير يدعى موشيون Moschion قام بجولاتٍ دبلوماسيةٍ في عام 129 ق.م شملت البتراء[315]، الأمر الذي يؤكِّد على أهمية البتراء خلال هذه الفترة، ولا نعرف على وجه التحديد من هو ملك الأنباط خلال تلك الحقبة.

الحارث الثاني (120 /110–96 ق.م)

يرى بعض الباحثين أن الملك الذي تبع الحارث الأول، هو مالك، ولكننا لا نعرف شيئا عن هذا الملك في حين يرى معظم الباحثين أنه الحارث الثاني، ويختلف الباحثون في تحديد بداية حكمه، فيرى بعضهم أنه قد بدأ عام 120 ق.م، في حين يرى البعض الآخر أن حكمه قد بدأ عام 110 ق.م، وهو أول ملك نبطي يتطرق له المؤرخ اليهودي، فلافيوس جوسيفوس[316]، فيذكر أن أهل غزة طلبوا مساعدة ملك الأنباط بسبب غزو الإسكندر جنايوس الحشموني لهم، ووعد الحارث أهل غزة بالمساعدة، ولكنه لم يوفِ بوعده، فسيطر جنايوس على المدينة ونهبها وقتل كثيراً من أهلها، ولكنه لم يحتفظ بها طويلا، وقد يُعزى هذا الهجوم الحشموني لأسباب تجارية، كما يرى أفراهام نيجف الذي يعتقد أن جنايوس كان يرغب بالإضرار بتجارة الأنباط. ويعتقد بعض الباحثين أن

---

[312] سفر المكابيين الثاني 5: 8.

[313] سفر المكابيين الثاني 5: 25-27.

[314] عباس، احسان، (2007): تاريخ دولة الأنباط، وزارة الثقافة، عمان.

[315] Hiller von Gaertringen, Friedrich Freiherr (1906): Inschriften von Priene.

[316] Josephus, Antiquities. XIII.360.

هذا الملك هو أول ملك نبطي قام بسك قطع نقدية نبطية[317] في حين يرى باحثون آخرون أن أول ملك قام بهذا العمل هو الحارث الثالث[318].

عبادة الأول (96–86 ق.م)

يرى بعض الباحثين أن الملك الذي خلف الحارث الثاني، هو رب ايل الأول، والرأي الذي يُجمع عليه أغلبية الباحثين أن عبادة الأول هو خليفته، وقد ورد اسمه في نقش مؤرخ للسنة الأولى من حكمه، ويعتبر هذا النقش أول نقش نبطي مؤرخ عُثر عليه في المملكة النبطية، وثاني نقش نبطي تأريخي بعد نقش الخلصه في النقب، وهذا النقش موجود في الجزء العلوي من الجدار الخلفي لمضافة تقع بالقرب من مدخل سيق البتراء.

ولا نعرف الكثير عن فترة حكم هذا الملك، الذي يبدو أنه كان ابناً للحارث الثاني، استناداً لإشارة نقش أصلح الوارد أعلاه، ولكن ما نعرفه فقط، هو ما ذكره جوسيفوس من استمرار النزاع بينه وبين الإسكندر جنايوس، فيذكر جوسيفوس[319] أنه بحدود عام 93 ق.م خاض جنايوس حرباً ضد "عبادة ملك الأنباط"، فوقع في كمين، وتمكن جنايوس بعدها من السيطرة على أجزاء من مؤاب وجلعاد، وفرض عليهم الجزية، وتوجه إلى مدينة عمتا (Amathus) فدمرها، وبعد ذلك تواجه مع جيوش عبادة الأول قرب مدينة أم قيس في منطقة يصفها جوسيفوس بأنها صعبة التضاريس ويصعب السير فيها، وقد انتصر عبادة، وتمكن جنايوس من الهرب إلى القدس، ويبرر جوسيفوس هذه الهزيمة، التي مُني بها اليهود بخيانة جيوش جنايوس، الذي أنهكهم بالحروب، حيث استرد ملك الأنباط ما استولى عليه من مواقع. وخلال الفترة ما بين 95–88 ق.م تم تنصيب الملك السلوقي ديمتريوس الثالث ملكا على الدولة اليهودية، فقام جنايوس بإرجاع المدن التي استولى عليها من شرق الأردن إلى المملكة النبطية، مقابل امتناع عبادة عن تقديم المساعدة للسلوقيين، ومن يناصرهم من اليهود. وفي عام 88/ 87 ق.م. سيطر أنطيوخوس الثاني على دمشق وبعدها مباشرة توجه إلى بلاد العرب ولكننا نجهل تفاصيل هذه الحملة[320].

رب ايل الأول (85 ق.م ؟)

معلوماتنا عن فترة حكم هذا الملك قليلة جداً، حتى أن بعض الباحثين لا يعترف بوجوده، وهو على ما يبدو شقيق عبادة الأول، إذ نسمع عنه في نقش عُثر عليه في البتراء، يشير إلى تمثال

[317] Bowsher, J. (1990): Early Nabataean Coinage. Aram 2:1&2, 221-28.
[318] Schmitt-Korte, K. and Cowell, M. (1989): Nabataean Coinage - Part I: The Silver Content Measured by X-Ray Fluorescence Analysis. NCh 149, 33-58.
[319] Josephus, Antiquities XIII, 15,2-3.
[320] Josephus, Antiquities XIII. 391; War XIII. 101-102.

لرب ايل ملك الأنباط[321] ، ونسمع عنه في معرض الحديث عن الحملة، التي قام بها أنطيوخوس الثاني عشر ضد الأنباط في قرية "موتو"[322] بعد احتلال أنطيوخوس لمدينة دمشق عام 85 ق.م حين شن حرباً ضد الأنباط، ويذكر جوسيفوس أن أنطيوخوس قام بمهاجمة الدولة اليهودية، ودمَّر التحصينات اليهودية التي صادفها، وأنه توجَّه بعد ذلك صوب أرض الأنباط، الأمر الذي دفع بملكهم إلى الانسحاب إلى مواقع محمية، ثم هاجم جيش أنطيوخوس بعشرة آلاف فارس، فسقط قتيلا ودُمّر جيشه وشُرد، ولجأ بعض أفراد جيشه إلى منطقة القنوات في جنوب سوريا.

الحارث الثالث (86؟–62 ق.م)

الحارث الثالث هو ابن الملك عبادة الأول ، ويبدو أن الازدهار والتوسع السياسي النبطي قد بدأ خلال فترة حكمه، فيذكر استيفانوس البيزنطي أن هذا الحارث هو الذي بني مدينة الحوراء (مدينة الحميمة في جنوب الأردن)، وذلك بوحي من الإله. ويبدو أنه كانت هنالك العديد من العوامل الداخلية والخارجية، التي دفعت هذا الملك، وساعدته في التوسع، خاصة بعد وفاة الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني عشر، وطلب أهل دمشق من الحارث الثالث أن يقوم بحكم المدينة[323]، إضافة إلى خوف أهل دمشق من الإيطوريين العرب، الذين شكَّلوا كياناً سياسياً في لبنان، وتوسَّعوا إلى جنوب سوريا وشمال فلسطين، وكان هذا الطلب، على أية حال، قد قوبل بالترحيب من قبل الأنباط لرغبتهم بالتوسع شمالاً، ولزيادة رقعة مملكتهم الجغرافية، ولضمان سيطرة أكبر على الطرق التجارية المتجهة شمالا، وقام الحارث الثالث بتنصيب حاكم في دمشق، واستمر حكم الأنباط بدمشق حوالي أربعة عشر عاما (84–71 ق.م) إلى أن جاء الأرميني "تغرانس" عام 72 ق.م وهاجم سوريا بخمسمائة ألف جندي، كما يذكر جوسيفوس. ولا يبدو أن الحدود النبطية الشمالية قد اقتصرت على دمشق، بل شملت مناطق مجاورة، كما عُثر على ما يشير إلى نشاطات نبطية في مناطق تقع شمال وشمال غربي دمشق، ويشير نقش عُثر عليه في منطقة صيدا في لبنان[324] إلى وجود حاكم نبطي هناك، ويؤرخ هذا النقش إلى فترة حكم الحارث (الذي يبدو انه الثالث) وتحديداً إلى عام 79 ق.م، وهي معاصرة لفترة سيطرته على دمشق.

أما داخل دمشق فقد قام الحارث الثالث بإصدار قطع نقدية تخليدا لسيطرته على المدينة، وظهرت هذه القطع تقليداً للقطع النقدية السلوقية، ومشابهة لتلك القطع النقدية التي سكَّها ملوك السلوقيين في دمشق، ويبدو أن الحارث الثالث اعتبر نفسه خليفة للحكام السلوقيين في تقليدهم فحملت إصداراته النقدية هذه أشرطة كتابية تذكر اسم الملك الذي وصف على هذه القطع بلقب

---

[321] CIS II 349.

[322] قد تكون مؤتة الواقعة في جنوب الأردن.

[323] Josephus, Antiquities XIII.392, War I. 103 .

[324] CIS II 160.

"محب الهللينية" "فلهلن" وظهرت على هذه القطع النقدية الآلهة "تايكي" اليونانية كما تميزت هذه القطع النقدية بكبر حجمها.

وبعد أن ضم الحارث دمشق، توجه بأنظاره إلى الدولة اليهودية، والتقى بجيوش الإسكندر جنايوس عام 82 ق.م في موقع الحديده (وهذا الموقع غير معروف موقعه)، واتفق مع جنايوس على بعض الشروط[325].

يبدو أن أسباب هذا التوسع النبطي هو رغبة الحارث وضع حد لتدخلات اليهود، وضمان سيطرة أكبر على الطرق التجارية والموانئ. وبعد هذه المعركة بفترة ليست بالطويلة قام الإسكندر جنايوس بشن هجوم على مملكة الأنباط، وتمكن من أخذ اثنتي عشرة قرية من يد الحارث وهي مِيدَبا Μήδαβα ، ليبا Λίββα ، دابالوث Δαβαλώθ ، أراباثا Ἀράβαθα ، أجالا Ἄγαλλα، أثوني Ἀθώνη ، زوارا Ζώαρα ، أوروناين Ὠρωναΐν ، جوبوليس Γοβολίς ، أريدا Ἄρυδδα ، الوسا Ἄλουσα ، أوريبدا Ὤρυβδα [326]، ودمر طبقة فحل؛ لرفض سكانها اعتناق اليهودية [327]، كما قام بالسيطرة على بعض موانئ البحر الأبيض المتوسط كغزة.

يُعتبر جوسيفوس المصدر التاريخي الوحيد الذي يُشير إلى حادثة المدن والقرى النبطية التي سَلَبها المكابيون وقام الحارث الثالث بتحريرها وإعادتها لمملكته، ويبدو أن أسباب سيطرة الإسكندر جنايوس على هذه المدن كانت مرتبطة بدوافع اقتصادية واستراتيجية، فمؤاب وآدوم تجاوران منطقة خصبة وهي المنطقة الواقعة إلى الشرق من البحر الميت حيث مزارع النخيل والبلسم التي أشارت لها المصادر التاريخية المختلفة، وكذلك البرديات النبطية التي عُثر عليها في وادي خبرا. كما أن هذه المدن تقع على طول الطرق التجارية القديمة التي تربط البتراء بمؤاب وبقية مناطق آدوم ومدن صحراء النقب النبطية.

ويتضح من خلال دراسة أسماء هذه القرى، وتسلسل ورودها عند جوسيفوس، أنها تتموضع في المنطقة الواقعة ما بين مادبا شمالاً والخلصة في صحراء النقب جنوباً، وقد اتّبع جوسيفوس، وإلى حدٍ كبيرٍ منهجاً متسلسلاً في ذكر هذه الأسماء اعتماداً على موقعها الجغرافي، فأورد في البداية تلك الواقعة شمال مؤاب أولاً، ثم ذكر أسماء المواضع الواقعة جنوبي مؤاب وشمالي آدوم، وانتقل بعدها لذكر تلك الواقعة في جنوب فلسطين في نهاية القائمة.

وفي عام 76 ق.م توفي جنايوس، فاعتلت العرش زوجته، وقد كانت أكثر دبلوماسية منه في معالجة الأمور، خاصة مع الأنباط كما يذكر جوسيفوس، ولكن بعد وفاتها، حصل خلاف بين ولديها على الحكم، وهما: أرسطوبولس الثاني وهيركانوس الثاني، وكان هيركانوس يرى انه الأحق بالحكم؛ لأنه الأكبر سناً، إضافة إلى وصية أمه إليه بالحكم من بعد موتها، في حين رأى

---

[325] Josephus, Antiquities XIII. 392.
[326] Josephus, Antiquities XIV. 1, 4.
[327] Josephus, Antiquities XIV. 1, 4.

أرسطوبولس أحقيته ليقينه بعدم قدرة شقيقه على إدارة الحكم، الأمر الذي أدى إلى حدوث خلاف بين الأخوين، مما دفع هيركانوس، وبإيحاء من أنتيباتر، إلى طلب الدعم والمؤازرة من الحارث الثالث "ملك العربية"، وشجع الحارث على استقباله[328]، إلا أن الأمور سارت لصالح أرسطوبولس الذي اعتلى العرش[329]. وهنا تبرز شخصية سياسية مميزة هي شخصية أنتيباتر الآدومي والد هيرود الكبير، الذي حاول أن يساعد هيركانوس ضد أخيه، حيث تمكن أنتيباتر من إقناع الحارث الثالث بأن يمنح هيركانوس اللجوء إلى مملكته، وأن يساعده لكي يسترجع حقه في العرش خصوصا بعد أن وعده هيركانوس بأن يعيد إليه الاثنتي عشرة قرية، التي أخذها والده عنوة منه إن هو ساعده، وقد وعد الحارث الثالث هيركانوس بدعمه بقوة عسكرية كبيرة، فسار بجيش قوامه خمسون ألفا من الفرسان، والمشاة وهزم أرسطوبولس، وانضم بعض جنود أرسطوبولس إلى جنود هيركانوس فحاصروا أرسطوبولس، ولكن، وفي تلك الأثناء، وصل القائد الروماني سكاوروس إلى سوريا بحوالي عام 65 ق.م، مما دفع الحارث أن يرفع حصاره عن القدس[330].

وبعد السيطرة الرومانية على دمشق توجه سكاوروس جنوبا لوضع حد للمواجهات التي تحصل بين اليهود والأنباط، مما دفع الأطراف الثلاثة: أرسطوبولس، هيركانوس والحارث الثالث إلى محاولة إرضاء القائد الروماني واستمالته بتقديم الهدايا كما يذكر جوسيفوس[331]، ولكن سكاوروس انحاز لأرسطوبولس، الذي وعده إعطاءه أربعمائة وحدة وزنية من الفضة (تالنت)[332]، فانسحب الحارث. ولم تنته الأمور عند هذا الحد ، فحال مغادرة الحارث، قام أرسطوبولس بجمع قواه، للثأر من الأنباط لمساعدتهم أخيه، وتتبع الحارث وقواته وهم متوجهون إلى فيلادلفيا، ونصب كمينا لهم في منطقة Paypron وانتصر عليهم[333].

تشير المصادر التاريخية الرومانية إلى قيام الرومان بشن حملة على بلاد الأنباط؛ لضمها إلى ولاية سوريا الرومانية الجديدة[334]. ولقد أشار المؤرخ "ابيان" إلى قيام الرومان بحملتين اثنتين إحداهما ضد مملكة الأنباط، والأخرى ضد الدولة اليهودية[335]؛ ويبدو أن الرومان قد نجحوا بضم الدولة اليهودية عام 62 ق.م، إلا أنهم لم يتمكنوا من ضم مملكة الأنباط، فقد حالت بعض الظروف دون ذلك[336] بينما أُسر أرسطوبولس الثاني ونُفي إلى روما، واستلم هيركانوس منصب الكهانة العليا، وأصبح مرتبطا بروما. أما ما يخص الأنباط، فيذكر جوسيفوس انه حوالي عام

---

[328] Josephus, F. War I. 124ff.
[329] Josephus, Antiquities XIV, 1. 1-2; Josephus, War, I, 6.1.
[330] Josephus, F. Antiquities XIV. 20, 29-30; War I, 126-129.
[331] Josephus, Antiquities XIV,2,2-3.
[332] تالنت هي وحدة وزنية قديمة يتراوح وزنها بين 26-32 كغم.
[333] Josephus, F. Antiquities XIV. 32; War I, 130.
[334] Josephus, F. Antiquities XIV. 46.
[335] Appian, The Syrian Wars, translated by Horace White, 8.51.
[336] Josephus, F. Antiquities XIV. 48.

62 ق.م شن سكاوروس حملة ضد البتراء، ويتحدث جوسيفوس عن هذه الحملة[337] حيث يقول أن سكاوروس قاد حملة ضد البتراء في بلاد العرب (Πέτραν τῆς Ἀραβίας) وأشعل النيران في كل المناطق المحيطة بها بسبب صعوبة المرور منها، وعانى جيشه من المجاعة فأمدَّه أنتيباتر بالقمح وما احتاجه من المؤن الأخرى من يهودا بناءاً على طلب هيركانوس، وقام سكاوروس بإرسال أنتيباتر إلى الحارث لأنه عاش معه من قبل، وتمكَّن من إقناع الحارث بأن يعطي سكاوروس مبلغاً من المال ليمنع حرق مدينته، وكفله بمبلغ ثلاثمائة تالنت، فتوقف سكاوروس بناءاً على هذه الشروط.

عاد سكاوروس إلى روما عام 58 ق.م وسكَّ عملة فضية، تخليداً لأعماله في بلاد الشام، وصوَّر شخصية عربية على هذه القطع تقف إلى جانب جمل بوضع مهين، وتحمل في يدها ما يشبه غصن الشجر، قد يكون تمثيلاً للأنباط وتجارة البخور، ويرى بعض الباحثين أن هذا الإصدار هو إظهار لضم مملكة الأنباط وإخضاع العرب لحكم روما.

عبادة الثاني (62–59 ق.م)

معلوماتنا عن فترة حكم هذا الملك قليلة جداً، فلا نعرف عنه شيئاً إلا من خلال نقوده التي عُثر عليها في بعض المواقع النبطية، ولا نعرف ما هي الظروف التي اعتلى بها سدة الحكم، وكيف انتهت فترة حكمه.

مالك الأول (59–30 ق.م)

هذا الملك هو ابن الملك عبادة الثاني، وتمثل بداية حكمه توتراً سياسياً في المنطقة، فبعد عام من استلامه الحكم عاد القائد الروماني سكاوروس إلى روما تاركا الأمور خلفه في سوريا بيد قائده جابينوس، الذي قام بشن حملةٍ على بلاد العرب الأنباط عام 55 ق.م واستطاع وكما يقول جوسيفوس أن يهزمهم[338].

حدثت اضطرابات في روما بعد عام 55 ق.م ونشبت خلافات بين بومبي ويوليوس قيصر الذي تمكَّن من هزيمة بومبي عام 48 في معركة فارسالوس Pharsalus، وحصل قيصر على مساعدة الأنباط وذلك بواسطة تنسيق بين الرومان والأنباط عن طريق أنتيباتر، الآدومي الأصل، الذي صاهر الأنباط وتزوج من امرأة نبطية تدعى سايبرس (كفره)، فأنجبت منه هيرود وسالومي، ونتج عن هذه العلاقات الدبلوماسية الحسنة مع روما أن قام الرومان بتعيين أنتيباتر الآدومي

[337] Antiquities XIV: 80-84.
[338] Josephus, Antiquities, XIV. 6.4.

حاكماً على الدولة اليهودية، وتم تعيين أبنائه حُكَّاماً محليين، فعُيّن هيرود حاكماً على الجليل، وبعد وفاة قيصر ومقتله، اعتلى العرش ماركوس انطونيوس[339].

وفي عام 40 ق.م قام الفرس بمهاجمة المنطقة[340]، وتمكَّنوا من دخول القدس، ونصَّبوا أنتيغونوس ابن أرسطوبولس الثاني حاكماً على الدولة اليهودية، والذي عاد معهم من المنفى، وخلال تلك الفترة التي شهدت نزاعاً إقليمياً، ساعد هيرود ماركوس انطونيوس والرومان، في حين ساعد الأنباط الفرس، وهرب هيرود إلى البتراء طالبا مساعدة مالك، وطلب منه أن يُعيد إليه المدن التي استرجعها ملك الأنباط الحارث الثالث، ولكن مالكاً رفض مساعدة هيرود ضد أنتيغونوس، وأرسل رسلاً إلى هيرود منعه من دخول البتراء بناءاً على طلب الفرس، لأنه خشي غزوهم، إن هو استضاف هيرود وساعده، وقد هرب شقيق هيرود "جوزيف" باتجاه بلاد العرب الأنباط أيضاً، ولكنه تراجع عن دخول البلاد بعد أن علم بما حصل لأخيه هيرود، الذي توجه إلى مصر طالباً المساعدة من كليوباترا، وبعدها توجه إلى روما. أما شقيقه جوزيف، فقد لجأ إلى قلعة مسعده، التي حاصرها أنتيغونوس اليهودي، فحاول جوزيف الهروب إلى البتراء، كما يذكر جوسيفوس، ولكنه لم يتمكن من الهرب بسبب هطول كميات كبيرة من الأمطار[341].

أما هيرود فقد وصل إلى روما[342]، وتمكن من أخذ اعتراف روماني به في عام 40 ق.م، وعاد إلى فلسطين عام 37 ق.م وتمكَّن من هزيمة أنتيغونوس، وأخذ الحكم منه بمساعدة من ماركوس أنطونيوس، أما فيما يخص الأنباط، فقد أُعتبر مالك مسؤولاً عن مساعدة الفرس، أعداء الشعب الروماني، وبسبب مساعدة الأنباط وأنتيغونوس لملك الفرس، فقد فرض القائد الروماني فنتديوس الجزية عليهم وحصل على أموال كثيرة منهم، كما يذكر المؤرخ ديوكاسيوس[343].

من المعروف أن ماركوس انطونيوس الذي اعتلى عرش روما عام 37 ق.م قد وقع في غرام الملكة المصرية كليوباترا وقدَّم لها جزءاً من الساحل الفينيقي، ومزارع البلسم الواقعة قرب أريحا كهدية[344]، ومُنحت أراضٍ واقعة بالقرب من البحر الميت، ربما لاستغلال القار الموجود في البحر الميت، وبالتالي سيطرت كليوباترا على أهم مراكز الخامات الطبيعية في المملكة النبطية، وهي البحر الميت، ومزارع البلسم، وقامت بتأجيرها لهيرود، الذي تعهَّد بدفع الأجرة[345]، كما تعهَّد بتحصيل الأجرة المترتبة على ملك الأنباط، وبلغ إجمالي المبلغ المتوجب دفعه لكليوباترا مئتي تالنت من الفضة، وقد امتنع مالك عن دفع هذا المبلغ مما دفع كليوباترا أن توعز لهيرود

---

[339] Josephus, F. Antiquities XIV. 128; War I, 178.
[340] Josephus, War. I.178.
[341] Josephus, Antiquities XIV. 14.6; Josephus, War I.15.1.
[342] Josephus, F. Antiquities XIV. 370-74; War I, 274-276.
[343] Dio Cassius: Dio's Roman History, XLVIII, 41-5.
[344] Dio Cassius: Dio's Roman History, XLIX,32.5; Josephus, Antiquities, XV, 92.
[345] Josephus, Antiquities XIV.15.1, XV 4.4, XV 5.1; Josephus, War I.18.5; Plutarch 1917: Plutarch's Lives,IX.1.2.

بأن يشن حرباً على الأنباط، وتوجه هيرود باتجاه الأجزاء الشمالية من المملكة النبطية، ولم يتوجه جنوباً باتجاه العاصمة، وتمكّن من هزيمة الأنباط بالقرب من مدينة اللد عام 31 ق.م.، ولكن تطور الأحداث السياسية في المنطقة وحدوث معركة أكتيوم أدى إلى تغيير مجرى الأمور؛ ففي نفس العام قام الأنباط بمساعدة اوكتافيوس في حربه ضد انطونيوس وكليوباترا وساعدوه بإحراق السفن البطلمية في البحر الأحمر، رغبة في تحرير أراضيهم واستعادة ثرواتهم المنهوبة، التي قدمت كهدية لكليوباترا. وبعد انتهاء المعركة قام اوكتافيوس بإرجاع الأراضي الزراعية المقتطعة إضافة إلى إرجاع بعض المدن الأخرى، ولكنه لم يُعر الأنباط أي اهتمام رغم مساعدتهم له[346].

حدثت أيضاً معركة بين الأنباط واليهود بالقرب من القنوات[347] في جنوب سوريا، حيث انتصر اليهود في بادئ الأمر، إلا أن هيرود خسر في آخرها وانهزم، وذلك بمساعدة من أثينيون، أحد قادة كليوباترا، وقد قام هيرود بإعادة تنظيم أموره، والتحم مع الأنباط في منطقة قرب عمان، وقُتل في هذه المعركة خمسة آلاف من جنود الأنباط، وطلب الأنباط الصلح بعد أن أدركوا هزيمتهم، كما يذكر جوسيفوس، لكن هيرود رفض ذلك واستولى على مساحة واسعة من أراضي الأنباط[348]، إلا أن المنطق لا ينسجم مع كل روايات جوسيفوس هذه ، ولو حصل فعلاً ما يقوله، لاستولى هيرود على العاصمة وأسقط الدولة.

عبادة الثالث (30 –9 ق.م)

نستشف من النقوش النبطية، أن هذا الملك كان مختلفاً عن غيره من ملوك الأنباط، فقد نُعت في نقشين اثنين على أنه "ا ل هـ ا = إله" وهذان النقشان هما من منطقة النمير في البتراء، والآخر من مدينة عبده في النقب جنوبي فلسطين[349]، ويبدو أن مدينة عبده قد سُميّت بذلك نسبة إليه، فيذكر استيفانوس البيزنطي أن عبده هي المكان الذي دفن به ملك الأنباط المؤله[350]. ويبدو أن عادة تأليه الحاكم ، والتي لم تكن شائعة كثيراً عند الأنباط، كانت مقتبسة من حضارات مجاورة كالحضارة البطلمية.

يصف سترابو عبادة الثالث بأنه لم يكن يلقي بالاً للشؤون العامة، وخاصة السياسية[351] ويؤكد هذا الرأي جوسيفوس، الذي يصف عباده بأنه كان غير نشيط وكسول[352]، وتُشير المصادر التاريخية

---

[346] Josephus, Antiquities XIV.15.1, XV 4.4, XV 5.1; Josephus, War I.18.5; Plutarch 1917: Plutarch's Lives,IX.1.2.
[347] Josephus, Antiquities XV. 5.1.
[348] Josephus, Antiquities XV. 108-120; War I.364-372.
[349] CIS II 354.
[350] Stephanus of Byzantium. (1958): Ethnika: Stephani Byzantii Ethnicol'um quae supersunt ex recensione Augusti Meine/dt. Edited by A Meineke. Graz: Akademische Dmck- U. Verlagsanstalt, 482:15-16.
[351] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.24.

إلى شخصيةٍ سياسيةٍ نبطيةٍ كان لها الدور الأهم خلال تلك الفترة وهو الوزير "سُلي" المعروف في المصادر الإغريقية باسم "سيلايوس"، فوضع عبادة الأمور تحت سيطرة وزيره هذا. وقد عُثر على نقش في ميليتوس ثنائي اللغة: يوناني–نبطي، تركه سُلي هناك عام 9 ق.م، وهو متوجه إلى روما لزيارة الإمبراطور أغسطس خلال فترة الخلاف والنزاع مع هيرود، ويصف النقش سُلي بلقب "أخو الملك"، والأخوة هنا ليست حقيقية، بل مجازية تشير إلى قرب سُلي كوزير من الملك عبادة، وهي على الأرجح ليست أخوة دم. وسُلي رجل داهية، حيث شهدت العلاقات الرومانية النبطية تحسنا ملحوظا خلال فترة توليه الأمور، مما دفع الرومان إلى توجيه أنظارهم إلى الجزيرة العربية، فأوعز الإمبراطور أغسطس إلى ايليوس جالوس واليه على مصر القيام بحملة على الجزيرة العربية عام 24 ق.م، حيث مرَّت الحملة عبر جزءٍ من أرض الأنباط، كما أن الدليل الذي قاد الحملة كان سُلي نفسه الذي رافقها وزوَّدها بألف رجل من رجال الأنباط.

يعتبر سترابو المصدر التاريخي الرئيس، الذي يشير لهذه الحملة[353]، التي لا نجد لها ذكرا في النقوش النبطية والمصادر العربية الجنوبية اليمنية على الإطلاق، وقد انطلقت الحملة من مصر عام 24/25 ق.م، بدوافع استراتيجية وسياسية وعسكرية واقتصادية حيث يذكر سترابو أن ايليوس جالوس قد قاد حملته بطلب من الإمبراطور الروماني، ليستكشف القبائل والأماكن في الجزيرة العربية، ويرى سترابو أن الأنباط هم الذين شجعوا الرومان على القيام بهذه الحملة، ولكن يبدو أن هذا الرأي مبالغ فيه بل غير صحيح.

جهَّز ايليوس جالوس ثمانين قارباً ومائة وثلاثين سفينة وأبحر بها من ميناء كليوباترس في مصر، وتكوَّنت الحملة من عشرة آلاف من المشاة الرومان من مصر، وكان من بين حلفاء الرومان خمسمائة يهودي وألف نبطي، بقيادة سُلي، وقد دخلت القوات إلى ميناء ليوكه كومي (القرية البيضاء) النبطي الواقع شمال غرب الجزيرة العربية بعد أربعة عشر يوماً من رحيلها، وأقام الجيش المتعب هنالك لفترة، ويذكر سترابو أن القوات كانت تعاني من الأمراض، فأُجبر جالوس على قضاء مدة زمنية في ذلك الميناء حتى يتم شفاء المرضى[354]. وبعدها توجه بعد مسيرة عدة أيام إلى (أرض الحارث)، أحد أقرباء عبادة الثالث، الذي استقبلهم استقبالاً حافلاً، والحارث هذا قد يكون والياً أو حاكماً إدارياً نبطياً لإحدى المدن النبطية الواقعة شمال الجزيرة العربية.

يذكر سترابو بعد ذلك، أنه بعد مسيرة ثلاثين يوما في أرض ذات طوبوغرافيا صعبة، وصلت القوات الرومانية إلى أرض تدعى باسم "Ararene" ثم وصلت إلى نجران، التي هرب ملكها منها وحدثت معركة بين الرومان والعرب، خسر فيها العرب، كما يذكر سترابو، حوالي عشرة

---

[352] Josephus, Antiquities XVI.7.6.
[353] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.24.
[354] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.24.

آلاف محارب في حين لم يخسر الرومان إلا جنديين اثنين، وهذا فيه مبالغة سببها على ما اعتقد الصداقة التي ربطت بين الجغرافي سترابو، وبين جالوس قائد الحملة، وهو ما جعله ينحاز لهذا الأخير ويحاول أن يربط أسباب فشل الحملة بالأنباط وليس بقائدها.

تقدمت الحملة بعد ذلك إلى منطقة "نشق" (القرية البيضاء حاليا) الواقعة في أرض الجوف، ومن ثم مدينة "يثل" ثم توجهت بعد ذلك تجاه "مارسيبا"، التي قد تكون مأرب، والتي كانت محصنة فحاصرها الرومان ستة أيام، ولكنهم لم يستطيعوا إخضاعها وتراجعوا بعد ذلك بسبب قلة المياه وانتشار الأمراض بين جنودهم، فعادت الحملة إلى نجران، ووقعت معركة بين الرومان والعرب هناك، وتوجهت الجيوش شمالا إلى الحِجر في أرض عبادة، وقد قطع جالوس البحر عائدا تجاه ميناء ميوس هيرمس في مصر[355].

ويمكن إيجاز أسباب فشل الحملة بخداع سُلي وتضليله لها، إذ أخذ القوات وقادها عبر طرق غير آمنة، وعبر شواطئ صخرية لا موانئ فيها، فجهَّز جالوس جيشاً لخوض حرب بحرية ولكنها لم تحدث. ومن أسباب فشل الحملة أيضاً، جهل الرومان بجزيرة العرب، ومقاومة العرب للحملة الرومانية، وبالنسبة للعرب فقد نجحت الحملة لأن الرومان لم يفكروا بعدها بالتقدم نحوهم كمحتلين. ويبدو أن هنالك أسباباً أخرى أدت إلى فشل هذه الحملة، كطول المسافة التي قطعتها القوات الرومانية حتى وصلت الأرض اليمنية متعبة، إضافة إلى مقاومة العرب الجنوبيين لها، وتحصينات مدنهم القوية وخصوصا مأرب[356].

لقد أدى فشل هذه الحملة الرومانية إلى إنشاء طريق بحرية، تربط روما بالبحر الأبيض المتوسط والإسكندرية والنيل، وقفط، وميوس هيرمس أو بيرينيكي، ثم ركوب البحر باتجاه موانئ الجزيرة العربية، مع استمرار طريق التجارة البري السابق[357].

شهدت العلاقات النبطية اليهودية تذبذباً خلال السنوات الأخيرة من حكم عبادة والتي سيطر على الحكم فيها الوزير سُلي الذي يتحدث جوسيفوس بشكلٍ مفصلٍ عن قصته وعلاقته بهيرود وقيصر[358]، حيث يقول أنه كان شخصاً ماهراً ووسيماً، وأنه قد زار هيرود وشاركه مائدة الطعام والتقى بسالومي هناك، وعلم أنها أرملة، وتعلَّق قلبه بها، وتعاطفت هي معه، وتحمست للزواج به وأزعج هذا الأمر هيرود الذي طلب مراقبتهما، وتأكد له وقوعهما في الغرام، فأصبح سُلي محلَّ شكٍ وريبةٍ، وعاد إلى أهله، ثم عاود الرجوع مرة ثانية لرؤية سالومي ولإخبار هيرود برغبته الزواج

---

[355] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.24.

[356] الجرو، أسمهان (1996): التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية، 200-201.

[357] فيلنوف، فرانسوا (2005): نقشان عسكريان لاتينيان جديدان مكتشفان في جزر فرسان: روما والإسكندرية والبتراء وتجارة الشرق في القرن الثاني بعد الميلاد. في: المدينة في الوطن العربي، 167-180.

[358] Josephus, Antiquities XV. 352; XVI.7.6; Josephus, War I.24.6, 26.1, 29.3, XVI. 282-285; Josephus, War I.24.6, 26.1, 29.3.

منها، فتمت الموافقة شريطة أن يعتنق الديانة اليهودية، ولكنه رفض ذلك خوفا من قومه الذين سيرجمونه بالحجارة لو فعل ذلك.

ذهب هيرود بعدها لروما، وبعد عودته منها نشبت حرب بينه وبين الأنباط إذ ثار سكان تراخون (Trachon) في حوران على أغسطس قيصر عقب استيلائه على بلادهم وانتزاعها من زينودوروس ومنحها لهيرود، وبعد أن أبحر هيرود إلى روما، أشاع سكان تراخون نبأ موت هيرود، فتمرَّدوا وثاروا على إدارته، وتمكَّن قادة هيرود من إخضاعهم، إلا أن أربعين شخصاً منهم قد اتجهوا إلى الأنباط جنوباً، واستضافهم سُلي ودعمهم، واجتاحوا بعض المناطق في جوف سوريا واستولوا على غنائم، وعندما عاد هيرود من روما، استاء عندما علم بما حدث، لا سيما وأنه كان قد أقرض الملك عبادة مبلغ ستون تالنتاً عن طريق سُلي، ولأن موعد السداد قد انتهى فقد طلب منه سداد المبلغ، وتعهد سُلي بدفع المبلغ، ولكنه لم يوفِ بذلك، وذهب إلى روما، فاصطحب هيرود جيشاً إلى بلاد الأنباط ووصل إلى مركز تجمع ثوار التراخون الذي كان سُلي يوفر لهم الحماية، وأسرهم ودمر موقعهم الذي كان يسمى رايبتا (Raepta)، فاتجه الأنباط لنصرتهم بقيادة نقيبوس (Nacibus)، واشتبكوا مع قوات هيرود، وانتهت المواجهة لصالح هيرود، وفي ذلك الوقت كان سُلي في روما، وأخبر أغسطس قيصر عن اجتياح جيش هيرود لبلاده، وأخبره أن ألفين وخمسمائة من رجالات الأنباط قد أبيدوا، وأن قائدهم نقيبوس قد قتل، وأن عبادة أصبح غير قادرٍ على القتال نتيجة لتشوهه، فغضب قيصر، وتوفي عبادة حينئذ وتولى الحكم أينياس (Aeneas)، الذي تغير اسمه بعد ذلك إلى أريتاس [الحارث] (Aretas) الذي كان سُلي يتطلع لخلعه والاستيلاء منه على الحكم، حيث وعد قيصر بأموال ضخمة، فأرسل الحارث وقتها تاجاً ذهبياً، واتهم رسول الحارث سُلي بأنه قد تسبب بمقتل عبادة بالسم، وأنه قد مارس الفاحشة مع زوجات الأنباط، وأنه قد اقترض أموالا للحصول على السلطة.

لم يكترث قيصر بهذه الادعاءات، ورفض هدايا السفراء، وبعدها أرسل هيرود نيقولا الدمشقي إلى روما، وفي الوقت نفسه انشقَّ بعض العرب من أتباع الحارث عن سُلي، وانضموا إلى نيقولا واتهموا سُلي بقتل عدد كبير من أصدقاء عبادة، وحاول نيقولا أن يُقرِّب وجهات النظر بين قيصر وهيرود، ووجَّه اتهامه لسُلي بحضور سفراء الحارث، واتهمه بقتل عبادة وبعض اتباعه، واقتراض أموال باسم الدولة لصالحه، وارتكابه الزنا مع عربيات ورومانيات، وكذبه على قيصر بقصد إفساد علاقته مع هيرود، فغضب قيصر من سُلي، حيث انتهى الأمر بإدانته والحكم بإعدامه.

الحارث الرابع (9 ق.م–40 م)

يشير المؤرخ جوسيفوس انه بعد وفاة عبادة الثالث خلفه ملك اسمه اينياس باليونانية غيَّر اسمه لاحقاً ليصبح الحارث[359]، و قد استلم الحارث الرابع الحكم في ظروف شهدت اضطرابات وتوترات سياسية إقليمية ومحلية، حيث استمر الوزير سُلي بممارسة خدعٍ ومؤامرات سياسية، طامعاً باغتصاب العرش النبطي بعد عبادة، حيث يذكر جوسيفوس أن سُلي كان يسعى للتخلص من الحارث الرابع وإبعاده عن العرش من أجل أن يستحوذ هو عليه، فوعد أغسطس قيصر أن يقدِّم له أموالاً وهدايا إن تسلم دفة الحكم، وقد غضب القيصر من قيام الحارث الرابع بتنصيب نفسه ملكاً على الأنباط دون الاستئذان منه، رغم استقلال الأنباط سياسياً وعدم تبعيتهم لروما, ورغم ذلك فقد كتب الحارث الرابع رسالة إلى قيصر متهماً سُلي بمقتل عبادة وخداعه، وسوء مسلكياته، ومحاولته اغتصاب العرش، فبعث له هدايا، لكن قيصر قام بطرد رسل الحارث الرابع، ورفض قبول هداياه[360]. وعلى أية حالٍ، فقد توترت العلاقات النبطية اليهودية إبّان تلك الفترة ، فتوجه نيقولا الدمشقي إلى روما موضحا للقيصر ما يقوم به سُلي من أمور ضد الدولة اليهودية ودولة الأنباط حيث ابلغ قيصر روما عن مواجهته له بالتهم المقدمة ضد سُلي، فهو قاتل عبادة، ويستطرد نيقولا فيذكر لقيصر أن سُلي قد دنس اسمه، ويؤكد نيقولا أنه، ونتيجة لأعمال سُلي، فقد ازدادت أعداد اللصوص في حوران، والذين لجأوا إلى بلاد الأنباط هربا من هيرود، فتلقاهم سُلي وآواهم ومنحهم الأمان. ونتيجة لهذه التبريرات المقنعة، التي قدمت للإمبراطور الروماني، فقد تصالح هيرود مع أغسطس، وقتل سُلي، واعترف أغسطس بعد ذلك بشرعية حكم الحارث الرابع[361].



صورة الحارث الرابع كما تظهر على قطعة نقد ضربها في حوالي عام 16م[362]

وبعد وفاة هيرود عام 4 ق.م حدثت ثورات يهودية، فتدخلت القوات الرومانية بزعامة حاكم سوريا فاروس، لوضع حد لهذه التمردات، وقدَّم الأنباط قوة من المشاة والفرسان لمساعدة فاروس لإخماد

---

[359] Josephus, Antiquities XVI. 294.
[360] Josephus, Antiquities XVI.296.
[361] Josephus, Antiquities XVI.9-4.
[362] Kropp, A. (2013): Kings in Cuirass, Fig. 5.

هذه الثورات، ويرى جوسيفوس أن هدف الحارث من وراء هذه المساعدة هو الانتقام من هيرود، وتأييد الرومان وكسب دعمهم[363].

لقد قام هيرود انتيباس بالزواج من إحدى بنات الحارث[364] (إما سعودت أو فصائل)، ولكن لم يدم هذا الزواج طويلاً، فقد قام انتيباس بزيارة روما، ووقع في غرام زوجة أخيه هيروديا، وأراد انتيباس الزواج منها علماً بأنها لا تحل له، واشترطت عليه طلاق زوجته النبطية، وعندما علمت زوجته النبطية بما حصل، توجهت إلى مكاور في بلاد مؤاب، والتي كانت خاضعة لحكم الأنباط، ومن ثم توجهت لأبيها فمرَّت، وكما يبدو، بالعديد من المقاطعات النبطية، وكان حكام هذه المقاطعات يساعدوها بالتنقل حتى وصلت لأبيها[365] وأخبرته بما يريد انتيباس فعله، فرفض وغضب، وكانت هناك معارضة شديدة لهذا الزواج من عدة أطراف، وخاصة من يوحنا المعمدان، الذي تحدَّث عن عدم مشروعية هذا الزواج، وقام هيرود بسجنه، ومن ثم أعدَّ هيرود حفلة عيد ميلاد له، واتفقت هيروديا وابنتها سالومي على أن ترقص بملابس فاضحة شبه عارية أمام الملك، فتم ذلك وبعد أن ثمل طلب هيرود من سالومي أن تطلب ما تشاء، وأقسم لها أنه سيعطيها ما تطلب، ولو كان ذلك نصف مملكته، فطلبت رأس يوحنا المعمدان، فوفى بوعده، وجاء برأس يوحنا، وسلمه على طبق للفتاة ووالدتها[366].

اشتعلت الحرب بين الأنباط واليهود بعد هروب ابنة الحارث، فحدثت مواجهة بين الفريقين في منطقة (جمالا Gamala) شمال نهر اليرموك حوالي عام 34 م، انتصر فيها الأنباط وهزم الجيش اليهودي؛ بسبب خيانة قوات فيليب كما يذكر جوسيفوس، وبعد ذلك تقدم هيرود انتيباس بشكاوى إلى الإمبراطور الروماني بخصوص انتصار الأنباط، مما أثار حفيظة الإمبراطور، وأوعز لحاكمه في سوريا فيتيليوس أن يشن حربا على الحارث، وأن يحضره حيا أو ميتا، فجهز جيشا من الفرسان والجنود، وتقدم تجاه البتراء، ولكن وفاة الإمبراطور الروماني طيباريوس حالت دون اكتمال الحرب[367].

ومن الجدير بالذكر أن النقوش الصفوية (الكتابات العربية الشمالية أو كتابات البادية) تشير إلى حرب وقعت بين الأنباط واليهود، ولا نعرف على وجه التحديد أي حرب أو حروب هذه التي يشار إليها، كما إن أحد النقوش الصفوية قد أرخ–إذا كانت القراءة صحيحة– إلى العام الذي جاء به سُلي من روما[368].

---

[363] Josephus, Antiquities XVII.10.9; Josephus, War II.5.1.
[364] Josephus, Antiquities XVIII.5.1.
[365] Josephus, Antiquities XVIII.112.
[366] للمزيد انظر Josephus, Antiquities XVIII.5.1-2.
[367] Josephus, Antiquities XVIII.120-125.
[368] للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر العبادي، صبري (1996): ذكر حرب الأنباط واليهود في النقوش الصفوية، مؤته للبحوث والدراسات، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، 239-253.

شهدت فترة حكم الحارث الرابع جهوداً لتوطيد الأمن، ولتطوير المجتمع، وشهدت نهضة عمرانية لم يسبق لها مثيل، فاهتم بالأجزاء الجنوبية وخصوصا مدائن صالح والجوف في الجزء الجنوبي من وادي السرحان ودومة الجندل، كما قام بضم مملكة لحيان التي كانت قائمة في شمال الجزيرة العربية، في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، وأصدر نقدا تذكاريا خاصا بالحجر. واهتم الحارث بعاصمته البتراء التي شهدت نهضة عمرانية، إذ إن أبرز الواجهات الصخرية المهمة والمنشآت المعمارية الضخمة الموجودة فيها تعود لفترة حكمه.

أما في الشمال، فقد اهتم الحارث بحوران، وقام ببناء بعض المنشآت المهمة، كمعبد سيع. وفي نهاية حكم الحارث نسمع عن وجود "اثنارخ" أي حاكم أو مندوب للحارث، كان مسؤولاً عن مدينة دمشق، حيث يقول القديس بولص في هذا الصدد: "في دمشق والي الحارث الملك، كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني "[369]، مما يشير إلى أن منطقة دمشق كانت خاضعة في تلك الفترة لحكم الحارث الرابع.

عَمَّر الحارث الرابع مدن الأنباط في النقب كعبده وخلصه وممفيس، أما على الصعيد الاقتصادي فقد توسعت التجارة النبطية الخارجية، حيث عُثر على العديد من الأدلة الآثارية التي تعود على الأغلب لفترة حكمه، كالنقوش النبطية التي عُثر عليها في بيتولي جنوب مدينة روما، حيث أقام الأنباط معبدا هناك[370].

ومن الجدير بالذكر، أن الحارث قد تلقب بلقب "رحم عمه" أي "محب شعبه" ، وتشير الأدلة الأثرية إلى أنه قد تزوج اثنتين الأولى خلدو، التي تزوجها قبل أن يصبح ملكا والثانية شقيلة التي تزوجها حوالي عام 18 م، كما نستنتج من مسكوكاته التي أصدرها، وقد قام الحارث الرابع بإصدار قطع نقدية تذكارية عند ولادة ابنته فصائل.

مالك الثاني (40–70م)

وهو ابن الحارث الرابع حيث يذكره جوسيفوس في معرض حديثه عن تقديم هذا الملك المساعدة للقائد الروماني "تيطس" في محاولته القضاء على اليهود عام 67م، وذلك بتزويد الرومان بألف رجل من الفرسان وخمسة آلاف من المشاة[371]، فهاجم تيطس القدس ودمرها وهدم أسوارها. ونرجِّح أن يكون هذا مالك الذي ورد اسمه في مؤلف الطواف حول البحر الاريتيري، إذ أشار إلى وجود طريق في "أرض مالك" يربط ميناء ليوكه كومي بالبتراء[372].

---

[369] II.Cor. 11:32-33.
[370] CIS II 157, 158.
[371] Josephus, War III.4.2.
[372] Casson, L. (1989): The Periplus Maris Erythraei, 6.

رب ايل الثاني (70-106م)

لقد كان رب ايل الثاني حديث السن حين أصبح ملكاً، وكانت أمه بالتالي وصية عليه خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه، واعتلى العرش فعلياً بعد بلوغه السن القانوني عام 75م وللأسف لا تتوفر لدينا معلومات تاريخية عن هذا الملك وحكمه، وجُلّ معلوماتنا عنه نستقيها من المصادر النبطية وخاصة النقود والنقوش؛ فقد عُثر على نقش نبطي يعود لفترة حكمه شمال دمشق في منطقة الضمير، يؤرخ لعام 94م ويذكر أسماء حاكمين اثنين، ويبدو إن إقليم حوران والجزء الشمالي منه كان يخضع أحياناً لحكم الأنباط، وأحياناً يخرج من تحت سيطرتهم، وقد عُثر على نقوش عديدة تعود لفترة حكم هذا الملك في عدة مناطق من سوريا الجنوبية إضافة إلى نقوش أخرى من مدائن صالح جنوبي مملكته، ويشير أحد النقوش إلى نجاح هذا الملك في القيام بإخماد ثورة قامت في الحِجر بقيادة شخص اسمه دمصي. ولكن يبدو أن اهتمامات هذا الملك كانت صوب الشمال حيث أبدى رب ايل اهتماماً أكثر بإقليم حوران، وربما كان هذا الاهتمام مرتبطاً برغبة رب ايل تنشيط التجارة والسيطرة على الطرق التجارية في تلك المنطقة.

ويبدو كذلك أن هذا الملك قد اهتم بمنطقة غور الصافي حيث تشير البرديات النبطية التي عُثر عليها بالقرب من البحر الميت، والتي يؤرَّخ معظمها إلى السنوات الأخيرة من حكمه إلى اهتمام بالزراعة في هذه المنطقة، وإلى ملكية رب ايل نفسه أراض هناك حيث تمثل هذه الوثائق النبطية عقودا تجارية أفادتنا بالكثير من المعلومات عن الزراعة والتجارة النبطية خلال تلك الفترة.

كما يبدو أخيراً أن فترة حكم رب ايل قد شهدت تدهوراً عاماً، وقد تلقب هذا الملك بلقب "مانح الحياة والخلاص لشعبه"، اللقب الذي يربطه بعض الباحثين بجهود بذلها هذا الملك لإصلاح الأوضاع في مملكته، سواء أكانت أوضاعاً سياسية أم شؤوناً اقتصادية وزراعية.

قام الرومان بضم البتراء عام 106م إلى إمبراطوريتهم، بأمر من تراجان الذي أوعز إلى قائده كورنيليوس بالما هذا العمل، حيث ساعد بالما في مهمته هذه ضعف الأنباط السياسي، خلال تلك الفترة إضافة إلى أطماع إمبراطورية تراجان التوسعية، الذي كان يرى في نفسه خليفة الإسكندر الكبير. ويبدو أن هذا الضم كان وراءه دوافع اقتصادية أخرى تمثلت في رغبة الرومان السيطرة على طرف التجارة، ونجد إشارة لهذه الحادثة التاريخية في مصدرين تاريخين اثنين هما: ديوكاسيوس[373] واميانوس ماركيلينوس[374]. واختلف الباحثون في كيفية الضم، حيث يرى البعض أن الضم كان سلماً، في حين يرى البعض الأخر أن الضم كان عنوة، ونحن نرجح الرأي الثاني؛ لوجود طبقات تشير إلى دمار في عدة مواقع من البتراء، تعود لتلك الفترة. ومن المواقع التي عثر بها على طبقات تدمير، المنطقة السكنية في الزنطور إضافة إلى معبد الأسود المجنحة.

---

[373] Dio Cassius, Dio’s Roman History, 68.15.
[374] Ammianus Marcellinius, Res Gestae, 8.13.

وبعد ذلك سيطر الرومان على جميع الأراضي التي كانت تابعة لمملكة الأنباط ، وقاموا بإعادة سك القطع النقدية النبطية، التي سُكَّت في أيام رب ايل الثاني، لتظهر بمظهر روماني جديد، وتم تأسيس ما يعرف بالولاية العربية، التي كانت بصرى عاصمتها، وأصبحت بصرى قاعدة عسكرية للفيلق الروماني الثالث، وقام تراجان بتحويل وحدات من الجيش النبطي للخدمة في الجيش الروماني، فحصل الجنود الأنباط هؤلاء على حق المواطنة الرومانية. وتم بعد ذلك بناء طريق تراجان الذي يربط العقبة ببصرى الشام خلال الفترة ما بين 111-114م.

دخلت المسيحية البتراء في القرن الرابع، فاعتنقها بعض السكان، وبقي آخرون على وثنيتهم، وكان للأنباط دور واضح في الفتوحات الإسلامية بعد أن اعتنقوا الإسلام حيث يعتقد صالح حمارنه قيام حلف بين الأنباط وقبائل جذام ، وقد ورد ذكر الأنباط مرارا في المصادر الإسلامية، ويبدو أنهم استمروا بممارسة دورهم في تجارة الجزيرة العربية بعد مجيء الإسلام، وكان لهم سوق في المدينة المنورة[375]، ويُذكر الأنباط مرارا في المصادر العربية والإسلامية، حيث يذكر الواقدي في كتابه المغازي: " كانت الساقطة– وهم الأنباط – يقدمون المدينة بالدرمك والزيت في الجاهلية، وبعد أن دخل الإسلام، فإنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط" . [376]

---

[375] للمزيد حول هذا الموضوع انظر: حمارنه، صالح (1991): الناس والأرض: دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى. دار الينابيع للنشر والتوزيع، 5-25.

[376] الواقدي، محمد بن عمر (1966): المغـازي، اوكسفورد، ج1، 397.

الفصل الثالث: ديانة البتراء وممارساتها الدفنية في العصور القديمة

الفصل الثالث:

ديانة البتراء وممارساتها الدفنية في العصور القديمة

سنناقش في هذا الفصل تطور المعتقدات الدينية في منقطة البتراء وجوارها منذ أقدم العصور وحتى قدوم الإسلام، حيث يشتمل الفصل على دراسةٍ لما هو متوفر لدينا من أدلة عن الحياة الدينية خلال الفترة التي سبقت قدوم الأنباط، ويتبع هذا الجزء مناقشة للديانة النبطية ومن ثم الرومانية حتى وصول المسيحية والإسلام من بعدها، أما الجزء الأخير من هذا الفصل فقد خصصّناه لمناقشة عادات الدفن في البتراء خلال العصور المختلفة.

وحتى نتمكن من فهم هذه الجوانب فقد اعتمدنا على العديد من المصادر منها البقايا الأثرية ودراسة للمنشآت الدينية المختلفة التي عُثر عليها في منطقة الدراسة، بالإضافة إلى الإشارات الواردة في المصادر التاريخية العربية واليونانية والرومانية والبيزنطية.

أولاً: ديانة البتراء المبكرة

ما تزال معلوماتنا محدودة حول تطوَّر المعتقدات الدينية وطبيعتها في منطقة البتراء وجوارها خلال العصور الحجرية، وأقدم ما يمكن أن نعتبره لقى دينية تلك التماثيل التي عُثر عليها في قرية بيضا التي تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري والتي تشتمل على بقايا تماثيل مصنوعة من الطين المشوي بينها تمثال يمثل آلهة عارية رأسها مكسور ولها صدر بارز وليس لها أذرع[377].

أما من العصر الحديدي، فقد كُشف عن مبنىً ذي صفة دينية ضمن محيط البتراء، وعُثر كذلك على مذبح في طويلان، أما أبرز إله عُبد خلال هذه الفترة فهو الإله قوس الذي استمرت عبادته خلال الفترتين النبطية والرومانية، ودخل اسم هذا المعبود في أسماء الملوك الآدوميين مثل قوس جابر وقوس ملك[378].

وقوس معبود آدومي عُبد الإله في العديد من مناطق الشرق الأدنى القديم[379]، وارتبط بحدد (هدد أو أدد) إله العواصف والمطر، وورد اسمه مركباً مع أسماء الملوك الآدوميين حيث عُبد في خربة التنور، حيث ورد اسمه في نُقوش عُثر عليها هناك، كما ورد اسمه في نقشٍ من مدائن صالح بصيغة قيسه[380]، وصوِّر هذا المعبود في خربة التنور جالساً على عرشٍ، كما وردت إشارات

---

[377] Kirkbride, D. (1966): Five seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village, 5-61.

[378] للمزيد انظر ياسين، خير نمر (1994): الآدوميون: تاريخهم وآثارهم، الجامعة الأردنية، 143-149.

[379] Teixidor, J (1970): The Pagan God, 90.

[380] CIS II 1981.

لعبادته في القرنين الثاني والثالث للميلاد في جنوب سوريا[381]، وتؤكِّد منحوتات معبد خربة التنور استمرار عبادته هناك خلال الفترة الرومانية[382].

ثانياً: الديانة النبطية والمعبودات والمعابد

تعتبر الآثار والمصادر التاريخية والدينية من أبرز مصادر دراسة أديان العرب قبل الإسلام، فقد زودتنا كتابات المؤرخين الكلاسيكيين والشعر الجاهلي والقرآن الكريم بالكثير من المعلومات عن معبودات العرب قبل الإسلام، وتعتبر الديانة النبطية استمراراً لهذه الأديان. وتشير الأدلة الكتابية النبطية إلى تأثر الأنباط بالعديد من الأقوام المعاصرين لهم، حيث أخذوا من الجزيرة العربية موطنهم الأصلي بعض الآلهة كذي الشرى واللات، وأخذوا من شمالي بلاد الشام عطارغتيس وأخذوا من مصر إيزيس.

كانت الديانة النبطية قائمة أساساً على تعدد الآلهة وهي تنتمي إلى ديانة العرب قبل الإسلام، ونلاحظ إن الديانة النبطية، وعلى الرغم من تعدد الآلهة التي عُبدت، إلا أنها اتصفت بتخصيص إله واحد بالتعظيم جنباً إلى جنب مع عبادتهم آلهة أخرى أقل مكانة منه.

كانت عقيدة الشمس من أبرز عقائد العرب القديمة وأوسعها انتشاراً في بلادهم، حيث يذكر المؤرخ أريان أن الإسكندر الكبير قد سمع أن العرب كانوا يتعبدون فقط لإلهين اثنين هما أورانوس وديونيسيوس، و"أورانوس Uranus لأنه مرئي ويضم في ذاته الكواكب السماوية الأخرى وخاصة الشمس"[383]، ويرى جواد علي أن عبادة الشمس عبادة "قليلة الانتشار بين الأعراب، على عكس الحضر الذين كانوا يتعبَّدون لها، ولهذا كان أكثر الذين عبدوها من الحضر، أو من الأعراب الذين تطوَّروا بأن ركنوا إلى حياة الحضر، أو توسطوا بين الحياتين"[384]؛ ويبدو هذا الكلام صحيحاً؛ لأن دلائل ومؤشرات عبادتها بين الأعراب أقل من دلائل عبادتها بين أهل الحضر.

احتلَّت عقيدة الشمس المرتبة الثانية بالنسبة للعرب الجنوبيين بعد القمر، وبيَّنت ترنيمة الشمس مكانتها المرموقة عندهم[385] والتي يؤكِّدها القران الكريم، الذي يتحدث في أكثر من موضعٍ عن تقدِّيس العرب لها وسجودهم لها، قال تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا

---

[381] الملكي، هيا (2011-2012): تماثيل الآلهة في سوريا خلال العصر الروماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، 69.

[382] McKenzie, J. and Reyes, A. T. (2013): Iconographic Programme, In: J. McKenzie et al. (eds.), The Nabataean Temple at Khirbet Et-Tannur, Jordan, Vol. 1 – Architecture and Religion, AASOR 65. Oxford: Annual of the American Schools of Oriental Research 67 (2013) and Manar al-Athar Monograph, 204.

[383] Arrian, (1971): The Campaigns of Alexander, trans. Aubrey de Sélincourt, Intro. & Notes: J. R. Hamilton, (Penguin Books), New York, 7: 20.

[384] علي، جواد (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 11: 325.

[385] عبدالله، يوسف محمد (1989): ترنيمة الشمس، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 22.

لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"[386]، وأشار القرآن الكريم إلى تعبُّد أهل سبأ للشمس، وذلك في ضوء شهادة الهدهد عن حُكم مملكة سبأ إلى سليمان عليه السلام، قال تعالى: "وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ"[387]، وأكَّد القران الكريم في العديد من آياته على أهمية الشمس والقمر والكواكب في معتقدات العرب قبل الإسلام[388].

ما تزال معلوماتنا عن الكثير من الجوانب العقائدية النبطية محدودة جداً؛ وذلك لمحدودية الإشارات المتعلقة بهذه الجوانب في المصادر التاريخية، ولصعوبة تفسير الكثير من الشواهد الأثرية المكتشفة ذات العلاقة، والمصدر التاريخي الوحيد الذي يذكر عبادة الأنباط للشمس صراحة هو كتاب الجغرافيا الذي ألَّفه الجغرافي الإغريقي سترابو (63 ق.م– 24م) الذي يُعتبر من أبرز مصادر دراسة الحضارة النبطية. وعلى الرغم من عدم صحة الكثير من المعلومات التي ذكرها سترابو عن الأنباط[389]، إلا أن إشارته لتعبُّد الأنباط للشمس صحيحة، وذلك في ضوء دلائل عديدة.

أشار سترابو إلى تعبُّد الأنباط للشمس، حيث يقول أنهم: "يعبدون الشمس، يبنون مذبحاً على سطح البيت، ويسكبون سوائل الإراقة عليه يوميًا ويحرقون البخور"[390]. يُلاحظ المتأمل لهذه العبارة غموضها، فلا نعرف ما المقصود بـ"البيت": هل يقصد كلَّ بيتٍ نبطيٍ؟ أم كان يقصد بهذه البيوت المعابد؟ أم يقصد مُعلَّيات ولكنه أخطأ في الوصف؟. لقد حفَّزت إشارة سترابو التاريخية هذه الباحثين على إجراء دراساتٍ لمعرفة المعبود الذي كان يُمثِّلُ الشمس عند الأنباط، وكانت نتيجة هذه الاجتهادات أن ربطه فريقٌ من المستشرقين على رأسهم كل من نولديكه وفلهاوزن بالربة اللات وذلك بدلالة أن الشمس واللات مؤنثتان[391]، بيد أن هذا التبرير غير مقنعٍ لأن الشمس كانت مذكرة عند عرب الشمال في حين كان القمر مؤنثاً عندهم[392]، وهناك من فّسر عبارة (ر ب ت/ ا ل ا ت ر) التي تأتي بعد اسم اللات في أحد النقوش النبطية التي عُثر عليها

---

[386] سورة فصلت: 37.

[387] سورة النمل: 24.

[388] انظر على سبيل المثال: سورة الأنعام: 78، سورة التكوير: 15، سورة الطارق:1، سورة النجم: 49، سورة النمل: 24.

[389] أثبتت الحفريات والمسوحات الأثرية التي أُجريت في مناطق عدة من المملكة النبطية عدم صحة الكثير من الروايات التي ذكرها سترابو حول الأنباط، وسبب ذلك أن تدوينه لملاحظاته لم يكن بناءً على مشاهداته الخاصة، بل كان ينقل هذه الروايات عن أصدقاء له زاروا بعض مناطق المملكة النبطية ولم يقم هو بزيارة للمملكة النبطية على الإطلاق.

[390] Strabo, The Geography of Strabo,16.4.26; لا نعرف على وجه الخصوص كم مرة كان يتم حرق البخور وإراقة القرابين التي تحدث عنها سترابو، ولكننا نعتقد أن ذلك كان يتم مرتين يومياً، أسوة ببقية المعابد في بلاد الشام، حيث يتحدث لقويانوس السميساطي -على سبيل المثال- عن تقديم القرابين لمعبد منبج مرتين يومياً (لوقيانوس السميساطي (1987): أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق: 44)، كما كان يتم تقديم القرابين في أيام الاحتفالات الدينية التي يبدو أنها كانت تنظم مرتين في السنة هما احتفال الربيع واحتفال الخريف.

[391] Noldeke, Th. (1971): Arabs (Ancient), Encyclopedia of Religions And Ethics, Edited Byjames Hastings, M.A, D.D. Vol. 1, 659-673.

[392] Winnet, F. (1940): The Daughters of Allah. In: The Moslem World 30: 125.

في صلخد على أنها تعني "سيدة اللمعان"[393] وتم ربطها تبعاً لذلك بالشمس، ولكن يبدو أن كلمة "الأثر" هنا تعني "الموضع أو المكان"[394]، ولا تعكس صفة هذه المعبودة.

نعتقد أن لإشارة سترابو هذه علاقةً مباشرةً وارتباطاً جليّاً بعبادة ذي الشرى كما سنرى لاحقاً[395]، ونستبعد أن تكون اللات هي المقصودة عند سترابو[396]، والتي لم يرد ذكرها في أي نقشٍ نبطيٍ من البتراء عاصمة مملكة الأنباط التي يكثر فيها ذكر اسم المعبود الوطني الرئيس ذي الشرى، وذُكرت ثلاث مرات فقط في مجموعة النقوش النبطية التي عُثر عليها في المملكة العربية السعودية والبالغ عددها (967) نقشاً[397]، ولكن ورد ذكرها في نقوش وادي رم، وكذلك نقوش حوران على وجه الخصوص، مما يؤكِّد بأنها لم تكن وطنية الانتشار مثل ذي الشرى، بل تركَّزت عبادتها في هاتين المنطقتين، وكانت لها مكانة خاصة ومرموقة بين الأعراب الذين تُنسب إليهم الكتابات الصفوية (الصفائية)[398] حيث يبدو أنها كانت تُعتبر معبودهم الأول.

لا يمكن دراسة دين الأنباط بمفرده كمنظومة مستقلة، ولا بد من دراسته ضمن السياقين التاريخي والجغرافي لشبه الجزيرة العربية، الموطن الأصلي لهم، حيث عَبَد الأنباط العديد من المعبودات التي عُرفت بالجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام، ومن أهمها:-

ذو الشرى

يُعتبر ذو الشرى أحد المعبودات التي عُبدت في بلاد الشام والجزيرة العربية حيث يرد اسمه في العديد من النقوش النبطية واليونانية والصفوية والثمودية، واستمرت عبادته حتى قدوم الإسلام حيث ترد في السيرة النبوية إشارة إلى تطهر إحدى النساء عند إسلامها من حمى ذي الشرى[399]، وقد ورد اسم هذا المعبود عند ابن الكلبي الذي يقول أنه كان صنماً لبني الحارث بن يشكر من الأزد[400].

كان ذو الشرى أبرز آلهة الأنباط، وهو أكثر إله يتردد اسمه في نقوشهم، وقد ربط العديد من الباحثين اسمه بجبال الشراة الواقعة جنوبي الأردن، وخلص معظمهم إلى نتيجة مفادها أنه سُمِّي

---

[393] المعاني، سلطان (1993): في حياة العرب الدينية قبل الإسلام من خلال النقوش، مجلة دراسات تاريخية، العددان 47 و 48، 102.

[394] الذييب، سليمان (2014): المعجم النبطي: دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 66.

[395] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans, 103.

[396] يرى فيليب هموند أن اللات كانت المعبودة الرئيسة في مدينة البتراء، ورجّح ان يكون معبد الأسود المجنحة قد بُني لعبادتها Hammond, Ph. (1990): The Goddess of the 'Temple of the Winged Lions'. In: Petra and the Caravan (Cities, edited by F. Zayadine, Amman, 115-130.)، ولكننا نستبعد ذلك لعدم وجود أدلة تؤيد هذا الافتراض، فلم يرد اسم هذه المعبودة في أي نقش من نقوش مدينة البتراء، ويبدو أن مراكز عبادتها الرئيسة كانت في حوران ووادي رم وذلك بدلالة اكتشاف العديد من النقود التي تؤكد ذلك هناك.

[397] انظر الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.

[398] المعاني، سلطان (1993): في حياة العرب الدينية قبل الإسلام، 97.

[399] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (1411 هـ): السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1/ 258.

[400] ابن الكلبي، هشام (1924): كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة، 37.

بهذا الاسم نسبة لها[401]، ويرى الباحث غاوليكوفسكي إن منطقة الشراة يمكن أن تعتبر حمى أو حرماً لهذا الإله خلال فترة ما قبل الإسلام[402]، بينما يرى باحثون آخرون أن اسم هذا المعبود قد يكون له علاقة باسم قبيلة[403].

ويرى فريق آخر من الباحثين أن الاسم قد يكون له علاقة بمعنىً من معاني كلمة (شرى) مرتبط بآلهة الخضرة والخصوبة والنباتات، حيث استنتج أصحاب هذا الرأي أن الاسم قد يعني إله الخُضرة وذلك بدلالة أحد معاني الاسم[404].

ونستبعد في هذا السياق أن يكون هذا المعبود قد سُمِّي نسبة لجبال الشراة، ونُرجِّح أن تكون جبال الشراة قد سُميّت نسبة له، مؤيدين بذلك ما ذهب إليه المؤرخ والجغرافي استيفانوس البيزنطي من القرن السادس الميلادي في كتابه الموسوم Ethnica حيث يقول:

"Δουσαρή, σκόπελος καὶ κορυφὴ ὑψηλοτάτη Ἀραβίας. εἴρηται δὲ ἀπὸ Δουσάρου. θεὸς δὲ οὗτος παρὰ Ἄραψιν και Δαχαρηνοῖς τιμώμενος".

"دوساري (Δουσαρή)، ناحية وقمة عالية جداً في بلاد العرب. سُميّت نسبة لدوساريو (Δουσάρου). يُبجِّل هذا الإله العرب والداخارينويس[405]"[406].

وهذه هي الإشارة التاريخية الوحيدة التي تذكر سبب التسمية.

والسؤل الآن، إذا كان هذا الإله قد سُميّت باسمه جبال الشراة وليس العكس، فمن أين جاء اسمه؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد من العودة إلى المعاجم العربية للبحث عن معاني هذا الاسم وترجيح ما أمكن من المعاني المختلفة.

يتكون اسم ذي الشرى من جزأين: الأول هو (ذو) والذي يعني (صاحب) في العربية، كما تعني أيضاً (الذي) أو (التي) حيث يقول التبريزي مُعلّقاً على بيت الشعر المنسوب لأحد الشعراء الطائيين (فإن المَاء مَاء أبي وجدي.....وبئري ذُو حفرت وذُو طويت) و"ذُو بِمَعْنى الَّذِي فِي لُغَة طيىء وَتَقَع على جَمِيع الموصولات وَلَا يتَغَيَّر لَفظهَا وَلَوْلَا ذَلِك لقَالَ الَّتِي حفرت لِأَن الْبِئْر مُؤَنّثَة"[407].

---

[401] Starcky, J. (1966): Petra et la Nabatene, 986; Teixidor, J. (1977): The Pagan God: Popular Religion in the Greco-Roman Near East, Princeton: Princeton University Press, 83.

[402] Gawlikowski, M. (1990): Les dieux des Nabateens. ANRW, 18.4, 2663.

[403] Ryckmans, G. (1965): Dhu ’l-Shara. In: Encyclopedia of Islam, Volume II, edited by B. Lewis, Ch. Pellat, and J. Schacht, Leiden: Brill, 246.

[404] Zayadine, F. (1997): Die Götter der Nabatäer. In: Petra und das Königreich der Nabatäer: Lebensraum, Geschichte und Kultur eines arabischen Volkes der Antike, edited by Lindner Manfred, München, Delp, 115.

[405] الداخارينويس (Δαχαρηνοῖς) قوم لا نعرف من هم وأين سكنوا.

[406] Stephanus of Byzantium. (1958): Ethnika, 237.23.

[407] التبريزي، يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الخطيب (2000): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، 93

أما كلمة (شرى) التي تُمثِّل الشق الثاني من اسم هذا المعبود، فلها عدَّة معانٍ في المعاجم العربية منها (الناحية) و(لمع وتتابع لمعانه) (ابن منظور: مادة شرى)، وأُرجِّح أن يكون الأخير معناها، فهي بالتالي تعكس صفةً من صفات الإله الشمس المعبود الرئيسي عند الأنباط، فأسماء الآلهة في العادة تدّل على صفاتها، ونجد تسميات مشابهة لمعنى كلمة (شرى= لمع وتتابع لمعانه)، ولكنها مؤنَّثة عند عرب الجنوب، ومُذكَّرة عند بقية شعوب الشرق الأدنى القديم، فقد أطلق عرب الجنوب على آلهة الشمس العديد من الأسماء والصفات والألقاب، فكانت ذات حميم (ذات الحرارة الشديدة) وذات بعدن (البعيدة)، وذات ظهرن وصهرن (كناية عن شدة إشراقها وقت الظهيرة)[408]، ويرى بعض الباحثين أن العرب الأنباط وأحفادهم قد استوردوا آلهتهم الشمس ذات حميم ودمجوها مع إلههم المحلي الذكر[409]، ولا نستطيع الجزم بصحة هذا الافتراض لعدم وجود أدلة تؤيده.

لقد أكَّدت الدلائل التاريخية والأثرية على أهمية الشمس في معتقدات الأنباط وارتباطها بذي الشرى الذي يبدو أنه كان إلهاً شمسياً، وكان يتم الاحتفال بعيد ميلاده في السادس من شهر كانون أول عند شروق الشمس في الصباح كما يذكر المؤرخ إبيفانيوس السلاميسي (315-403م)، الذي يؤكد أن أهل البتراء وخلصه في النقب كانوا يبقون متيقظين طوال الليل وتنتهي شعيرتهم هذه مع صياح الديك عند الصباح حيث ينزل حينها حاملوا مشاعلٍ إلى موضعٍ مقدسٍ سفليٍ لأخذ صنمٍ خشبيٍ من هناك، حيث يطوفون بهذا الصنم حول منصة مرتفعة[410] وهم ينشدون لعذراء بلغة عربية ويسمونها (خعمو/ كعمو Χααμοῦ)، التي تعني عذراء في العربية، وكانوا يسمون الولد الذي أنجبته هذه العذراء دوساريسΔουσάρην التي تعني "الابن الوحيد للرب"[411].

وبخصوص كلمة (خعمو/ كعمو Χααμοῦ) والتي أكد إبيفانيوس أنها تعني "عذراء" في العربية، فقد أجمع معظم الباحثين على أنها كُتبت بصورة خاطئة، فرجّح فريق منهم أن المقصود بها هو المعبد النبطي المكعب[412]، بيد أن هذا لا ينسجم مع المعنى الذي أورده إبيفانيوس، وهناك من اعتقد أن المقصود بها هو كلمة (غلمو= غلامة)[413]، وربما يكون للكلمة علاقة بالكلمة العربية

[408] علي، جواد (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. 11، 168؛ 3، 195.

[409] Petersmann, Hubert (1989): Le Culte du Soleil chez les Arabes selon les témoignages gréco-romains. In: L'Arabie préislamique et son environnement historique et culturel, edited by Fahd Toufic, Leiden : Brill, 401-412.

[410] يُطابق هذا الوصف معبد خربة الذريح، حيث يقع تحت (موتاب) هذا المعبد قبوان، حيث كانت تودع الأنصاب وقطع العبادة عندما تنفضُّ الاحتفالات الدينية. المحيسن، زيدون؛ فيلنوف، فرانسوا؛ جانيف، مولاي (2004): خربة الذريح: أضواء جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم، أدوماتو 51،9.

[411] Epiphanius of Salamis (2008): The Panarion of Epiphanius of Salamis, Brill: Leiden, 51.22.11.

[412] Gawlikowski, M. (1990): Les dieux des Nabateens, 2665.

[413] Milik, J. T. (1982): Origines des Nabatéens, 262.

(كاعب/ كعاب) التي تُعني فتاة صغيرة في العربية[414] ومنها جاءت كلمة (كواعب) بصيغة الجمع، ويقول ابن منظور: "الكَعابُ، بِالْفَتْحِ: المرأَةُ حِينَ يَبْدو ثَدْيُها"[415].

يُشير إبيفانيوس إلى أن احتفال الأبيفانيا هذا ἐπιφάνεια – وهو احتفالٌ كان يُعقد بمناسبة عيد الظهور الإلهي في السادس من شهر كانون الأول – كان أحد الأعياد الشائعة في جنوبي بلاد الشام ومصر، حيث يذكر أن أهل الإسكندرية وخلصة والبتراء كانوا يحتفلون به، وذلك بعد ميلاد الإله الشمس من عذراء في الخامس والعشرين من شهر كانون أول، ويبدو أن لهذا التاريخ أهمية كبيرة ارتبطت بعبادة الشمس في الشرق القديم، فقد ولد الإله ميثرا[416] إله الشمس الأخميني في هذا اليوم حيث ولدته عذراء أيضاً[417]، شأنه شأن ذو الشرى، كما قام الإمبراطور أورليان في نفس اليوم من عام 274م بإعلان إله الشمس الإله الرسمي للإمبراطورية الرومانية وقام بتكريس معبد له[418].

ويُعتبر طقس الآلهة التي تلد ابناً مؤلهاً (نجم الصباح) أحد الطقوس التي كانت شائعة في منطقة الشرق القديم، وأختلف اسم هذا الإله النجمي باختلاف المناطق والأقوام، فهو ذو الشرى عند الأنباط، والعزى عند فئة أخرى من العرب، وهو (أزيزوس=عزيز) عند أهل الرها وتدمر، ويقابله في النقوش العربية والشمالية المعبودان (رضى/ رضو)، و(عثتر)[419].

ويبدو أن طقس ولادة ذي الشرى الذي أشار إليه إبيفانيوس كان شائعاً في أكثر من مدينة نبطية، حيث يؤكد ممارسة الأنباط لشعائر مرتبطة بهذا المعبود في البتراء ومدينة خلصة الواقعة في النقب جنوبي فلسطين، كما يبدو أن هذا الطقس قد استمر بعد سقوط مملكة الأنباط، حيث يقول القديس جيروم أن القديس هيلاريون والمتوفى في حوالي عام 371م قد وصل إلى مدينة الخلصه التي كانت إحدى مدن الأنباط الرئيسة في جنوب فلسطين، " في ذات اليوم الذي اجتذب فيه مهرجان مهيب كل أهل البلدة إلى معبد فينوس، لأن السراسنة (أي الأعراب) يعبدون هذه الربة بوصفها نجمة الصبح ويكون نسلهم موقوفًا لعبادته"[420].

ويبدو أن الطقس كان شائعاً خارج مناطق المملكة النبطية، قبل وبعد سقوطها، ولكن يبدو أن المولود الإلهي قد أختلف في أمره، فمرة يكون مذكراً وتارة يكون مؤنثاً، ومرة يكون العزى، وتارة

---

[414] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans,104.

[415] ابن منظور: مادة كعب.

[416] هو أحد الآلهة الآرية الأصل، وكان إلهاً شعبياً هاماً في إيران وانتشرت عبادته شرقاً إلى الهند وغرباً إلى بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى، وعُبد في سوريا الشمالية من قبل الجنود الرومان خلال الفترة الرومانية، وقد دخلت ديانة ميثرا روما في حوالي عام 60م، وفي القرن الثاني كانت قد انتشرت داخل الإمبراطورية الرومانية حتى بريطانيا. (بارندر، جفري (1993): المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 173، 98-99).

[417] Nabarz, P. and Matthews, C. (2005): The Mysteries of Mithras: The Pagan Belief That Shaped the Christian World, Inner Traditions, 69.

[418] Tawfike, M. (2013): 25the December and the Celebration of Sol Invictus. St Francis Magazine, 9/6, 27-30.

[419] علي، جواد (2001): المفصل،11/ 171.

[420] Jerome, (1845): Vita Hilarionis, Bibliotheca patrum latina, ed. J.P. Migne 23, 42-43.

رضو/ رضى، إذ يرد في تقرير نايلوس (390م)، والذي كان راهباً في دير سيناء، قيام ثيودولوس الصغير بتقديم قربان للآلهة التي كانت تُمثّل نجمة الصباح، وكانت القرابين تشتمل على أطفال كانوا على قدرٍ عظيمٍ من الجمال[421]، ويذكر إسحاق الأنطاكي أن العرب كانوا يُقدّمون الأولاد والبنات كقرابين لـ (كوكبتا) فينحرونهم لها، ويبدو من خلال دراسة هذه التقارير والمناطق التي تُشير إليها أن طقوس العبادة الكوكبية بين الأعراب قد قدَّست ميركوري- فينوس-الزهرة التي عُرفت بين ظهرانيهم باسم نجمة الصباح التي تفصل الليل عن النهار[422]، في الوقت الذي كانت فيه الشمس المعبود الرئيس في بقية المناطق الحضرية التابعة للمملكة النبطية.

وهناك رأي آخر بخصوص ميلاد ذي الشرى، فقد ربط أكسل كناوف ذا الشرى بديونيسيوس، وربط كذلك ولادتهما اعتماداً على إشارة واردة عند ديودوروس الصقلي في أنشودة لديونيسيوس يرد فيها أنه قد وُلِد في منطقة اسمها نيسا Νῦσα، وهي بحسب هذا المصدر منطقة جبلية عالية غنية بالأخشاب، تقع في "فينيقيا بالقرب من ينابيع مصر" حيث حدَّد كناوف مكان نيسا هذه في بلاد العرب، وافترض أن يكون المقصود بها جبال الشراة[423]، بيد أن ورود اسم هذا الموقع في مصادر تاريخية كلاسيكية أخرى على أنه موقع في جنوب آسيا الصغرى[424] يجعل افتراض كناوف غير مقبول.

كانت الشمس إذاً المعبود الأول عند الأنباط، وكان ذو الشرى اسماً أطلق عليها للدلالة على أحد صفاتها وهي الضياء والنور، وتبعاً لذلك أطلق الاسم على منطقة الشراة وليس العكس، وقد اقترن اسم ذو الشرى بالملك النبطي في بعض النقوش[425]، وتقدَّم اسمه أسماء الآلهة، وأشارت النقوش النبطية إلى ذي الشرى بأنه الإله الذي يفصل الليل عن النهار (ف ر ش/ ل ي ل ي ا/ م ن/ ي و م ا)، مما يؤكد انه كان مرتبطاً بشروق الشمس وغروبها، كونه إلهاً شمسياً[426]، ونجد كذلك في نقشٍ يونانيٍ من السويداء اقتران ذي الشرى بهيليوس (إله الشمس)[427]، كما أُطلق عليه في النقوش النبطية لقب "م ر ا/ ع ل م ا"[428] أي "سيد العالم"[429] وهو لقبٌ مشابهٌ للقب (م ر ن= سيد/رب) الذي أُطلق على الإله الشمس في مدينة الحضر[430]، وأُطلق عليه في النقوش النبطية أيضاً لقب "إله الآلهة" (ا ل هـ / ا ل هـ ي ا)[431]، ولربما كان لقب (م ر/ ب ي ت ا= سيد

---

[421] Christides, V. (1973): Once Again the 'Narrations' of Nilus Sinaiticus, Byzantion 43, 39-50.
[422] Teixidor, J. (1977): The Pagan God, 88.
[423] Knauf, E. (1990): Dushara and Shai'AL-Qaum, Aram, 2,175-183.
[424] Erdosy, M.U. (2000): Map 6 Asia Orientalis. In: Barrington Atlas of the Greek and Roman World, Edited by Richard J. A. Talbert, Princeton University Press, 97.
[425] انظر مثلاً الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية، النقوش ذوات الأرقام 200، 218، CIS II 350.
[426] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans, 93-94.
[427] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans, 102.
[428] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 206.
[429] يرى البعض أن المقصود هنا بعل سمين. انظر مثلاً Teixidor, J. (1977): The Pagan God, 84-85.
[430] الشمس، ماجد عبد الله (1988): الحضر العاصمة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 97.
[431] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية، نقش رقم 688.

البيت/ رب البيت) الذي ورد في نقشين نبطيين في البتراء ووادي رم مقترناً باسم المعبودة العزى قد قُصد به ذو الشرى[432]، وكذلك في نقش محفور على جبل إثلب في مدائن صالح يذكر العزى مقرونة بـ (م ر/ ب ي ت ا)[433]، وهو الإله النبطي الوحيد الذي تذكر النقوش أن له عرش (م و ت ب)[434]، كما نجد اسمه يتقدَّم أسماء الآلهة الأخرى عندما يتم ذكرها معه في النقوش النبطية، حيث يُشير أحد هذه النقوش إلى لعنات كل من ذي الشرى ومناة وقيسه بحق كل من ينتهك حرمة القبر[435]، وفي نص آخر إشارة إلى لعنات ذو الشرى وعرشه واللات ومناة وقيسه[436]، ويرد في نص آخر إشارة إلى غرامة كانت تدفع لذي الشرى وهبل ومناة[437].

ونلاحظ في هذه النقوش التي ترد فيها ثلاثة أسماء إلهية متتالية أن ذا الشرى هو الاسم الأول الذي يتقدمها، كما أن تسلسل ورود هذه الآلهة من الأهم للمهم، وورودها مع بعضها البعض قد يعطي مؤشر على وجود ظاهرة التثليث عند بعض الأنباط[438].

وفي السياق ذاته نجد في خمسة نقوش نبطية أخرى ارتباط ذي الشرى ومناة فقط، حيث تُشير بعض النصوص إلى لعنات ذي الشرى ومناة دون غيرهما بحق من ينتهك حرمة القبر[439]، ويُشير آخر إلى غرامةٍ يتوجب دفعها لكليهما[440]، ويتطرق نقشان آخران إلى مباركاتٍ من أمام ذي الشرى ومناة[441]، مما يُشير إلى الدور الخاص الذي كان لعبه هذين الإلهين في معتقدات الأنباط.

وقبل أن نُنهي حديثنا عن ذي الشرى وعلاقته بالشمس عند الأنباط، لا بد من التعريج على اسم (ا ع ر ا) الذي يرد في بعض النقوش النبطية، ويقابله في النقوش اليونانية الاسم بصيغة (Ααρρα)، ويبدو أن هذه التسمية قد شاعت في فترة متأخرة من عمر المملكة النبطية، وتحديداً خلال فترة حكم رب ايل الثاني (70–106م) الذي أبدى اهتماماً أكثر بالأجزاء الشمالية من مملكته، ولم يُعثر على شواهد نقشية نبطية تذكر هذا الاسم قبل فترة حكم هذا الملك.

[432] Nehmé, L. (2012): A Recently-Discovered Nabataean Sanctuary, Possibly Devoted to the Sun-god, in G.A. Kiraz and Z. Al-Salameen (eds), From Ugarit to Nabataea. Studies in Honor of John F. Healey, Gorgias Ugaritic Studies 6. Piscataway (NJ): Gorgias Press, MP 617, Savignac, R. (1933): Le sanctuarire d'Allat à Iram [II]", RB 42, n.4, fig. 5.

[433] Janif, M. M. (2011): ''Le Maître de la Maison" chez les Nabatéens et en Arabie préislamique in V. Rondot, F. Alpi and F. Villeneuve (dir.). La pioche et la plume. Autour du Soudan du Liban et de la Jordanie. Hommages archéologiques à Patrice Lenoble, Paris, PUPS, 55-64.

[434] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 205؛ CIS II 350.

[435] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 197.

[436] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 205.

[437] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 205.

[438] ومما يؤكد وجود فكرة التثليث عند الأنباط وجود بعض الحُنى والمشكاوات النبطية التي تحتوي على ثلاثة أعمدة تمثل ثلاث آلهة، كما عُثر على الآلاف من الأنصاب الحجرية في منطقتي النقب وسيناء يتألف كل نصب من ثلاث حجارة قد تُمثِّل ثلاث آلهة Avner, U. (2000): Nabatean Standing Stones and Their Interpretation. Aram 11-12:97-122.

[439] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، النقوش ذوات الأرقام 209، 221.

[440] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، نقش رقم 220.

[441] الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية ، النقوش ذوات الأرقام 278، 705.

ارتبط اسم (اعرا) بذي الشرى، كما يظهر من نقشٍ عُثر عليه في الحِجْر حيث يذكر هذا النقش (ا ع را / د ي/ ب ب ص ر ا= اعرا الذي في بصرى)[442]، ويذكر نقش نبطي من امتان في حوران اسم المعبود (د و ش ر ا/ و ا ع ر ا= ذو الشرى واعرا) الذي يوصف بأنه "إله سيدنا رب ايل"[443] ووصفه هنا بأنه (إله) وليس بالصيغة المثناة (إلهين) دليلٌ مؤكدٌ على أنه اسم أُطلق على إله واحد، كما جاء اسم (اعرا) في نقش ثنائي اللغة نبطي- يوناني عُثر عليه في أم الجمال وجاء اسمه في النبطية بصيغة ذو الشرى في حين ورد في النص اليوناني بصيغة "ذو الشرى اعرا" Δουσαρει Ααρρα[444] مما يؤكِّد أن (اعرا) هو اسم آخر من أسماء ذو الشرى[445]، وهناك من يعتقد أن (اعرا) إله سوري محلي[446] رغم أن جميع الدلائل المتوفرة تُشير إلى أنه اسم يعكس صفة من صفات ذي الشرى، وقد اقترن اسم (أعرا) بذي الشرى لتوضيح صفة من صفاته، حيث تقول العرب رجلٌ أغرَّ أي كَرِيمُ الأَفعال، وَيَوْمٌ أَغَرُّ: شَدِيدُ الْحَرِّ؛ وَمِنْهُ قوْلُ الشَّاعِرِ:

أَغَرّ كَلَوْنِ المِلْحِ ضاحِي تُرابه ... إِذَا اسْتَوْدَقَت حِزانُه وضياهِبُه

وأنشد أحدهم قائلاً:

مِنْ سَمُومٍ كأَنّها لَفحُ نارٍ ... شَعْشَعَتْها ظَهيرةٌ غَرّاء

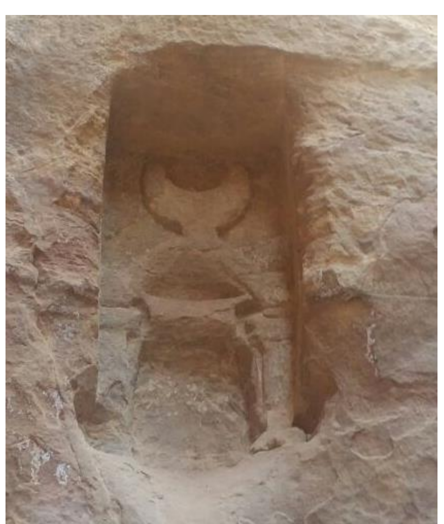
وقال الأَصمعي: ظَهِيرة غَرّاء أَي هِيَ بَيْضَاءُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ[447].

وهناك من أعاد اسم (اعرا) إلى الكلمة العربية "الأغر" المرتبطة بكلمة "غرة" أي غرة الشهر فيكون هذا الإله هو إله القمر[448]، ولكننا نستبعد هذا الرأي، ويبدو لنا أن التسمية لها علاقة بصفةٍ من صفات ذي الشرى، ولا تُمثِّل اسماً لإله آخر، وهناك رأي آخر طرحه ستاركي بخصوص اشتقاق هذا الاسم[449]، ومفاده أنه مشتقّ من الجذر العربي (غري) الذي يعني (دهن) واستنتج أن الاسم قد استخدم للدلالة على عملية دهن وطلاء تماثيل ذي الشرى بالدماء، ويقابل اسم ذو الشرى-اعرا بحسبه اسم ذو الشرى الأغر لأنهم كانوا يسكبون على تماثيله من دماء الأضاحي والقرابين، وقارن ذلك بالبنائين اللذين أقامهما النعمان بن المنذر أو المنذر بن ماء

[442] Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans, 98.
[443] RES 83.
[444] Littmann, E., (1914): Semitic Inscriptions, 34-35: no. 38
[445] Littmann, E., Magie, D. and Stuart, D. R. (1913): Greek and Latin Inscriptions. In: Syria. Publications of the Princeton Archaeological Expedition to Syria Div. III, Sect. A, Part 3 Umm Idj-Djimal, Leyden , 138.
[446] Dijkstra, K. (1995): Life and Loyalty: A Study in the Socio-Religious Culture of Syria and Mesopotamia in the Graeco-Roman Period Based on Epigraphical Evidence. New York: Brill, 312.
[447] ابن منظور: مادة أغر.
[448] الفاسي، هتون (1993): الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض، 222، هامش 32.
[449] Teixidor, J. (1977): The Pagan God, 88.

السماء[450] على نديميه اللذين قتلهما وأطلق على نصبيهما اسم "الغريان"، حيث تقول الروية أنه قتل – وهو ثمل – نديمين له؛ فلما صحا من سكره وعرف ما قدمت يداه ندم وأمر ببناء صومعتين عليهما[451] عُرفا بالغريين.

وقد رجَّح بعض الباحثين أحتمال عبادة القمر في بعض مناطق المملكة النبطية، بما فيها البتراء، وذلك بدلالة تصوير الهلال على بعض المحاريب والمشاكي الدينية النبطية[452]، كما زيَّنت أشكال الهلال بعض التماثيل الفخارية النبطية، وظهر على بعض الأسرجة النبطية، وخلال الفترة الرومانية ضربت البتراء في فترة حكم الإمبراطور انطونينوس بيوس قطعاً نقدية صور عليها الإله القمر.



مشكاة دينية في البتراء يعلوها هلال (المصدر: الباحث)

العزى

وتعني العزيزة، وقد أشارت المصادر القديمة إلى تعُّبد القبائل الموجودة في بلاد الشام لهذه المعبودة منذ القرن الأول قبل الميلاد[453]، ويقول ابن الكلبي أن قريش كانت تخصّها دون غيرها بالزيارة والهدية، وأنها كانت "شيطانةً تأتي ثلاث سمراتٍ ببطن نخلة"، وأنها كانت:–

> "أحدث من اللات ومناة، وذلك أني سمعت العرب سمّت بهما قبل العزى.....وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح...وقد بلغنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذكرها يوما فقال: لقد أهديت للعزى شاةً عفراء وأنا على دين قومي. وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللاتِ والعزَّى ومناةَ الثالثةِ

---

[450] تقول اسطورة قديمة أن المنذر بن ماء السماء (وربما يكون النعمان بن المنذر) كان له يومان في السنة يحج فيهما إلى حجرين مقدسين يرويان بدم البشر، وكان أحد هذين اليومين هو يوم النعيم، وكان المنذر يغدق فيه بسخاء على كل من يأتي لرؤيته، واليوم الآخر هو يوم البؤس، وكل من يأتي لرؤيته في ذلك اليوم كان يقتل ويراق دمه على ذينك النصبين (فهد، توفيق (2007): الكهانة العربية قبل الإسلام، شركة قدمس للنشر، بيروت، 334).

[451] انظر الأصفهاني، أبو الفرج (1415 هـ): الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.، ج 22، 329.

[452] Roche, J-M, (1995): Le culte lunaire à Pétra. Transeuphratène 10:57-66.

[453] Noldeke, Th. (1871): Arabs (ancient), 659-73.

الأخرى! فإنهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! كانوا يقولون: بنات الله (عز وجل عن ذلك) وهن يشفعن إليه"[454].

كانت عبادة العزى شائعة في البتراء، وكانت الآلهة الرئيسة الأنثى الأولى في البتراء، وتأتي في المكانة بعد ذي الشرى، ولا نعرف طبيعة العلاقة بين هذين المعبودين، وقد جاء اسمها في نقشين من البتراء، حيث يذكر أحد هذه النقوش شخص وصف أنه "خادم العزى"[455]، أما النقش الثاني والذي وجد ضمن منطقة الخُبْثَه فيذكر "أنصاب العزى "ورب البيت"[456]، وورد اسمها في نقوشٍ نبطيةٍ أخرى عُثر عليها في مناطق أخرى من بلاد الشام مثل منطقة عين الشلالة في وادي رم، وصفت في النقوش بأنها آلهة بصرى[457]، كما دخل اسمها في تركيب بعض أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الآلهة كعبد العزى[458].

وقد ارتبطت العزى بعد ضم مملكة الأنباط من قبل الرومان بأفروديت، إذ تُشير إحدى وثائق بباثا أن وثائق مجلس المدينة كانت تحفظ في معبد أفروديت Aphrodeision، ولا نعرف ما هو هذا المعبد؛ كما ورد اسمها في بقايا نقش يوناني مؤرخ للقرن الثالث الميلادي كُشف عنه في معبد قصر البنت.

ويذكر إسحاق الأنطاكي أن العرب كانوا يُقدّمون الأولاد والبنات كقرابين لـ (كوكبتا) فينحرونهم لها، ويرى بعض الباحثين أن الآلهة المقصودة هنا هي العزى[459]، في حين يرى البعض الآخر أن المقصود هنا الإله ذو الشرى الذي يقابل ديونيسيوس، وليس العزى كما هو مُتعارفٌ عليه[460].

اللات

عُبدت اللات في عدة مناطق من الشرق الأدنى القديم، وورد اسمها عند هيرودوت من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يشير إلى أن العرب كانوا يعبدون افروديت واورانيا وكانت تسمى Alilat [461]، وورد اسمها في النقوش السامية الشمالية القديمة والعربية الجنوبية والشمالية وفي القران الكريم، كما ذكرها ابن الكلبي في كتابه الأصنام حيث يقول عنها:-

---

[454] ابن الكلبي، هشام، (1924): كتاب الأصنام، 18-19.
[455] Milik, J. T. and J. Starcky, (1975): Inscriptions récemment découvertes à Pétra, ADAJ 20, 124-126
[456] Dalman, G. (1912): Neue Petra-Forschungen und der Heilige Felsen von Jerusalem. Palästinische Forschungen zur Archäologie und Topographie II, Leipzig, n. 85.
[457] Littmann, E. (1914): Semitic Inscriptions: 70.
[458] CIS II 946.
[459] علي، جواد (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 11، 238.
[460] Retsö, J., (2003): The Arabs in Antiquity.
[461] Herodotus (1920): The Histories, with an English translation by A. D. Godley. Cambridge. Harvard University Press, III, 8.

"واللات بالطائف وهي أحدث من مناة. وكانت صخرةً مربعةً. وكان يهودي يلت عندها السويق. وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالكٍ. وكانوا قد بنوا عليها بناءً. وكانت قريش وجميع العرب تُعظِّمها. وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات. وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم"[462].

وقد اختلف الباحثون في تفسير اسم هذه المعبودة، فمنهم من يرى أنها سُميّت لاتا لأن العرب كانوا يطوفون حولها، ويرى آخرون أن اسمها مشتق من اسم الله وأُلحقت باسمها تاء التأنيث[463]، في حين يرى البعض أن الكلمة متأتية من صخرة كان يلُت عليها رجل السويق للحجاج فلما مات عُبدت وسُميّت اللات[464].

لقد تعبَّد العرب الأنباط للات وانتشرت عبادتها في العديد من مناطقهم، فبنت لها قبيلة روح النبطية معبداً في حوران بجنوب سوريا، وعُبدت بشكلٍ أساسيٍ في مدينة صلخد[465]، ووصفت في أحد النقوش النبطية هناك بأنها "ربة المكان/ الموضع"[466] ومن الملفت للنظر عدم ورود اسم اللات على الإطلاق في نقوش البتراء النبطية حيث يبدو أنها لم تكن معبودة رئيسية هناك، وقد عُثر على مشكاوات للتعبد للات "آلهة بصرى" كما يرد اسمها في نقوش منطقة عين الشلالة في وادي رم والتي ترتبط بمعبد اللات الذي كُشف عنه هناك والذي بُني في عهد الملك النبطي رب ايل الثاني وخصصه لعبادة "المعبودة اللات التي بإرم" كما يُشير نقش عُثر عليه هناك، ويبدو أن هذا المعبد قد بُني على أساسات بناء أقدم منه[467].

الكتبى

اسم هذه المعبودة مشتق من الجذر "ك ت ب" وربما كان له علاقة بالكتابة[468]، وقد ورد اسمها في نقش من وادي الصيغ بالبتراء يذكر صلوات "من أمام الكتبى بخير"[469]، واقترن اسمها بـ (جايا= وادي موسى)، كما اقترنت بالعزى أيضاً[470] وورد اسمها في نقش من منطقة عين الشلالة بوادي رم حيث عُثر على مشكاوات وأنصاب نُحتت جنباً إلى جنب، ويُمثِّل احدهما "الكتبى التي بجايا" في حين يُمثِّل الآخر العزى، وتم تشكيل هذه الآلهة على شكل عينٍ نجميةٍ، ومُثِّل الأنف

[462] ابن الكلبي، هشام (1924): كتاب الأصنام، 16-17.
[463] علي، جواد (2006): المفصل، ج6، 18.
[464] ابن الكلبي، هشام (1924): الأصنام، 16.

[465] CIS II 182, 183.
[466] Littman, E. (1914): Semitic Inscriptions, n.24.
[467] Savignac, R. (1933): Le sanctuarire d’Allat à Iram [II], n. 1, 2, 7; Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram (suite), 582-85.
[468] Strugnell, J.; Albright, W. and Milik, J-T (1961): The Nabataean Goddess al-Kutba and her Sanctuaries. Some Notes on the Nabtaean Goddess al-Kutba and Related Matters. New Evidence on the North-Arabic Deity Aktab-Kutbâ. BASOR 163, 22.
[469] Strugnell, J. (1959): The Nabataean Goddess Al-Kutba and her Sanctuaries. BASOR 156, 36.
[470] Strugnell, J. (1959): The Nabataean Goddess Al-Kutba, 36.

على شكل شريط مستطيل، ويبدو أن عبادتها قد دخلت إلى المنطقة خلال الفترة ما بين 556–539 ق.م، أي خلال فترة حكم نبونئيد وإقامته بجنوب الجزيرة العربية[471]. ومما يجدر ذكره هنا أن اسم هذه المعبودة قد ورد في النقوش النبطية مرتبطاً مع أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الآلهة كـ (تيم الكتبى)[472].

شيع القوم

أي الذي يرافق القوم، وكانت عبادة هذا المعبود مرتبطة بالقوافل وحمايتها بالإضافة إلى حماية الجنود، وورد اسمه في نقوش الحِجر وحوران النبطية، ولا يرد اسمه في نقوش البتراء على الإطلاق، وقد استمرت عبادة الإله شيع القوم في بلاد الشام خلال الفترة الرومانية، إذ عُثر على نقشٍ تدمريٍ بالقرب من معبد بعل في تدمر، يذكر قيام شخص (نبطي) بعملِ مذبحٍ للإله شيع القوم، والنقش مؤرَّخ إلى شهر أيلول عام 132م، ويتحدث عن قيام عبيدو بن غنيمو (النبطي الذي ينتمي لقبيلة روح)، والذي كان فارساً في معسكر ومخيم عانة، بعمل مذبحين للإله شيع القوم[473] ، وارتبط اسم شيع القوم بإله آخر هو ليكورغوس Lycurgus الذي يرد اسمه في بعض نقوش سوريا الجنوبية[474].

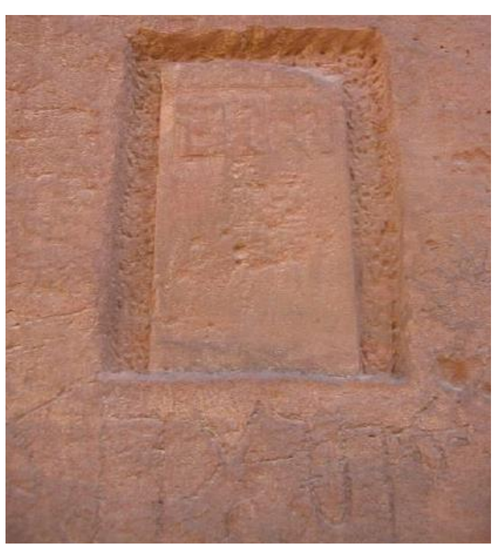
مناة

اسم هذه المعبودة مرتبط بالمنية والحظ والقدر، ويبدو أنها كانت ربة القدر والمصير والحظ وقد كانت تعبد في مناطق عدة من الشرق القديم، ويذكر ابن الكلبي أنها كانت من أقدم الأصنام التي عرفها العرب، حيث كانت العرب جميعا تُعظِّمها، وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يُعظِّمونها ويذبحون ويهدون لها[475]. ويظهر اسم المعبودة في النبطية باسم (منوتو)، ويرد اسمها حوالي ثمان مرات في نقوش مدائن صالح النبطية، كما يرد اسمها مركباً في أسماء الأعلام

اترعتا= أترغتيس

[471] Nehme, L. (2002), The World of the Nabataeans, 163.
[472] Jaussen, A. and Savignac, R. (1909-14): Mission Archéologique en Arabie. Libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 142.
[473] Healey, J., (2010): Aramaic Inscriptions & Documents of the Roman Period, Oxford University Press, Oxford, 211.
[474] الملكي، هيا (2011-2012): تماثيل الآلهة في سوريا خلال العصر الروماني، 67.
[475] ابن الكلبي، هشام، (1924): كتاب الأصنام، 23

وهي معبودة سورية مرتبطة بالخصوبة والماء، وقد عُرفت عند الأكاديين والبابليين والأشوريين باسم عشتار، وكان مكان عبادتها الرئيسي منبج بشمال سوريا، وقد تم تمثيل هذه المعبودة على شكل نصب ذي عينين نجميتين، كما عُثر على مخربشةٍ نبطيةٍ غرب البتراء يرد فيها اسم هذه المعبودة "ا ت ر ع ت ا" وبالقرب منها كلمة "م ن ب ج ي ت ا" أي المنبجية (أي التي من منبج بشمال سوريا) وقد تكون هذه الكلمة نسبة إلى هذه المنطقة التي كانت مركز عبادة عطارغتيس.

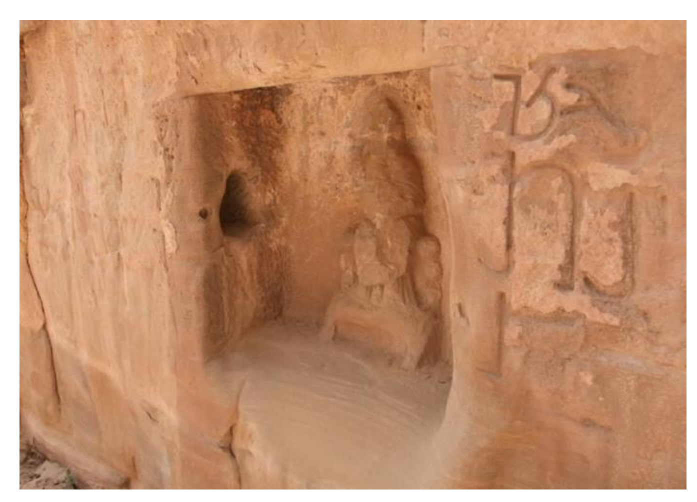


منحوتة عطارغتيس في وادي الصيغ (المصدر: الباحث)

إيزيس

انتشرت عبادة إيزيس في مصر والبلاد المجاورة، كما انتشرت في العالم الروماني[476] وازداد انتشارها خلال الفترة البطلمية، حيث عبدها أهل البتراء، فقد عُثر في وادي الصيغ في البتراء على مشكاةٍ فيها نحت لإيزيس جالسة على عرش، كما عُثر على بعض التماثيل الفخارية الصغيرة في الزُرابه في البتراء والتي تمثِّل إيزيس جالسة ورأسها متوج، وتُشير برديات عُثر عليها في مصر العليا إلى أن البتراء كانت أحد مراكز عبادة الآلهة إيزيس[477].

[476] Littman, E. (1914): Semitic Inscriptions: XIII.
[477] Nehme, L. (2002), The World of the Nabataeans: 163.





المعبودة إيزيس (المصدر: الباحث)

ويبدو أن عبادة إيزيس قد انتشرت في البتراء خلال الفترة الرومانية، وكانت عبادتها شائعة في كافة أرجاء منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وتعبدّها الأنباط واستمرت عبادتها في البتراء بعد انتهاء حكمهم[478]، ويبدو أنها عُبدت في المنطقة حتى القرن الثالث على أقل تقدير[479]، إذ عُثر على تمثالٍ لإيزيس في منطقة الزنطور في البتراء مصنوع من الألباستر يعود للفترة الرومانية المتأخرة[480]، كما تظهر إيزيس في خربة التنور في سياقٍ يُشير إلى استمرارية التأثير الإسكندري على الفن والعمارة النبطية في المرحلة التي تلت انتهاء حكم الأنباط، وقد تم ملاحظة هذا التأثير سابقاً على فن العمارة النبطي في البتراء في القرن الأول الميلادي[481].

وكانت بصرى من المدن التي عُبدت فيها هذه الآلهة خلال الفترة الرومانية، إذ يرى بعض الباحثين أنها عُبدت في حوران من قبل الجنود، وأنها قد عُبدت في معبد سيع النبطي في نهاية القرن الثاني الميلادي[482].

ولم يكن أوزاريس يُعبد داخل المملكة النبطية، على الرغم من العثور على تمثالٍ مصريٍ مرتبطٍ بطقوس عبادته[483]، ويبدو أن هذا التمثال الوحيد الذي يُشير إلى عبادة أوزاريس قد جاء مع أحد التجار المصريين إلى البتراء.

بعل سمين

[478] Vaelske, V. (2013): Isis in Petra. Chronological and Topographical Aspects, In: S. G. Schmid and M. Mouton (eds.), Men on the Rocks: The Formation of Nabataean Petra, Berlin, Logos Verlag, 351–361.
[479] Healey, J., (2001): The Religion of the Nabataeans, 139.
[480] Stucky R.A. Gerber, G., Kolb, B and Schmid, S. (1994): Swiss-Liechtenstein Excavations at ez-Zantur in Petra 1993: The Fifth Campaign, ADAJ 38, 275-279, fig. 9.
[481] McKenzie, J. and Reyes, A. T. (2013): Iconographic Programme, 204.
[482] الملكي، هيا (2011-2012): تماثيل الآلهة في سوريا خلال العصر الروماني، 198.
[483] Meza, A. I. (1996): The Egyptian Statuette in Petra and the Isis Cult Connection. *ADAJ* 40, 167–176.

ويتألف اسم الإله (بعلشمين) من مقطعين: الأول (بعل) ويعني (رب، صاحب، زوج)، أما الثاني (شمين) فهو يعني (السماء)، ويكون معنى الاسم بالتالي سيد السماوات أو ربها، وقد عُبد في عدة مناطق من الشرق الأدنى القديم، وعُبد عند الأنباط في منطقة حوران على وجه الخصوص وُبني له معبد في سيع بجبل الدروز بحوالي عام 32 ق.م، وهو أكبر مجمع ديني نبطي مكتشف حتى الآن.

هُبل

كان هُبل أعظم الأصنام عند العرب بجوف الكعبة وحولها كما يذكر ابن الكلبي[484]، ولم يرد اسم هذا المعبود في النقوش النبطية إلا مرة واحدة في نقش من مدائن صالح حيث يُشير النص إلى لعنات ذي الشرى وهُبل ومناة لكل من ينتهك حرمة القبر[485]، ويبدو أن عبادته قد اقتصرت على هذا الجزء من المملكة النبطية.

جايا / جيا

ورد اسم (ج ي ا) و (ج ا ي ا) في النقوش النبطية مراراً[486]، كما دخل هذا الاسم ضمن أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الآلهة[487]، وارتبط ذكر بعض أسماء الآلهة النبطية بـ (ج ا ي ا)، ونظراً لورود هذا الاسم ضمن أسماء الأعلام المركبة، فقد عَدّه بعض اسم إله، فجاء الاسم ضمن أسماء الأعلام المركبة نحو (ا م ت ا ل ج ا)[488] و (ع ب د ا ل ج ا)[489] في عددٍ من النقوش النبطية.

ورد هذه الاسم وبالصيغتين اللتين أوردناها أعلاه في عددٍ من النقوش النبطية، فجاء الاسم في نقشٍ وُجد في منطقة عبدة في صحراء النقب في جنوب فلسطين ويذكر النقش عبارة (م ر ز ح / د و ش ر ا / ا ل هـ / ج ا ي ا) أي (طائفة ذي الشرى إله جايا) [490]، كما وردت في نقشٍ آخر عُثر عليه في منطقة الجوف في المملكة العربية السعودية ويتحدث عن بناء معبد (ل د و ش ر ا / ا ل هـ / ج ي ا ا / د ي / ب [د و م] ت) [491] أي (لذي الشرى اله جيا الذي بد[ومة])، ووردت

---

[484] ابن الكلبي، هشام (1924): كتاب الأصنام، 27.

[485] CIS II 198.

[486] للمزيد انظر Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2014): An Inscribed Nabataean Bronze Object Dedicated to Obodas the God from Wadi Musa, Southern Jordan. PEQ, 146, 4, 293-307.

[487] CIS II 173, 498, 552, 802, 1205.

[488] Negev, A., (1991): Personal Name, 13.

[489] Negev, A., (1991): Personal Names, 46.

[490] Negev, A. (1963): Nabatean Inscriptions from ‘Avdat (Oboda) II. IEJ 13, 10.

[491] المعيقل، خليل والذييب، سليمان (1996): الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، مكتبة الملك فهد الوطنية. 69.

فـي نقـش آخـر مـن وادي رم عبـارة (ا ل ك ت ب ا / د ي / ب ج ي ا) أي (الكتبـى التـي فـي جايا)[492]

وتكرر ورود الاسم الجغرافي هذا مؤخراً في عددٍ من النقوش النبطية التي عُثر عليها في وادي موسى، حيث وردت في أحد هذه النقوش عبارة (ر ب / م ر ز ح ا / د ي / ب ج ا [ي ا]) أي (رئيس الطائفة الدينية التي في جايـ[ـا])[493]، كما عُثر على قطعة معدنية دائرية في منطقة خربة الفلاحات في وسط وادي موسى وقد نقش على إطارها الخارجي كتابة مميزة تذكر وجود (ب ي ت / ن ي ش ي ا / ب ج ا ي ا) أي (معبد المنحوتات الدينية في جايا)[494].

ولاقتران هذا الاسم باسم ذي الشرى، فقد عَدّه البعض اسم قبيلة أو اسماً لمكـان، ولكننـا نُـرجّح أن يكـون المقصـود هنـا وادي موسـى الواقعـة عنـد مـدخل مدينـة البتـراء للأدلـة التـي سنسـوقها تاليـاً، وربمـا دخـل اسـمها ضـمن أسـماء الأعـلام المركبـة لقداسـتها، ودخـول أسـماء المواقـع والأمـاكن المقدسة أمرٌ شائعٌ عند العرب قبل الإسلام:-

1. المعنى اللغوي للكلمة، و (ج ي ا) كلمة كنعانية وآرامية تعني (الوادي)، وهي في النقوش النبطية تُشير إلى وادي موسى الذي يُطلق عليها سكان المنطقة وجوارها اسم (الوادي). وحتى فترة قريبة، كان الجزء الوسطي من بلدة وادي موسى يطلق عليه اسم (الجي)، وهو الاسم العربي المقابل لكلمة (جايا) الآرامية، وقد ذكر الرحالة الذين زاروا المنطقة في القرنين الماضيين هذا الاسم Eldji في مدوناتهم[495]، ويبدو أن الاسم كان معروفاً خلال العصر الإسلامي، رغم عدم شيوعه في المصادر التاريخية العربية الإسلامية، فمن خلال بحثنا لم نجد إلا ذكراً واحداً لها في هذه المصادر، إذ يقول الإدريسي المتوفى عام 1164م في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق أن "الجي بلد من بلاد فلسطين صغير ماؤه حار وهواؤه وخيم"[496]. ولربما كانت هذه إشارة إلى (الجي = وادي موسى)، ولربما كانت إشارة لموضع آخر من بلاد فلسطين نجهل معرفة مكانه.
2. اقتران اسم (ج ي ا) بـ (رقم= البتراء) في المصادر الترجومية والتلمود، حيث ارتبطت كلمة (ر ق م) في المصادر الترجومية أيضاً مع (ج ي ا)، إذ ورد الاسم بصيغة רקם גיאה (ر ق م / ج ي ا هـ) في ترجوم اونكلوس (وهو الترجوم البابلي الآرامي)،

---

[492] Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram (suite), 19.

[493] Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2012): Two New Nabataean Inscriptions from Wādī Mūsā, with discussion of Gaia and the Marzeah. JSS LVII/1 Spring, n.2.

[494] Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2014): An Inscribed Nabataean Bronze Object Dedicated to Obodas, 293-307.

[495] انظر مثلا Burckhardt, J. (1930): Travels in Syria and the Holy Land, 433; Canaan, T. (1930): Studies in the Topography and Folklore of Petra, 2.

[496] الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (1409 هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ج1، 113.

ووردت بصيغة רקם גיעה (ر ق م / ج ي ع هـ) في ترجوم جوناثان الآرامي، كما وردت في الترجوم الأورشليمي بصيغة רקם הגיעא (ر ق م / هـ ج ي ع ا)، ووردت الكلمة أيضاً في الجمارا[497] بصيغة רקם גועה (ر ق م / ج و ع هـ) [498]. وورد اسم (ر ق م = רקם) في التلمود منفصلاً حيث يذكر التلمود البابلي מרקם למזרח ורקם כמזרח من (رقم إلى الشرق، ورقم في الشرق)[499].

3. ورد اسم جيا في جزءٍ متبقٍ من عملٍ للمؤرخ جلاوكوس Glaukos الموسوم Arabica، والذي يعود للعصر الهلنستي حيث يقول في إحدى كتاباته (جيا مدينة قرب البتراء)[500].
4. ارتباط اسم (ج ا ي ا) بالرقيم في قصة بارصوما (420م-495/491م)، الذي خرج في حملةٍ تبشيريةٍ أرسلت إلى (رق م/ د ج ا ي ا) ܪܩܡ ܕܓܐܝܐ [501]، ويبدو من خلال وصف المدينة أن المقصود هنا البتراء ووادي موسى المجاورة لها.
5. إشارة يوسيبيوس إلى جايا Gaia حيث ذكر أنها تقع ضمن ضواحي البتراء[502].

ويمكن من دراسة أسماء الأعلام المركبة مع أسماء الإلهة أن نستنتج وجود آلهة أخرى حيث يرد في النقوش النبطية اسم عبد ايل[503] و عبد البعلي وعبد نسرا[504].

ثالثاً: تأليه الملوك

قدّس الأنباط بعض ملوكهم على ما يبدو، حيث وردت أسماء بعضهم محل أسماء الآلهة في أسماء الأعلام المركبة مثل عبد الحارث، وعبد عبادة، وتيم عبادة وعبد رب ايل[505]، ومن أبرز الملوك الذين تؤكد النقوش تأليههم الملك عبادة والذي نُعت هذا الملك في نقشين اثنين على أنه "إله" وهذان النقشان هما من منطقة النمير في البتراء، والآخر من مدينة عبده في النقب جنوبي فلسطين[506]، ولا نعرف على وجه الدقة أي الملوك الثلاثة الذين حملوا اسم عبادة هو المقصود بعبارة (عبادة الإله)، ويبدو أن مدينة عبده قد سُميّت بذلك نسبة إليه، إذ يذكر استيفانوس

---

[497] الجمارا هي الجزء الثاني من التلمود.
[498] Lightfoot, J. (1989): A Commentary on the New Testament from the Talmud, Chapter VII.
[499] The Babylonian Talmud, Gittin 6a.
[500] Graf, D.F. (2013): Rediscovering Early Hellenistic Petra, 37.
[501] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo the Northerner: Syriac and English.
[502] Eusebius 62,17-18.
[503] CIS II 498.
[504] CIS II 526.
[505] CIS II 159; Negev A. (1986): Nabataean Archaeology Today, 59-60.
[506] CIS II 354.

البيزنطي أن عبده هي المكان الذي دُفن فيه ملك الأنباط المؤله[507]. ويبدو أن عادة تأليه الحاكم عند الأنباط كانت مُقتبسة من حضارات مجاورة كالحضارة البطلمية.
وظاهرة تقديس الملوك والقادة العظام ظاهرةٌ شائعةٌ في الإمبراطورية الرومانية، وهو تقليدٌ يعود بجذوره إلى العصر الهلنستي[508]، وقد انتشرت هذه العبادة في بلاد الأنباط بعد إلحاق مملكتهم بالإمبراطورية الرومانية، وذلك اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في المصادر التاريخية، وبعض المكتشفات الآثارية، حيث يذكر المؤرخ الكنسي يوسيبيوس أن العرب كانوا يعبدون إلهين هما دوساريوس وعبادة[509]، كما تذكر نقوش يونانية عُثر عليها في صحراء النقب الفلسطينية اسم الإله زيوس- عُبادة (Ζευ Οβοδα)[510]، وهناك من يفضل قراءتها على نحو "عبادة الإله" وليس "الإله زيوس-عبادة" لأن كلمة زيوس هنا تعني إله وليست لها دلالة على كبير آلهة اليونان زيوس[511].

رابعاً: المنشآت الدينية النبطية

لقد عُثر على العديد من المنشآت والمرفقات الدينية في المواقع النبطية، ويكثر وجودها في مدينة البتراء أكثر من غيرها من المواقع النبطية، وقد بلغ عدد المنشآت الصغيرة التي تم توثيقها في البتراء (516) منشأة، في حين بلغ عدد المضافات الدينية والجنائزية (118) مضافة[512]، ويمكن تصنيف هذه المعثورات الدينية النبطية إلى المجموعات التالية:

أ: الأنصاب والحُنى والمشكاوات (Niches)

يربو عدد الحُنى والمشكاوات النبطية الدينية الموجودة في البتراء عن مائة وثمانين حنية[513]، في حين يبلغ عددها في مدائن صالح لوحدها حوالي ثلاثين حنية، كما قُدِّر عدد الأنصاب الحجرية المنفردة، التي لم توضع داخل مشكاوات في وادي عبده في صحراء النقب جنوبي فلسطين لوحده بحوالى ألفي نصب صغير[514]، منها ما يعود للفترة النبطية ومنها ما يعود لفترات أخرى، حيث تتكوَّن هذه الأنصاب من حجر واحد منفرد أو حجرين أو ثلاثة أو أربعة[515].

---

[507] Stephanus of Byzantium. (1958): Ethnika, 482:15-16

[508] وورث، تشارلز (1999): الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 164-165.

[509] Eusebius, (1976): In Praise of Constantine: A Historical Study and New Translation of Eusebius' Tricennial Orations, XIII.5.

[510] Negev, A. (1978): The Greek Inscriptions from Avdat (Oboda), LA 28, 87–126; Negev, A. (1981): The Greek Inscriptions from the Negev, Jerusalem: Franciscan Printing Press; 26-27, n. 13.

[511] يرجح هذه القراءة محمد مولاي جانيف (اتصال شخصي).

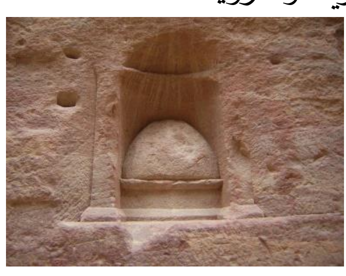
[512] Nehmé, L. (2003): The Petra Survey Project, in: Petra Rediscovered: Lost City of the Nabataeans, ed. Glenn Markoe, New York: The Cincinnati Art Museum, 154-164.

[513] Merklein, H. and Wenning, R. (1998): Ein Verehrungplatz der Isis in Petra neu untersucht, ZDPV 162-178.

[514] Avner, U. (2000): Nabatean Standing Stones, 97-122.

[515] Avner, U. (2002): Studies in the Material and Spiritual Culture of the Negev and Sinai Populations, During the 6th-3rd Millennia B.C. PhD Thesis, Hebrew University, 66.

وتقسم هذه الأنصاب إلى مجموعات منها الأنصاب البسيطة، وهي مستطيلة الشكل لها سطح ناعم ومحفورة بشكل بارز وتكون عادةً موجودة ضمن مشكاة، وتكون أحياناً صغيرة، وتوجد لبعضها قواعد بسيطة أو عريضة عالية، ومن أنواع الأنصاب الأخرى الشائعة أنصاب العيون وهي مربعة الشكل تُمثِّل عيوناً وأنوف، منها ما هو محمول ومنها ما هو ثابت، كما توجد أنصاب ذات قمم دائرية أو كروية[516].



صور لأنصاب ومحاريب نبطية (المصدر: الباحث)

لقد استخدم الأنباط تمثيلات غير أيقونية لتصوير آلهتهم التي تم تصويرها بشكلٍ عامٍ على هيئة أنصاب مُجرَّدة تم نحتها أو وضعها أحياناً في حُنى ومشكاوات نُحتت فوق قاعدة عريضة تُمثِّل عرش النصب[517]، وبعدها، أي في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، استخدم الأنباط تمثيلات مُجسَّمة لآلهتهم، كما استمر استخدام النصب الحجري المجرَّد المستطيل الشكل في الغالب، والمزوَّد بقاعدة، ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الأنصاب لم يكن مزخرفاً، وبعضها مُزيَّن بأشكال العيون[518]، وعلى الرغم من أن السواد الأعظم من هذه الأنصاب غير معروف الهوية لافتقارها لكتابات، إلا أن بعضها قد ارتبط بالعزى[519]، بينما ارتبط بعضها بـ "رب البيت" الذي قد يكون ذو الشرى[520]، وارتبطت البقية بالكتبى[521] وعطارغتيس[522] واللات[523].

ويذكر ماكسيموس الصوري Maximus of Tyre (120 ق.م–25م) أن العرب كانوا يُبجِّلون إلهاً ولكنه لم يعرف اسم ذلك الإله الذي كان يُمثَّل بحسبه على هيئة حجر مربع[524]، ويشير الكاتب لوقيانوس السمسياطي[525] إلى استخدام الحجارة للرمز للآلهة في بلاد الشام حيث يقول

---

[516] للمزيد حول أنواع الأنصاب انظر Patrich, J. (1990): The Formation of Nabataean Art. Prohibition of a Graven Image among the Nabataeans, Leiden.

[517] تُعرف هذه الأنصاب بين الباحثين باسم Betyls أي بيوت الإلهة. للمزيد انظر Wenning, R. (2001): The Betyls of Petra, BASOR 324, 79-95.

[518] Wenning, R. (2008): Decoding Nabataean Betyls. In: Proceedings of the 4th International Congress of the Archaeology of the Ancient Near East. Edited by Hartmut Kühne, Rainer M. Czichon, and Florian Janoscha Kreppner, Harrassowitz Verlag , Wiesbaden, 613-619.

[519] Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram, 586-87, figs. 9-10; Milik, J. T. and Starcky, Jean (1975): Inscriptions récemment découvertes à Pétra, 124, pl. 46, 1-2.

[520] Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram (suite), fig. 11.

[521] Strugnell, John (1959): The Nabataean Goddess Al-Kutba, 29-31.

[522] Wenning, R. (2001): The Betyls of Petra, 83, fig. 3.

[523] Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram, 583-85, pl. 39.

[524] Avner, U. (1999-2000): Nabataean Standing Stones.

[525] ولد هذا الكاتب والأديب السوري المعروف بالإنجليزية باسم Lucian of Samosata في مدينة سميساط على الفرات الأعلى في حوالي عام 125م وتوفي عام 175م، له العديد من الأعمال منها ما ضاع ومنها ما وصلنا. للمزيد انظر لوقيانوس السميساطي (1987):

"الشمس والقمر وحدهما من بين الآلهة لا يمنحهما السوريون صورة واضحة، وقد تحريت شخصياً عن هذه العادة، ووقفت على مصدرها، فبان لي أن التماثيل تقام للآلهة التي لا تبدو للعيان، وأما الشمس والقمر فظاهران للجميع، ولذلك لا فائدة تجنى من إقامة تماثيل لآلهة تبدو في السماء"[526]، وهذا الحال ينطبق على المئات من تمثيلات الآلهة الدينية عند الأنباط، حيث شيَّد الأنباط منشآت دينية بسيطة مُجرَّدة منفردة أو محفورة بالصخر على شكل مشكاوات كان يوضع فيها عادة نصب مستطيل للمعبود، وتُمثِّل كل مشكاةٍ بيتاً للنصب، ويبدو وجود توجهٍ عامٍ عند الأنباط بعدم تصوير آلهتهم بشكل آدمي، وصُوِّرت بالتالي معظم المعبودات النبطية ذات البعد الكوكبي على شكل أنصاب[527] منحوتة على هيئة أعمدة، وهذه الأنصاب مستطيلة الشكل في الغالب نُحتت داخل مشكاوات، ونجد بعضها أحياناً يحتوي أكثر من نصبٍ واحدٍ، وضمن هذا السياق يتحدث صاحب موسوعة سويداس Suidas عن الإله ذي الشرى قائلاً أن ثيوس اريس Θευς Αρης هو الإله اريس Αρης في البتراء وبلاد العرب، حيث يعبدونه هناك بشكلٍ خاصٍ، وكان صورته على هيئة حجر أسود مربع غير مشغول، ارتفاعه أربعة أقدام، وعرضه قدمين، وكان يتم وضعه على قاعدة مطلية بالذهب، ويقومون بتلطيخه بدم الأضاحي التي يتم ذبحها هناك، وهذه هي التقدمات، وكل المنشأة غنية بالذهب وهناك عدد من التقدمات الأخرى[528]، ويقارب هذا الوصف وصف المؤرِّخ الإغريقي هيروديان (170–240م) لأحد معابد الشمس الحمصية حيث كان يتم تصوير الشمس على هيئة حجرٍ ضخمٍ مخروطي الشكل يستدق كلما اتجه للأعلى له قاعدة مدوَّرة وهو أسود اللون[529].

ويتطرّق المؤرخ فيلو الجبيلي من القرن الثاني الميلادي إلى الأنصاب التي أطلق عليها اسم Βαιτύλια أي "بيوت الإله" حيث يرى أنها من اختراع الإله أورانوس الذي نجح في خلق هذه "الحجارة الوهَّاجة= λίθους ἐμψύχους" التي سقطت من السماء وكانت لها قوة سحرية[530].

ويبدو من خلال ما أورده صاحب كتاب "سويداس" من القرن العاشر الميلادي، أن الحجر الأسود قد اقترن عند الأنباط بالإله ذي الشرى الذي كان يُصوَّر على هيئة حجارة سوداء لا

أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق.

[526] لوقيانوس السميساطي (1987): أعمال لوقيانوس السميساطي ، 24.

[527] يُقسِّم جوزيف باتريش الأنصاب النبطية إلى مجموعات منها الأنصاب البسيطة وهي مستطيلة الشكل لها سطح ناعم ومحفورة بشكل بارز وتكون عادة موجودة ضمن مشكاة، وتكون أحياناً صغيرة لتُحمل، ويوجد لبعضها قاعدة بسيطة أو عريضة عالية. ومن أنواع الأنصاب الأخرى أنصاب العيون وهي مربعة الشكل تمثّل عيون وأنف منها ما هو محمول ومنها ما هو ثابت، كما توجد أنصاب ذات قمم دائرية أو كروية. للمزيد حول أنواع الأنصاب انظر Patrich, J. (1990): The Formation of Nabataean Art .

[528] Hackl, Ursula; Jenni, Hanna and Schneider Christoph (2003): Quellen zur Geschichte der Nabatäer: Textsammlung mit Übersetzung und Kommentar, Academic Press, Fribourg, 617-618.

[529] Herodian (1969): History, ed./tr. C.R. Whittaker, Cambridge (Ma.), Loeb, 5.3.

[530] Barr, James (1974): Philo of Byblos and his "Phoenician history", John Rylands University Library of Manchester, 27-28.

تعكس أية معالم[531]، ويبدو لنا من خلال دراسة ما تبقى من شواهد أن تصويرات هذا الإله المتوفرة حالياً ليست سوداء اللون، ولكننا نعتقد أن الكثير من هذه التصويرات كانت ملونة، شأنها شأن الكثير من المعالم الأثرية في البتراء، والتي بيَّنت الدراسات أن عدداً كبيراً منها كان مزخرفاً بطبقاتٍ جصيةٍ ملونةٍ ولكنها اختفت مع مرور الزمن بسبب عوامل طبيعية وبشرية عديدة[532].

يبدو لنا، وبشكلٍ جليٍ، أن الأنباط قد قاموا بتمثيل آلهتهم بشكلٍ رمزيٍ على الأغلب الأعم، وبشكلٍ آدميٍ على نحوٍ أقل، حيث صُوِّرت الآلهة أحياناً على هيئتين آدميتين: الأولى شرقية، وتم تمثيل آلهة هذا النوع من التماثيل على هيئة رجل شرقي كثيف اللحية كبير السن[533] يظهر على مُحياه الوقار والحكمة، وهي صورة تعكس طبيعة تصور بعضهم للخالق كما هو الحال في تمثال ذي الشرى في البتراء وبعل سمين في حوران، ويبدو أن هذه الصورة النمطية للإله بقيت موجودة في أذهان أفراد مجتمعاتنا حتى فترة قريبة، حيث يذكر أنطونان جوسن على سبيل المثال أنه قد سأل أحد البدو في صحراء النقب خلال زيارته لها بين الأعوام 1902–1905م عن الله فكانت إجابته أن الناس يقولون "بأن الله يشبه كهلاً لحيته بيضاء، لكن لا أدري أين يقيم، يقال بأنه في الأعالي"[534].

أما الهيئة الأخرى التي صُوِّرت بها الآلهة فهي هيئة مؤغرقة متأثرة بطريقة تصوير الإغريق لآلهتهم، إذ قاموا على سبيل المثال بنحت تماثيل لهيليوس الذي كان يُعبد في عددٍ من مناطقهم، وما هذا إلا شكلٌ من أشكال التأغرق الذي نلاحظه باستمرار على العديد من المظاهر الحضارية النبطية.

وتوجد المشكاوات والأنصاب أحياناً في أماكن متفرقة غير مُتجمِّعة، وتتركَّز أحياناً في أماكن يبدو أنها كانت مزارات دينية وأماكن تعبُّدية خصوصاً داخل الأودية، وبين المناطق الصخرية الضيقة، وهي تتشابه في حجمها، وتستوعب إلى حد ما أعداد متشابهة من المتعبدين، ومن أبرز هذه المزارات التعبُّدية:–

1. مزار إيزيس التعَّبُدي في وادي الصيغ، ويحوي بعض المشاكي، وقد نُحتت المعبودة إيزيس جالسة داخل مشكاة وبجانبها نقش يذكر اسمها[535]، وتوجد هناك مضافة عُثر فيها على نقش يذكر الكتبى[536]، بالإضافة إلى منحوتة تمثل عطارغتيس وبجانبها مخربشات تذكرها[537].

---

[531] Hackl, Ursula; Jenni, Hanna and Schneider Christoph (2003): Quellen zur Geschichte der Nabatäer, 617-618.

[532] للمزيد انظر Shaer, M. (2005): The Decorative Architectural Surfaces of Petra, PhD Thesis, Technischen Universität München.

[533] جوسن، أنطونان (1997): العادات العربية في بلاد مؤاب. ترجمة سامي النحاس، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، 259.

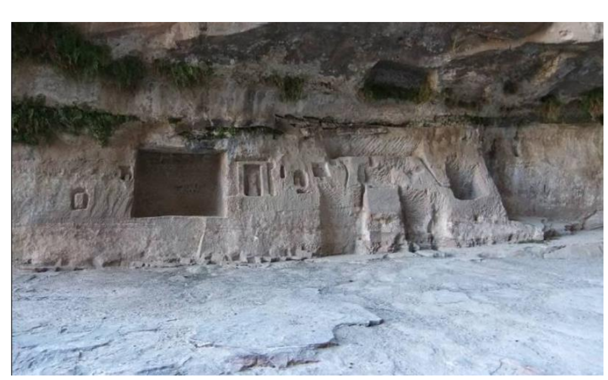
[534] جوسن، أنطونان (1997): العادات العربية في بلاد مؤاب، 259.

[535] Milik, J. T. and J. Starcky. (1975): Inscriptions récemment découvertes à Pétra, 120-124.

[536] Strugnell, J.; Albright, W. and Milik, J-T (1961): The Nabataean Goddess al-Kutba, 22-25

[537] CIS II 422, 423.

2. مزار قطّار الدير التعَّبُدي، وهو سيق ضيق مغلق في نهايته، يقع بالقرب من الطريق المؤدي إلى الدير، وتحيط به الجبال العالية التي تنبجس من أجزائها السفلية بالقرب من المنشآت الدينية التعبُّدية مياه نبع تتساقط على هيئة قطرات، ومن هنا جاءت تسمية هذه المنطقة بهذا الاسم، وتوجد في المنطقة مضافة وعدد من المشاكي والأنصاب الصغيرة الموزعة على طول الواجهة الصخرية، وتتوزَّع أسفلها قنوات منحوتة تحمل الماء المتساقط، وتوجد هناك العديد من النقوش النبطية.




مشكاوات وأنصاب نبطية في منطقة قطَّار الدير في البتراء (المصدر: الباحث)

3. مزار جبل المعيصره التعَّبُدي، والذي يتم الوصول إليه من خلال أدراج تؤدي إلى بعض المنشآت التعبدية المرتبطة بتقديم القرابين، وتوجد هناك أحواض ومقاعد، وبالقرب منه العديد من المشاكي ومضافة جنائزية.

4. مزار سد المعجن التعَّبُدي، وهو وادٍ ضيقٍ ومتعرّجٍ يقع في الجزء الشمالي من جبل الخُبْثَه، ونُحتت فيه عشرات المحاريب والأنصاب ذات الأشكال المتنوعة والمتعددة بالإضافة إلى مضافة جنائزية، وتذكر النقوش النبطية الموجودة هناك أسماء ذو الشرى والعزى[538].





مشكاوات وأنصاب نبطية في منطقة سد المعجن في البتراء (المصدر: الباحث)

5. مزار أم البيارة التعَّبُدي، وهو على هيئة ملجأ صخري في طرف هضبة أم البيارة، وفيه العديد من الأنصاب، ونُحتت فيه حفر لتعليق الأضاحي والقرابين على ما يبدو، ويوجد

[538] Roche, M. J. (1989): Les niches cultuelles du Sadd al-Majan à Pétra, ADAJ 33, 327- 337.

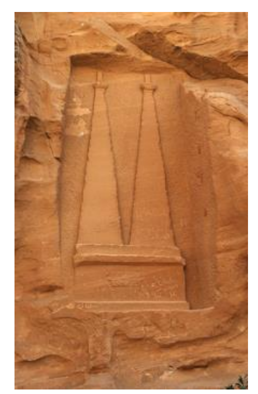
هناك نقش يوناني يذكر اسم الاله زيوس، حيث يبدو أنه استخدم خلال الفترة التي تلت سقوط مملكة الأنباط بأيدي الرومان.

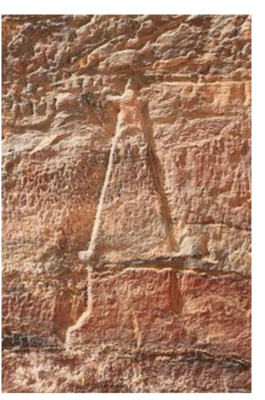


مشكاوات وأنصاب نبطية في منطقة أم البيارة (المصدر: الباحث)

ب: النصب الجنائزي المعروف بـ "ن ف ش"

ويرد ذكر هذا النصب في النبطية بصيغة "ن ف ش = نفس"، وهو نصب جنائزي نبطي هرمي الشكل يشبه المسلة ينحت بالصخر ويرمز لوجود المتوفى وإلى خلود روحه في ذلك الموضع، ويكثر العثور على هذه الأنصاب في العديد من المواقع النبطية، ويذكر أحياناً اسم المتوفى بالقرب من المسلة، وتحديداً أسفلها.





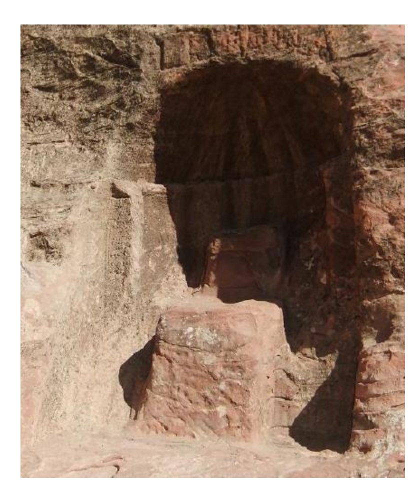
صور لمنحوتات الـ "ن ف ش" النبطية (المصدر: الباحث)

ج: عرش الإله المعروف بـ "م و ت ب ا"

تظهر بعض الأنصاب في البتراء جالسة على عرش مرتفع فوق منصة يعرف في النبطية بـ "م و ت ب ا"[539]، ولكن العديد من التماثيل التي تظهر جالسة على هذه "القواعد" أو "العروش" قد تم تشويهها فهي مطموسة المعالم.

---

[539] Healey, J. (1993): The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih. Oxford University Press, Oxford, p 34.



صورة لعرش الإله "م و ت ب ا" (المصدر: الباحث)

د: المسلات

وجدت المسلات في البتراء في موضعين اثنين هما قبر المسلات ومنطقة المذبح حيث يبدو أن هذه المسلات كانت تمثل الإله الشمس كما كانت كذلك عند المصريين.

هـ: المضافات الجنائزية

شيَّد الأنباط نوعين من المضافات، فمنها ما كان مُخصَّصاً لإقامة نشاطات اجتماعية وثقافية ودينية، ومنها ما كان مُخصَّص لإقامة الشعائر والولائم الجنائزية،وقد كان طقس ولائم الموتى شائعاً في الشرق القديم، فكان العراقيون القدماء على سبيل المثال يقيمون ولائم جنائزية وحداد وندب ورثاء على أرواح الموتى، إضافة إلى إقامة المراثي والتعاويذ وسكب الماء والزيت على أرواح الموتى[540]، وكانت هذه الطقوس معروفة أيضاً، وكانت الولائم الجنائزية شائعة في تدمر أيضاً حيث كانت تقام في أماكن خاصة في معابد المدينة، وتحدثت عنها النقوش التدمرية، وكانت هذه الولائم كهنوتية وعائلية، وكانت تحضرها دوماً زوجة المتوفى وأولاده[541].

لعبت المضافات الجنائزية دوراً هاماً في حياة الأنباط الدينية، حيث تتركز بشكلٍ خاصٍ في منطقتي البتراء وبيضا، وترتبط أحياناً بالمقابر لممارسة طقوس ذات علاقة بالموت وما بعد الوفاة، ونُحت بعضها منفرداً حيث يبدو عدم وجود علاقة له بالدفن بل كان مخصصاً لنشاطات اجتماعية أو دينية معينة، ويمكن تصنيف هذه المضافات الجنائزية إلى ثلاثة أنواع هي:

1. حجرات تحتوي ثلاثة مقاعد طويلة منحوتة على طول ثلاث واجهات (أي خلفية وجانبية) ويعرف هذا النوع باسم Triclinium.
2. حجرات تحتوي على مقعدين حجريين طويلين منحوتتين في الصخر ويعرف هذا النوع باسم Biclinium.

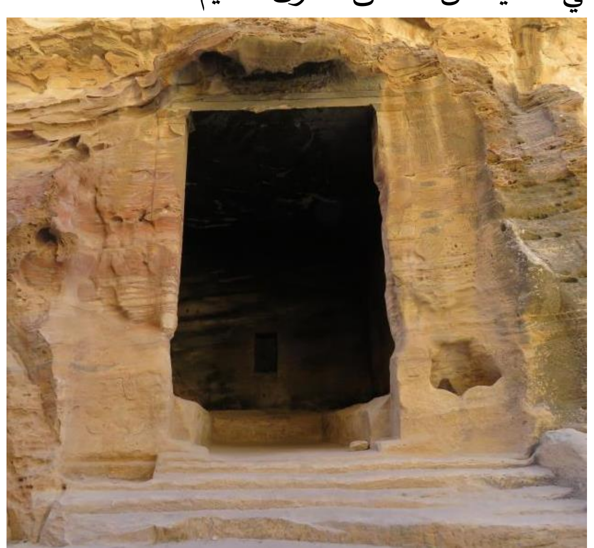
---

[540] حسين، إيمان (2009): الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد. مجلة القادسية للآداب والعلوم التربوية، 8، 4، 215-236.

[541] سيريغ، هنري (1951): طعام الموتى والوليمة الجنائزية في تدمر، الحوليات الأثرية العربية السورية، 1، 1، 127-130.

3. حجرات تحتوي على مقعدٍ واحدٍ نُحت على جوانبها بشكلٍ دائريٍ، ويعرف هذا النوع باسم Stibadium.

وبالإضافة إلى هذه الأنواع التي كانت منحوتة في الصخر، فقد كانت هناك أيضاً مضافات في الهواء الطلق أو في المناطق المرتفعة نُحتت فيها تجاويف بالصخر كانت توضع بداخلها المصابيح وتماثيل الآلهة[542] ويبدو أن لهذه المنشآت ارتباط بما ذكره سترابو بأن الأنباط كانوا يعدون حفلات في مجموعات تتألف من عدة أشخاص حيث يحضر هذه الحفلات موسيقيتان اثنتان لكل حفلة ويتم تناول الشراب، حيث لا يتجاوز شرب كل شخص احد عشر كأساً ذهبياً[543] وكل مرة بكاس مختلف[544] ، وقد ورد في النقوش النبطية ما يُشير إلى وجود مآدب دينية تُعرف باسم (م ر ز ح ا)، وهي احتفالات ذات طابع ديني يتم فيها تناول الشراب، وقد عُثر على نقشٍ في منطقة بيضا يذكر اسم شخص كان مسؤولاً عن هذه الاحتفالات حيث عرف بـ " ر ب م ر ز ح ا"[545]. وترد في أحد النقوش النبطية التي عُثر عليها في وادي موسى عبارة (ر ب / م ر ز ح ا / د ي / ب ج ا [ي ا]) أي (رئيس الطائفة الدينية التي في جايـ[ـا])[546]. وهنا فإننا نربط بين وجود عدد من المضافات الجنائزية في بيضا وتركز وجود معاصر النبيذ فيها حيث يبدو أن المنطقة كانت مركزاً رئيساً لإنتاج النبيذ وكانت أيضاً مركزاً لعقد مثل هذه الاحتفالات. وقد عرفت الولائم والمآدب الدينية في العديد من مناطق الشرق القديم[547].



مضافة نبطية في منطقة سيق البارد (المصدر: الباحث)

[542] المحيسن، زيدون، (2004): الحضارة النبطية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، 62-63.

[543] لم يُعثر على كؤوس ذهبية نبطية حتى الآن، كما لم يعثر إلا على القليل من المشغولات النبطية، واعتقد أن شاهد العيان الذي أخبر سترابو بهذه الرواية قد شاهدهم يشربون بكؤوس فخارية وليست ذهبية، لا سيما وأن لون الفخار النبطي الذي كانت تُصنع من الكؤوس كان برتقالياً مقارباً للون الذهبي، فاختلطت الأمور على ناقل الرواية معتقداً أنها كؤوس ذهبية.

[544] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.26

[545] Zayadine, F., (1986) A Symposiarch from Petra, in: L. T. Geraty – L. G. Herr (eds.), The Archaeology of Jordan and Other Studies Presented to Siegfried H. Horn , 465–474.

[546] Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2012): Two New Nabataean Inscriptions from Wādī Mūsā, n.2.

[547] Teixidor, J. (1977): The Pagan God, 133.

و: المُعلَّيات (High-Places)

شيَّد الأنباط عدداً من المُعلَّيات/ المذابح، وهي عبارةٌ عن منشآتٍ دينيةٍ غير مسقوفة مقطوعة بالصخر تتميَّز عادة بموقعها المرتفع، ويتم الوصول إليها عبر طريقٍ طويلٍ قوامه عدد من الأدراج، كما يتصِّل بهذه المنشآت أحواض محفورة بالصخر، وقنوات ومرفقات مائية يبدو أنها كانت تُستخدم لغايات التطُّهر ولغاياتٍ أُخرى مرتبطة بالطقوس التي كانت تُمارس في هذه المنشآت الشعائرية، وعادة ما تكون هذه المُعلَّيات على القمم الجبلية العالية، وكان يتم اختيار مناطق ذات مساحةٍ تكفي لاستيعاب عددٍ لا بأس به من المتعبدين.

وفي البتراء مُعلَّياتٍ ومزارات أُخرى أقلُ مساحة شُيِّدت على أماكن عالية ومكشوفة، كتلك المُشَّيدة على إحدى قمم أم البيارة، وتتوزع في منطقة المَدْرَس الواقعة إلى الجنوب من السيق المشكاوات والحُنى والمحاريب الدينية المتناثرة ضمن فناء واسعٍ مكشوفٍ، وكذلك في منطقة النمير في البتراء، كما عُثر في رأس سليسل شمال غرب البتراء على مُعلًّى ومعبد إلى الجنوب الغربي منه عُرف باسم (معبد البِرْكة)[548]، وقد بيَّنت الدراسات الآثارية الميدانية التي أُجريت على قمة جبل هارون الذي يُمثِّل أعلى قمة جبلية في منطقة البتراء (1353م فوق مستوى سطح البحر) أن المنطقة قد احتوت مُعلًّىً نبطياً، وأنها كانت تضم العديد من المنشآت الدينية النبطية[549] التي تؤكِّد ممارسة الأنباط لشعائرهم فوق هذه القمة العالية.

وربما لعبت المضافات النبطية المكشوفة غير المسقوفة والمقامة في العراء دوراً مُشابهاً، فقد شيَّد الأنباط أيضاً مضافات مكشوفة غير مسقوفة في العراء وأخرى مغلقة لممارسة شعائر دينية ودنيوية وجنائزية[550].

تؤكِّد الدلائل المكتشفة تعبد الأنباط في أماكن عالية مرتفعة عما يجاورها، وعادة ما تكون هذه المُعلَّيات على قمم الجبال وخصوصاً تلك المطلة على المدينة، ومن بين المُعلَّيات الرئيسة الموجودة في البتراء ذلك الموجود على قمة جبل الخُبْثَه والذي يتألف من ساحات ومذابح وأحواض مائية وخزان ماء ومناطق للاحتفالات الدينية حيث يوجد هذا المعلى في نهاية طريق يؤدي إليه حيث يحتوي هذا الطريق على مرفقات ومنشآت صممت للأضاحي ولممارسة بعض الطقوس الدينية ومرتبطة أيضاً بمصادر للمياه.

أما أشهر مُعلى/ مذبح في البتراء فهو ذلك الموجود على قمة جبل المذبح حيث يتم الوصول إليه بطريق من وسط المدينة ويمثل هذا المذبح/ المُعلّى مصطبة مرتفعة مستوية محفورة بالصخر في

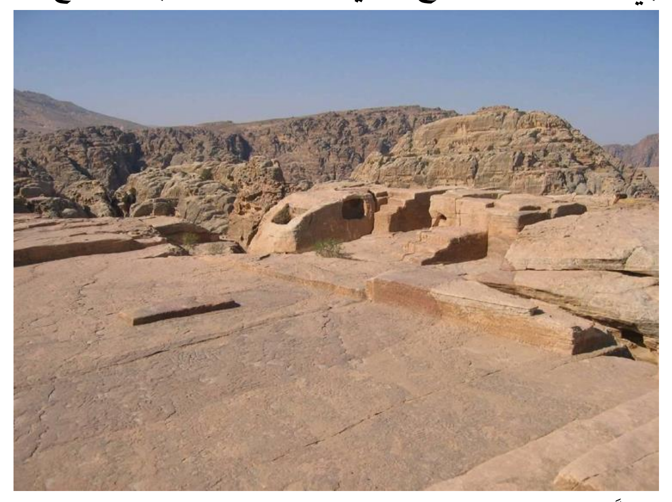
---

548 Lindner, M., Gunsam, E. (1995): The Unique Nabataean High Place of Ras Slaysil Northwest of Petra and its Topographical Context. ADAJ 39, 267-279.

549 Fiema, Zbigniew T. (2012): Reinventing the Sacred: from Shrine to Monastery at Jabal Hārūn, Supplement to Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 42, The Nabataeans in Focus: Current Archaeological Research at Petra, edited by Laïla Nehmé and Lucy Wadeson, 28-31.

550 Tarrier, D. (1995): Banquets rituels en Palmyrène et en Nabatène, Aram 7, 166.

أعلاها منصة مستطيلة، وفي وسط هذه المنصة يوجد مستطيل بارز عن السطح، أما في وسط المنصة وجانبها الغربي فيوجد ثلاثة أدراج تؤدي إلى مكان ما ربما لوضع أنصاب.



منظر جانبي للمُعلَّى الموجود على قمة جبل المذبح في مدينة البتراء (المصدر: الباحث)

خامساً: الطقوس الدينية:

لا نعرف الكثير عن الطقوس والشعائر الدينية النبطية، ولكن يبدو أن الطهارة كانت إحداها، حيث أُلحق بالكثير من المنشآت التعَّبُدية النبطية في البتراء وجوارها مرفقات مائية كالخزانات والأحواض والقنوات، بالإضافة إلى التعبد في الأماكن العالية والمرتفعة، وكانت هناك أعياد دينية كعيد ميلاد ذي الشرى (عيد الإبيفانيا الذي تحدثنا عنه سابقاً) والذي كان يقام أثناء الليل ويرافقه حمل مشاعل عند انتهاء العيد صباحاً إلى موضعٍ مقدسٍ سفليٍ لأخذ صنمٍ خشبيٍ من هناك، حيث يطوفون بهذا الصنم حول منصة مرتفعة[551].

كما كانت الطقوس تقام في مُعلَّيات ومزارات في مناطق مرتفعة يتم الصعود إليها عبر طرق نحتت فيها أدراج، وكان يصاحب طقوس التعبد على ما يبدو حرق البخور أثناء ممارسة الشعائر كما يذكر سترابو، وتقديم القرابين والنذور الدينية التي كانت تتألف من التماثيل والمباخر والأواني المصنوعة من مواد مختلفة وربما الأضاحي.

---

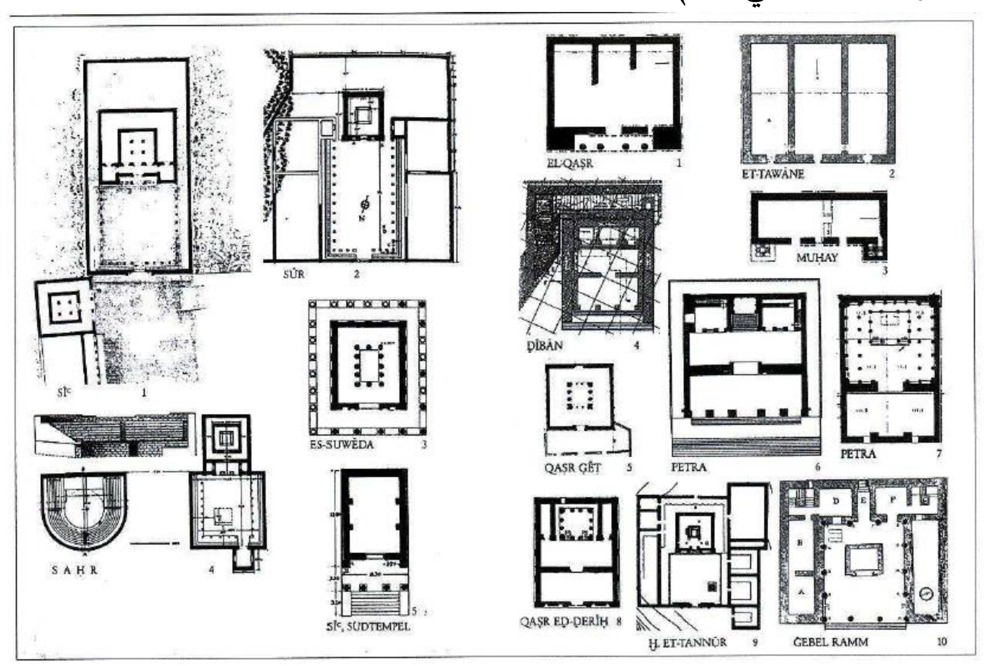
[551] يُطابق هذا الوصف معبد خربة الذريح، حيث يقع تحت (موتاب) هذا المعبد قبوين، حيث كانت تودع الأنصاب وقطع العبادة عندما تنفضُّ الاحتفالات الدينية. المحيسن، زيدون؛ فيلنوف، فرانسوا؛ جانيف، مولاي (2004): خربة الذريح: أضواء جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم، أدوماتو 51،9.



مبخرة نبطية على هيئة مذبح منحوتة في السيق (يمين، تصوير الباحث)، مبخرة نبطية حجرية تحمل كتابة (وسط)[552]، مبخرة نبطية فخارية (يسار، تصوير الباحث)

سادساً: المعابد النبطية في البتراء

تتوزع المعابد النبطية في كافة أرجاء المملكة، فمنها ما هو موجود في البتراء كمعبد قصر البنت ومعبد الأسود المجنحة و"المعبد الجنوبي"، ومنها ما هو في شمال السعودية كمعبد روافه، ومنها ما هو موجود في مؤاب كمعبد ذات راس ومحي والربة وذيبان، ومنه ما هو في آدوم كمعبدي التنور والذريح، ومنها ما هو في حوران كمعبد سيع، ومنها ما هو في النقب كمعبد عبده، وقد عُثر على قطعة معدنية دائرية في منطقة خربة الفلاحات في وسط وادي موسى نقش على إطارها الخارجي كتابة مميزة تذكر وجود (ب ي ت / ن ي ش ي ا / ب ج ا ي ا) أي (معبد المنحوتات الدينية في جايا)[553].



[552] Al-Salameen, Z. (2009) Nabataean Frankincense: Historical and Archaeological Evidence. Journal of King Saud University for Tourism and Archaeology, 21 (1), 1-5.

[553] Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2014): An Inscribed Nabataean Bronze Object Dedicated to Obodas, 293-307.

أشكال مخططات المعابد النبطية[554]

احتوت النقوش النبطية على العديد من الألفاظ التي أطلقت على المعابد منها (ب ي ت ا= البيت)، وكذلك (ر ب ع ت ا= المُربَّع/ المُربَّعة) للإشارة إلى معبدٍ أو منشأةٍ تعبُّديةٍ مربعةٍ أو مستطيلة ربما تكون أصغر حجماً من المعبد، وكذلك (م ح ر م ت ا= المكان المُحرَّم)، كما زوَّدتنا النقوش النبطية بالعديد من الألقاب الكهنوتية مثل (ك هـ ن ا)[555]، (ك م ر ا)[556] ، (ا ف ك ل ا) و (ف ت و ر ا)[557] وهي وظائف مرتبطة بالمؤسسة الدينية النبطية، ومن الصعب التكهن بالواجبات التي كان يقوم بها حامل كل لقب.

أما بخصوص اتجاهات ومحاور المعابد النبطية، فيبدو أنها انسجمت مع معايير العمارة الرومانية التي تنصُّ على أن يكون اتجاه المعبد في الغالب شرق–غرب، مع وجود بعض الاستثناءات كما يقول المعماري الروماني ماركوس فيتروفيوس (80 ق.م– 15م) الذي يقول: "أن اتجاه المعابد الرومانية يجب أن يكون شرق–غرب، ولكن إذا بُني المعبد على جانبي جدول أو نهر، فيجب أن ينسجم اتجاهه معه، أما إذا كانت هذه المعابد على الطريق العام فيجب أن تكون مرتبة على جانب الطريق، وبصورة تمُكِّن المارة من رؤيتها على الجانبين بوضوح"[558]، ونلاحظ تطبيق القاعدة المعمارية الأخيرة بوضوح في مدينة البتراء حيث شُيِّدت معابدها على الجانبين المطلين على الشارع المُعمَّد والوادي المحاذي له.

ومن الأجزاء التي تتكَّون منها المعابد النبطية المذابح التي كُشف عنها أثناء التنقيبات التي أُجريت في الكثير من المعابد النبطية، ويبدو من خلال دراسة هذه المذابح عدم وجود سقف فوقها[559]، فقد كُشف عن منصة مذبح داخل معبد الأسود المجنحة، وهي ترتفع عن أرضية بقية أجزاء المعبد لأنها أكثر أجزاء المعبد قدسية، وتبلغ أبعادها 7.1م في وجهيها الشمالي والجنوبي وما بين 5.92 – 5.96 م في وجهيها الشرقي والغربي، ويمكن الوصول إلى هذه المنصة المُبلَّطة بواسطة درج في الجهة الشمالية. كما توجد ممرات جانبية على كلا الجانبين الشرقي والغربي للمعبد، ويبدو أنها كانت غير مسقوفة، كما يتربَّع مذبح معبد قصر البنت في الفناء المكشوف الواقع أمامه، حيث يمكن رؤيته من جميع مناطق الساحة المقدسة التي شُيِّد في طرفها الغربي.

---

554 Schmid, S., (2001): The Nabataeans. Travellers between Lifestyles.
555 CIS II 611.
556 CIS II 170.
557 CIS II 198.
558 Vitruvius, M. (1914): The Ten Books on Architecture, Translated by Morris Hicky Morgan, Harvard University Press, IV: 5.
559 أثار وجود أجزاء غير مسقوفة من المعابد تساؤلات حول آلية تصريف المياه المتساقطة على هذه الأجزاء خلال فصل الشتاء، حيث كشفت التنقيبات في العديد من المعابد النبطية عن قنواتٍ داخل المعابد لتصريف هذه المياه، كما هو الحال على سبيل المثال في معبد الأسود المجنحة، ومعبد خربة التنور و"المعبد الجنوبي".

ومما يجدر ذكره أنه لا يوجد طراز محدد لمخططات المعابد النبطية، وبشكلٍ عامٍ، يمكن تصنيفها إلى قسمين: القسم الأول هو المعبد المبني على هيئة صندوق داخل صندوق، وهو مربع الشكل أو مستطيل ويحيط بالصندوق الداخلي "المنصة الداخلية" ممرات للطواف (ويعرف هذا النوع بالنوع العربي ومن الأمثلة عليه معبد الأسود المجنحة)، أما النوع الثاني من المعابد فهو المعبد الثلاثي أي الذي يتألف من ثلاثة أجزاء: جزء أمامي ورواق أو صحن وسطي وجزء خلفي يحتوي على قدس الأقداس، وهو النوع المعروف بالسوري، ومن الأمثلة عليه معبد قصر البنت، وللمزيد من المعلومات عن مخططات هذه المعابد وأجزائها المعمارية انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب.

سابعاً: ديانة البتراء خلال العصر الروماني

جلب الإغريق والرومان معهم عند قدومهم لمنطقة المشرق العربي معتقداتهم الدينية والثقافية والفكرية، وقد عُبدت آلهتهم في منطقة شمال بلاد الشام بدءاً من منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وانتشرت عبادتها بشكلٍ خاصٍ في الولاية العربية التي تمّ تشكيلها بعد سقوط مملكة الأنباط بأيدي الرومان، ومن أبرز الآلهة التي عُبدت في هذه الفترة:- زيوس، زيوس اولمبيوس، تايكي، أرتميس، أفروديت، بان، أثينا، هرقل، أبوللو، هيرمس، اسكلوبيوس، ديونيسيوس، كيوبد، مارس، كما عُبد الإله كرونوس في حوران، ولُقّب في قنوات بالإله الحوراني[560]، وقد نُحتت لهذه الآلهة التماثيل التي تعكس خصائص فنية رومانية، كما ظهرت رموزها على العديد من الأعمال الفنية والمعمارية، وظهرت بعض هذه المعبودات ورموزها على المسكوكات التي تمّ سكّها في هذه المدينة[561].

تُشير المصادر التاريخية ونتائج الأعمال الآثارية إلى وجود استمرارية في الديانة النبطية خلال فترة الولاية العربية، وهناك العديد من الدلائل التي تؤكّد عدم انقراضها واستمراريتها جنباً إلى جنب مع عبادة آلهة يونانية ورومانية وافدة، ومن أبرز الآلهة النبطية التي استمرت عبادتها ذو الشرى، الذي يُعتبر من أبرز الآلهة التي تعبّدها العرب قبل الإسلام، إذ تُشير الموسوعة البيزنطية المنسوبة لشخصٍ يُدعي سويداس، والتي تعود النسخة التي بين أيدينا إلى القرن العاشر الميلادي، إلى ذي الشرى–آرس الذي كان يُعبد في البتراء والجزيرة العربية، وكان يُفضّل على بقية المعبودات، وكان بحسب هذه الموسوعة يُجسّد آنذاك على شكل حجر أسود مربع ارتفاعه أربعة أقدام وعرضه قدمين اثنين، وكانت تُراق عنده القرابين والأضاحي[562].

[560] الملكي، هيا (2011-2012): تماثيل الآلهة في سوريا خلال العصر الروماني، 75.

[561] للمزيد انظر Lichtenberger, Achim (2008): Artemis And Zeus Olympios In Roman Gerasa And Seleucid Religious Policy, In Kaizer, Ted, editor, The Variety of Local Religious Life in the Near East in the Hellenistic and Roman Periods. Religions in the Graeco-Roman World, Brill, 133-153.

[562] Avner, U. (1999-2000) Nabataean Standing Stones, 97–122.

ويرى بعض الباحثين أن الإله ذا الشرى قد تلاشى بعد سقوط دولة الأنباط إذ تماهى مع آلهة أخرى، فأصبح ديونيسيوس– باخوس، وكذلك تمّت مُماثلته مع زيوس، وكان في الدلالة السورية الهلنستية يُعرف بزيوس– هدد[563]، ولكن هذا الزعم غير دقيق تماماً حيث يبدو أن هذه المماثلة كانت تتم في بعض المناطق الشمالية من الولاية العربية فحسب، في الوقت الذي استمرت عبادته منفرداً في الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية حتى قدوم الإسلام، وذلك اعتماداً على العديد من الإشارات التاريخية، إضافة إلى عددٍ لا يُستهان به من الشواهد الأثرية، إذ تحمل نقود عُثر عليها في درعا وبصرى ومادبا صوراً لأنصاب تُمثِّل الإله ذو الشرى، وقد صُوِّرت هذه الأنصاب على مصطبةٍ يُوصل إليها عن طريق أدراج، وتُشير المسكوكات المكتشفة إلى أن عبادة ذي الشرى قد استمرت خلال الفترة الرومانية، وكان أهل حوران خلال الفترة الرومانية يحتفلون بعيد اسمه آكتيا دوساريا Actia Dusaria (Ακτια Δουσαρια)، وهو عيدٌ مرتبطٌ باحتفالات الإله ذي الشرى وانتصار اوكتافيوس على أنطونيوس، حيث يبدو أنه قد سمي احتفالاً بمعركة أكتيوم الشهيرة التي حدثت عام 31 ق.م[564]،

وقد استمرت عبادة آلهة أُخرى تعبّدها الأنباط خلال العصرين الروماني والبيزنطي وحتى مجيء الإسلام، فاستمرت عبادة الإله بعل سمين وشيع القوم وقوس وغيرها من المعبودات في بلاد الشام خلال الفترة الرومانية، كما استمرت عبادة إيزيس المصرية حيث عُثر على تمثالٍ لها في منطقة الزنطور في البتراء مصنوع من الألباستر يعود للفترة الرومانية المتأخرة[565]، وعُثر كذلك على نقش في منطقة السيق في البتراء ويعود لعام 257 ويُشير لكاهن إيزيس[566].

كما أصبحت تايكي آلهة مدينة البتراء في الفترة الرومانية، وحلَّت على ما يبدو مكان العزى، وظهرت صورتها على العديد من الإصدارات النقدية الرومانية التي ضُربت في المدينة، كما عُثر على منحوتات لها تعود لهذه الفترة.

أما بخصوص المعابد التي شيَّدها الأنباط في مدينة البتراء وغيرها من المواقع النبطية، فتُشير نتائج الحفريات الأثرية إلى استمرارية استخدام العديد منها بعد قدوم الرومان، ولفترة طويلة، ولم تُغلق بين عشية وضحاها، ومن هذه المعابد معبد الربة[567]، وذيبان[568]، وكذلك معبد الأسود

---

[563] Al-Shorman, Z. (2012): The Assimilation of Dushara - Ḍwsara in Greco-Roman Period. In: Arabia, Greece and Byzantium Cultural Contacts in Ancient and Medieval Times, Proceedings of the :International Symposium on the Historical Relations between Arabia the Greek and Byzantine World (5th century BC-10th century AD) Riyadh, 6 – 10 December, 2010, edited by Abdulaziz Al-Helabi Dimitrios G. Letsios Moshalleh Al-Moraekhi Abdullah Al-Abduljabbar, King Saud University, 43-58.
[564] Healey, J., (2001): The Religion of the Nabataeans, 99.
[565] Stucky R.A. Gerber, G., Kolb, B and Schmid, S. (1994): Swiss-Liechtenstein Excavations at ez-Zantur in Petra, 275-279, fig. 9.
[566] Healey, J., (2001): The Religion of the Nabataeans, 46.
[567] Eddinger , Terry W. (2004): A Nabatean/Roman temple at Dhat Ras, Jordan, NEA 67,1, 14-25.
[568] Wright, G. R. H. (1961): The Nabatean-Roman Temple at Dhiban: A Suggested Reinterpretation, BASOR 163: 26–30.

المجنحة في البتراء، ومعبدا خربة الذريح والتنور اللذين استمر استخدامهما حتى القرن الرابع الميلادي[569] .

ثامناً: المباني الدينية المسيحية والإسلامية

استمرت الوثنية في البتراء خلال القرن الرابع الميلادي، ذلك بدلالة العديد من الإشارات التي نجدها في عددٍ من المصادر التاريخية[570]، كما شهدت المدينة نهضة عمرانية دينية خلال الفترة البيزنطية، وتم تحويل بعض المباني النبطية المنحوتة بالصخر، والتي تنسجم مع الاتجاه العام للكنيسة، إلى كنائس مثل المحكمة والدير، كما بُني دير على مقام النبي هارون بقي مستخدماً خلال الفترة الأموية المتأخرة وحتى فترة العصور الوسطى، وتمَّت إعادة استخدام بعض المساكن التي تعود لفترات سابقة، وبُنيت بحلول منتصف القرن الخامس الميلادي ثلاث كنائس متجاورة إلى الشمال من الشارع المُعَّمد (انظر الفصل الأخير من هذا الكتاب)، كما كُشف مؤخراً عن كنيسةٍ منحوتةٍ في الصخر في منطقة بيضا، ويبدو أن سكان هذه المنطقة خلال الفترة البيزنطية قد أعادوا استخدام كهف نبطي ككنيسة خلال الفترة البيزنطية.

وكشفت أعمال الصرف الصحي التي أجريت في وادي موسى في نهايات القرن الماضي عن بقايا مبنى فخم من الفترة البيزنطية المتأخرة ممتد تحت "الجامع العُمَريّ" في وسط وادي موسى، ويبدو أن هذا المبنى كان كنيسة حيث عثرنا فيه على أجزاء عدد من الأعمدة وحوض حجري كبير إضافة إلى عمود رخامي صغير من الطراز الذي كان مستعملاً لحمل المذابح الكنسية في الفترة البيزنطية المتأخرة (نهاية القرن الخامس–السابع الميلادي)[571].




صور لبعض كنائس البتراء (المصدر: الباحث)

[569] al-Muheisen, Z. and F. Villeneuve, F., (1988): Fouilles à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987: un village, son sanctuaire et sa necropolis aux époques nabateenne et romaine (1er-IVe siècles apr. J.-C.), in: CRAI: 458-479; McKenzie, J. et al (2013): The Nabataean Temple at Khirbet et Tannur, Jordan, Vol. 1. Architecture and Religions, Final Report on Nelson Glueck's 1937 Excavation Vol. 2: Cultic Offerings, Vessels, and Other Specialist Reports, Annual of the American Schools of Oriental Research 67 and 68. Manar al Athar Monographs 1 and 2. Boston.

[570] Eusebius (1966): Das Onomastikon der biblischen Ortsnamen, 36.13-14; Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans.

[571] عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية لمشروع شبكات المياه والصرف الصحي لوادي موسى (2000-1998)، تقرير غير منشور.



صورة للكنيسة التي كُشف عنها في بيضا (المصدر: الباحث)

وعلى الرغم من الانتشار الكبير للإسلام في جنوب الأردن خلال الفترة الإسلامية، إلا ان المسيحية قد استمرت خلال هذه الفترة كما أشرنا سابقاً[572]، ورافق انتشار الإسلام بناء مساجد في العديد من مناطق بلاد الشام التي أصبحت خاضعة للحكم الإسلامي، والمساجد الأثرية التي عُثر عليها في محيط البتراء قليلة جداً، فقد عُثر على مسجدين مؤخراً في منطقة بيضا إلى الشرق من سيق البارد، وقد كُشف عنهما ضمن نطاق قرية استخدمت على ما يبدو خلال العصور الإسلامية المتوسطة، كما عُثر في وادي الفراشه على موقع وجد فيه بناء يشبه نموذج المساجد المفتوحة التي تؤرِّخ للفترة ما بين القرنين السابع والثامن للميلاد[573]، وكُشف في منطقة جبل الصفاحه شمال بيضا عن مسجد في العراء له ساحة أبعادها 7.5×11م[574]، ونأمل ان تزودنا الحفريات الأثرية التي ستُجرى مستقبلاً بمعلومات أكثر عن العمارة الدينية في هذه المنطقة خلال العصور الإسلامية المختلفة.

تاسعاً: عادات الدفن في البتراء

بيَّنت المادة الأثرية المتوفرة أن الموت قد شغل تفكير الإنسان منذ أن وُجد على سطح هذه البسيطة، وأبدى اهتماماً وعناية بالموتى منذ عصور ما قبل التاريخ، وتعدَّدت تبعاً لذلك عادات وممارسات وشعائر الدفن وتطوَّرت عبر العصور، وتنوَّعت المرفقات الجنائزية التي كانت توضع

[572] ‘Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results, 241.
[573] Kouki, P. (2006): Environmental Change and Human History in the Jabal Harun Area, Jordan, Unpublished PhD Dissertation, University of Helsinki, 89.
[574] Lindner, M. – Knauf, E. A. – Hübner, U. et al., (1998): From Edomite to Late Islamic. Jabal as-Suffaha North of Petra.

مع الميت داخل المدفن، والتي تدل على إيمانٍ مطلقٍ بوجود حياة أخرى بعد الموت، واختلفت كذلك أشكال المدافن وتصميماتها باختلاف الحضارات والعصور الزمنية المختلفة، كما تعدَّدت طرق معالجة جثث الموتى، وأصبحت دراسة المدافن وما تحويه من بقايا عظمية ومرفقات جنائزية مصدراً هاماً من مصادر دراسة الحضارات القديمة؛ لأنها تلقي الكثير من الأضواء على جوانب اجتماعية ودينية واقتصادية للمجتمعات البشرية القديمة، بالإضافة إلى معلومات بالغة الأهمية عن عادات الدفن التي نستقيها من خلال دراسة تقنيات بناء المدافن وتوزيعها وطريقة بنائها، واتجاهات الدفن ووضعياته ودراسة الهياكل العظمية وتوزيعها داخل المدافن وما يرتبط بها من مرفقات ومنشآت جنائزية.

أ. عادات الدفن في البتراء ومحيطها خلال الفترة الممتدة من العصور الحجرية وحتى العصر الحديدي

يُعتبر موقع بيضا أول موقعٍ حجريٍ كُشف عنه في منطقة بيضا يقدم لنا معلومات عن أساليب الدفن خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب)، حيث عُثر فيه على خمسة وأربعين هيكلاً عظمياً بشرياً دفُنت تحت أرضيات المنازل وفي مدافن فردية، وقد وجدت هياكل الأطفال كاملة واحتوت مدافنهم على هيكلٍ لأكثر من طفل، أما البالغون فقد وجدت هياكلهم منزوعة الجمجمة ودفنت بشكل فردي، وقد لوحظ على هذه المدافن قلة المرفقات الجنائزية[575]، كما عُثر في موقع صبرا جنوبي البتراء على بقايا بشرية مبعثرة ظهرت عليها آثار الحرق وتؤرّخ للعصر الحجري الحديث[576]. أما معلوماتنا عن عادات الدفن في محيط البتراء خلال العصر الحديدي فتكاد تكون معدومة.

ب. عادات الدفن في البتراء خلال الفترة النبطية

يلاحظ الزائر لأكبر مدينتين نبطيتين وهما البتراء ومدائن صالح (الحِجْر) أن السواد الأعظم من معالم هاتين المدينتين المتبقية والمنحوتة في الصخر هو عبارة عن مدافن نُحتت بشكلٍ هندسيٍ بديعٍ، وزُيّنت بعناصر معمارية تعكس مواضيع دينية وميثولوجيه وزخرفية متعددة، حيث يبدو أن ملكية هذه المدافن، وكما يتضح من النقوش المدونة على واجهاتها، تعود لأشخاص أصحاب مكانة رفيعة في المجتمع النبطي، ويتضح لنا من خلال دراسة هذه الواجهات الصخرية أن هاتين المدينتين قد مثَّلتا مدرستين نحتيتين نبطيتين مميزتين اختلفتا عن سائر مدارس الفن المعاصر

---

[575] Kirkbride, D. (1966): Five seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village at Seyl Aqlat, 23-24.

[576] Roehrer-Ertl, O. Frey, K.-W. Newesely, H. (1988): Preliminary Note on Early Neolithic Human Remains from Basta and Sabra, Garrard and Gebel (eds.), The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986, BAR International Series 396, Oxford, 135-136.

لهما، وتتميَّز هاتان المدرستان باختلاط عناصر فنونهما وامتزاجها مع عدة عناصر فنية من حضارات مختلفة مع احتفاظ الأنباط بطابعهم الخاص، كما يتضح لنا، وبشكلٍ جليٍ، الارتباط الوثيق بين الفن والدين عند الأنباط.

استخدم الأنباط العديد من الألفاظ والمفردات للدلالة على المدافن، وقد تمكَّنا من معرفة معاني ودلالات معظم هذه الألفاظ بسبب ورودها في لغات سامية أخرى، رغم أن بعضها غير معروف بصورةٍ دقيقةٍ، ويحتوي الجدول التالي على جميع الألفاظ المرتبطة بالمدافن، والتي ترد في النقوش النبطية:-

اللفظ	معناه	المرجع
ا و ن ا	المسكن	Healey 2001: 174
ا ر ن ا	التابوت الحجري، الصندوق	الذييب 2014: 64
ب ي ت ع ل م ا	بيت الخلود/ بيت الأزل	Negev 1971
ج و ح ا / ج و خ ا	اللحد، المشكاة ؟	الذييب 2014: 105
و ج ر ا	المقبرة	الذييب 2014: 137
ك ف ر ا	المقبرة	الذييب 2014: 210
ن ف ش ا	القبر، المسلة، النصب، الشاهد	الذييب 2014: 267
ص ر ي ح ا	الضريح	الذييب 2014: 330
ق ب ر ا	القبر	الذييب 2014: 338
م ق ب ر ت ا	المقبرة	الذييب 2014: 340

كان المدفن بالنسبة للأنباط مكان الرقود الأخير من الحياة الدنيا، ولذلك بذلوا جهوداً متميزة ومضنية لنحت المقابر وزينتها، وأرفقوا مع أمواتهم مرفقاتٍ جنائزيةٍ ليستخدموها في حياتهم الأخرى في عالمهم السفلي، وعاملوا موتاهم بعناية واحترام، واتخذوا إجراءات لحماية المقابر حتى لا تُنتهك حُرماتها، وقد تمثَّلت هذه الإجراءات في نصوص تمَّت كتابتها على الواجهات الخارجية للمقابر تتضمن المحظورات المرتبطة باستخدام المقابر، والعقوبات التي ستحلُّ بكل من يحاول أن ينتهك حرمتها[577].

وربما يؤكِّد اهتمام الأنباط بموضوع الخلود الأبدي استخدامهم لبعض الشواهد الرمزية التي قد تدّل عليه، مثل الأقنعة البشرية التي ظهر بعضها ضمن سياقات جنائزية، وربما تعكس هذه الأقنعة ملامح ذو الشرى كبير آلهتهم واتحاد الميت معه بعد موته[578]، وربما يكون لها دلالات أخرى

[577] للمزيد انظر Healey, J. (1993): The Nabataean Tomb Inscriptions.
[578] Glueck, N. (1965): Deities and Dolphins, 242-243.

ليس لها علاقة بمفهوم الخلود، ولكنها مرتبطة بجانبٍ آخر من جوانب المعتقدات الجنائزية والدينية النبطية.

تفتقر المصادر التاريخية التي تتحدث عن الأنباط إلى معلوماتٍ عن نظرتهم إلى الحياة الآخرة (العالم الآخر)، ولا نعرف ما هو مصير الروح بحسب اعتقادهم بعد مغادرتها للجسد، في الوقت الذي نجد فيه تفاصيل عديدة عن مصيرها عند العديد من شعوب الشرق الأدنى القديم كالمصريين القدماء وسكان بلاد الرافدين، وتحتوي المصادر التاريخية التي تتحدَّث عن الأنباط على إشارة تاريخية وحيدة عن العادات الجنائزية النبطية نجدها عند الجغرافي الإغريقي سترابو (65 ق.م– 23م) والذي يقول فيما يرويه عن صديقه أثينودورس أن الأنباط كانوا يعتبرون جثث الموتى كالنفايات وكانوا يلقون موتاهم وكذلك ملوكهم بجانب أكوام القمامة[579] ولكن هذه الرواية غير صحيحة على الإطلاق في ضوء الدلائل الأثرية المتوفرة، ويبدو أن صديق سترابو الذي زوَّده بهذه المعلومة قد خلط بين معنى كلمة (ك ف ر ا= قبر) في النبطية، وكلمة يونانية مماثلة لها في التهجئة تعني "روث، نفايات"، فأدرج الكلمة اليونانية للدلالة على الكلمة النبطية التي يبدو أنه قد سمعها عند زيارته لمملكة الأنباط.

ويرتبط بموضوع الحياة الآخرة موضوع البعث الذي لم يكن كثيرٌ من العرب الجاهليين يؤمنون به كما يتبيَّن من خلال العديد من آيات القرآن الكريم، وكانوا يرون أن الموت نهاية، وأنهم غير مبعوثين، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول[580]، وفي الوقت ذاته نجد أن فريقاً آخر من الجاهليين كان يؤمن بالبعث وبالحشر بالأجساد بعد الموت كما يتضح من كثير من أشعارهم التي وصلت إلينا[581]، ويبدو أن هذا الاعتقاد كان مُتأتٍ بالدرجة الأولى من بقايا الديانات السماوية التي كانت منتشرة آنذاك بين ظهرانيهم، وكذلك من خلال تعاملهم واحتكاكهم باتباع الديانات السماوية.

نلاحظ من خلال دراسة المادة الأثرية المتوفرة أن صلة الأحياء بالأموات لم تكن تنقطع بوفاتهم، بل كان هناك اتصال روحي من خلال ما يعرف بالمآدب والولائم الجنائزية التي ظهرت دلائلها في الكثير من حضارات المشرق القديم، وكانت هذه المآدب وما يرتبط بها من شعائر وطقوس دينية شائعة عند الانباط كما يتضح من انتشار قاعات الإحتفالات والمآدب في البتراء والتي يرتبط بعضها بمنشآت جنائزية، وقد لعبت هذه المنشآت على ما يبدو دوراً هاماً في حياة الأنباط الدينية، وتتركَّز بشكلٍ خاصٍ في منطقتي البتراء وبيضا، وترتبط أحياناً بمدافن وذلك لممارسة طقوس وشعائر مرتبطة بالموتى[582] ويبدو أن بعض هذه المنشآت كانت مرتبطة بالاحتفالات

---

[579] Strabo: The Geography of Strabo, 16.4.26.

[580] علي، جواد (2006): المفصل، 11/ 123.

[581] الزهراني، حبيب (1406 هـ): أدب الحنيفية في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 250- 257.

[582] المحيسن، زيدون (2004): الحضارة النبطية، إربد، 62-63.

التي أشار سترابو إلى وجودها في بلاد الأنباط[583]، وكان لبعض هذه الاحتفالات طابع ديني، وكان للبعض الآخر طابع جنائزي، كما لوحظ من خلال دراسة المنشآت المعمارية المرتبطة بالمدافن وجود قرابين كانت تقدم للأموات بين الحين والآخر[584].

لقد اعتاد الأنباط، شأنهم شأن الكثير من الحضارات القديمة، على وضع مرفقات جنائزية مع الأموات ليستخدمونها في حياتهم الآخرة تمثَّلت في النقود، والقوارير الزجاجية، وقوارير الألباستر، والصناديق الخشبية الصغيرة، والمجوهرات والحلي كالأقراط والخواتم والأساور والقلائد والخرز والأواني الفخارية كالأباريق والزبادي والأسرجة والأجراس المعدنية[585] بالإضافة إلى الصنادل الجلدية، وتكشف زيارة واحدة للبتراء عن مدى اهتمام الأنباط بالبعث بعد الموت، فالموت عندهم ليس نهاية كل شيء، فاهتم الأنباط بالميت وأرفقوا معه مرفقات جنائزية ليستخدمها في حياته الآخرة، وتوجد في البتراء مئات الواجهات الصخرية التي كانت تُمثِّل مدافن، وتعكس المدافن بشكل عام الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمتوفى، ويمكن تقسيم المدافن النبطية إلى نوعين: مدافن فردية ومدافن جماعية.

وتوجد في البتراء، بشكلٍ عامٍ، أربعة أنواع من المدافن:

- مدافن الواجهات المنحوتة في الصخر، وعادة ما تكون الحُجر المنحوتة خلف هذه الوجهات مربعة الشكل حيث نحتت المدافن في أرضياتها أو جدرانها.
- المدافن التي شُكلت على هيئة صخرية مكعبة الشكل ويبلغ عددها ستة مدافن فقط، ويتركز وجودها في المنطقة الواقعة شرق السيق وفي منطقة الثُغرة على الطريق المؤدي لجبل هارون، وهناك مكعب غير مكتمل النحت في منطقة بيضا ربما ينتمي لهذا النوع من المدافن.
- المدافن ذات المدخل العمودي، وهي تتكون من حفرةٍ عموديةٍ تؤدي إلى حُجرة دفن مربعة يتم فيها نحت القبور في أرضيتها وجدرانها.
- القبور التي نُحتت أو شُيِّدت على هيئةٍ مستطيلةٍ بسيطةٍ منها ما كان فردياً ومنها ما كان مُخصَّصاً لدفن أكثر من شخص.

---

[583] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.26

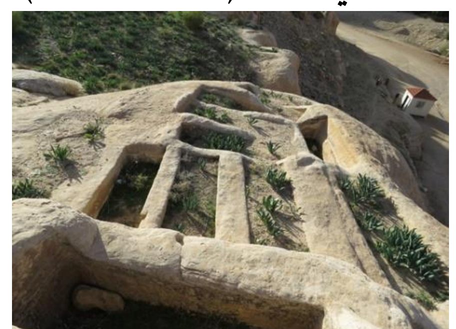
[584] Sachet, I. (2010): Feasting with the Dead: Funerary Marzeah in Petra. In: Death and Burial in Arabia and Beyond: Multidisciplinary Perspectives, Edited by, Edited by, Weeks, L. BAR International Series, 2107, 249-262.

[585] المحيسن، زيدون (2004): الحضارة النبطية، 55-56.



مدافن نبطية داخل إحدى الحجرات المنحوتة في الصخر(المصدر: الباحث)





مدافن نبطية منحوتة في أرضية حُجرة مقطوعة في الصخر (يمين)، مدافن نبطية منحوتة في الصخر في العراء (يسار) (المصدر: الباحث)

ومما يجدر ذكره أنه لا توجد طريقة أو نمط معين لدفن الموتى عند الأنباط، وقد كشفت الحفريات الآثارية عن بعض العادات الدفنية، فكان الميت يُلف أحياناً بأكفانٍ جلديةٍ أو قماشيةٍ منها ما صُنع من جلد الماعز[586]، ويُدفن في حفرة أو تابوت خشبي، وقد عُثر على أمثلة لهذه التوابيت في خربة الذريح والبتراء والحميمة[587]، كما لوحظ معالجة الأكفان الجلدية ببعض المواد أحياناً، ولوحظ على بعض الأقمشة المكتشفة في بعض المدافن النبطية في خربة الذريح وجود زخارف هندسية مطبوعة ومحاكة[588]، وهناك حالات تمثل الدفن الثانوي ويحدث هذا النوع عند وفاة شخص بمكان ما وينقل رفاته بعد فترة ليدفن بمكان آخر.

يرى بعض الباحثين أن الأنباط قد مارسوا عادة حرق الموتى، سواء أكان حرقاً كاملاً أم جزئياً، حيث عُثر هورسفيلد في جبل المعيصره بالبتراء على دليلٍ على حرق جزئي للعظام[589] ، وعُثر على عظام إنسانية وحيوانية محترقة حيث قرن بعض الباحثين هذه العادة بـ "بيوت الحمام الزاجل" الواقعة خلف معبد قصر البنت حيث يعتقد أن هذه التجاويف كانت تحوي جراراً كان يوضع بها رماد المتوفى كما هو الحال في العالم الروماني ولكن لا نعتقد بصحة هذا الرأي.

[586] الشديفات، يونس (1994) عادات الدفن النبطية في خربة الذريح، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 44.

[587] الشديفات، يونس، عادات الدفن، 74، Parr, P. (1960): Excavations at Petra 1958-59. PEQ 92, 134; Oleson, J., ‘Amr, K., Schick, R., Foote, R and Somogyi-Csizmazia (1993): The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of the 1991-1992 Seasons. ADAJ 37, 438.

[588] الشديفات، يونس (1994) عادات الدفن النبطية، 45.

[589] Horsfield, G. and Conway, A. (1938): Sela-Petra, 1-42.

ويبدو لي أن هذه ليست عادة وإنما كان أمراً مرتبطاً بأوبئة أو كوارث أو ربما أدى حريق لوفاة هؤلاء الأشخاص، فجميع آثار الحرق التي عُثر عليها في المدافن النبطية كانت تتم بمنطقة المدفن وليس على الجثة نفسها حيث عُثر على أمثلة على ذلك في النقب[590]؛ ونستبعد وجود هذه العادة في البتراء لأنها لم تكن جزءاً من ثقافة المنطقة على الإطلاق رغم شيوعها في العالم الروماني. وكما هو معروف، فقد كان الحرق عند الرومان يتم في أماكن خاصة لم نعثر على ما يشابهها في بلاد الأنباط، كما يتطلب الحرق كميات كبيرة من الأخشاب والتي كانت صعبة المنال في مناطق لا تزيد معدلات التساقط السنوي فيها عن 200ملم.

ومن المدافن النبطية التي عثر عليها في وادي موسى ذلك المدفن العائلي الذي كُشف عنه في منطقة النقله أثناء تنفيذ مشروع الصرف الصحي، واحتوى المدفنان العائليان على هياكل عظمية لبالغين فقط ولم يتم دفن أطفال فيهما، ورغم دفن الأطفال في نفس المقبرة إلا أن قبورهم بسيطة وخالية من المرفقات الجنائزية[591].

وفي خربة صبور، الواقعة على بعد حوالي 3 كم شمال شرق الطيبة، وحوالي 15 كم جنوب شرق البتراء، عُثر على مدفنٍ مميَّزٍ، ويتكون البناء من ممرٍ طويلٍ يؤدي إلى ساحة المدفن، طوله حوالي 18.80م وعرضه حوالي 2.3م، وهو مبني باستخدام الحجارة الجيرية، ويحيط به جداران ما زالت أجزاء من مداميكهما واضحة، أما ساحة المدفن الخارجية فهي مربعة الشكل، ويبلغ طول ضلعها حوالي 25.60م، وتقع أسفلها حجرة دفن يعلوها قبو لم يُعثر على ما يشابهها في المنطقة، وقد تمَّ نبش القبر من قبل الباحثين عن الدفائن وضاعت الكثير من التفاصيل المتعلقة بممارسات الدفن بالإضافة إلى التاريخ الدقيق لاستخدامه، ولكن يبدو أنه يعود على الأغلب للفترة النبطية في ضوء الكسر الفخارية المتناثرة التي عُثر عليها في محيط المدفن[592].







صور لمدفن خربة صبور ومخططه[593]

[590] Negev, A. (1968): Seal-Impressions from Tomb 107 at Kurnub (Mampsis). IEJ 18, 89-90.

[591] عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية.

[592] Abudanh, F.; Twaissi, S. and Falahat, H. (2011): An Underground Tomb from Khirbet Suboor Southeast Petra, Southern Jordan, MAA, 11, 1, 75-84.

[593] Abudanh, F.; Twaissi, S. and Falahat, H. (2011): An Underground Tomb from Khirbet Suboor.

ومن الجدير بالذكر أنه عُثر على مدفن لناقة في منطقة وادي رم حيث كُشف بالقرب من هذا المدفن عن نقشٍ نبطيٍ يشير إلى دفن "بلية"، وقد عرفت عادة دفن الإبل عند العرب قبل الإسلام حيث كشفت الحفريات الآثارية عن مدافن لها في عدة مناطق من الجزيرة العربية[594].

ج. عادات الدفن الرومانية والبيزنطية والإسلامية في البتراء

بيّنت التنقيبات التي أُجريت في العديد من المدافن الرومانية التي عُثر عليها في البتراء أن عدداً لا يستهان به منها قد نُهب ونُبش من قِبَل اللصوص الباحثين عن الدفائن، ولا نعرف تفاصيل كثيرة عن كيفية معاملة الهياكل العظمية، ولكن يبدو أن معظم المقابر الموجودة في البتراء، والتي تعود لهذه الفترة، قد شُيّدت كحُفرٍ عموديةٍ ذات حواف بارزة في منتصف المسافة تقريباً باتجاه أسفل القبر، إذ كانت ترتكز عليها ألواح حجرية تغطي القبر، وكانت توضع فوق هذه الألواح حجارة أصغر مع خليطٍ من الطين الجيري الصلب، أما بخصوص الحفرة التي تُشكِّل موضع الدفن فكانت أحياناً دائرية تقريباً في كلا الجانبين، ومستطيلة في أحيان أخرى، وكان عُمق المدافن يزيد عن 2م وعرضها تقريباً 60 سم[595]، أما عادات الدفن في البتراء خلال الفترة البيزنطية فلا نعرف عنها تفاصيل.

أما بخصوص المدافن الإسلامية المكتشفة فهي محدودة جداً، ولم يتم التنقيب فيها حفاظاً على حرمتها، وقد كشفت أعمال الصرف الصحي التي أجريت في وادي موسى عن بقايا مقبرة في خربة صبحية وهي مقبرة أطفال إسلامية قديمة تابعة للموقع أسفل التل لم يتم تحديد تأريخها بدقة، إلا أن تنقيبات دائرة الآثار في خربة النوافله عام 1997 أظهرت أن عادة دفن الأطفال في مقبرة منفصلة معروفة في المنطقة منذ الفترة الأيوبية/ المملوكية على الأقل، وما زالت مُتَّبعة من قبل بعض عائلات وادي موسى حتى الآن[596].

---

[594] للمزيد أنظر بن صراي، حمد، (1999): الابل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية تاريخيا، آثاريا وأدبيا. بحوث تاريخية: سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض؛ Hayajneh, H., (2006): The Nabataean Camel Burial Inscription from Wadi Ram/ Jordan. WO XXXVI, 104-113.

[595] Schmid, S. G. et al (2006): New insights into Nabataean funerary practices, Proceedings of the 5th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East, Edited by Joaquín M Córdoba and others, 137.

[596] عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية لمشروع شبكات المياه والصرف الصحي لوادي موسى (1998-2000).

الفصل الرابع: العمارة والفنون النبطية في مدينة البتراء

الفصل الرابع

العمارة والفنون النبطية في مدينة البتراء

هذا الفصل مُخصَّص لمناقشة العمارة والفنون النبطية في مدينة البتراء، ويشتمل على عدة مواضيع منها:- نحت الواجهات الصخرية في البتراء وأصولها الفنية، والفنون الزخرفية النبطية والعمارة السكنية النبطية.

أولاً: نحت الواجهات الصخرية في البتراء

قبل الحديث عن نحت الواجهات الصخرية النبطية في مدينة البتراء، لا بد من الحديث بإيجاز عن جيولوجيا البتراء نفسها، والتي تنتمي معظم حجارتها الرملية إلى تشكيلات أم عشرين والديسه/ الديسي، والتي يمكن ملاحظتها في منطقة وادي رم، وتتميَّز تشكيلات الديسه بضعف بُنيتها، كما أنها تتآكل بسرعة لذلك لم يخْتَرْها الأنباط لنحت واجهاتهم. أما تشكيلات أم عشرين فهي تنقسم إلى ثلاثة أجزاء: الجزء العلوي والأوسط والسفلي، ويتميز الجزء العلوي منها بلونه الأبيض والأحمر المائل للبنفسجي، ويحوي حبيبات خشنة ومتوسطة الخشونة، وقد استخدم هذا الجزء كمحاجر، أما الجزء الأوسط فهو متعدد الألوان، ويحوي حبيبات ناعمة إلى متوسطة النعومة، كما يحوي رمال غرينية silty sand وهو بالتالي سهل الكسر، في حين أن الجزء السفلي، ولأنه الأقسى، فقد استخدم للنحت من قبل الأنباط[597].

يتطلَّب نحت الواجهات الصخرية تضافر جهود مشتركة، فهو عملٌ تعاونيٌ شاقٌ يشترك فيه النحات والرسام والمهندس المعماري، ويعتمد إخراج الواجهة كلوحة فنية على تميّز التصميم وجودته وجودة النحت ومدى إتقانه، فكان الفنان يبدأ عمله بتخطيطٍ أوليٍ دقيقٍ للواجهة واختيار مكانها بعناية، وتجهيز السطح الذي سيتم قطعه، وتنفيذ العمل بكل دقة وعناية، ويحتاج نحت الواجهات إلى توافر عدد من الشروط في النحات والمهندس والمصمم كالصبر والدقة وشدة التركيز والانتباه والتأني أثناء عمل الرسومات الأولية والنحت، كما يحتاج إلى خبرة ودراية أثناء تنفيذ هذه الأعمال.

تُمثِّل الحُجر المقطوعة في الصخر في مدينة البتراء حوالي 1179 حجرة، في حين يبلغ عدد القبور التذكارية المنحوتة في الصخر حوالي 628 واجهة[598]، وقد لقيت هذه الواجهات اهتماماً

---

[597] Shaer M. and Aslan Z. (2000): Nabataean Building Techniques with Special Reference to the Architecture of Tomb 825 (Tomb of the Fourteen Graves). in: M. Kühlenthal – H. Fischer (eds.), Petra. Die Restaurierung der Grabfassaden – The Restoration of the Rock cut Tomb Façades ,Munich, 89–108.

[598] Nehmé, L. (2003): The Petra Survey Project, in: Petra Rediscovered.

كبيراً من قِبل الباحثين الذين درسوها ودرسوا زخارفها وحاولوا إعطاء تصنيف نوعي وتأريخي لها[599]. وقد قام بأول دراسة مفصلة ومتعمقة للواجهات الموجودة في مدينة البتراء برونو ودوماسفسكي[600]، حيث تمكّنا من توثيق 613 مبنى مقطوع بالصخر، بالإضافة إلى حُجرات أخرى مقطوعة في الصخر أيضاً استخدمت للسكن، وصنّفا هذه الواجهات تصنيفاً نوعياً في كتاب نُشر عام 1904، واقترحا تسلسلاً زمنياً يُمثِّل مراحل تطوّر النحت، وقسَّموا الواجهات إلى الأنواع التالية: القبور المُسنَّنة، القبور المُدرَّجة، قبور ما قبل الحِجر، قبور الحِجر، قبور الواجهة المثلثة، قبور المعبد الروماني والقبور المقوَّسة، وأصبح نظام الترقيم الذي وضعه هؤلاء الألمان أساساً قامت عليه جميع الدراسات المعمارية اللاحقة وذلك اعتماداً على بعض الخصائص الزخرفية والمعمارية من الأقدم إلى الأحدث، وأرَّخوا هذه القبور للفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، ولكن هذا التاريخ غير صحيح، إذ يبدو أن تاريخ هذه الواجهات ينحصر بين نهاية القرن الثاني قبل الميلاد ونهاية القرن الأول الميلادي.

بعد أربعة أعوام جاء الألماني جوستاف دالمان وقام بتصنيف الواجهات النبطية في البتراء إلى ثلاثة أنواع فقط: نبطي، وهلنستي وروماني[601] . أما في عام 1925 فقد قام الكسندر كينيدي بوضع تصنيفٍ آخر للواجهات على النحو التالي: الواجهات الخطية، الواجهات الآشورية الطراز، واجهات الإفريز (الطنف Cornice)، الواجهات الكلاسيكية[602].

تعتبر الدراسة التي قامت بها جودث مكنزي[603] من أكثر الدراسات الشمولية عن الواجهات الصخرية النبطية حيث شابهت في تصنيفها للواجهات تصنيف برونو ودوماسفسكي، وقسَّمت هذه الواجهات إلى ستة أنواع هي: الواجهات المُسنَّنة، الواجهات المُدرَّجة، واجهات ما قبل الحِجر، واجهات الحِجر، الواجهات الكلاسيكية والواجهات المزينة بقوس[604].

وقام ايهود نيتزر بتصنيف هذه الواجهات تصنيفاً مُعقَّداً، فقسَّمها إلى المجموعات التالية:- الواجهات المُسنَّنة البسيطة، الواجهات المُسنَّنة المزدوجة، الواجهات المُدرَّجة البسيطة، واجهات ما قبل الحِجر، واجهات الحِجر، واجهات الحِجر المتطورة، الواجهات التي تعلوها اللوحة المثلثة،

---

[599] Browning, I. (1973): Petra. Chatto and Windus, London; Dalman, G. (1908): Petra und seine Felsheiligtümer. J. C. Hinrichs, Leipzig; Hammond, Ph. (1973): The Nabataeans: Their History, Culture and Archaeology. Studies in the Mediterranean Archaeology, 37. Gothenburg, Astrom, 45-47; McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra. British Academy Monograph in Archaeology, Oxford; Netzer, E. (2003): Nabatäische Architektur. Insbesondere Gräber und Tempel, Mayence; Rababeh, S. (2005): How Petra was Built. An Analysis of the Construction Techniques of the Nabataean Freestanding Buildings and Rock-Cut Monumentes in Petra, Jordan, BAR Int. Ser. 1460, Oxford.

[600] Brünnow, R. and Domaszewski, A. (1904): Die Provincia Arabia.

[601] Dalman, G. (1908): Petra und seine Felsheiligtümer. J. C. Hinrichs, Leipzig; 47-48.

[602] Kennedy, A. (1925): Petra: Its History and Monuments, London : Country Life.

[603] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra.

[604] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra, 1-59.

واجهات المعبد، والواجهات المتطورة، الواجهات المُزَّينة بقوس، وخُصِّص نوع للواجهات غير المُصنَّفة أي التي لا يمكن إدراجها تحت أي نوع من الأنواع السابقة[605].

وللأسف فان واجهات البتراء لا تحمل نقوشاً كتلك التي دوِّنت على واجهات مدائن صالح، وبالتالي فإن إعطاء تاريخ دقيق لكل واجهة أمر في غاية الصعوبة. لكن بشكلٍ عامٍ، يمكن تقسيم الواجهات النبطية المقطوعة بالصخر في مدينة البتراء اعتماداً على خصائص معمارية وفنية إلى المجموعات التالية:

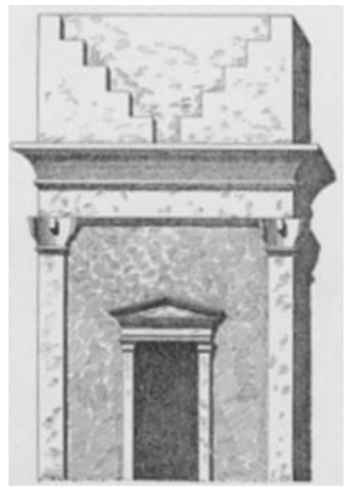
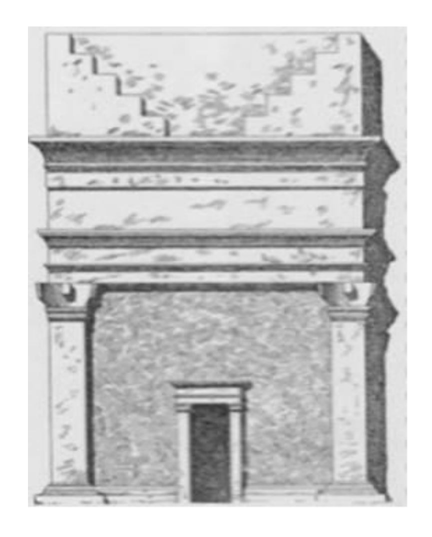
1. واجهات القبور المُسنَّنة Pylon Tombs ، وتعرف أحياناً باسم قبور خطوة الغراب، وتحتوي هذه الواجهات في أعلاها على صف أو صفين من زخرفة خطوة الغراب المُدرَّجة الشكل، وقد زوِّدت واجهات هذا النوع بأبواب بسيطة خالية من الزخارف في الغالب، وكان يعلو المدخل أحياناً أخدود صغير أو لوحة مثلثة حيث يبدو أن هذا الأخدود قد صُمم لوضع لوح حجري ربما كان يحمل اسم المتوفى[606]؛ ويُسمى بعض الباحثين هذا النوع من الواجهات بالنوع الآشوري بسبب وجود زخرفة خطوة الغراب التي كانت شائعة في بلاد ما بين النهرين.
2. واجهات القبور المُدرَّجة Step Tombs وهي واجهات زخرف الجزء العلوي منها بزوجين من الأدراج التي تشابه أدراج خطوة الغراب وهما متقابلان ويقع أسفلهما إفريز (طنف Cornice)[607]، أما مدخل هذه الواجهات فهو مشابه تماماً لمدخل واجهات النوع الأول، وقسَّم الباحثون هذا النوع من الواجهات إلى مجموعتين فرعيتين هما: (أ) واجهات قبور ما قبل الحِجر Proto-Hegr Tombs حيث زُيِّنت هذه الواجهات بدعامات ملاصقة للواجهة وتحمل إفريزاً، (ب) واجهات قبور الحِجر Hegr Tombs التي تحتوي على إفريز كلاسيكي آخر، وقد استخدمت التاجيات النبطية في دعامات أعمدة هذه الواجهات، ونُحتت هذه التاجيات على هيئة كتلة حجرية لها أربعة وجوه مقعرة، وفي وسط كل تقعير نتوء حجري غير مزخرف.

---

[605] Netzer, E. (2003): Nabatäische Architektur, 13-65.

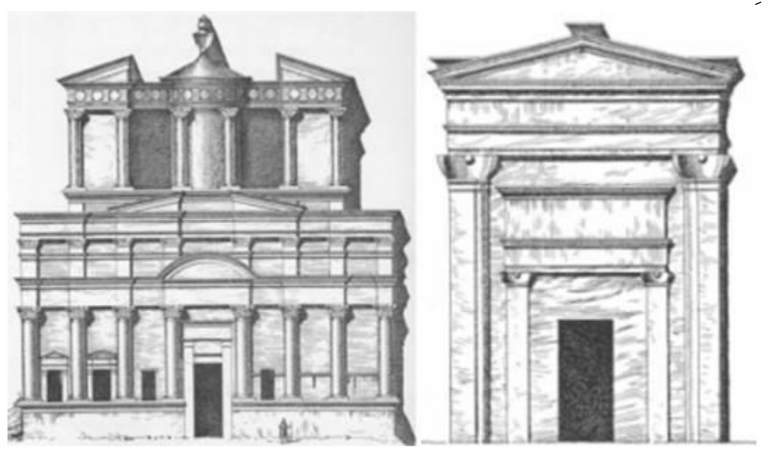
[606] Wenning, R. (2003) The Rock-Cut Architecture of Petra. In: Petra Rediscovered: Lost City of the Nabataeans,(ed.) Markoe, G., 138-145.

[607] هو شريط أفقي يقع عادة فوق الأعمدة، وتخرج أطرافه عن حدود الواجهة قليلاً على هيئة ربع دائرة أحياناً.

رسم للقبر ذي الواجهة المُسنَّنة — رسم لأحد قبور ما قبل الحِجر — رسم لأحد قبور الحِجر

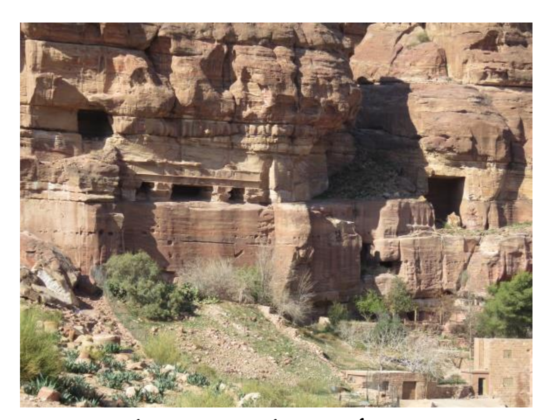
3. القبور القوسية أو المقوَّسة (التي تشبه القوس)، وزيُنَّت واجهات هذا النوع من المقابر بإفريزٍ مقوَّسٍ محمولٍ على دعامتين فوق المدخل.
4. واجهات القبور ذات اللوحات المثلثة Gable Tombs، وهي مزخرفة بلوحة مثلثة تعلو المدخل تحملها دعامتان أو أربع دعامات ملاصقة للواجهة.
5. القبر المعبد، وهو نوعٌ متطورٌ من الواجهات المثلثة، وهو مزخرف بلوحة مثلثة أو أجزاء من لوحة مثلثة، وقد زوِّدت هذه الواجهات أحياناً بأشكال قوسية.

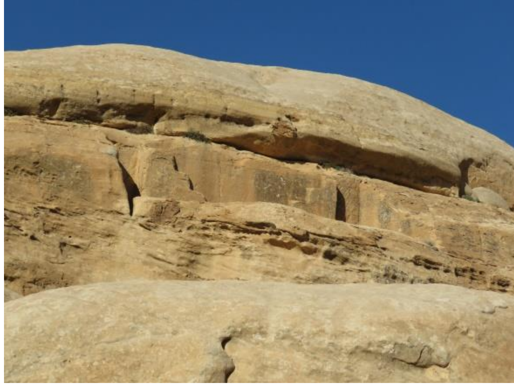



رسم لأحد القبور المقوَّسة — رسم لأحد القبور ذات اللوحات المثلثة — رسم للقبر المعبد

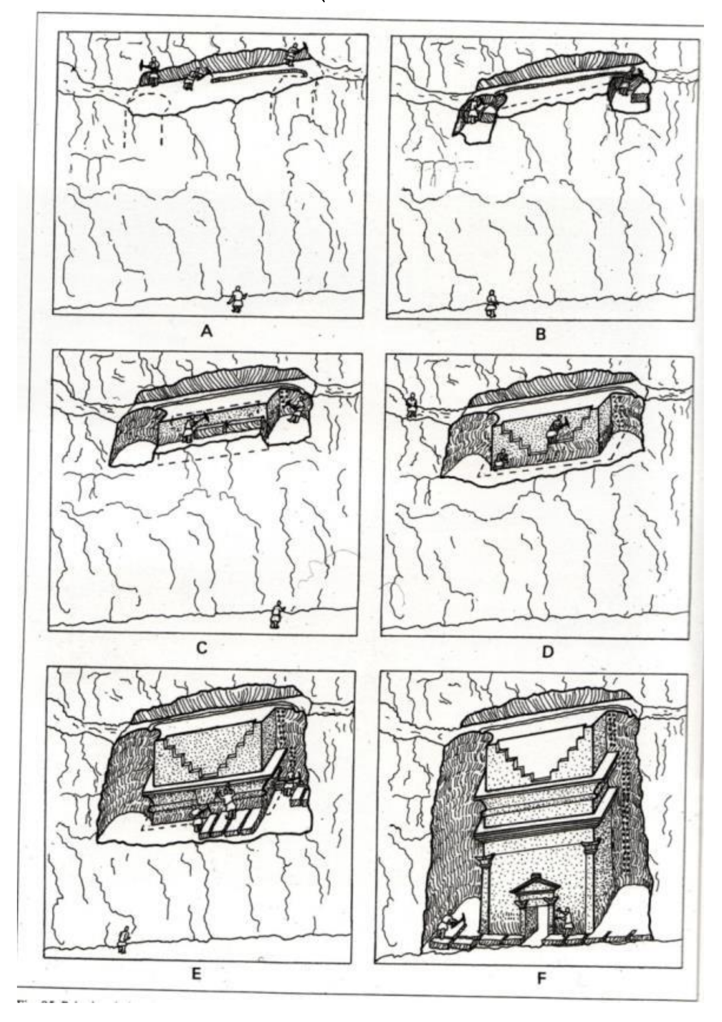
ومن الجدير بالذكر أن واجهات البتراء المنحوتة في الصخر تشترك بالعديد من المميزات منها:-

1. تُمثِّل معظم هذه الوجهات مقابر، في حين مثَّل بعضها الآخر أجزاء من مساكن.
2. كان نحت هذه الواجهات يتم من الأعلى إلى الأسفل، إذ عُثر على واجهات قبور غير مكتملة نحت الجزء العلوي منها فقط.



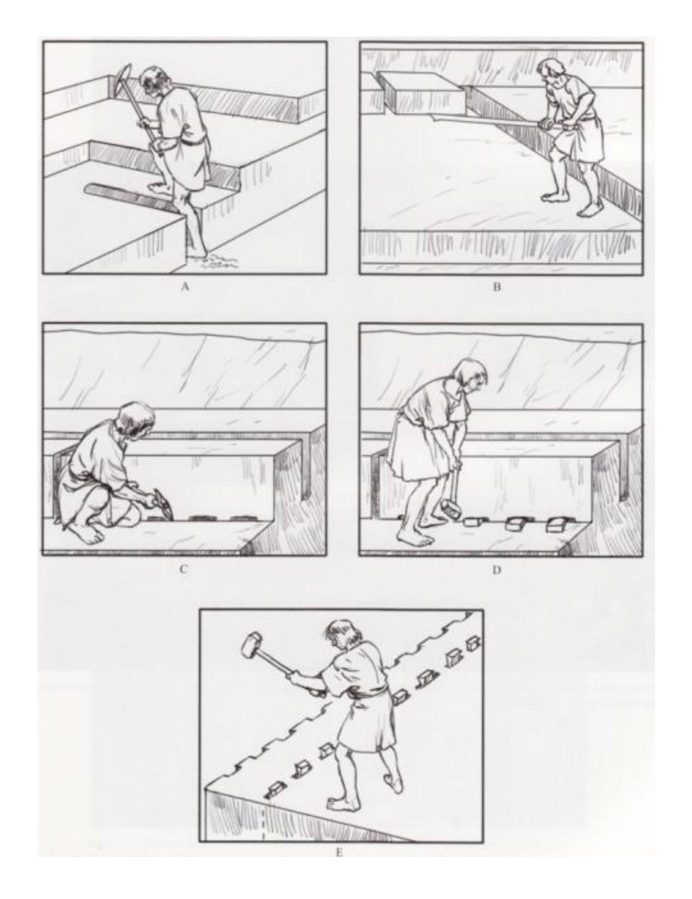


نماذج لواجهات صخرية من البتراء تؤكد أن النحت كان يبدأ من الأعلى إلى الأسفل (تصوير الباحث)



طريقة نحت الواجهات الصخرية في البتراء [608]

[608] Bessac, Jean-Claude (2008): Le travail de la pierre à Pétra: Technique et économie de la taille rupestre, Recherche sur les Civilisations.



طريقة قطع الحجارة أثناء نحت الواجهات الصخرية في البتراء[609]

3. جميع الواجهات الموجود في البتراء منحوتة في الصخر باستثناء بعض الواجهات القليلة مثل واجهة قبر القصر، حيث بُنيت الأجزاء العلوية منه بالحجارة لوجود قطع صخري بذلك الجزء من الواجهة.
4. حُفر على العديد من أسطح الواجهات الخارجية حفر منتظمة كانت توضع فيها تماثيل مضافة، أختفى الكثير منها.
5. تعكس هذه الواجهات عناصر فنية خارجية كالآشورية والمصرية واليونانية بالإضافة إلى احتوائها على عناصر فنية محلية.
6. تُعتبر زخرفة خطوة الغُراب (Crowstep) من أكثر الزخارف التي استخدمها الفنان النبطي لتزيّين واجهات مقابره، وقد استخدم هذه العنصر الزخرفي في العديد من مقابر تدمر وفينيقيا منذ الفترة الفارسية وحتى الفترات الرومانية المتأخرة[610]، وتظهر هذه الزخرفة على شكل أدراجٍ مكررةٍ في شريطٍ يزخرف أعلى الواجهة أو على شكل أدراجٍ متقابلةٍ حجمها أكبر تُزّين أعلى واجهات المدافن، وقد طُرحت عدة آراء بشأن دلالاتها ومعانيها من بينها أنها قد ترمز

---

[609] Bessac, Jean-Claude (2008): Le travail de la pierre à Pétra.

[610] Finlayson, C. (2016): The Obelisk, the Crow-Step, and the Elephant in Nabataean Contexts: The Influences of Eastern Mediterranean Globalization and the Adoption of Cross-Cultural Bridge Symbols at Petra, Jordan. in: Studies on the Nabataean Culture II, edited by Nabil I. Khairy, 89-92.

للإله الرئيس ذي الشرى الذي ارتبطت عبادته بالأماكن العالية، أو قد تكون ذات دلالة رمزية تُشير إلى الخلود[611].

تعتبر الأدراج والسلالم من الرموز الدينية القديمة التي تدلُّ على الرابط بين الأرض والسماء وبين المعبود والخالق، وهناك إشارات عديدة تؤكِّد أهميتها عند عددٍ من الشعوب القديمة كالمصريين[612]، ووردت كذلك إشارة إلى السُلَّم في العهد القديم حيث يرد في سفر التكوين أن يعقوب قد رأى في منامه سُلَّماً منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء[613]، وكان السُلَّم أحد رموز ميثرا إله الشمس الذي عُبد في سوريا خلال الفترة الرومانية المتأخرة[614].

وقد ارتبطت الأدراج عند المصريين القدماء باوزاريس إله العالم السفلي، وزوج إيزيس، إذ وصفته إحدى البرديات المصرية بأنه الإله الموجود في أعلى الأدراج، وترد في كتاب الموتى عبارة تشير إلى الأدراج التي تتم منها "رؤية الآلهة"[615].

7. لمعظم الواجهات الموجودة في البتراء مدخل واحد يؤدي إلى حجرة دفن، وتوجد أحياناً أكثر من حجرة للدفن.
8. تتميَّز هذه الواجهات بالتناظر التام، فلو تمَّ قصُّ هذه الواجهات إلى نصفين متقابلين لوجدناهما متطابقين تماماً.
9. كانت العديد من هذه الواجهات مغطاة بطبقة من الجص المزخرفة وذلك لتحقيق عدة غايات كالغاية الإنشائية لمنع دخول الماء إلى الصخر، ولإعطاء السطح الخارجي للواجهة قوة، ولتحدُّ من تأثيرات العوامل الجوية كالحت والتعرية التي تسببها المياه والرياح، بالإضافة إلى الغاية الجمالية لزخرفة وتزيين الواجهة، ويمكن ملاحظة بقايا الجص والألوان في عدد من واجهات البتراء مثل القبر القصر وقبل الجندي الروماني والخزنة وقبر سيكستيوس فلورنتينوس[616].
10. تُمثِّل القبور البسيطة المعروفة بالمُسنَّنة حوالي 50 بالمائة من مجموع الواجهات الصخرية الموجودة بالبتراء.
11. وجود رواق مُعمَّد أمام بعض الواجهات، حيث يبدو أن هذه الواجهات لم تكن منفردة بل كانت تمثل جزءاً من مُجمَّعات جنائزية. لقد كشف مؤخراً أمام قبر الجندي الروماني في وادي فَرَسَه عن ساحةٍ مُعمَّدةٍ كانت تربط هذا القبر بصالة احتفالات دينية ومبنىً يتألف من طابقين، ويبدو أن الدخول لهذا المُجمَّع الجنائزي كان يتم عبر بناء مكوَّن من طابقين مبني

---

[611] للمزيد انظر Rababeh, Shaher and Al Rabady, R. (2014): The Crowsteps Motif in Nabataean Architecture: Insights into its Meaning and Use, AAE, 25, 22-36.

[612] يتضح ذلك على وجه الخصوص من خلال تطور فكرة المصطبة المنفردة إلى هرمٍ مدرجٍ ومن ثم هرمٍ بصورته النهائية المتطورة.

[613] سفر التكوين 28: 12.

[614] Nabarz, P. and Matthews, C. (2005): The Mysteries of Mithras, 42, 69.

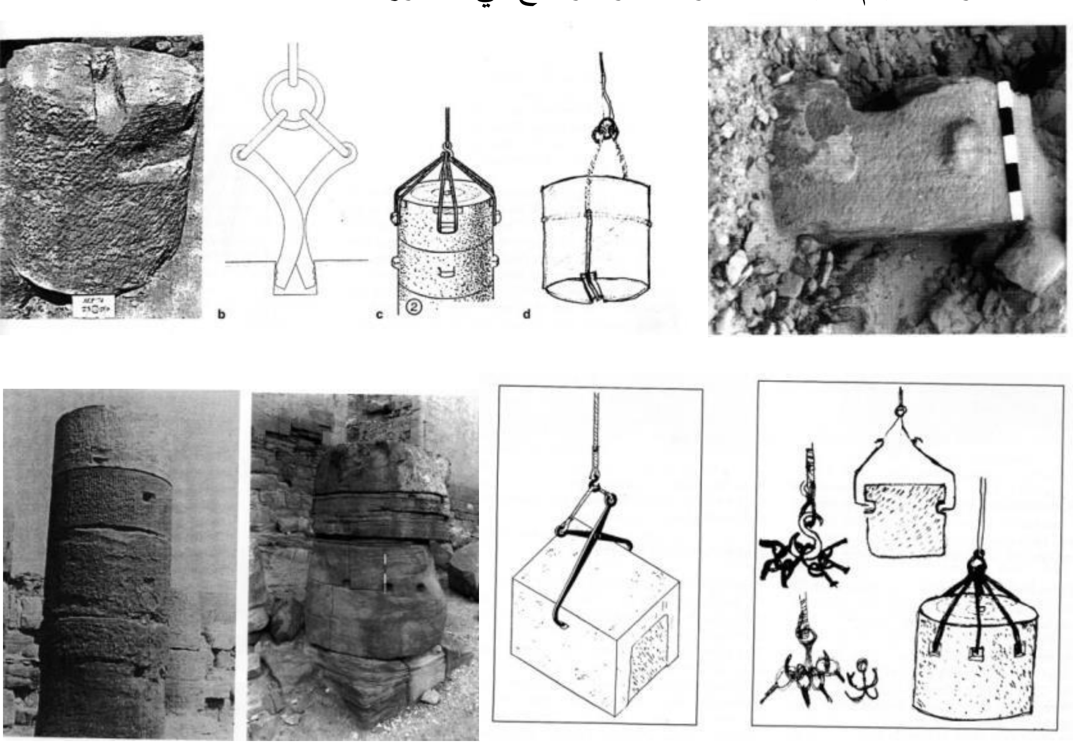
[615] Finlayson, C. (2016): The Obelisk, the Crow-Step, and the Elephant in Nabataean Contexts.

[616] للمزيد انظر Shaer, M. (2005): The Decorative Architectural Surfaces of Petra

بالحجارة، ويرى ستيفان شميد أن مخطط المجمع بأكمله مُستمد من قصور ومبان مشابهة للقصور في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط خلال الفترتين الهلنستية والرومانية[617]، ويبدو أن العديد من الواجهات المنحوتة بالصخر في البتراء كان يتقدمها رواق معمد.

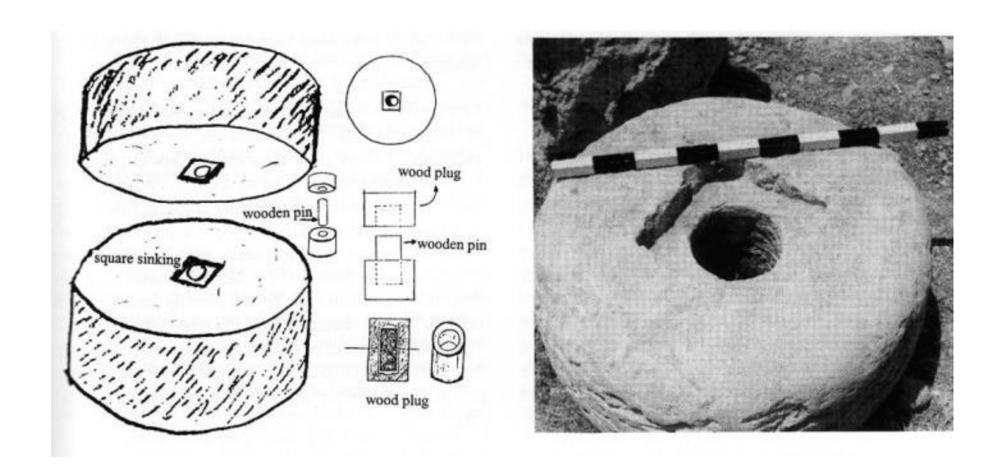
12. زُيّنت بعض الواجهات بأفاريز دورية قوامها زخرفة الميتوب والترجليف التي تظهر على سبيل المثال في قبر الجرة، وواجهة المدفن الواقع إلى الشرق من سيق البارد، وقبر المسلات ومضافة الأسد.

13. استخدم الأنباط عدداً من أنواع تاجيات الأعمدة، كما اتبعوا عدة تقنيات لرفع أسطوانات الأعمدة، واستخدموا قطعا خشبية كان يتم تثبيتها في فتحة كان يتم حفرها في وسط الأسطوانات ليتم تثبيتها معاً، وكما هو موضح في الصور التالية:-



طريقة رفع أسطوانات الأعمدة[618]

[617] Schmid, S. G., (2004): The International Wadi Farasa Project (IWFP). Progress on the Work in the Wadi Farasa East, Petra, PEQ 136, 163–186.
[618] Rababeh, Shaher M. (2005): How Petra was Built.



طريقة تثبيت أسطوانات الأعمدة فوق بعضها البعض[619]



صورة تبين إحدى اسطوانات الأعمدة المزخرفة (تصوير الباحث)

ثانياً: الأصول الفنية لنحت الواجهات الصخرية النبطية

حاول الكثير من الباحثين إيجاد الأصول الفنية التي استمدَّ منها الفنان النبطي عناصره الفنية والمعمارية، ويبدو أنه كان على اطلاع على معظم الحضارات المعاصرة له، وبعض الحضارات السابقة له كالآشورية والمصرية والسورية واليونانية والرومانية والإخمينية والليسية/ الليكية الأناضولية.

من خلال دراسة الواجهات النبطية المنحوتة بالصخر نلاحظ أن الحضارة النبطية قد تأثرت بالعديد من الحضارات المعاصرة أو السابقة لها تأثراً واضحاً، حيث كان للأنباط ومنذ بداية تاريخهم علاقات بسكان جزر البحر الأبيض المتوسط وروما والجزيرة العربية ومناطق عدة من

[619] Rababeh, Shaher M. (2005): How Petra was Built.

بلاد الشام، وتطورت هذه العلاقات الناتجة عن المعاملات التجارية، ونتج عنها تأثيرات شتى على الحضارة والفنون النبطية، وكانت الروح الشرقية غالبة على معظم مفردات حضارتهم.

لقد كانت البتراء ومدائن صالح مدارس نحت نبطية ذات مميزات خاصة تختلف عن سائر مدارس الفن المعاصر لهما، وتتميَّز هذه المدارس باختلاط عناصر فنونها وامتزاج عدة عناصر فنية من حضارات مختلفة، وقد استمد الفنان النبطي في البتراء ومدائن صالح أصول نحت واجهاته الصخرية من العديد من المدارس منها المدرسة اليونانية، المدرسة البطلمية في الإسكندرية، المدرسة الأناضولية، والمدرسة الأخمينية، وسنناقش تالياً تأثيرات هذه المدارس:-

أ. التأثيرات اليونانية وتأثيرات المدرسة البطلمية في الإسكندرية

وظَّف النحَّات النبطي العديد من العناصر الفنية التي يبدو أنه أخذها من خلال اطلاعه على المنشآت المعمارية الفنية اليونانية، فاستمدّ الأنباط طُرز نحت أعمدة تيجانهم من بلاد اليونان، وأكثر نوع من التاجيات التي استخدمت في البتراء وغيرها من المواقع النبطيّة، هي التاجيّات الكورنثيّة التي ميَّزتها زخرفة الأكانثوس[620]، إضافة إلى اللوحات المثلّثة المنحوتة على عددٍ كبيرٍ من الواجهات النبطيّة في مدائن صالح والبتراء، والأفاريز الدوريّة المكونة من زخرفة الميتوب والترجليف، وقوام هذه الزخرفة شريط أفقي يوجد في أعلى المنشآت المعماريّة والجدران والواجهات، وتتألف هذه الزخرفة من مربع أو دائرة أو شكل آدمي أو نباتي يتبادل مع ثلاثة خطوط، تظهر في وضع رأسي، وتنوَّعت أشكال الأفاريز الدوريّة حيث نجد أنّ الخطوط العموديّة كانت تفصل بينها تماثيل نصفيّة أو وريدات أو دوائر كما في معبد قصر البنت وقبر الجرّة ومضافة الأسد في مدينة البتراء.




زخرفة الميتوب والتريجيليف (يمين، تصوير الباحث)، تاج كورنثي نبطي (يسار)[621]

كما استخدم الأنباط الأعمدة المتلاصقة والمنفردة على الواجهات والتي ظهرت في بلاد اليونان قبل ظهورها عندهم، فوُجِدت في معبد زيوس في أكراداس والمؤرَّخ للقرن الخامس قبل الميلاد، كما زيّن الأنباط واجهاتهم بأعمدة ربعية نجدها في قبر الجندي الرّومانيّ، وأمثلتها المشابهة

---

[620] Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art: Prohibition of a Graven Image among the Nabateans. The Hebrew University, Jerusalem, 123.

[621] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra.

نجدها منذ مرحلة مبكرة في بلاد اليونان كمعبد الأثينيين في ديلوس[622]، كما أنّ الثولوس أو المبنى المستدير الموجود في واجهة الخزنة يعود أساسه إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث وجد في دلفي وشاع أيضاً في مباني البيوت والقصور الهلنستيّة[623].

وتتميَّز منحوتات الخزنة بمثاليتها بصورة تشابه كثيراً المنحوتات الكلاسيكيّة في واقعيتها ومثاليتها، والتناسب قدر الإمكان في حجم أعضاء الجسم، والحركة والتكرار[624]، فتظهر في القسم العلوي من الخزنة أنثى صُوّرت ترتدي لباساً غير واضح، تظهر بقايا طياته، وتظهر حاملة قرن وفرة أو قرن رخاء، وتظهر أيضاً الآلهة الأمازونيات اللواتي يرتدين التنورة القصيرة، والسّلاح التقليدي الذي كان يمثّل الفأس[625]، كما يُحيط بمدخل الخزنة منحوتة على كل جهة تمثّل قاعدة يعلوها حصان يمتطي ظهره شخص غير واضح المعالم، حيث تتجه هذه الخيول، وفي كلا الجانبين باتجاه معاكس للمدخل، وتبدو طيات ملابس راكبي الخيول واضحة ويبدو أنّهما يُمسِكان شيئا ما بأيديهما. ويرى بعض الباحثين أنّ هاتين المنحوتتين قد تمثّلان أحد أبناء زيوس كاستور وبولكس (أو الديوسكوري Dióskouroi).

ويبدو تأثير الإسكندرية البطلمي على العطاء الحضاريّ النّبطيّ بشكلٍ واضحٍ، حيث يشمل العمارة والنحت والرسومات والدين، فيبدو مثلاً وجود تشابهات بين تصميم ومخطط "المعبد الجنوبيّ"، وبعض مباني القصور البطلميّة[626]،كما يبدو أنّ الإفريز، الذي يزين واجهات الحِجر وما قبل الحِجر في البتراء ومدائن صالح هو من أصول مصريّة[627] دخل إلى فينيقيا على ما يبدو في الفترة الفارسيّة، ولكن الإفريز النّبطيّ يختلف عن الفينيقي قليلاً؛ إذ يتميز بأنّه على شكل ربع دائري.

ب. التأثيرات الأخمينية

طُرحت نظريات حول تأثيرات أخمينيّة إيرانيّة على الحضارة النبطيّة[628]، ويرى الباحث أنديرسون أنّ القبور الملكية الأخمينيّة تشابه في تركيبها العام خصائص القبور النبطيّة التي تنتمي لنوع الحِجر، ومن هذه المقابر التي تظهر شبها قبر "دا أو دوكتار" بإيران حيث يشابه بعض قبور البتراء ومدائن صالح ومغاير شعيب، وهذا القبر له مدخل محاط بأعمدة ملاصقة من النوع الأيوني، وطابان عالٍ مُنحدر مُزخرف بإفريز. ويُقترح أنّ انتقال هذه التأثرات ناتجٌ عن وجود

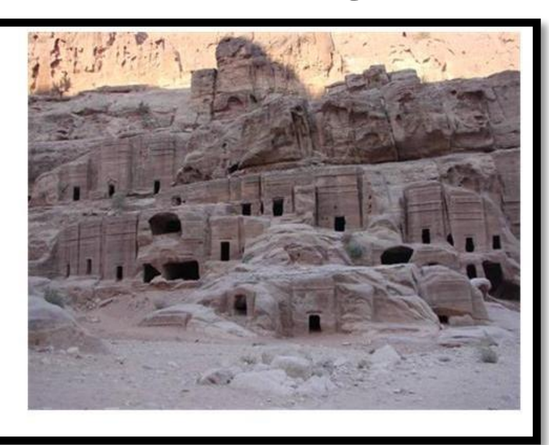
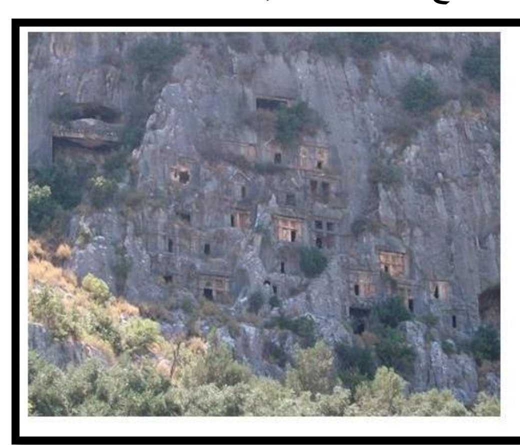
[622] المحيسن، زيدون (2009): الحضارة النبطيّة، 80.
[623] المحيسن، زيدون (2009): الحضارة النبطيّة، 83.
[624] الخوري، لميا (2010): المنحوتات الحجرية النبطيّة في مدينة البتراء، 38-39.
[625] الخوري، لميا (2010): المنحوتات الحجرية النبطيّة في مدينة البتراء، 37.
[626] Schluntz, E., (1999): From Royal to Public Assembly Space, 116.
[627] Tholbecq, L., (2007): Nabataean Monumental Architecture, in: K. D. Politis (ed.), The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001, Stuttgart 2007, 111.
[628] Anderson, B., (2005): Constructing Nabataea.

الفرس بغزة وعلاقات الأنباط بها[629]، إضافة إلى نشاطات الفرس مع المنطقة خلال الفترة الفارسيّة. ورغم عدم وجود دليل آثاريّ وتاريخيّ على وجود الأنباط في بلاد فارس، إلا أنّنا نعتقد أنّ التّجار الأنباط كانوا على درايةٍ بتلك المنطقة.

ج. تأثيرات المدرسة الأناضولية

يبدو أن الأنباط قد تأثروا بنمط عمارة المقابر المنحوتة في الصخر، والموجودة في الأناضول، والتي تشمل تلك القبور المنحوتة في الصخر التي نحتتها الحضارتان الليسية/ الليكية – الكارية. ويبدو أنّ هاتين الحضارتين قد استمدتا العديد من العناصر الفنية من العالم اليوناني ومن ثَمّ انتقلت هذه التأثيرات إلى بلاد الأنباط، فقد أولى الأنباط الليسيون/ الليكيون–الكاريون اهتماماً كبيراً بدفن موتاهم، فبنوا قبوراً عائلية كبيرة منحوتة في الصخر، كما تُعتبر العمارة المنحوتة في الصخر، كما تُعتبر العمارة المنحوتة في الصخر، من أبرز إنجازات الأنباط والحضارتين الكارية و الليسية / الليكية أيضاً.

إنّ ابتكار عمارة المقابر المنحوتة في الصخر داخل المملكة النبطيّة كان إبداعاً فجائياًّ، ويُعتبر الظهور المفاجئ لهذا النوع من العمارة أمراً مذهلاً في منطقة بلاد الشام، وشمالي الجزيرة العربيّة، إذ إنّ هذا النمط المعماريّ لم يكن شائعاً في هذه المنطقة قبل ظهور الأنباط في حوالي منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، ويعزى ابتكار هذا النوع من العمارة إلى تحولات اجتماعيّة وثقافيّة، إضافة إلى عوامل خارجيّة مردّها الاتصالات مع الحضارات الإقليميّة والدوليّة.

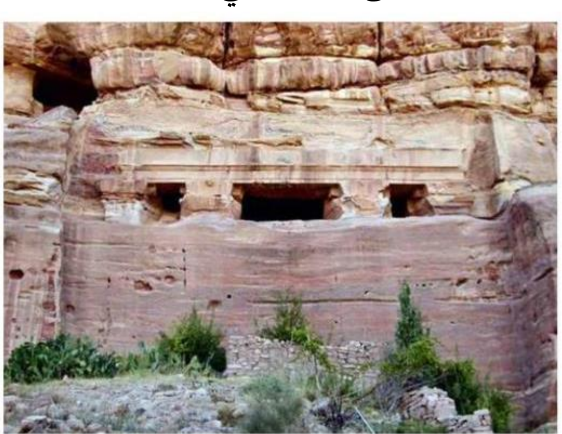



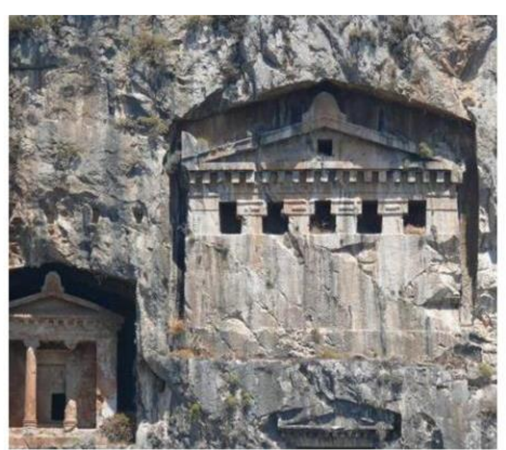
إلى اليسار مقبرة ليسية/ ليكية من ميرا والى اليمين مقبرة نبطية في البتراء (المصدر: الباحث)

وتتشابه الواجهات الصخرية النبطية في البتراء مع الواجهات الصخريّة الليسيو/ الليكيو– كارية في زخرفة الأسطح الخارجيّة، كما بَيَّنت الدراسة التي أجريت لتقنية نحت الواجهات الصخريّة القبوريّة في كلتا الحضارتين أنّ هناك تشابهاً واضحاً وكبيراً في تقنيات قطع الواجهات الصخريّة، فنحت هذه الواجهات كان يتمّ من الأعلى إلى الأسفل، وهذا واضح بدلالة وجود قبور منحوتة

[629] Anderson, B., (2005): Constructing Nabataea.

غير مكتملة في كلتا الحضارتين، وعلى الرغم أنّ نحت الواجهات النبطيّة في البتراء كان يتمّ من الأعلى للأسفل، إلا أننا نجد استثناءات أحياناً، فنجد في وادي فَرَسَه في البتراء مثلاً واجهة نحتت من الأعلى والأسفل في وقت معاً[630].





قبر نبطي غير مكتمل (إلى اليمين) قبر ليسي/ ليكي غير مكتمل (إلى اليسار) (المصدر: الباحث)

ويبدو لنا، وبشكلٍ جليٍ، أن العناصر المعمارية التي تبناها مهندسو الأنباط، والمهندسون المعماريون الليسيون/ الليكيون والكاريون في عمارة الواجهات المقطوعة في الصخر تحمل خصائص مشتركة، فيما يخص نمطها العام، وتقنية البناء والوظيفة، وجميع هذه المنشآت يمُكن أن تعُتبر

منشآت صرحية، هدفت إلى إظهار الرقي الاجتماعي العام، إضافة إلى الوظيفة الدفنية المتوخاة. يتّضح لنا أنّ العلاقات النبطيّة مع آسيا الصغرى والجزر اليونانيّة، لا بدّ أن تُعزى لنشاطات وشراكات تجاريّة، فقد كانت البضائع تنقل عبر شبكة مُعقَّدة من الطرق البريّة والبحريّة من مناطق إنتاجها إلى مناطق استهلاكها المختلفة. واعتماداً على رحلات بولس الرسول التبشيريّة، التي قام بها خلال القرن الأول الميلادي، فإنّنا نستطيع أن نتعرف على منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، وبشكل أوضح، إضافة إلى معرفتنا بالطرّق البحريّة اعتماداً على رحلاته.

يبدو واضحاً، ومن خلال الأدلة الأثرية المتوفرة، أنّ الشواهد الأثريّة النبطيّة تركّزت في أكبر المواقع والجزر في حوض البحر الأبيض المتوسط، وهذا يعني أنّ الأنباط كانوا نشطاء وفاعلين في تلك المناطق، كما أنّ عدد النصوص المكتشفة وتوزيعها، يوحي معرفة نبطيّة قويّة بالثقافات، التي وُجِدت في ذلك الجزء من العالم.

وكما لاحظنا، فإنّ أبرز دليل على تواجد الأنباط في تلك المنطقة هو نقوشهم، أمّا الدليل الآخر، فهو الفخّار النّبطيّ المميز، الذي اكتشف في عدد من المواقع، ولكننا في آسيا الصغرى لم نعثر

---

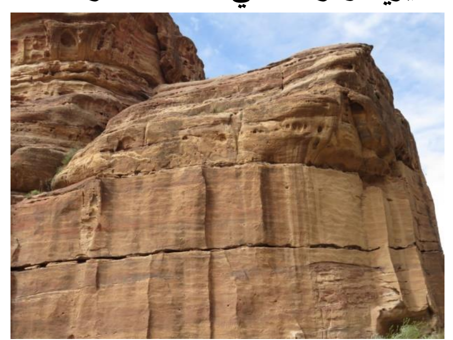
[630] Shaer, M. (2005): The Decorative Architectural Surfaces of Petra, 61.

على شواهد نبطيّة فخاريّة، رغم العثور عليه في مواقع أخرى من العالم، كمصر والخليج العربي والجزيرة العربيّة[631].

ثالثاً: الفنون الزخرفية النبطية

نالت الفنون الزخرفية على اختلاف أنواعها اهتماماً كبيراً من قبل الأنباط، فصنعوا التماثيل وزخرفوا الفخار ورسموا رسومات جدارية مميزة على بعض واجهات مبانيهم، ورصفوا أرضيات حماماتهم بالفسيفساء، وطلوا واجهاتهم المنحوتة بالصخر بالجص ولونوها. ورغم أن الفنان النبطي قد استمد العديد من العناصر الفنية والمعمارية من حضارات أخرى احتك بها إلا أننا نلاحظ أنه قد أبرز هويته الخاصة وخصوصاً في منحوتات البتراء وخربة التنور وخربة الذريح.

لقد استخدم الفنان النبطي عدة أنواع من الحجارة لنحت منحوتاته وذلك اعتماداً على البيئة التي كان يعيش فيها، فاستخدم الحجارة السوداء في حوران، والحجارة الجيرية في منطقة خربة التنور والحجارة الجيرية والرملية في منطقة البتراء.





محجر وادي الصيغ (تصوير الباحث)

لقد سعى الفنان النبطي جاهداً إلى استخدام العديد من العناصر الزخرفية أثناء نحته لهذه الوجهات الدفنية، فظهرت عليها العديد من الزخارف النباتية والحيوانية والبشرية والأسطورية، وأكثر الفنان النبطي من استخدام العناصر النباتية لتزيين أفاريز وكورنيشات هذه الواجهات كالورود والأكانثوس وأوراق الكرمة الملتفة وغيرها من العناصر الفنية النباتية التي ظهرت أحياناً متداخلة مع تصويرات لكائنات حية، كما نحت الفنان والمعماري النبطي على هذه الواجهات العديد من الأشكال الآدمية والحيوانية، وهنا نُشير إلى أن الأنباط وعلى ما يبدو كانوا يهابون إظهار معبوداتهم على هيئة آدمية، وخصوصاً قبل تغلغل التأثير اليوناني والروماني حيث كان الإله يُمثَّل بشكلٍ مجردٍ غير واضح المعالم وقد يكون محوَّراً أحياناً.

[631] Durand, C. (2008): Le rôle des Nabatéens dans le commerce oriental et Méditerranéen de l'époque hellénistique aux campagnes de Trajan (IVème s. av. J.-C.- IIème s. ap. J.-C.). Étude historique et archéologique. PhD Thesis, University of Lumiere Lyon, volume 2, 104-106.

ويتضح من خلال دراسة المادة الأثرية المكتشفة حدوث تدميرٍ وتخريبٍ مُتعمَّدٍ للعديد من أشكال المنحوتات التي كانت تُزيِّن العديد منها، وخصوصاً تلك التي تُمثِّل أشكالاً بشرية وحيوانية، ويتركز هذا التخريب الُمتعمَّد في البتراء، ويظهر على نحوٍ أقلٍ في مدائن صالح، وقد اقترح الباحثون دوافع وتواريخ لهذه التشويهات منها أن بعض أشكال التخريب هذه قد حدثت خلال الفترة النبطية، مُرجِّحين وجود حركة مناهضة للأيقونات في البتراء خلال القرن الأول الميلادي[632]، ولكننا نستبعد هذا الرأي لعدم وجود دليل يؤكده، ولأن السياقات التي وُجدت فيها تماثيل خربة التنور التي طالها التدمير تؤرَّخ لما بعد سقوط مملكة الأنباط، كما نسب فريق من الباحثين هذا التدمير لحركة الأيقونات التي حدثت خلال القرن الثامن الميلادي، وهناك من ربط هذا التدمير بحركة تدمير التصاوير الوثنية خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين[633].

تعكس مجموعة كبيرة من المنحوتات النبطيّة خصائص فنيّة هلنستيّة؛ فتُمثِّل المنحوتات الآدمية التي عُثر عليها في البتراء وخربة التنور وخربة الذريح تماثيل لمخلوقات وآلهة كديونيسيوس وآرس وأثينا وأبولو وآلهة النصر المجنحة[634]، وهي تعكس خصائص كلاسيكية بواقعيتها وبساطتها ومثاليتها من حيث نسبها ومقاييسها وإظهار طيات الملابس والأنف المتطاول والشعر الذي يظهر على شكل خُصل متموجة[635]، كما عُثر على مجموعة منحوتات يبدو أنّها كانت تُزّين البوابة الموجودة في وسط مدينة البتراء، حيث يبدو أنّها كانت تُزينها[636]، ونُشرت مجموعة من المنحوتات من خربة براق المطلة على البتراء وهي مشابهة في خصائصها الفنية لتلك التي عُثر عليها في وسط مدينة البتراء[637].

ويمكن تصنيف الفنون الزخرفية النبطية إلى الأنواع التالية:

أولا: فن زخرفي مرتبط بنحت الواجهات الصخرية (وقد تم التطرق لهذا الموضوع في الجزء السابق من هذا الفصل).

ثانيا: استخدام الجص الملون والرسومات الجدارية.

---

[632] Wenning, R. and Hübner, U. (2004): Nabatäische Büstenreliefs aus Petra. Zwei Neufunde, ZDPV, 120, 161.

[633] مكنزي، جودث (2013): تشويه التصاوير (تدمير الأيقونات) في البتراء ومواقع نبطية أخرى. في: دراسات في الحضارة النبطية، المجلد الأول، تحرير: نبيل الخيري وتوماس فيبر، الجامعة الأردنية، عمان، 1-25

[634] Wright, G. (1967-1968): Recent Discoveries in the Sanctuary of the Qasr Bint Far'un at Petra, II: Some Aspects Concerning the Architecture and Sculpture, ADAJ 12-13, 12-13,, pls. XVI.b, XXIIa, XXIIc.

[635] Lyttleton, M. and Blagg, T. (1990): Sculpture from the Temonos of Qasr el-Bint at Petra, Aram 2: 267-286.

[636] McKenzie, J. (2003): Carvings in the Desert: The Sculpture of Petra and Khirbet et-Tannur, in Petra Rediscovered. Lost City of the Nabataeans; ed. G. Markoe (New York: Harry N. Abrams in association with the Cincinnati Art Museum), p. 165.

[637] Parr, P. (1960): Nabataean Sculpture from Khirbet Braq, ADAJ, 4-5, 134-136, pl. XV-XVI.

زخرف الفنان النبطي واجهاته المقطوعة في الصخر وجدران المعابد والبيوت بالجص، إذ لوحظ أن العديد من جدران المباني والواجهات قد احتوت ثقوباً كانت تُساعد في تثبيت الجص عليها، كما زُيَّنت جدران المنازل الداخلية بقصارة مزخرفة، وأمكن ملاحظة ذلك في العديد من الأماكن في البتراء كالحبيس[638]. وقد عُثر أيضاً على رسمٍ جداريٍ في سيق البارد شمال البتراء داخل حجرة محفورة بالصخر حيث رسمت زخارف تمثل غصون الكرمة وأشكال أسطورية كالإله بان وإيروس بالإضافة إلى طيور وثمار[639]. كما عُثر في معبد الأسود المجنحة على زخارف ملونة شملت اللون البني والأزرق والأخضر وغيرها من الألوان فوق طبقات القصارة[640]، وفي وادي الصيغ بالبتراء عُثر بأحد الكهوف والذي يبدو أنه كان منزلاً مطلياً بقصارة بيضاء عليها زخرفة باللونين الأحمر والأسود تظهر على هيئة مشابهة لتلك الرسومات التي عُثر عليها في الزنطور، وهي تُمثِّل بوابات رُسمت بجانب بعضها البعض بألون مختلفة وتعلوها الأفاريز واللوحات المثلثة، كما يوجد في الصيغ أيضاً منزل محفور بالصخر زيُن سقفه بلوحة جصية دائرية مشابهة للتي يُزيّن بها البعض منازله هذه الأيام، وبجانبها بقايا صليب، لكن لم يتبقَ الكثير من معالم هذه السقف الزخرفية.



لوحة فريسكو جدارية تُزيّن أحد منازل وادي الصيغ (تصوير الباحث)

ومن المواقع الأخرى التي كشف بها عن رسومات جدارية نبطية مساكن الزنطور، حيث كشف بالمسكن (4) عن جدار مزخرف بكثرة بالجص الملون التي صوّرت عليه أشكال نباتية تشتمل على نباتات بيضاء، فواكه وأوراق نباتية[641]، وما نلاحظه في أحد مساكن الزنطور في البتراء

[638] Zayadine, F.(1987): Decorative Stucco at Petra and Other Hellenistic Sites, in: SHAJ, 3, 131–142
[639] Glueck, N. (1956): A Nabataean Painting. BASOR 141, 13-23.
[640] Hammond, Ph. (1982): The Excavations at Petra, 1974. Cultural Aspects of Nabataean Architecture, Religion, Art and Influence, in: SHAJ, 1, 231–238.
[641] Kolb, B. et al (1998): Swiss- Liechtenstein Excavations at Ez-Zantur in Petra 1997. ADAJ 42: 259-277.

(مسكن رقم 4) هو وجود تشابه مع بعض المساكن الرّومانيّة في بومبي جنوب غربي إيطاليا، مثل مسكن أبيديوس[642].

كما كُشف عن لوحة جدارية (فريسكو) في منطقة جبل الزهور في وادي موسى، ويبدو أنها كانت تُزيّن إحدى غرف مبنى أرستوقراطي فخم، وهي تُمثِّل رسماً معمارياً كلاسيكياً، ومثل هذه الجداريات معروفة في عدد من المباني النبطية من القرن الأول الميلادي في البتراء ومن فيلا وادي موسى المكتشفة عام 1996، وهي على طراز بومبي الثاني، إلا أن ما يميز هذه اللوحة تصاوير الطيور ضمن المشهد المعماري وأبرزها تصوير مالك الحزين الفريد حتى الآن في الفن النبطي، وتصوير طائر العنقاء الخرافي؛ وتصل مساحة هذه الجدارية التي تم خلعها إلى 1م ارتفاعاً × 1,80م عرضاً، وهي معروضة الآن في متحف البتراء بعد أن جرت لها أعمال الترميم اللازمة[643].




أجزاء من لوحة الفريسكو النبطية الموجودة في بيضا (تصوير الباحث)



لوحة جدارية عُثر عليها في أحد مساكن الزنطور (تصوير الباحث)

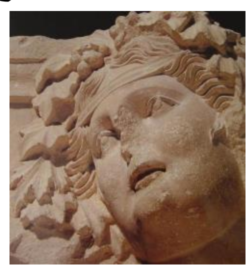
[642] الخطاطبه، محمد (2006): عمارة الأنباط السّكنية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 316.

[643] عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية لمشروع شبكات المياه والصرف الصحي لوادي موسى (2000-1998)، تقرير غير منشور.

ثالثا: المنحوتات المنفردة.

نحت الأنباط منحوتات منفردة عُثر عليها في العديد من المواقع النبطية كالبتراء وخربة الذريح وخربة التنور، ومنها ما ظهر على شكل آدمي، كتلك التي كانت تُمثِّل المعبودات، وخصوصاً تلك التي تعود للفترة النبطية المتأخرة، إذ عُثر على مجموعات في منطقة بوابة النصر في وسط مدينة البتراء، وذلك في الخمسينيات من القرن الماضي حيث يبدو أن هذه التماثيل تعود إلى بناءٍ مدمرٍ مرتبطٍ بالبوابة. أما المنحوتات الحيوانية فقد انتشرت في أكثر من موضع، وقد استخدمت رؤوس الفيلة كتاجيات لأعمدة "المعبد الجنوبي"، بالإضافة إلى نحت للنسور والأسود وبعض المنحوتات الأسطورية.

وقد كُشف عام 1967م في منطقة بوابة النصر عن مجموعة من المنحوتات التي يبدو أنها لم تكن جزءاً من البوابة، وهي تمثل تمثالين نصفيين لهيرمس مع الصولجان وأثينا مع الدرع، وتمثال رأس تعتمره خوذة ورمح ربما يمثل إيروس، ورأس لديونيسيوس يعلوه إكليل الغار، وتماثيل نصفية ورؤوس تماثيل آدمية، ومنحوتات لحيوانات طبيعية وأخرى مجنحة وبقايا منحوتات معمارية حيث يبدو أن هذه المعثورات تؤرّخ للقرن الأول قبل الميلاد[644].



نماذج من المنحوتات النبطية ذات الطابع الكلاسيكي (تصوير الباحث)

ونلاحظ ظهور الملابس اليونانيّة على بعض المنحوتات النبطيّة، خاصةً تلك الموجودة في خربة التنور، وتشتمل هذه الملابس على الخيتون، وهو رداء طويل يشد حول الخصر وتلبسه النسوة في الغالب، وقد ظهر في الفنون اليونانيّة والنبطيّة[645]، إضافة إلى الكلاميس Chlamys وهو لباس نبطيّ عبارة عن عباءة كان يلبسها رجال الإغريق في مناسبات معينة، وظهرت على بعض تماثيل خربة التنور، كما ظهرت تُزيّن المعبودة تايكي في منحوتة من البتراء.

كما يدلّ ظهور المدوسا[646] في الفن النّبطيّ على اتصال بالعالم اليوناني، وقد ظهرت في الفنون النبطيّة في خربة التنور والبتراء[647]، والمدوسا في الفكر اليوناني مخلوقة بشعة المنظر تُحوّل كل من ينظر إليها إلى جماد.

---

[644] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra, 134-135.
[645] Khairy, N. I., (1990): The 1981 Petra Excavations, 13.

[646] هي إحدى ربات اليونان يقال أن مصدرها شمال أفريقيا، وقد كانت بنتاً جميلة في بواكير عمرها، ارتكبت خطيئة مع بوسايدن في معبد أثينا التي غضبت منها وحولّتها إلى امرأة بشعة المنظر، وكانت تُحوّل كل من ينظر إليها إلى جماد، ولكن بريسوس استطاع قطع رأسها ووضع نهاية لحياتها.

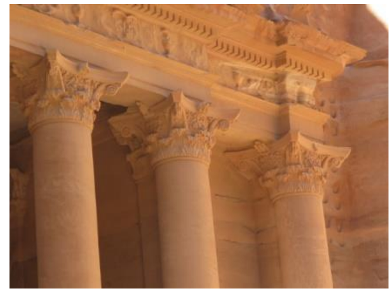
لقد صوَّر الأنباط قرون الرخاء اليونانيّة الأصل كثيراً في فنونهم، وكانت رمزاً للخير والخصوبة، وظهرت في الفنون النبطيّة وعلى المسكوكات، وكانت رمزاً للمعبودة النبطيّة عطارغتيس، كما استمد الأنباط شوكة الرعد كعنصر زخرفيّ في فنونهم من بلاد الإغريق.

ترجع زخرفة البيضه والسّهم التي تُزين العديد من المنحوتات النبطيّة إلى أصول إغريقية، وقد زيّنت هذه الزخرفة عدداً من المنشآت المعماريّة النبطيّة في البتراء وخربة الذريح والتنور.

ومن المنحوتات المميزة التي عُثر عليها في البتراء نحت يمثل شخصين يمتطيان ظهر جملين لهما سنامان يرتديان ملابس تبدو وكأنها فارسية الطراز كما يظهر على الشكل ككل ملامح فنية فارسية[648].

رابعا: تاجيات الأعمدة.

استخدم الأنباط أربعة أنواع من تاجيات الأعمدة لتزيين واجهاتهم الصخرية ومنشآتهم المعمارية حيث يُمثّل النوع الأول تاجاً مقعراً خالياً من الزخارف ويقتصر تزيين التاج على وجود أربعة نتوءات في الجهات الأربع للتاج، وقد عُثر على أمثلة مشابهة له في عدد من المواقع المصرية والقبرصية، أما النوع الثاني فهو التاج الكورنثي الذي انتشر كثيراً في العالمين اليوناني والروماني حيث يعتبر نبات الخنشار الجزء الأساسي في زخرفة هذا التاج. أما النوع الثالث فهو التاج الكورنثي–النبطي المركب[649]، في حين مثَّلت رؤوس الفيلة النوع الرابع والذي قد يكون استخدم خلال الفترة الرومانية.





نماذج من تاجيات الأعمدة (تصوير الباحث)

خامسا: الفسيفساء.

استخدم الفنان النبطي الفسيفساء في زخرفة وتزيين أرضيات بعض مبانيه، وهذه الأرضيات الفسيفسائية ذات مكعبات صغيرة الحجم ومنتظمة الشكل، وهي فسيفساء بسيطة ذات ألوان بيضاء وسوداء، وقد كشفت الحفريات التي أجريت في منطقة الزنطور وفي منطقة الفيلا النبطية

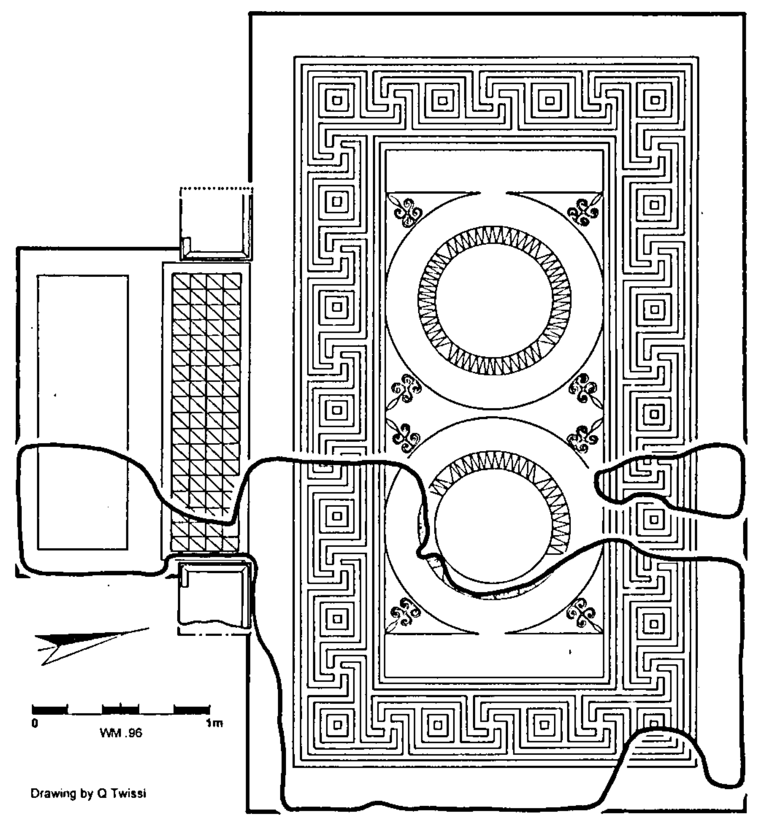
---

[647] Roche, J-M. (2001): Figurines, Sculpture and Reliefs, in in Z. Fiema, C. Kanellopoulos, T. Waliszewski, and R. Schick, The Petra Church (Amman, Jordan: American Center of Oriental Research): 350-358.

[648] Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art, 148.

[649] Hammond, Ph. (1982): The Excavations at Petra, 231–238.

في وادي موسى عن استخدام الفسيفساء البسيطة لتزيين أرضيات حمامات هذه البيوت، وهي تمثل في الغالب زخارف هندسية.



إعادة بناء للأرضية فسيفسائية نبطية كُشف عنها في وادي موسى[650]

قام الأنباط بتصوير وجوه وأقنعة على بعض واجهاتهم الدفنية في مدائن صالح والبتراء، وقبل البدء بمناقشة رمزية الوجوه التي تُزيّن الواجهات التي عرضناها أعلاه، لا بد من إيراد عرضٍ موجزٍ لأبرز منحوتات الوجوه النبطية التي عُثر عليها في مناطق مختلفة من المملكة النبطية، وهي كالتالي:

أولاً: عُثر على منحوتات تُمثِّل وجوهاً ورؤوساً بشرية نبطية في حوران، وقد مثَّل السواد الأعظم من هذه المنحوتات نماذج زيَّنت منحوتات معمارية دينية، وربما تُمثِّل هذه المنحوتات صور أشخاص ذوي مكانة رفيعة ساهموا في تشييد هذه المنشآت الدينية، وأبرز هذه المنحوتات تلك التي زيَّنت العديد من أجزاء معبد سيع المعمارية[651]، وتتعذَّر معرفة دلالات هذه الوجوه والرموز الدينية التي ظهرت عليها (الحُنى والأنصاب)، كما تتعذَّر معرفة مدلولات هذه الوجوه الرمزية، ولكن يبدو أن دلالاتها دينية على الأغلب الأعم، وربما تمثِّل أشخاصاً ساهموا في تمويل بناء المنشآت التي كانت تُزيّنها هذه المنحوتات.

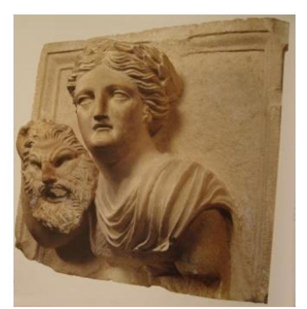
[650] الطويسي، سعد، (2001): دراسة للمخلفات النبطية المكتشفة في حفريات وادي موسى لعام 1996، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، شكل 6.

[651] Kropp, Andreas (2010): Limits of Hellenisation: Pre-Roman basalt temples in the Hauran. Bollettino di Archeologia on line I, 1-18; Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art, 68-69.

ثانياً: عُثر على مجموعةٍ من الأقنعة أثناء التنقيبات الأثرية التي أجريت في البتراء، منها سبعة رؤوس حجرية منحوتة من الحجر الجيري معظمها لإناثٍ، حيث يبدو أنها كانت تُزيّن إفريزاً كان يعلو مدخلاً في "المعبد الجنوبي" في البتراء، ويبدو أنها تُمثّل أقنعة مسرح، وتتميَّز هذه الأقنعة بفمٍ واسعٍ وعيونٍ كبيرةٍ يبرز بؤبؤ العين منها، وقد تم تأريخ هذه الأقنعة تقريباً إلى القرن الثاني الميلادي[652] وربما تعود للفترة التي تلت ضم الرومان لمملكة الأنباط.

كما عُثر على قناع في صبرا الواقعة جنوبي البتراء[653]، واشتملت المنحوتات التي عُثر عليها عام 1967م بالقرب من بوابة النصر في وسط مدينة البتراء على تمثالٍ نصفيٍ ربما يكون لديونيسيوس الذي صُوِّر حاملاً قناعاً[654]، وظهرت ضمن مجموعة المنحوتات هذه، والتي تؤرّخ للقرن الأول قبل الميلاد، منحوتات وجوه ارتبطت بصور دروع، حيث تمَّ تفسير هذه الوجوه على أنها وجوه الميدوسا[655]، وهذا تفسيرٌ مقنعٌ على ما يبدو لمشابهة هذه المنحوتات لمنحوتات الميدوسا الإغريقية.

وبالإضافة إلى ذلك، كُشف عن خمس أقنعة نحتت على حجرٍ عُثر عليه أمام جدار كنيسة البتراء، حيث يعلو كل قناعٍ إكليل غار، ورجّح أحد الباحثين أن هذه المنحوتات تُمثّل الإله الإغريقي ساتير والمينادة[656]. وقد كُشف في البتراء كذلك عن تمثالٍ لإحدى ربات الفن تحمل قناعا لرجل ملتح يعود للقرنين الأول والثاني الميلاديين[657].




منحوتات رؤوس وأقنعة من البتراء[658]

وعُثر كذلك على قناع كان يُزيّن تاجاً مصنوعاً من الحجر الجيري في منطقة الحمامات في وسط مدينة البتراء، وهو مشابهٌ لأقنعة تعود للفترة الهلنستية الوسطى والمتأخرة[659]، وهناك أيضاً قناع

---

[652] Joukowsky, M., (1998): Petra: The Great Temple, 232.
[653] Glueck, N. (1965): Deities and Dolphins, plates 5,6.
[654] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra , Pl. 62b.
[655] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra, Pls. 64b, 65b.
[656] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks and Faces from Petra, PEQ 130, Fig. 15.
[657] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks, Fig. 10.
[658] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks , Fig. 10.
[659] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks, Fig. 11.

ربما كان يُزيّن تاج عمود معظمه مفقود وهو لشخص غير ملتحٍ له شعر متموج وتظهر الحواجب بوضوح وبؤبؤ العين بارز[660].

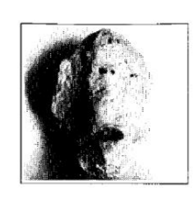
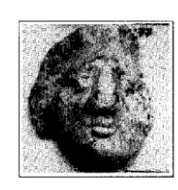


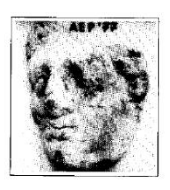



قناع يزين تاجا مصنوعا من الحجر الجيري وقناع ربما كان يزين تاج عمود[661].

<u>ثالثاً</u>: كُشف في معبد الأسود المجنحة عن مجموعة من الحليات الزخرفية الفنية التي تُمثِّل وجوهاً بشرية طبيعية مصنوعة بالقالب، ويبدو أنها كانت معروضة على الإفريز السفلي لمنصة مذبح المعبد، وهي تُمثِّل أشخاصاً خدودهم دائرية وعيونهم منتفخة وشفاههم عابسة، ويبدو أنها تُمثِّل أشخاصاً طبيعيين قد يكونون ملوكاً أو أشخاصاً مرموقين ويُستبعد أن تكون تمثيلات لآلهة[662]، لأن الأنباط قد قاموا بتمثيل آلهتهم بشكلٍ رمزيٍ على الأغلب الأعم.



صور لبعض الوجوه المنحوتة التي عثر عليها في معبد الأسود المجنحة[663]

<u>رابعاً</u>: كشفت الحفريات الآثارية عن العديد من الأقنعة الفخارية النبطية التي تم تقسيمها إلى عدة مجموعات منها ما يُمثِّل أقنعة مسرح ومنها أقنعة ديونوسية Dionysian تمثل ديونيسيوس أو الميناده، وأخرى تمثل الجورجون Gorgons كالميدوسا وبعضها لإيزيس وهناك مجموعة غير واضحة المعالم[664].









[660] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks, Fig. 12.
[661] Greene, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks, Figs. 11, 12.
[662] Hammond, Ph. C. and Mellott-Khan, T. (1998): Nabataean Faces from Petra. ADAJ 42, 319–330.
[663] Hammond, Ph. C. and Mellott-Khan, T. (1998): Nabataean Faces from Petra.
[664] Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts: A Synthetic Approach for Studying Terracotta Figurines, Plaques, Vessels, and other Clay Objects. PhD. Brown University, 171-173.

مجموعة من التماثيل الفخارية النبطية التي تمثِّل أقنعة[665]

منحوتات الوجوه والأقنعة الدفنية ودلالاتها الرمزية وأصولها التاريخية

ظهرت المنحوتات التي تمثل وجوهاً على عدد من الواجهات النبطية في البتراء ومدائن صالح، ومن أبرز الواجهات التي زينت بهذه الأشكال الخزنة ومعظمها مشوَّه المعالم، ولكن المتبقي منها يُشير إلى أن بعضها كان لرجال مسنين، وبعضها لإناث يافعات، وهي ذات شكل طبيعي ولا تعكس أو تجسد أشكال مخلوقات أسطورية، وكذلك قبر سيكستوس فلورنتينوس الذي صُوِّرت عليه أنثى تم تشويه معالم وجهها، أما منحوتة قبر الدرع في البتراء، فيظهر الجزء المتبقي منها بقايا الجفون والعيون والفم المغلق لرجل مسن، أما واجهة مضافة الأسد فقد نحتت عليها صورة شابين، لهما عيون واسعة وفم صغير مغلق.



صورة المنحوتة التي تُزيّن واجهة قبر سيكستوس فلورنتينوس (تصوير الباحث)

ومن ناحية أخرى، نجد أن منحوتات الوجوه التي ظهرت على مدافن مدائن صالح تختلف كثيراً عن تلك التي نُحتت على واجهات البتراء، فقد صُوِّر على أحدها رجلٌ عابسٌ له عيون واسعة وفم غير واضح المعالم في حين ظهرت أفواه المنحوتات التي صورت على عدد من الواجهات مفتوحة، كما أن فم المرأة الذي ظهر على إحدى الواجهات مطموس.

انتشرت الأقنعة ومنحوتات الوجوه بكثرةٍ في العالم الكلاسيكي حيث كان لها عدة دلالات، وكانت على نوعين هما: الأقنعة المسرحية والدفنية الجنائزية، وقام بعض الباحثين بربط الأقنعة التي تعود للفترة النبطية بشكلٍ عامٍ بمفهوم الخلود الأبدي[666]، والذي كان له دورٌ كبيرٌ في معتقدات الأنباط كما يتضح من خلال دراسة عادات وشعائر الدفن، وكذلك من خلال دراسات السياقات التي عُثر على هذه الأقنعة ومنحوتات الوجوه فيها.

---

[665] Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts, 435-440.

[666] Glueck, N. (1965): Deities and Dolphins, 242-243; Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art ,119.

أما بخصوص الوجوه التي نُحتت على الواجهات الدفنية النبطية التي أوردناها أعلاه، فقد تمَّ تقديم العديد من الآراء بخصوصها، وعلى النحو التالي:-

1: هناك من فسَّر هذه الوجوه على أنها تُمثِّل الربَّة الميدوسا (Μέδουσα)[667]، والميدوسا هي إحدى ربَّات الإغريق التي يقال أن مصدرها شمال أفريقيا، وقد كانت بنتاً جميلة في بواكير عمرها، ارتكبت خطيئة مع بوسايدن في معبد أثينا التي غضبت منها وحولّتها إلى امرأة بشعة المنظر حيث يظهر شعرها على هيئة أفاعي، وكانت تُحوّل كل من ينظر إليها إلى جماد، ولكن بريسوس استطاع قطع رأسها ووضع نهاية لحياتها.

لقد كُنَّا سابقاً ممن قبلوا بفكرة نسبة الكثير من منحوتات الوجوه في البتراء ومدائن صالح للميدوسا، ولكن التمعُّن في صور هذه الوجوه ومقارنتها ببعضها، ومقارنتها بمنحوتات المدوسا يُحتِّم علينا إعادة النظر في هذه التفسيرات، وذلك لمبررات عديدة منها:-

1. إن صور هذه المنحوتات مختلفة غير متشابهة المعالم، وهي بالتالي لا يمكن أن تُمثِّل مخلوقاً واحداً كالميدوسا، كما أن هذه الصور لا تُمثِّل ملامح الميدوسا كما تظهر في الفنون الكلاسيكية.
2. إن جميع صور الوجوه التي تظهر على واجهات مدائن صالح تُمثِّل صوراً لذكور وليست لإناث، باستثناء وجه واحد لأُنثى زين أحد واجهات مدائن صالح وهو مدفن لأنثى، أما البقية فهي لذكور مما ينفي الطبيعة الأنثوية لهذه المنحوتات، كما أن النقوش التي تعلو صور وجوه الذكور في مدائن صالح، تؤكد أن ملكية هذه المقابر تعود لذكور، وبالتالي فإن افتراض أن تكون هذه الصور للميدوسا أمر صعب القبول.
3. أما بخصوص واجهات البتراء، فقد طال الوجوه التي تُزيّن العديد منها تشويه، وهي بالتالي غير واضحة المعالم، مما يجعل إثبات أنها تُمثِّل المدوسا أمراً لا يمكن الجزم به. لقد صُوِّرت الميدوسا في بعض منحوتات البتراء التي عُثر عليها بالقرب من بوابة النصر ، وربما يكون ظهورها هنا ناتج عن اتصال الأنباط بالعالم اليوناني، ويبدو من خلال مقارنة هذه المنحوتات التي تمثل الميدوسا أن معالمها لا تشابه معالم الوجوه التي نحتت على المدافن النبطية التي ناقشناها أعلاه.

2: هناك من ربط أحد الوجوه التي زيَّنت واجهة قبر الدرع في البتراء بخمبابا، وذلك اعتماداً على وجود بعض التأثيرات الرافدية على العطاء الحضاري النبطي، ولوجود بعض التشابه بين

[667] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra and Medain Saleh. PEQ 130: 35–50; Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d'Arabie Pétrée: iconographie et aniconisme des élites nabatéennes." in: Dieux et déesses d'Arabie, images et représentations, actes de la table ronde tenue au Collège de France les 1 et 2 octobre 2007, eds. I. Sachet and C. J. Robin. Paris, 241.

تصويرات خمبابا هناك والصورتين اللتان زيَّنتا هذا القبر[668]، وخمبابا هو الاسم الأكادي للوحش الذي أسند له إنليل مهمة حراسة غابات الأرز بحسب معتقدات حضارة بلاد الرافدين القديمة، وهو العفريت الذي يرد ذكره في ملحمة جلجامش حيث تم افتراض رأياً مفاده أن هذه الرؤوس لها نفس التأثير السحري الذي يحجب الشر مثل الميدوسا[669]، حيث صوِّر في المشاهد الفنية على هيئةِ مخلوقٍ بشعٍ بجسدٍ بشري وله مخالب أسد[670]، ولكن قبل قبول هذا الرأي لا بد من البحث عن أدلةٍ كافيةٍ تدعمه وهي غير موجودة، فوجود بعض التشابهات لا يكفي للجزم بذلك، كما أن خمبابا لم يكن له دورٌ في معتقدات الأنباط الدينية أو ممارساتهم الجنائزية.



منحوتات وتماثيل لخمبابا[671]

3: هناك من ربط الوجوه التي زيَّنت بعض واجهات مدائن صالح بالإله المصري بيس[672]، وذلك اعتماداً على شكل التماثيل الفخّاريّة التي عُثر عليها في البتراء والتي تمثِّل هذا الإله جالساً على كرسيٍ أو عرشٍ، وقد عُثر على أمثلة من هذا النوع، في أكثر من موقع في البتراء[673]، وكان هذا الإله يلعب دوراً كبيراً في مصر، خاصّةً في عصر المملكة الوسطى، وكان يُعتقد أنّه على كلّ أسرة مصريّة أن تحمي نفسها بوضع تمثال أو صورة له في مشكاة لتجلب الحظ وتدحر الشر[674]، ولكن التفحص الدقيق لمنحوتات وجوه مدافن مدائن صالح أو البتراء البشرية لا تُبيّن تشابه مقنع بينها وبين صور بيس، كما أن الإله بيس لا يعتبر معبوداً نبطياً وربما ارتبط وجوده في البتراء بوجود مصريين جلبوه معهم، لا سيما وأن الجغرافي سترابو يذكر أن البتراء كان فيها الكثير من الغرباء والأجانب[675]، وبالتالي فإن افتراض أن الوجوه البشرية المنحوتة على واجهات مدائن صالح هي تمثيل للإله بيس غير مقنعٍ.

---

[668] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock , 36-39.

[669] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock , 36-39.

[670] حنون، نائل (2006): ملحمة: جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، 111.

[671] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock.

[672] Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d'Arabie Pétrée, 236.

[673] Khairy, N., (2009): A Study of the Nabataean Minor Arts and Their Cultural Interpretation. SHAJ X, 896.

[674] Khairy, N., (2009): A Study of the Nabataean Minor Arts, 897.

[675] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.4.21.








صور لتماثيل بيس التي عُثر عليها في البتراء (يمين)[676]، تماثيل للإله المصري بيس (يسار)[677]

4: نستبعد أن تكون جميع صور الوجوه التي نُحتت على واجهات البتراء ومدائن صالح تُمثِّل وجوه آلهة، لأن الأنباط اعتادوا على تصوير آلهتهم بشكل رمزي، رغم وجود ما يُشير إلى ارتباط الأقنعة بالآلهة عند العرب قبل الإسلام، وذلك اعتماداً على إشارة أوردها الأزرقي الذي يذكر أنه وعند فتح مكة، أوكلت إلى خالد بن الوليد مهمة هدم العزى فلما انتهى إليها جرَّد سيفه فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها وكانت ترتدي قناعاً فقال سادنها مستنجداً بها أعزى ألقى القناع وشمري[678]، كما ارتبطت الأقنعة ببعض الآلهة في الشرق الأدنى القديم، فكان هناك قناع لإيزيس، وآخر لعشتار[679].

وفي ضوء ذلك فلربما كان لبعض تصويرات الوجوه البشرية التي أوردناها أعلاه دلالات دينية وعقائدية وعلى نحو قد يكون تمثيلاً لبعض الآلهة، ومن المنحوتات التي قد ينطبق عليها هذا الافتراض تلك الوجوه الذي نُحتت على واجهة مضافة الأسد، وكذلك منحوتات الوجوه والرؤوس التي عُثر عليها ضمن سياقات دينية في حوران، وتلك التي عُثر عليها في معبد خربة التنور وبعض منحوتات الرؤوس التي عُثر عليها في مدينة البتراء.

5: نُرجِّح أن تكون معظم صور الوجوه البشرية التي نُحتت على واجهات البتراء ومدائن صالح تُمثِّل أقنعة جنائزية، لارتباط الأقنعة بالدفن في الكثير من مناطق بلاد الشام والجزيرة العربية، فقد نُحتت جميعها على واجهات مدافن، باستثناء المنحوتتين اللتين تُزيّنان واجهة مضافة الأسد، ويعود استخدام الأقنعة الجنائزية في المشرق القديم إلى فترةٍ موغلةٍ في القدم، فقد عثُر على مجموعة من التماثيل الطينية والأقنعة الحجرية والجماجم المشغولة التي تعود للمرحلة (B) من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (PPNB) في وادي حمار في فلسطين حيث ارتبطت

[676] Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d’Arabie Pétrée fig. 9.
[677] http://www.louvre.fr/en/oeuvre-notices/statue-god-bes.
http://www.ancientegyptonline.co.uk/bes.html.
[678] الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (1983): أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، 1/ 126-128.
[679] السواح، فراس (2002): لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، 29.

بمدافن[680]، كما عُثر على قناعين يعودان إلى نفس الفترة في منطقة بسطه جنوبي الأردن[681]، وعُثر كذلك على أقنعةٍ حجريةٍ ذات دلالة دينية في موقع شعار هاجولان= تل الإقحوانة الواقع جنوبي بحيرة طبرية تؤرّخ للعصر الحجري الحديث[682]، وقد تميَّزت الثقافة اليرموكية، وهي إحدى ثقافات العصر الحجري الحديث الفخاري في جنوبي بلاد الشام، بصناعة مجموعة من الآلهة الأنثوية الجالسة التي صورت مرتدية أقنعة مخروطية[683].

وكُشف في تليلات الغسول الواقعة شمال شرق البحر الميت عن رسوماتٍ جداريةٍ تعود للعصر الحجري النحاسي (حوالي 4200 ق.م)، ويُمثِّل أحد هذه الرسومات ثلاثة أشخاص يرتدون أقنعة، ويبدو أنهم يمارسون طقوساً دينية[684].

وانتشرت الأقنعة في المدافن الفرعونية وكانت لها عند المصريين القدماء دلالات رمزية طقسية ودفنية، فعُثر في معظم المدافن التي لم تطلها يد الباحثين عن الكنوز والدفائن على مرفقات جنائزية اشتملت على أقنعة خشبية بالإضافة إلى أقنعة أطلق عليها تسمية أقنعة الكارتوناج (Cartonnage masks) وهي أقنعة مصنوعة من البردي والكتان الممزوجان بالجص، وكان المصريون أيضاً يرفقون مع ملوكهم وفراعنتهم أقنعة مصنوعة من معادن ثمينة كالذهب أحياناً، وبعضها مُطعَّم بالذهب في أحيان أخرى، ومن أبرز الأقنعة التي كُشف عنها في مصر تلك التي عُثر عليها في مقبرة توت عنخ آمون (1332-1323 ق.م)[685]، كما عُثر في مصر أيضاً على نوعٍ مشابهٍ للتماثيل النصفية عُرف بين الباحثين باسم تماثيل الأجداد أو الأسلاف Ancestor Busts، ومعظمها مصنوع من الحجارة، كما صُنع بعضها من الطين والخشب، ويبدو أنها كانت تُصوِّر الموتى ويعود معظم هذه التماثيل إلى عهد الدولة الحديثة (الفترة ما بين القرن السادس عشر والقرن الحادي عشر قبل الميلاد)[686].

---

[680] Bar-Yosef, O. (1997a): Prehistoric Palestine. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 210.

[681] Gebel, H. and Muheisen, M. (1997): Basta. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 1, 280.

[682] Rosen, S. (1997): Lithics: Typology and Technology. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 3, 373.

[683] Bar-Yosef, O. (1997): Munhata. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 63.

[684] Hennessy, J. B. (1997): Teleilat El-Ghassul. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 5, 161-163.

[685] Taylor, J. (1997): Before the portraits: burial practices in pharaonic Egypt. In: Walker S, Bierbrier M, eds. Ancient faces, mummy portraits from Roman Egypt. London: Trustees of the British Museum, 11.

[686] Keith-Bennett, Jean (1981): Catalogue of anthropoid busts from Egyptian sites other than Deir el Medineh. BES 3, 51-71.

وعُرفت عادة إرفاق الأقنعة مع الموتى في بلاد الرافدين، ولكن على نحوٍ أقل من مصر، فقد اشتملت المرفقات الجنائزية التي عُثر عليها في إحدى مقابر الوركاء على سبيل المثال على أقنعة وجوه ذهبية، بالإضافة إلى أغطية عيون، وأغطية أفواه وعصبات رؤوس[687].

وعُرفت الأقنعة الدفنية كذلك عند الفينيقيين، فقد عُثر في المقابر الفينيقية على مرفقاتٍ ارتبطت بالسحر، وكان هدفها طرد الأرواح الشريرة، واشتملت هذه المرفقات على بيض نعام ملون وأقنعة فخارية واقنعه دفنية ذهبية[688]، كما كُتب نقش الملك اشمون عزر الفينيقي الذي عُثر عليه في صور تحت قناع جنائزي كان يزين تابوتاً[689]، ووجدت الأقنعة كذلك في المدافن البونية حيث يبدو أنه كان هناك ارتباط بينها وبين طقوس الموت[690].

وانتشرت الأقنعة وتصويرات الوجوه في جنوبي بلاد الشام خلال العصرين البرونزي المتأخر والحديدي، فقد عُثر على قناع فخاري ضمن سياق جنائزي يعود للعصر البرونزي المتأخر في تل دان في فلسطين، كما كشفت الحفريات الآثارية عن العديد من التوابيت الفخارية الأنثوبويدية Anthropoid coffins التي تحمل ملامح بشريه في فلسطين الأردن حيث رُسمت الوجوه على هذه التوابيت بشكلٍ بارزٍ، وهي تُشبه الأكفان المصرية إلى حدٍ ما غير أنها محلية الصنع والطابع[691]، ومن أبرزها تلك التي عُثر عليها في منطقة دير البلح في فلسطين والتي تعود إلى المرحلة الأولى من العصر الحديدي[692]، بالإضافة إلى تلك التي كُشف عنها في تل الفارعة[693] وسحاب[694] وفي مقبرة حديقة قصر رغدان في عمان، وفي بيسان وتل الدوير[695].

وانتشرت الأقنعة الدفنية في العالمين اليوناني والروماني، حيث صنع الميسينيون في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد أقنعة دفنية ذهبية كانت توضع فوق وجوه الأموات كطريقة سحرية لحماية الجسد، ومن أبرز النماذج التي كُشف عنها ذلك الذي اطلق عليه اسم قناع أجاممنون[696]، كما صنع الإغريق أقنعة برونزية وذهبية حيث تظهر عيون الموتى فيها مغلقة وجميعها تصور رجالاً

---

[687] Curtis, John E. (1979): Loftus' Parthian Cemetery at Warka. Archaologische Mitteilungen aus Iran 6, 309-317.

[688] Markoe, G. (1997): Phoenicians. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 324-331.

[689] Long, G. (1997): Eshmunazar Inscription. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 2, 261.

[690] Yadin, Y. (1971): Symbols of Deities at Zinjirli, Carthage and Hazor, In: Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, ed. J. A. Sanders, Garden City, N.Y, 221, 223.

[691] ياسين، خير نمر (1991): جنوبي بلاد الشام: تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، لجنة تاريخ الأردن، سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن، 202.

[692] Mazar, A. (1997): Beth-Shean. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 1, 307.

[693] Weinstein, J. (1997): Tell El-Far'ah. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 2, 305.

[694] Albright, William Foxwell (1932): An Anthropoid Coffin from Sahab in Transjordan. AJA 36, 295 - 306.

[695] ياسين، خير نمر (1991): جنوبي بلاد الشام، 202.

[696] Dickinson, O.T.P.K. (2005): The Face of Agamemnon, Hesperia 74, 299-308.

فقط؛ أما الرومان فكانوا يضعون الأقنعة فوق رؤوس الموتى، كما كان يرتديها الذين كانوا يمارسون في بعض الطقوس الجنائزية[697]، وصُوِّرت على التوابيت الرومانية أحياناً تماثيل نصفية تمثل الموتى، فقد عُثر في مدن شمالي الأردن الرومانية على العديد من التوابيت الحجرية التي تم تزيينها بصور وأشكال ومواضيع مختلفة، منها صور إلهية وأسطورية وآدمية تُمثِّل وجوه أصحاب هذه التوابيت، حيث تظهر بعض هذه الصور النصفية للموتى منحوتة داخل أكاليل الغار[698].

وقد عُثر على قناعين يبدو أنهما كانا متصلين بخوذتين عسكريتين داخل مقبرة كُشف عنها في منطقة أم حوران بالقرب من نوى في سوريا الجنوبية، وعُثر داخل هذه المقبرة أيضاً على قناع برونزي لحصان[699].

وكشف في شمال سيناء عن مقابر تعود للفترتين الفارسية والهلنستية/ الرومانية في موقع تل الحير Tell el-Her حيث كشف في هذه المدافن عن العديد عن الأقنعة الجنائزية الطينية[700].

وانتشر نحت الرؤوس والوجوه الجنائزية كذلك في جنوب الجزيرة العربية، ومن أبرز النماذج التي تؤكد ذلك تلك المجموعة القتبانية الكبيرة التي كُشف عنها في موقع حيد بن عقيل، وهي مشابهة لأقنعة الوجوه التي تميزت بالأنف الطويل، وظهر الفم على شكل خط أما العيون فبشكل اللوز، كما شاع استخدام الأقنعة هناك وخصوصاً تلك المصنوعة من الطين المشوي[701]، أما في شمال الجزيرة العربية فقد نُحتت صور الوجوه المحوَّرة على بعض شواهد القبور، وخير أمثلة على ذلك مجموعة الشواهد القبورية الآرامية التي عُثر عليها في تيماء والتي أطلق عليها تسمية القبور التي تحمل الوجوه الصامتة، وقد رجَّح الباحثون أن هذه المنحوتة قد تعكس انتقال روح صاحب الشاهد نفسه إلى العالم الآخر، أو قد تُمثِّل معبوداً يحمي هذا المدفن[702]، ولكننا نُرجّح الاحتمال الأول.

---

[697] DeMello, M. (2012): Faces around the World: A Cultural Encyclopedia of the Human Face, ABC-CLIO, 59.

[698] للمزيد انظر النادر، رياض (1999): الأشكال الفنية على التوابيت الحجرية خلال العصر الروماني في شمال الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

[699] عبدالحق، سليم عادل (1954-1955): الأشياء الأثرية المكتشفة في مقبرة من العهد الروماني، الحوليات الأثرية السورية، 4-5، 3-20.

[700] Oren, E. (1997): Sinai. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 5, 44.

[701] محمد، عبدالحكيم شايف (2002): الدلالات الثقافية والحضارية للمدافن في جنوب الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق.م.: دراسة تطبيقية لمدافن حيد بن عقيل (قتبان)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم، 110-112.

[702] انظر مثلا الذييب، سليمان (2007): نقوش تيماء الآرامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 74-75، 76.

ويعتبر القناع الذي عُثر عليه في ثاج الواقعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية أبرز قناعٍ دفنيٍ عُثر عليه في بلاد العرب، ويؤرَّخ هذا القناع للقرن الأول الميلادي، وهو مصنوعٌ من الذهب اللماع حيث وضع داخل مدفن طفلة تناهز السادسة من عمرها[703].

وعثر في بعض مقابر تايلوس[704] التي كُشف عنها في منطقة الشاخورة في البحرين، والتي تعود للفترة الهلنستية، على مرفقاتٍ جنائزيةٍ اشتملت على أقراص دائرية زُيِّنت بزخارف نباتية أو هندسية نافرة أو صورة نصفية لرجل ملتح، حيث يبدو أن هذه الرقائق الذهبية قد ألصقت في الملابس أو الكفن، كما كُشف عن نماذج مشابهة لها في ثاج أيضاً[705]، وشاعت في المدافن التدمرية التماثيل الجنائزية ومنحوتات الوجوه التي تصور مالكي هذه المدافن[706].

يبدو لنا من خلال الدلائل والأمثلة التي أوردناها أعلاه ارتباط تصويرات ومنحوتات الوجوه والرؤوس بالمدافن في معظم مناطق وحضارات الشرق الأدنى القديم، وخلال عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية، مما يؤكد رمزية هذه التصويرات ودلالاتها المرتبطة بتصوير الموتى بصورٍ تشابه الواقع أحياناً، وبشكلٍ محورٍ في أحيان أخرى، ونستبعد أن تكون لهذه التصويرات أية ارتباطات بالمخلوقات الأسطورية أو تصويرات الآلهة التي تم اقتراحها من قبل الباحثين(مثل الميدوسا، خمبابا، بيس) وذلك لعدم وضوح بعض هذه المنحوتات من جهة، ولعدم مشابهة المتبقي منها لهذه المخلوقات، كما يتضح من خلال دراسة تصويرات الأقنعة والرؤوس الجنائزية التي كشفت عنها الحفريات الآثارية أن هذا التقليد كان متجذراً في فكر إنسان الشرق القديم بدءاً من عصور ما قبل التاريخ ولم يكن دخيلاً عليه من العالمين اليوناني والروماني.

نلاحظ من خلال بعض معالم منحوتات الوجوه النبطية التي لم يطلها تشويه أن الكثير منها قد نُحتت فاغرة الأفواه. وقد ارتبطت عادة فتح الفم بالموت في طقوس الشرق الأدنى القديم الدفنية كما يتضح من العديد من النماذج والنصوص التي عُثر عليها في بلاد الرافدين ومصر[707]، ونجد أقدم دليل على شعيرة فتح الفم الجنائزية في بلاد الرافدين وذلك في نصوص إدارية تعود لفترة سلالة أور الثالثة السومرية (2111 – 2006 ق م)، حيث تذكر هذه النصوص المواد الطقسية

---

[703] ريلر، كلير والشيخ، نبيل (2010): مدفن ثاج، في: طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة العربية السعودية، تحرير علي الغبان وآخرون، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 382-387.

[704] تايلوس هو الاسم الكلاسيكي للبحرين القديمة.

[705] معراج، محمد (2007): عادات الدفن في تايلوس: موقع الشاخورة، وزارة الإعلام، البحرين، 74.

[706] البني، عدنان (1972): الفن التدمري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق، 42-57.

[707] Blackman, Aylward M. (1924): The Rite of opening the Mouth in Ancient Egypt and Babylonia, JEA X, 47-59.

التي كانت تستخدم في هذه الشعيرة[708]، والتي وردت إشارة لممارستها في نصوص بابلية تعود للقرن التاسع قبل الميلاد، وأخرى تعود لفترة حكم آشوربانيبال (668-627 ق.م)[709].

ويعتبر طقس فتح فم الميت أحد الطقوس الجنائزية المصرية بدءاً من عهد الدولة القديمة، حيث كان يتم فتح فمه قبل إدخاله التابوت، ويعود أقدم دليل على ممارسة هذه الشعيرة في مصر لفترة الأسرة الرابعة (2575 - 2465 ق.م.) واستمرت في مصر بدءاً من عهد الدولة الوسطى (2055-1650 ق.م) وحتى العصور الكلاسيكية[710].

وقد اختلف تفسير الغرض من ممارسة هذه الشعيرة، فهناك رأي مفاده أن الغرض منها جعل جميع الأحشاء الداخلية تعمل بشكلٍ صحيحٍ[711]، ويذكر أحد النصوص الأكادية أن عدم فتح الفم لن يُمكِّن المتوفى من شم البخور وأكل الغذاء وشرب الماء[712]؛ وربما يكون فتح الفم مرتبطاً بمرحلة من مراحل حياة المتوفى في العالم الآخر. وقد كشفت الحفريات الآثارية التي أُجريت في عددٍ من المواقع النبطية أن الأنباط كانوا يضعون أحياناً قطعاً نقدية في بعض مدافنهم، كما بيَّنت الحفريات الآثارية أن إعادة استخدام بعض هذه المقابر قد رافقه نفس التقليد خلال الفترة الرومانية، وتعرف هذه القطعة النقدية باسم اوبول شارون (خارون) Charon's Obol وهي قطعة معدنية توضع عادة في فم الميت لتساعد في نقل روحه إلى عالم الموتى، وكان هذا التقليد شائع الانتشار في العالمين اليوناني والروماني، وعُثر على العديد من الأمثلة التي تؤكِّد وجود هذا التقليد في الولاية العربية، ومن أبرز المواقع التي كشف فيها عن هذه القطع النقدية البتراء وخربة الذريح وذات راس وصحراء النقب جنوبي فلسطين[713].

رابعاً: العمارة السكنية في البتراء

قبل أن نبدأ بالحديث عن العمارة السكنية النبطية، أرى من المفيد الحديث عن المساكن التي عُثر عليها في محيط البتراء وداخلها والتي تؤرّخ للعصور الحجرية والحديدية.

تعتبر مباني القرى الحجرية التي عُثر عليها في بيضا وبعجه واشكارة مسيعد أقدم المباني المشيدة بالحجارة التي عُثر عليها في محيط البتراء، وهي تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل

[708] Civil, Miguel (1967): Remarks on "Sumerian and Bilingual Texts"', JNES 26, 211.

[709] Walker, Christopher and Dick, Michael (2001): The Induction of the Cult Image in Ancient Mesopotamia, State Archives of Assyria Literary Texts Vol I, The Neo-Assyrian Text Corpus Project, 58.

[710] Baly, T.J.C. (1930): Notes on the Ritual of Opening the Mouth, JEA 16: 174.

[711] Morenz, Siegfried (1973): Egyptian Religion, Ithaca, NY: Cornell University Press, 155.

[712] Ebeling, Erich (1930): Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier, Berlin, Leipzig, 155.

[713] Delhopital, N. (2010): Du monde des vivants au monde des morts en Nabatène, entre le 2e s. av. J.-C. et le 4e s. ap. J.-C. : approche archéo-anthropologique des tombes de Khirbet Edh-Dharih, Pétra (Jordanie) et de Madâ'in Sâlih (Arabie Saoudite), Université Bordeaux 1, Bordeaux, France, 277.

الفخاري، وتعكس مباني بيضا على سبيل المثال تطوراً ملحوظاً من الأكواخ الدائرية إلى البيوت المستطيلة ذات الزوايا الدائرية والقائمة، وقد شُيِّدت بالحجارة كما استخدمت فيها القصارة الكلسية لتغطية الجدران والأرضيات، ويعتقد أن هذه المباني قد سُقفت باستخدام الأعمدة والدعامات الخشبية، وكُشف داخل القرية عن العديد من الأدوات الحجرية التي تمثلت في أدوات الطحن، بالإضافة إلى السهام الصوانية وبقايا السلال، وأمثلة على السبج (الأوبسيديان).

كما عُثر على بقايا معمارية سكنية آدومية تعود للعصر الحديدي في العديد من المواقع الآدومية مثل طويلان وأم البيارة وبعجه، ويبدو أن هذه المباني تشابه الكثير من المباني المعاصرة لها في منطقة جنوبي بلاد الشام. وقد شُيِّدت هذه المباني المستطيلة الشكل ذات الغرف المتطاولة باستخدام الحجارة التي تم تشذيب بعضها، وتكوَّنت الجدران من صفٍ عريضٍ من الحجارة، وكانت أرضيات هذه المباني من الطين المرصوص أو الصخر الطبيعي، واستخدمت أحياناً الأعمدة لرفع السقوف[714].

وقد كشفت الحفريات الآثارية التي أجريت في طويلان عن حقبتين من النشاطات العمرانية، حيث انتهت الحقبة الثانية بهجران الموقع ، وأثناء عمل كريستال بينيت في هذا الموقع تمَّ التنقيب في ست مناطق عُثر في ثلاث منها على آثار تعود للعصر الحديدي، وقد بيَّنت هذه الحفريات أن طويلان كانت قرية مفتوحة غير مُحَّصنة تؤرّخ للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

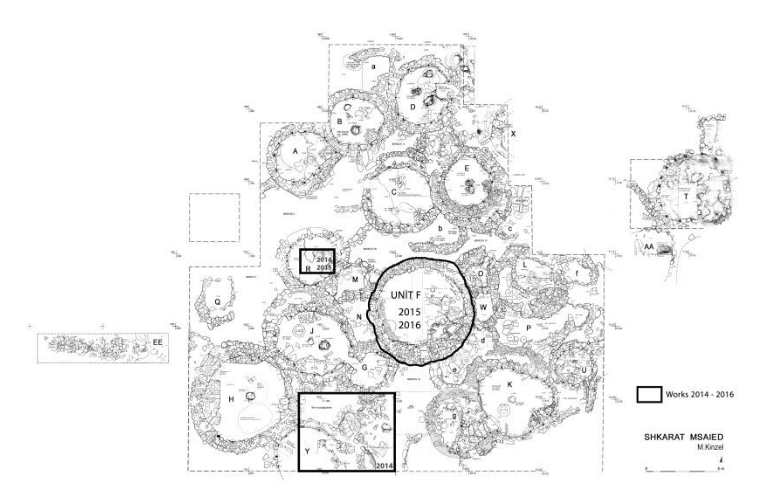
وتعتبر البيوت التي عُثر عليها في طويلان من أبرز النماذج المعمارية الأثرية وهي طويلة وضيقة وتتألف من مجموعة من الغرف، وتُشير المادة المكتشفة إلى أن طبيعة الاستيطان في هذا الموقع كانت منزلية وزراعية خلال تلك الفترة[715]. وقد عُثر على هذه المباني في المناطق التالية:-

1. المنطقة الأولى: عُثر فيها على ثلاثة مبانٍ مبنية بالحجارة، كما عُثر على وحدات منزلية فيها.
2. المنطقة الثانية: عثر فيها على مبنيين اثنين كُشف في احدهما عن أماكن للتخزين.
3. المنطقة الثالثة: وتقع على الجهة الغربية عُثر فيها على جدرانٍ فاصلةٍ تتألف من صفٍ واحدٍ من الحجارة المتوسطة الحجم.

أما أبنية أم البيارة فقد شُيِّدت في موقعٍ مُحصّنٍ، وباستخدام الحجارة المحلية الرملية، وأقيمت المنازل التي كانت أرضيتها صخرية على طول منحدر يتجه من الشمال للجنوب.

---

[714] كفافي، زيدان (2006): تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة: العصور البرونزية والحديدية، دار المقتبس، عمان، 317-319.
[715] Bienkowski, P. (1990): Umm el-Biyara, Tawilan, 91-109



مخطط قرية اشكارة مسيعد[716]

كما كشفت الحفريات الآثارية عن مجموعة من المساكن النبطية في العديد من المواقع، ويمكن تصنيف هذه المنازل إلى نوعين اثنين: نوع مبني بالحجارة ونوع منحوت بالصخر، ويُشير الجغرافي الإغريقي سترابو إلى بيوت الأنباط المبنية بالحجارة ويقول أنها عالية التكاليف[717]، ففي البتراء مثلاً، عُثر على العديد من المنازل النبطية في منطقة الدير والمعيصره الشرقية وبالقرب من الشارع المُعمَّد والكتوتة وبمنحدرات جبل الخُبْثَه بالإضافة إلى الزنطور[718]، ويمكن إيجاز خصائص المساكن النبطية المبنية بالحجارة فيما يلي[719]:-

1. بعض البيوت يتألف من طابق واحد وبعضها من طابقين مبنيين بالحجارة المحلية المشذبة وشبه المشذبة، وتتألف هذه البيوت من مجموعة من الغرف التي قُصرت جدرانها في بعض الحالات.
2. أُلحقت بهذه البيوت مرفقات ومنشآت مائية على شكل خزانات وقنوات لجمع الماء وتخزينه.
3. تفاوتت أعداد الغرف والحجرات وأحجامها، وكانت مداخلها متجهة باتجاهات مختلفة، كما جاءت مخططات بناء المنازل النبطية في البتراء وغيرها من المواقع النبطية الأخرى متماثلة، وهي ذات مخططات مربعة تقريباً.
4. استخدمت الأخشاب في الغالب لتسقيف البيوت، كما استخدمت الأقواس أحياناً لسقف بعض الغرف، وهذه الغرف هي في الغالب صغيرة وجدرانها سميكة، أما أرضياتها فهي من الرمل والطين المدكوك، وكانت مبلطة أحياناً بحجارة رملية. أما ساحات البيوت

---

[716] Kaliszan L., Hermansen B., Jensen C. , Skuldbøl T., Bille M., Bangsgaard P., Sørensen M. , Markussen B. (2002): Shaqarat Mazyad.

[717] Strabo, The Geography of Strabo, 16.4.26.

[718] Parr, P. (1960): Excavations at Petra 1958-59; 129-31; Zeitler, J. (1990): Houses, Sherds and Bones: Aspects of Daily Life in Petra. In: The Near East in Antiquity, Volume 1 (Ed. Kerner, S.), Al-Kutba Publishers, Amman, 386-88; Khairy, N. (1990): The 1981 Petra Excavations.

[719] للمزيد انظر الخطاطبه، محمد (2005): عمارة الأنباط السكنية.

فكانت مبلطة بحجارة جيرية، في حين أن جدرانها مبنية من صفين من الحجارة وملئت الفراغات بين هذين الصفين بالحجارة الصغيرة، ويتراوح سمك الجدران بين نصف متر و 70سم.

5. إن معظم البيوت النبطية قد شهدت استيطاناً خلال الفترات التي تلت ضم المملكة النبطية من قبل الرومان، إذ استخدم بعضها خلال الفترة البيزنطية، كما استمرت نفس تقنية البناء في الفترات اللاحقة ولكن بجودة بدأت تقل تدريجياً.
6. تفتقر المنازل النبطية إلى وجود نوافذ، واستعيض عنها بوجود عدة ساحات مكشوفة كانت تُمثِّل مصدر التهوية الرئيس.
7. تتميز بعض البيوت، وخصوصاً تلك التي يبدو أنها كانت تعود لأغنياء، بوجود حمامات ملاصقة للبيوت كتلك التي عثر عليها في خربة الذريح والزنطور ووادي موسى. وقد زخرفت أرضيات هذه الحمامات كما هو الحال بحمام وادي موسى المزين بأرضية فسيفسائية. كما كُشف في الزنطور عن زخارف جدارية من الفريسكو ويبدو أن الفسيفساء الزجاجية قد استخدمت لتزيين بعض جدران منازل الزنطور.

ومن أفضل الأمثلة على المساكن النبطية تلك التي عُثر عليها بمنطقة الزنطور بالبتراء بالقرب من "المعبد الجنوبي"، حيث أجرت بعثة سويسرية من جامعة بازل حفريات هنا أسفرت عن وجود منطقة سكنية تعود للفترتين النبطية والرومانية. وقد عُثر على أربعة بيوت مميزة هنا: البيت (1) يقع في الجهة الشرقية للزنطور حيث تم اكتشافه بين الأعوام 1988-1992 إذ بني هذا البيت خلال الفترة النبطية وتمت إعادة بنائه مع بداية الفترة البيزنطية، وهو يتكون من طابقين الثاني مدمر تماماً، أما الأول فهو يتألف من بهو للاستقبال بالإضافة إلى مجموعة غرف مُزيَّنة بالجص وساحة مكشوفة مستطيلة الشكل، وهناك جزء آخر مخصص للسكن؛ وقد وجدت على بعض جدران هذا البيت قصارة ملونة.

أما البيت (2) في الزنطور فيقع إلى الغرب من البيت (1) ويتألف من أقسام مشابهة للبيت السابق: غرف وساحات مستطيلة الشكل وبأرضية بعض الغرف توجد قناة لتصريف الأمطار . أما البيت رقم (4) فيقع إلى الجنوب من البيت رقم (1) جنوبي التل وهو أكبر مسكن نبطي يُعثر عليه في المنطقة، وهو بناء مربع الشكل طول ضلعه 35م، ويتكون من طابقين يقع مدخله الرئيسي في الجهة الشمالية حيث يبدو أن المدخل كان مزخرفاً، ويتكون المسكن من مجموعة من الغرف والساحات المستطيلة، وقد زُوِّد هذا البيت بنظام مائي يتألف من خزانات مائية مستطيلة وإجاصية الشكل، وهناك قناة تمر تحت أرضية البيت، وهذه الخزانات مقصورة من الداخل حيث كانت المياه تأتي إلى هذه الخزانات من خلال قناتين تجلبان المياه من خزان رئيسي خارجي وتتم تصفيه المياه قبل وصولها إلى هذه الخزانات. كما عُثر على حمامٍ مرتبطٍ بهذا البيت يشتمل على

مجموعة من الغرف منها غرفة للمرجل، وكان لهذه الغرف أرضية قرميدية مثبَّتة بالجص الممزوج مع الكسر الفخارية وهذه الغرف هي: الباردة والساخنة والدافئة بالإضافة إلى غرفة أخرى خُصِّصت لتغيير الملابس، كما كُشف عن مجموعة غرف أضيفت لاحقاً للبيت.

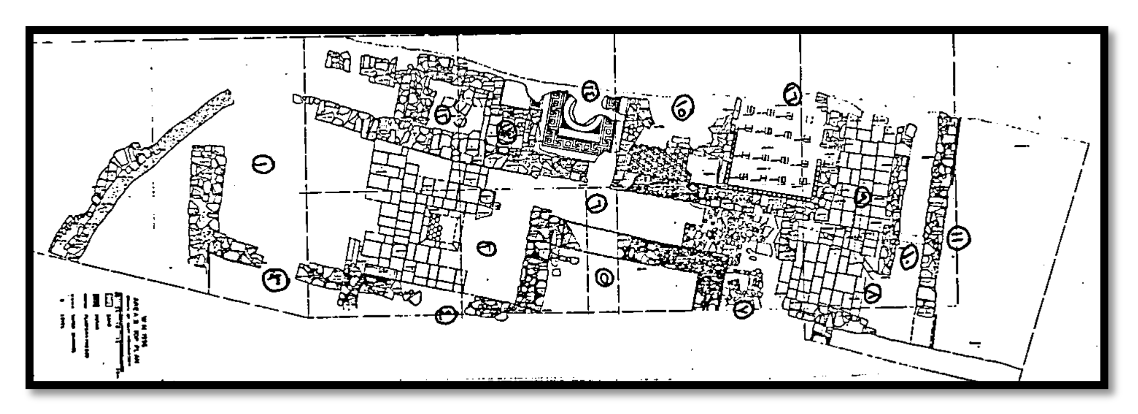


صورة جوية لمنطقة الزنطور (تصوير ديفيد كينيدي)

أما بخصوص فيلا وادي موسى النبطية فقد عُثر على بقاياها أثناء إجراء حفرية إنقاذيه بمنطقة السوق وقد تم إزالة البناء لاستكمال بناء بعض المباني المجاورة، وتتألف هذه الفيلا من غرفٍ وساحاتٍ وحمامٍ يقع في الجهة الغربية من الفيلا، وهو مشابه لحمامات كُشف عنها ملاصقة لفللٍ نبطيةٍ أخرى كذلك الذي عُثر عليه في خربة الذريح والزنطور بالبتراء، وتحتوي الفيلا على فريسكو ورسومات جدارية[720]. وقد كشفت الحفريات عن كسر جص وفريسكو كانت على ما يبدو تغطي الجدران الداخلية لصالة الاستقبال والأجزاء السكنية حيث كانت هذه الأجزاء مزينة برسومات تُمثِّل أشكالاً نباتية كالكرمة والزيتون بالإضافة إلى الأشكال الهندسية[721]، وتم تبليط غرفة الحمام بفسيفساء بيضاء وسوداء اللون تمثل أشكالا هندسية وهي أقدم فسيفساء نبطية يعثر عليها حتى الآن.

---

[720] Tweissi, S. (2005): Sedentarization of a Nomadic society, 258-316.
[721] Twaissi, S. (2004), Sedentarization of a Nomadic society, 297.



مخطط الفيلا النبطية التي كُشف عنها في وادي موسى[722]

لقد كشفت الحفريات في منطقة خربة النوافله عن قرية نبطية تتألف من عدة بيوت حيث بلطت أرضيات هذه المنازل بالحجارة المنتظمة وقد زود أحد البيوت بـ "طابون" ومطبخ وعُثر في المنطقة على معصرة زيتون تؤرَّخ للقرن الأول قبل الميلاد بالإضافة إلى أدلة أخرى تشير إلى نشاطات زراعية، وخزان كبير لتجميع المياه تصل سعته الإجمالية حوالي 530 متر مكعب ويرتبط به نظام قنوات[723].

ومن الجدير بالذكر أن الحمامات النبطية التي ألحقت بالفلل هي ذات مخطط مشترك يتألف من ثلاث وحدات رئيسية وهي القاعة الباردة، القاعة المعتدلة الحرارة والقاعة الساخنة التي تعتبر أهم أقسام الحمام.

أما بخصوص المباني السكنية المنحوتة في الصخر، فهي تتوزَّع في العديد من الأماكن في البتراء حيث تتكون هذه المنازل من حجرة واحدة كما هو الحال بالحجرة التي تحولت لتصبح متحفا لآثار البتراء أو تتألف من مجموعة من الحجرات أحياناً، وكانت تستخدم الحجارة أحياناً لاستكمال بعض مباني هذا النوع من المساكن.

---

[722] الطويسي، سعد، (2001): دراسة للمخلفات النبطية المكتشفة في حفريات وادي موسى لعام 1996، شكل 5.

[723] 'Amr, K. Al-Momani, A., Nawafleh, N., and Nawafleh, S. (2000):Summery, 233-239.

الفصل الخامس: صناعات البتراء

الفصل الخامس

صناعات البتراء

سنناقش في هذا الفصل عدداً من الصناعات التي برع فيها أهل البتراء خلال العصور المختلفة، حيث يشتمل على عرضٍ لأبرز الصناعات المعدنية وصناعة الفخار، وصناعة التماثيل الفخارية، والصناعات الزجاجية، وصناعة المسكوكات، والإصدارات النقدية النبطية الرومانية التي عُثر عليها في البتراء، والصناعات الخشبية وغيرها من الصناعات.

أولاً: استخراج الأنباط للخامات المعدنية

كان الأنباط بارعين باستخراج الخامات الطبيعية حيث قاموا باستخراج المعادن لصناعة الأدوات المعدنية المختلفة والمجوهرات والأدوات المعدنية التي كانت تستخدم لنحت الواجهات وصناعة المسكوكات، كما استخرجوا القار من البحر الميت وربما صنعوا العطور، وبرعوا كذلك في صناعة المنسوجات والسلال والصناعات الخشبية والجلدية المختلفة.

يشير سترابو إلى أن الذهب والفضة كانتا من الصناعات النبطية المحلية، ويذكر أن المواد المعدنية الأخرى كانت تستورد[724]، ولكن هذا الرأي غير صحيح في ضوء الأدلة الأثرية فقد قام الأنباط بإنتاج البرونز والحديد والنحاس، أما بالنسبة للاحتياجات الإضافية من المعادن الأخرى فيبدو أنها كانت تستورد من الجزيرة العربية ومصر؛ وذلك لعدم توفر خامات كافية من هذه المعادن وخصوصاً الذهب داخل حدود المملكة النبطية بالقدر الذي تتوفر به في الجزيرة العربية كما يذكر ديودوروس[725]، ويذكر سترابو أن أمة معينة من جنوب الجزيرة العربية كانت تبيع الذهب إلى جيرانها بسعرٍ رخيصٍ[726]، ويبدو أن الذهب كان يستورد ومن ثم كانت تتم صناعة المواد المنوي تشكيلها منه .

وقد كشفت الحفريات الأثرية عن موادٍ معدنيةٍ مُصنَّعة من الحديد والبرونز في العديد من المواقع النبطية[727]، وقد زودتنا النقوش النبطية ببعض المصطلحات المرتبطة بالتعدين والتي تشير إلى

[724] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.VI.26.
[725] Diodorus, The Library of History, III.45.6-8.
[726] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.IV.18.
[727] Hammond, Ph. (1995): Nabataean Architectural Technology. SHAJ 5, 216; Hammond, Ph. (2000): Nabataean Metallurgy: Foundry and Fraud. In: The Archaeology of Jordan and Beyond - Essays in Honor of James Sauer. (Eds: Stager, L., Greene, J. and Coogan, M.) Harvard University Press, Cambridge, 146.

وجود مختصين بهذا المجال بالمجتمع النبطي مثل ق ي ن ا "الحداد" [728] ص ي غ ا " الصائغ" ، ن ح ش ا " النحَّاس"[729]

لقد كان هناك بعض المناجم التي اعتاد الأنباط على استخراج حاجياتهم منها مثل فينان، تمنا، صبرا جنوب البتراء وسيناء[730]، كما كان الأنباط رواداً في استخراج القار من البحر الميت منذ القرن الرابع قبل الميلاد، وقد حاول قادة السلوقيين خلال هذه الفترة السيطرة على استخراجه فأوعز أنتيغونوس إلى هيرونيموس أن يُعدّ قوارب ويهاجم الأنباط في ذلك المكان وأن يجمع القار. وعندما هاجم السلوقيون المنطقة، قام حوالي ستة آلاف شخص من المقيمين في المنطقة بالإبحار على طوافات لملاقاة الجيش السلوقي[731]؛ وتُشير هذه الحادثة إلى أهمية القار للأنباط التي دفعتهم لخوض معركة بحرية.

يتحدث ديودوروس عن البحر الميت كبحيرة كبيرة تنتج الإسفلت (القار) بكثرة حيث كان يُشكِّل مورداً رئيساً للأنباط، حيث يذكر أن كتلة كبيرة من الإسفلت كانت تخرج من وسطه مرة واحدة كل عام، وعند خروجها كان الأنباط (الذين يسميهم البرابرة) الذين يعيشون حول البحيرة يستخدمون طوافات بدلاً من القوارب للوصول إلى هذه الكتلة، وكان يبحر ثلاثة رجال على الطوافة المصنوعة من الأشجار، اثنان يقومان بتوجيه وقيادة الطوافة بالمجاديف في حين يحمل الثالث سلاحاً لمهاجمة أي شخص يعترض طريقه من الجانب الآخر من البحر، وعندما يصلون القار يهجمون عليه بفؤوسهم ويقطِّعونه ويحملونه على الطوافات ويعودون به[732]، ويذكر أن الأنباط كانوا يصدرونه بعد ذلك للمصريين الذين كانوا يستخدمونه في التحنيط وكمكوِّن للصناعات العطرية[733].

ويذكر سترابو أن البحر الميت كان ينتج الإسفلت[734]، كما يُكرّر جوسيفوس ذلك ويقول أن الإمبراطور الروماني فسبسيان جاء لاستكشافه[735]، ويُشير بليني أيضاً إلى استغلال القار من البحر الميت[736].

لقد استخرج الأنباط القار واحتكروا تجارته وإنتاجه، وكانت مصر سوقهم الرئيس لبيع هذه السلعة، ولكن هل كان البحر الميت المصدر الأساسي للقار في بلاد الشام ومصر؟ لقد عُثر على أدلة تُشير إلى وجود مصادر أخرى للقار بالقرب من خليج السويس، حيث تم تحليل عينات

---

[728] الذييب، سليمان (2014): المعجم النبطي، 229.

[729] CIS II 158.372.

[730] Negev, A. (1977): The Inscriptions of Wadi Haggag, Sinai. Qedem 6- Monograph of the Institute of Archaeology, the Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem, 73.

[731] Diodorus, The Library of History, XIX.100.1-3.

[732] Diodorus, The Library of History II.48.607, 8, XIX.98-99.

[733] Diodorus, The Library of History, XIX.99.

[734] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.II.42.

[735] Josephus, War, IV.476.

[736] Pliny: Natural History, XXXV.180, 182.

من القار أخذت من مومياوات تعود للفترة ما بين القرن التاسع قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، وعينات أخرى أخذت من منطقة خليج السويس والبحر الميت، وبيّنت نتائج هذه الدراسات المخبرية أنه وعلى الرغم من قرب خامات القار الموجودة بالسويس للسوق المصرية، فإن قار البحر الميت كان الأكثر تفضيلاً عند المصريين بسبب طبيعته شبه الجافة الأمر الذي يجعله ينقل بسهولة[737].

ثانياً :صناعة الفخار

يُعتبر الفخار الآدومي من أقدم النماذج الفخارية التي عُثر عليها في منطقة البتراء وجوارها وهو يؤرَّخ للفترة التي تلي القرن الثامن قبل الميلاد، وقد عُثر عليه في العديد من مناطق البتراء مثل بعجه والساده وطويلان، وتعدَّدت أشكال هذه الأواني، ومعظمها مصنوع باليد من عجينة خشنة أضيفت إليها بعض الشوائب، وزُيِّن بأشكال خطوط أو نقاط باللونين الأحمر والأسود، كما تعددت أشكال الأيدي[738]، وقد عُثر على فخاريات ملونة ضمن الطبقات السكنية في طويلان، وهذا الفخار مصنوع بالدولاب، كما عُثر على فخار من النوع المعروف باسم فخار النقب[739].

يعتبر الفخار من أبرز المنجزات الحضارية النبطية، حيث أنتج الأنباط أنواعاً مختلفة منه، فمن هذه الأنواع ما كان مخصصاً للاستخدامات اليومية، ومنها ما كان مخصصاً للاستخدامات الدينية على ما يبدو، ويرى بعض الباحثين[740] أن الفخار النبطي، وفي مراحله الأولى، قد تبع أشكال الفخار الهلنستي التي عُثر عليها في منطقة شرق حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك من خلال الأشكال المدورة ذات الحواف المثنية للداخل والخارج أو بالتشابه من حيث السماكة التي كانت تصل لحوالي 4 ملم؛ في حين يرى آخرون أن الفخار النبطي المبكر قد تطوَّر مباشرة عن الفخار الآدومي[741] الذي يعود للقرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وبشكلٍ عامٍ، يمكن تقسيم الأواني الفخارية النبطية حيث الشكل إلى نوعين: أواني مفتوحة كالأطباق والزبادي والصحون وهي أكثر الأواني التي يُعثر عليها في الحفريات، وقد زُيّنت هذه الأواني بخطوط حمراء غامقة على وجهها الداخلي، وطُليت غالباً ببطانةٍ حمراء على سطح برتقالي الشكل، ويبدو أن هذا تأثير هلنستي متأخر، أما النوع الثاني فهي الأواني المغلقة كالجرار.

ويمكننا أن نستنتج أن الفخار النبطي قد بُدِىءَ بإنتاجه مع بداية القرن الأول قبل الميلاد، وفي حوالي عام 50 ق.م ظهرت أشكال وزخارف جديدة على الأواني الفخارية النبطية ومثَّلت الزبادي

---

[737] Harrell, J. and Lewan, M. (2002): Sources of Mummy Bitumen in Ancient Egypt and Palestine. Archeometry 44:2, 94.

[738] كفافي، زيدان (2006): تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة، 321-324.

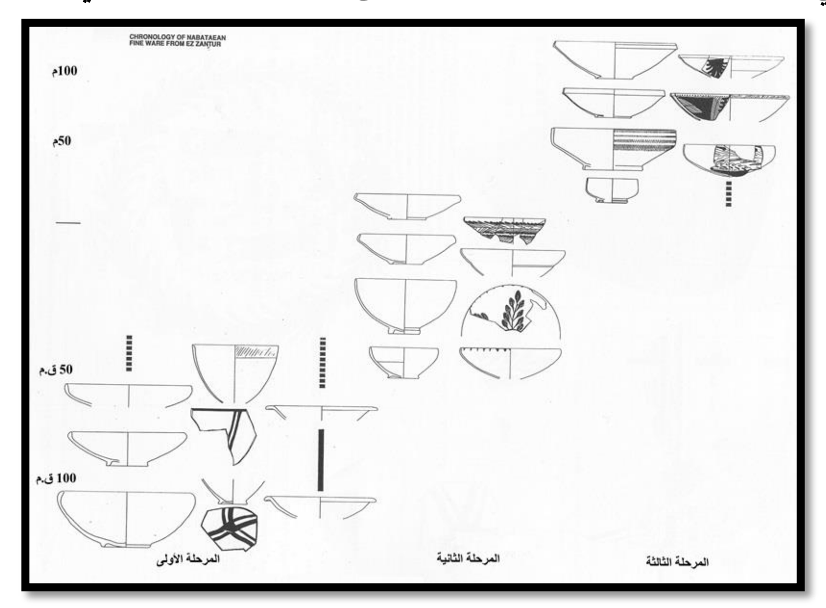
[739] Bienkowski, P. (1990): Umm el-Biyara, Tawilan, 91-109.

[740] Schmid, S. (2001): The Nabataeans. Travellers between Lifestyles, 367–426.

[741] Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, 105-204.

المفتوحة والأطباق أبرز أنواع فخاريات هذه الفترة، وأصبح الفخار أكثر رقة من سابقه. وبحلول عام 25 ق.م نلحظ تأثيرات من بلاد النهرين وإيران على الفخار، وتحوَّل لون الزخارف من اللون الأحمر الغامق إلى لون أقرب للبنفسجي والبني. وظهرت خلال الفترة الممتدة بين (50 ق.م– 20م) أشكال وأواني فخارية جديدة كالمطرات الصغيرة، وانتشرت في هذه الفترة الزبادي المنبسطة، أما الزخارف التي رُسمت على أواني هذه الفترة فكانت تتراوح ألوانها ما بين البني الغامق إلى الأسود وكان حجمها كبيراً، وتنوعت الأواني بأحجامها فمنها ما هو كبير أو صغير كالكؤوس التي كانت تحمل زخارف مطبوعة محززة، كما قام الأنباط خلال هذه الفترة بإنتاج أواني خاصة للعطور الزيتية تشابه الرومانية التي صُمِّمت لهذه الغاية مع وجود بعض الاختلافات[742].

أما خلال القرن الأول للميلاد ومع نهايته بالتحديد فقد صُنعت أواني تتميَّز بأن لها حوافٍ صغيرة رقيقة مزخرفة بسعف النخيل المحوَّر، بالإضافة إلى العديد من الأشكال الهندسية، واستمر إنتاج الفخار النبطي خلال الفترة الرومانية وامتد إنتاجه حتى القرن الخامس الميلادي.



شكل يبين تطور زخارف الفخار النبطي الملون[743]





أواني فخارية نبطية (تصوير الباحث)

[742] Khairy, N. (1980): Nabataean Perfume Ungentaria. BASOR 240, 85-92; Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.

[743] Schmid, S. (2001): The Nabataeans. Travellers between Lifestyles.

أنتج الأنباط فخاراً مميّزاً لم يُعثر على مثيل له في كل مناطق العالم القديم حيث صنعوا ثلاثة أنواع مميزة من الفخار يمكن إيجازها فيما يلي:-

1. الفخار الرقيق (الملون ذو اللون الأحمر الغامق وغير الملون)، ويتميز برقته المتناهية حيث شَبَّه الباحثون سماكته بسماكة قشرة البيض[744]، وقد عكس الفنان النبطي مجموعة من الزخارف على بدن هذه الأواني وخصوصاً على الأطباق والزبادي من الداخل، وتتمثَّل هذه الزخارف بالأشكال النباتية والأوراق والفاكهة كالرمان والعنب والنخيل، بالإضافة إلى استخدام الفنان لبعض الزخارف الهندسية الشكل، كما كانت تستخدم وفي حالات قليلة صور الحيوانات[745]، ويمكن تقسيم أنواع زخارف الفخاريات النبطية الملونة إلى المجموعات التالية[746]:-

أ. الخطوط اللولبية الطبيعية والخطوط الهندسية.

ب. أنماط الزخرفة الشوكية.

ت. زخرفة النقاط وأشكال العين والخطوط المتقاطعة.

ث. أشكال الثمار المحوَّرة وأوراق الأشجار والنباتات.

ج. زخرفة سعف النخيل.

وجاءت هذه الزخارف على الأطباق الفخارية موزَّعة حيث قُسِّمت أحياناً إلى نصفين أو ثلاثة أو أربعة أجزاء، ووزِّعت الزخارف أحياناً ضمن أشكال شعاعية أو دائرية[747].

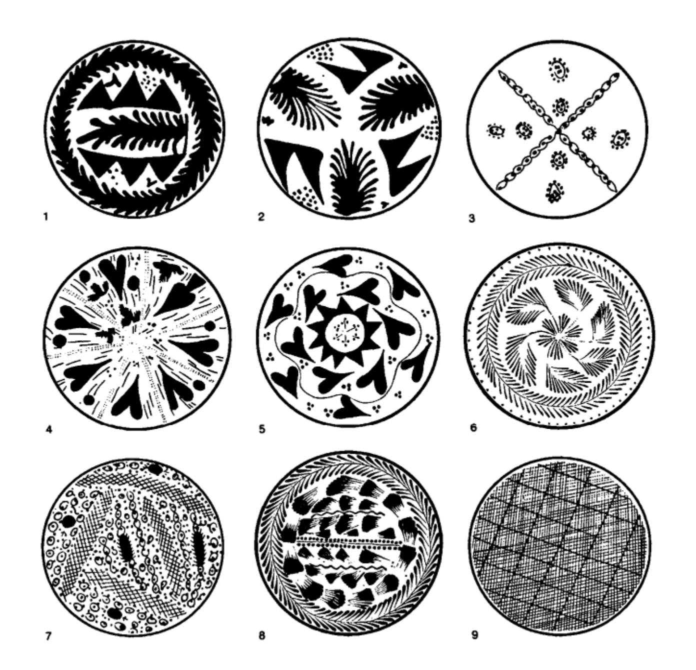
---

744 Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, 2-4, 105-204, Plates 6-49.

745 Schmitt-Korte, K. (1984): Nabataean Pottery: A typological and Chronological Framework. Pp 7-40 in A. M. Abdalla, S. Al-Sakkar and R. Mortel (eds), Pre-Islamic Arabia, Studies in History of Arabia II, Riyadh: King Saud University.

746 Schmitt-Korte, K., (1984): Nabataean Pottery, 7-40.

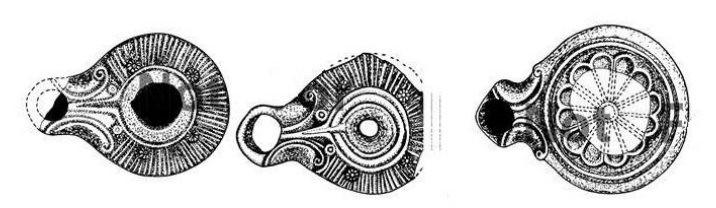
747 Schmitt-Korte, K., (1984): Nabataean Pottery.



صورة لأنماط زخرفة الأطباق الفخارية النبطية[748]

2. الفخار الخشن، وهو الفخار الخشن العادي الذي كان يستخدم بكثرة في الأعمال المنزلية اليومية، ويتميَّز هذا النوع بسماكته وعدم نقاء عجينته ذات اللون الأحمر أو البني، وقد صُنعت من هذا النوع أشكال متنوعة من الأواني الفخارية كجرار الطبخ والزبادي وجرار التخزين.
3. **فخار التيرا سيجلاتا** وهو فخار بني ذو بطانة لها لمعان خفيف غير ملونة، وصُنع هذا النوع من الفخار ما بين القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، وقد عكس الفنان النبطي على بدن أوانيه هذه زخارف نباتية كسعف النخيل.

قام الأنباط بصناعة العديد من أنواع التماثيل الفخارية الصغيرة التي تصور أشكالا وحيوانات ومعبودات حيث شملت هذه التماثيل أشكال حيوانات كالجمال والخيول وغيرها كما سنشير لاحقاً، كما صنع الأنباط أسرجة مميزة مستديرة وبيضاوية الشكل، وكانت تُزخرف أحياناً ببعض الأشكال النباتية والصور الغرامية/ الإيروتيكية والمواضيع المستوحاة من الأساطير اليونانية، كما كانت قواعد الأسرجة تحمل بعض الكلمات النبطية أحياناً[749].



[748] Schmitt-Korte, K., (1984): Nabataean Pottery.

[749] انظر: Khairy, N. (1990): The 1981 Petra Excavations.

نماذج من الأسرجة الفخارية النبطية[750]

لقد كشفت لنا الحفريات الآثارية حتى الآن عن عدة مواقع لإنتاج الفخار، حيث يبدو من مواقع هذه الأفران أنها كانت تقام عادة بعيداً عن المنطقة السكنية لاعتبارات بيئية، فقد عُثر في منطقة الزُرابه في وادي موسى على سبعة أفران لصناعة الفخار[751]، وهي مبينة بالطوب وتعود للعهود الممتدة ما بين الفترة النبطية وحتى القرن الخامس للميلاد[752]، كما عُثر على فرنٍ فخاريٍ في اذرح[753]، واكتشف فرن فخاري ثالث في منطقة عبده بجنوب فلسطين[754].



بعض الأواني الفخارية التي لم تكتمل صناعتها حيث ألقيت فوق بعضها قبل جفافها (عُثر عليها في الزُرابه ومعروضة في مركز زوار البتراء، تصوير الباحث)

ومن الجدير بالذكر أنه عُثر على فخاريات نبطية في العديد من المواقع خارج حدود المملكة النبطية، مما يشير إلى نشاطات تجارية؛ فقد عُثر على كسرٍ فخاريةٍ نبطيةٍ في منطقة ثاج بالمملكة العربية السعودية، وجزر فرسان بالبحر الأحمر، ومأرب باليمن وخور روي بعمان، والقصير بمصر، وأنطاكيا وبمنطقة ابهاياجيري فيهارا في سيريلانكا[755]

ويبدو من خلال المادة الأثرية المكتشفة استمرارية إنتاج الفخار النبطي في الفترة الرومانية على النحو الذي كان موجوداً قبل تأسيس الولاية العربية، فظهرت أشكال فخارية جديدة خلال الفترة الرومانية[756]، وصاحبها ظهور زخارف وتقنيات صناعية جديدة، فحدثت تطورات عديدة في

---

[750] Khairy, N. (1990): The 1981 Petra Excavations.

[751] Zayadine, F. (1982): Recent Excavations at Petra (1979-81), 362-86; 'Amr, K. (1991): Preliminary Report on the 1991 Season at Zurrabah. ADAJ 35, 320-21; 'Amr, K. and al-Momani, A. (1999): The Discovery of Two Additional Pottery Kilns at az-Zurraba /Wadi Mousa. ADAJ 43, 176-78.

[752] 'Amr, K. (1991): Preliminary Report on the 1991 Season at Zurrabah. ADAJ 35, 320.

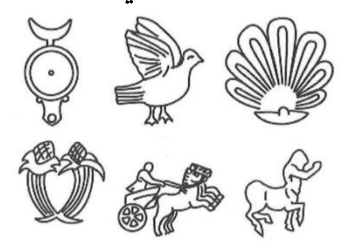
[753] Killick, A. (1987): Udruh and the Trade Route through Southern Jordan. SHAJ 3, 178.

[754] Negev, A. (1986): The Late Hellenistic and Early Roman Pottery of Nabatean Oboda, Final Report. Qedem 22- Monograph of the Institute of Archaeology, The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.

[755] Schmid, S. (2004): The Distribution of the Nabataean Pottery and the Organization of Nabataean Long Distance Trade. SHAJ VIII, 414-426.

[756] Gerber, Yvonne (2003): Remarkable changes in two centuries of Nabataean coarse ware: New Analyses Show Systematic, Time-dependent Alteration of Chemical Composition, *Proceedings of the 6th European Meeting on Ancient Ceramics Fribourg*, Switzerland 3 6 October, edited by S. DiPierro V. Semeels M. Maggett, Fribourg; Dolinka, B. (2006): Arabia Adquisita? Ceramic Evidence for Nabataean Cultural Continuity during the Periods: The Aqaba Ware from Horat Dafit, Ph.D. Dissertation, Philosophy and Archaeology, University of Liverpool, Liverpool.

صناعة العديد من الفخاريات، فحدث تطوّر –على سبيل المثال– في صناعة الأسرجة في البتراء، وظهرت أشكال جديدة لم تكن معروفة سابقاً، كما تمّ تصوير مشاهد جديدة على هذه الأسرجة لم نُشاهدها من قبل، ولكنها كانت شائعة في بعض أرجاء الإمبراطورية الرومانية[757].



بعض أنواع الزخارف التي ظهرت على الأسرجة الفخارية التي صُنعت في البتراء خلال الفترة الرومانية[758]

ومن أبرز الأواني الفخارية التي تعكس تطوراً واستمرارية في الصناعة قوارير العطور النبطية، فحدث تطور في صناعتها خلال الفترتين النبطية والرومانية، وتم تقسيمها اعتماداً على شكلها وتقنية صناعتها ونوع عجينتها إلى أربع مراحل زمنية، تؤرَّخ للفترة ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثالث الميلادي [759].



قارورة عطر فخارية (تصوير قيس الطويسي)

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي أصبحت بعض الأواني الفخارية سميكة واحتوت عجينتها على شوائب، وكان الفخار الذي صنع خلال هذه الفترة غير مصقول، ذا بطانة رمادية مائلة للون الأبيض، في حين كانت العجينة رمادية مائلة للون الأخضر، وكانت غير محروقة حرقاً جيداً، أما مع نهاية هذا القرن فقد أصبحت الأشكال الفخارية محدودة[760].

ما تزال معلوماتنا عن الفخار الإسلامي المبكر في البتراء محدودة، فقد عُثر على نماذج من الفترات الإسلامية المبكرة في جبل هارون على سبيل المثال، وكُشف عن أوانٍ تعود للفترتين

---

[757] Grawehr, M. (2011): The Roman lamps of Nabataean Petra, in Lampes antiques du Bilad es Sham. Jordanie, Syrie, Liban, Palestine, *Ancient lamps of Bilad esh Sham*, 11-30.

[758] Grawehr, M. (2011): The Roman lamps of Nabataean Petra.

[759] Johnson, David (1987): *Nabataean Trade: Intensification and Culture Change*, PhD Thesism University of Utah.

[760] Silvonen, S. (2013): Nabataean-Roman, Byzantine and Early Islamic Pottery from the FJHP Survey In: Kouki, P. and M. Lavento (eds): Petra – The Mountain of Aaron III: The Archaeological Survey, Helsinki: Societas Scientiarum Fennica, 141.

الأيوبية والمملوكية داخل البتراء وخارجها[761]، كما كُشف عن فخاريات تعود للعصرين الأموي والعباسي في البتراء، ومن أبرز هذه النماذج تلك التي عُثر عليها في منطقة جبل هارون[762]، كما عُثر في هذه المنطقة على فخاريات تؤرَّخ للفترة ما بين القرن الحادي عشر والقرن العشرين، ويمكن تقسيم هذه الفخاريات إلى المجموعات التالية[763]:-

1. فخاريات مصنوعة باليد وتؤرَّخ للفترة ما بين القرن الحادي عشر والقرن العشرين، كما عُثر على نماذج منها في منطقة خربة النوافله في وادي موسى.
2. فخاريات غير مزجَّجة مصنوعة بالدولاب، عُثر على نماذج منها في خربة النوافله والوعيرة.
3. فخاريات مزجَّجة مصنوعة بالدولاب، وقد عُثر عليها في العديد من المناطق مثل الوعيرة، ووادي فَرَسَه وبيضا، كما عُثر على فخار مزجج مستورد.
4. فخار غزة، وهو يؤرَّخ للفترة ما بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكان شائعاً في منطقة شرق الأردن خلال هذه الفترة.

ثالثاً: التماثيل الفخارية

صنع الإنسان التماثيل الطينية في المشرق القديم بدءاً من العصر الحجري الحديث، والأمثلة عليها متعددة، ومنها نماذج عُثر عليها في منطقة بيضا شمالي البتراء[764].

لقد كشفت الحفريات الأثرية عن المئات من التماثيل الفخارية في البتراء وغيرها من المواقع النبطية، حيث عُثر على بعضها ضمن سويات (طبقات) نبطية، والبعض الآخر ضمن سويات تؤرَّخ للفترة الرومانية وبداية الفترة البيزنطية، ويمكن تقسيم هذه التماثيل إلى المجموعات التالية[765]:-

[761] انظر على سبيل المثال: عمرو، خيريه (2003): الأرض والإنسان، 33؛ Sinibaldi, M. (2013): The pottery from the 11th-20th centuries from the FJHP survey. Ceramics, Settlement and Pilgrimage at Jabal Harun during the Late Islamic periods, in Pp. 169-197 P. Kouki and M. Lavento (eds.) Petra, the Mountain of Aaron. Vol. III. The Archaeological Survey.

[762] Silvonen, S. (2013): Nabataean-Roman, Byzantine and Early Islamic Pottery, 141.

[763] Sinibaldi, M., (2013): The pottery from the 11th-20th centuries from the FJHP survey. Ceramics, Settlement and Pilgrimage at Jabal Harun during the Late Islamic periods", in: P. Kouki and M. Lavento (Eds.), Petra, the Mountain of Aaron: the Finnish archaeological project in Jordan, Helsinki, 169-192; Tonghini, C. and Vanni Desideri, A. (1997): The material evidence from al-Wu'ayra: A sample of pottery. SHAJ 6, 707-719; 'Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results, 244, 247.

[764] Kirkbride, D. (1966): Five seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village at Seyl Aqlat.

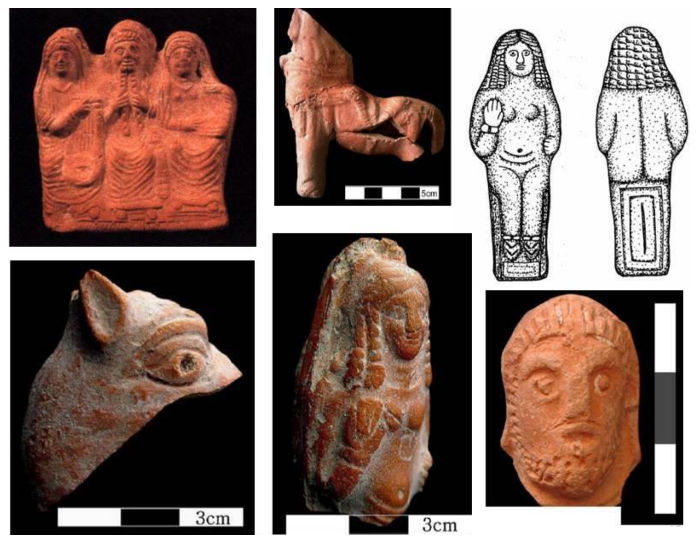
[765] للمزيد انظر: El-Khouri, L. (2002): The Nabataean Terracotta Figurines. BAR-IS 1034, Oxford: Archaeopress؛ Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts.

1. تماثيل بشرية، ومنها تماثيل الإناث، والإناث العاريات الواقفات والجالسات، والإناث المتوَّجات، والرجال (بعضهم متوج أو ملتحٍ أو حليق اللحية) والفرسان، والهجَّانة، وشباب عراة، وموسيقيين (منفردين وبشكل جماعي)، وتماثيل لبشرٍ يحملون طيوراً وغلالاً.
2. تماثيل الآلهة مثل تماثيل إيزيس وأفروديت/ أناديومين والآلهة المُجنَّحة، ونايكي وديونيسيوس، وبيس، وايروس وهيراكليس.
3. أقنعة أو تماثيل كانت تُعلَّق مثل أقنعة المسرح الديونيسية (نسبة لديونيسيوس) والأيزيسية (نسبة لإيزيس) والغورغونية (نسبة لـ Gorgons)
4. أشكال الطيور والحيوانات كالجمال والخيول والحمير والغزلان وذوات الأربع والقرود والقنافذ والأسود.
5. المذابح الصغيرة ومحارق البخور وقواعد التماثيل وقوالب صناعة التماثيل الفخارية.

ويبدو أن هذه التماثيل قد صُنعت لعدة غايات منها[766]:-

1. استخدامها في الطقوس والممارسات والشعائر الدينية، ومنها تلك التي يبدو أنها كانت تُستخدم ضمن سياقاتٍ واحتفالاتٍ دينيةٍ عامةٍ وخاصةٍ.
2. استخدامها كنذورٍ وتقدماتٍ وقرابين كانت تُقدَّم للآلهة، طلباً للخير ودفعاً للشر.
3. استخداماتها في الطقوس الجنائزية، كوضعها مع المتوفى في مدفنه، ومنها ما كان يُستخدم في الاحتفالات الجنائزية التي كانت تُقام بعض الوفاة.
4. استخدامات سحرية، كاستحضار الأرواح وغيرها من الممارسات السحرية.
5. استخدامات تعليمية، فربما صُنع بعضها لغاياتٍ تعليمية خصوصاً تماثيل الحيوانات التي قد تكون استخدمت لتعليم خصائص هذه الحيوانات وصيدها، وربما صُنع بعضها كألعاب للأطفال.
6. تمثيلات لأشخاص مشهورين ذوي مكانة رفيعة في المجتمع وتمثيلات لآلهة.
7. تماثيل صُنعت خصيصاً لأغراض الزينة ولغايات جمالية.

[766] Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts, 246-250.



نماذج من التماثيل الفخارية النبطية[767]

رابعاً:الصناعات الزجاجية

عُثر على كسرٍ زجاجيةٍ تعود للفترات النبطية ضمن السويات الأثرية في عدد من المواقع في البتراء، وعُثر على أوانٍ زجاجية تعود للفترات الرومانية والبيزنطية والإسلامية منها قوارير وأسرجة، ولم يُعثر حتى الآن على أماكن لصناعة الأدوات الزجاجية في البتراء أو المناطق المجاورة لها، ولكن يبدو انه كان يستورد من خارج حدود بلاد الأنباط (الولاية العربية لاحقاً)، فقد ذكر المؤرخ بليني أن فينيقيا كانت مركز إنتاجه الرئيس[768]. ومن أكبر المجموعات الزجاجية التي عُثر عليها في البتراء تلك التي كُشف عنها في الكنيسة الرئيسة والتي بلغ وزنها حوالي 32 كغم[769]، وقد تمَّ تصنيف هذه المعثورات إلى ثلاثة مجموعات[770]، أولاها مجموعة أواني زجاجية شفافة تُمثِّل بقايا أسرجه زجاجية بالإضافة إلى كسرٍ زجاجيةٍ تُمثِّل أجزاء من نوافذ، أما المجموعة الثانية فتتألف من آلاف الكسر الفسيفسائية المتعددة الألوان، وأطلق على المجموعة الثالثة تسمية (الكيك الزجاجي) والتي ربما تمثِّل بقايا صناعات غير مكتملة لزجاج تمت إعادة صهره.

خامساً: صناعة المسكوكات والإصدارات النقدية النبطية

[767] El-Khouri, L. (2002): The Nabataean Terracotta Figurines; Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts.

[768] Pliny, Natural History XXXVI.190

[769] Marii, F., and Rehren, Th., (2009): Archaeological coloured glass cakes and tesserae from the Petra church, in Annales 17e Congrès de l'Association Internationale pour l'Histoire du Verre: AIHV, Antwerp, 295–300.

[770] Marii, F. (2013): Glass Tesserae from the Petra Church. In: New Light on Old Glass: Recent Research on Byzantine Mosaics and Glass, Edited by Chris Entwistle and Liz James, The British Museum, 11-24.

سنناقش تحت هذا العنوان وفي الجزء اللاحق صناعة المسكوكات في مدينة البتراء منذ بداية الإصدار النبطي وحتى نهاية الإصدار الروماني حيث كانت البتراء مدينة سك رئيسية خلال هاتين الفترتين.

تُشكِّل المسكوكات جزءاً هاماً من التراث الحضاري النبطي الذي يلقي الضوء على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتعكس لنا هذه الإصدارات بعض المظاهر الروحية والدينية التي نتمكَّن من خلالها كآثاريين، من دراسة اللغة والخط والفنون التي عكسها الفنان النبطي على وجه وظهر هذه القطع التي يُعثر عليها في كافة أرجاء المملكة النبطية؛ التي امتدت من دمشق شمالاً وحتى مدائن صالح جنوباً، كما يُعثر عليها أيضاً خارج حدود مملكتهم، وقد بدأ الأنباط بإصدار مسكوكاتهم منذ بداية القرن الأول قبل الميلاد واستمر السك دون انقطاع حتى احتلال الرومان لمملكتهم وتأسيسهم للولاية العربية عام 106م.

سكَّ الأنباط نقودهم من معدنين رئيسيين هما الفضة والبرونز، كما كشفت الأعمال الأثرية الميدانية عن نقود ضُربت من الرصاص ولكن بنسبٍ محدودةٍ[771]. وقد طرأت عدة إصلاحات نقدية على هذه الإصدارات النقدية الفضية والبرونزية خصوصاً خلال فترة حكم الحارث الرابع[772]، واختلفت وتعددت الفئات النقدية النبطية من فترة إلى أخرى. وللأسف فالنقود النبطية لا تحمل أية إشارة تدل على فئتها، لذلك دأب الباحثون على تقسيم هذه الإصدارات إلى فئات حسب قطرها ووزنها والمعدن الذي ضُربت منه.

إن الاختلاف بين وزن القطع النقدية الأدنى والأعلى كبير، وقد يصل إلى نسبة 100% أو أكثر ضمن نفس المجموعة النقدية أحياناً، وسبب هذا الاختلاف مرتبط بحجم وسماكة قالب السك[773].

وعلى الرغم من أن اليونان والرومان وغيرهم من شعوب العالم القديم قد سكّوا نقوداً في مناطق ضرب مختلفة ظهرت أسماؤها على نقودهم، إلا أن الأنباط لم يتبعوا هذا التقليد، ولكننا نعتقد أن البتراء كانت مركز السك الرئيس رغم عدم ورود اسمها صراحة على قطعهم النقدية، ويفسِّر الباحثون شكل الدائرة الذي ظهر على عدد كبير من القطع النقدية النبطية بأنه رمز للبتراء، أما مركز السك النبطي الوحيد الذي ظهر اسمه وبوضوح على النقود النبطية فهو الحِجر (مدائن صالح) وبصيغة " ح ج ر ا" [نص نبطي]، وذلك خلال العقد الأول من القرن الأول الميلادي[774].

---

[771] Hoover, O.D., (2006): A Reassessment of Nabatean Lead Coinage in Light of New Discoveries, NCh, Vol.166, 2006, pp.105-119, pl.27-30.

[772] انظر مثلا Schwentzel, C-G., (2010): Arétas IV "Rois des Nabatéens" d'après les Monnaies, NAC, Vol.XXXIX, 2010, pp.233-249.

[773] Schmitt-Korte, K. and Price, M., (1994): Nabataean Coinage- Part III: The Nabataean Monetary System. NCh 154, p. 82.

[774] Meshorer, Y., (1975): Nabataean Coins. Qedem 3 - Monograph of the Institute of Archaeology, The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem, No.87, pp.101-102.

استخدم الأنباط العملة الهلنستية (البطلمية والسلوقية) بالإضافة إلى العملة الفينيقية في معاملاتهم التجارية خلال فترة مبكرة من تاريخهم، وتُعرف هذه الفترة لدى الباحثين بفترة البداوة وعدم الاستقرار حيث لم يكن الكيان السياسي النبطي قد تشكَّل بعد، ورغم ذلك فقد كان الأنباط خلال هذه الفترة يعملون كوسطاء رئيسيين في تجارة السلع القادمة من الجزيرة العربية، وقد بقي الأنباط يستخدمون هذه العملات الأجنبية كوسيلة للتبادل التجاري حتى تسلم الحكم الملك الحارث الثاني (110 –96 ق.م)، الذي سكَّ أول عملة نبطية جاءت على نمط المسكوكات السلوقية البرونزية، حيث تشابه هذه النقود تلك التي سُكَّت في عهد الإسكندر الكبير والإسكندر بالا[775]. وتتميَّز هذه الإصدارات النقدية النبطية المبكرة بافتقارها إلى أية إشارة تؤكد "نبطيتها"، وهي ذات حجم كبير مقارنة بتلك التي سُكَّت في الفترات النبطية المتأخرة، وتحمل رموزاً وكلمات يونانية، كما تظهر عليها صورة ملك معتمراً خوذة وتظهر عليها صورة آلهة إغريقية[776]. ومن الجدير بالذكر أن القطع التي سكَّها هذا الملك قد عُثر عليها في البتراء وغزة، مما يؤكد أهمية غزة كميناء بحري خلال هذه الفترة المبكرة من تاريخ المملكة النبطية[777].

يُعدُّ الحارث الثالث 87–62 ق.م من أعظم ملوك الأنباط، وهو ابن الحارث الثاني، وقام بتوسيع حدود مملكته الشمالية وضم دمشق بناءاً على طلب من أهلها، وساعدته الظروف السياسية في المنطقة على تحقيق هذا الإنجاز، وسكَّ قطعاً نقدية تشابه إلى حدٍ كبيرٍ القطع النقدية السلوقية التي كانت متداولة في المنطقة آنذاك، وقد شابهت إصداراته أيضاً تلك المسكوكات التي سُكَّت في عهد الحارث الثاني، حيث تحمل هذه القطع النقدية صوراً للملك الذي يظهر بملامح هللينية، كما تظهر الآلهة الإغريقية جالسة على صخرة، ويظهر اسم الملك ولقبه باليونانية "فلهلن" أي المحب للهللينية[778]، حيث يبدو أنه حمل هذا اللقب بعد أن اعتبر نفسه وريثاً للسلوقيين في المنطقة بعد أن ضم دمشق إلى مملكته.



صورة لإحدى مسكوكات الحارث الثالث[779]

[775] Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, p. 9.
[776] Schmitt-Korte, K. (1990): Nabataean Coinage- Part II, pp. 125-126.

[777] الرواحنه، مسلم (2005): بداية إصدار المسكوكات النبطية المغفلة. مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العشرون، العدد السادس، 214-195.

[778] Schmitt-Korte, K. (1990): Nabataean Coinage- Part II, p. 126 ; Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, pp. 93-95.
[779] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.

ويبدو أن النقود التي سُكَّت في دمشق كانت نقوداً محلية ضُربت أساساً للتداول في هذه المدينة، على العكس من بقية الإصدارات النبطية التي سُكَّت للتداول في كافة أرجاء المملكة النبطية.

تعتبر فترة حكم عبادة الثاني (62–60 ق.م) من أكثر الفترات غموضاً في تاريخ المملكة النبطية لقلة المصادر التي تؤرِّخ لهذه الفترة، ورغم قِصَرِ فترة حكم هذا الملك وندرة الإصدارات التي سكَّها وقلَّتها، إلا أنه أول ملك نبطي يسكُّ قطعاً نقدية تحمل كلمات نبطية خالصة، وتظهر عليها صورة الملك التي ما زالت تعكس تأثيرات هللينية ويونانية، كما يظهر عليها النسر الذي جاء تقليداً للنسر الذي كان يظهر على القطع النقدية البطلمية، كما حملت هذه القطع اسم الملك وتاريخ السك[780].

يعتبر الملك مالك الأول (59–30 ق.م) خليفة الملك عبادة الثاني، حيث سكَّ نقوداً برونزية وفضية كانت منتشرة على نطاقٍ واسعٍ، ويعزو بعض الباحثين هذا الانتشار الواسع لهذه الإصدارات لحروبه مع هيرود أنتيباتر وتدهور العلاقة النبطية اليهودية خلال هذه الفترة، وقد حملت هذه الإصدارات تاريخاً، كما ظهرت عليها صورة الملك وصور أخرى كالنسر وقرون الرخاء وراحة اليد[781].



قطعة نقدية تعود لعهد مالك الأول[782]

وخلال فترة حكم الملك عبادة الثالث (30–9 ق.م)، صديق روما، تحسَّنت العلاقات النبطية الرومانية، ووجه الرومان حملة ايليوس جالوس إلى الجزيرة العربية حيث كان دليل هذه الحملة، وكما يذكر سترابو في جغرافيته، الوزير النبطي سُلي، وقد تطوَّرت الإصدارات النقدية النبطية خلال فترة حكم عبادة الثالث وبدأت تظهر صورة الملك النبطي وزوجته ولأول مرة في تاريخ الإصدارات النقدية النبطية[783]؛ وتعكس هذه النقود، بشكلٍ عامٍ، تأثيرات فنية بطلمية وهلنستية، ولكن أضفى عليها الفنان النبطي بعض الملامح النبطية، حيث تظهر صورة الملك والملكة بالإضافة إلى أشرطة كتابية تذكر اسم الملك.

---

[780] Schmitt-Korte, K., (1990): Nabataean Coinage- Part II: New Coin Types and Variants. NCh 150, p. 126; Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, pp. 96-97; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 16-20.

[781] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 98; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 20-28.

[782] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.

[783] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 101; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 28-36.



صور لقطعتين نقديتين ضربهما عبادة الثالث[784]

يُعدُّ سُلي من أبرز رجالات الدولة النبطية الذين لعبوا دوراً بارزاً خلال السنوات الأخيرة من حكم الملك عبادة الثالث حيث كان يلقب بـ "أخ الملك". وقد حاول السيطرة على العرش النبطي بموت عبادة عام 9 ق.م ولكنه لم يتمكَّن من ذلك، ويبدو أن سُلي قد سكَّ نقوداً خاصة به، في حين يرى بعض الباحثين أن النقود التي سكَّها هذا الوزير لم تكن إصدارات فردية، بل كانت إصدارات مشتركة مع الملك عبادة الثالث أو الحارث الرابع. ومن الجدير بالذكر أن هذه القطع تحمل صوراً لإكليل الغار بالإضافة إلى اختصارات[785].



صورة لإحدى مسكوكات سُلي (سيلايوس) (المصدر: الباحث)

تعتبر فترة حكم الحارث الرابع (9 ق.م –40 م)[786] من أكثر الفترات ازدهاراً في تاريخ المملكة النبطية، ويمثِّل عصره العصر الذهبي لهذه المملكة، حيث يظهر من خلال الحفريات الأثرية أن بين كل عشر قطع نقدية نبطية مكتشفة ثماني قطع تعود لفترة حكمه، كما أن العديد من الواجهات الصخرية النبطية، وكما تظهر نقوش مدائن صالح القبورية، قد نُحتت في عهده، وتتميز هذه الفترة من تاريخ المملكة النبطية بأنها شهدت إصدار كميات كبيرة من القطع النقدية[787]، مما يعكس تطوراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً كبيراً. وتتميَّز النقود المبكرة التي سكَّها هذا الملك بأنها كانت مشابهة لتلك التي سكَّها الملك عبادة الثالث، حيث تحمل صورته وصورة زوجته الأولى "خالدة"، كما حملت أشرطة كتابية تحمل اسمه ولقبه (رحم عمه= المحب لشعبه)، وتتميز هذه النقود بشكلٍ عامٍ بأنها غير متقنةٍ مقارنة بالمسكوكات التي سكَّها الحارث الرابع خلال الفترة اللاحقة من حكمه، ومن الإصدارات المميزة التي سكَّها هذا الملك تلك القطع التذكارية التي ضربها على ما يبدو تخليداً لذكرى ولادة ابنته "فصائل" ، كما تتميَّز بعض

---

[784] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.

[785] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, pp. 101-103; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 36-41.

[786] أنظر الرواحنه، مسلم (2002): عهد الحارث الرابع من خلال مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية. مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر (1)، البتراء.

[787] الرواحنه، مسلم (2002): عهد الحارث الرابع من خلال مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية.

إصداراته بأنها تحمل رموزاً لم تظهر على إصدارات الملوك الأنباط السابقين كجريد النخل وثمار الرمان وسنابل القمح والصولجان[788].



صور لقطعتين نقديتين ضربهما الحارث الرابع[789]

وتُبيِّن الدراسات أنه خلال الفترة ما بين 3-1 ق.م كان هناك نقص في معدن الفضة في المملكة النبطية، فاضطر الحارث الرابع إلى إصدار قطع نقدية برونزية تحمل عبارة تدل على أن قيمة هذه القطع هي كالقطع النقدية الفضية، ومن القطع المميزة التي سكَّها الحارث الرابع تلك التي تحمل اسم "الحجر" (مدائن صالح) ثاني اكبر مدينة نبطية.

تؤكِّد دراسة معمقة للنقود النبطية التي ضربها الحارث الرابع أنه سكَّ عدة فئات نقدية يمكن تصنيفها اعتماداً على ما ظهر عليها من ألفاظ نبطية إلى الأنواع التالية[790]:

1. فئة "م ع هـ / ك س ف": وقد ظهرت هاتان الكلمتان على نقودٍ برونزيةٍ سُكَّت بدلاً عن النقود الفضية خلال السنتين العاشرة والحادية عشرة لحكم الحارث الرابع (خلال الفترة ما بين 1-3م)[791] وهي تعني فئة نقدية لها قيمة تبلغ 24/1 من الدينار،[792] ويبلغ وزنها 11 غم.
2. فئة "ح ص / ك س ف": وتعني نصف الوحدة، وقد ظهرت هاتان الكلمتان أيضاً على نقودٍ برونزيةٍ سُكَّت بدلاً عن النقود الفضية خلال السنتين العاشرة والحادية عشرة لحكم الحارث الرابع (خلال الفترة ما بين 1-3م) ويبلغ وزنها 5.6 غم[793].
3. فئة "ر ب ع" أو "ر ب و ع": وتعني ربع قيمة الوحدة النقدية، وقد ظهرت على نقودٍ برونزيةٍ سُكَّت خلال السنتين العاشرة والحادية عشرة لحكم الحارث الرابع (خلال الفترة ما بين 1-3م)[794]، ويبلغ وزنها 2.5غم.
4. "ش ل م": وتعني "وحدة كاملة" وقد ظهرت هذه الكلمة على نقود برونزية سُكَّت على ما يبدو خلال السنوات الأخيرة من حكم الحارث الرابع وتحديداً خلال الفترة ما بين

---

[788] Schmitt-Korte, K. (1990): Nabataean Coinage- Part II, p. 129; Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, pp. 103-107; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 40-36.
[789] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.
[790] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 80.
[791] Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, nos. 79, 83.
[792] الرواحنه، مسلم (2002): عهد الحارث الرابع من خلال مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية، ص 82.
[793] Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, nos. 80, 84.
[794] Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, nos. 81, 82.

(39-40م)[795] ويبلغ وزنها 4.2غم، ويرى شميت كورته أنها ضُربت خلال السنوات الأولى من حكمه[796].

5. وأخيراً فئة "س ل ع ي ن / ح ر ت ي" المعروفة لنا من خلال نقوش مدائن صالح فقط، ولم يرد ذكرها على المسكوكات النبطية على الإطلاق، وربما كان ظهور الدائرة وحرف الحاء على عددٍ من الإصدارات اختصاراً لهذه الفئة النقدية.

تولى الحكم بعد وفاة الحارث الرابع ابنه مالك الثاني (40-70 م)، حيث سكَّ قطعاً نقدية تشابه تلك التي سكَّها والده الحارث الرابع خلال السنوات المتأخرة من حكمه، حيث يظهر على هذه القطع رأس الملك النبطي مكللاً بالغار، بالإضافة إلى صورة زوجته، كما ظهر عليها قرنا رخاء متقاطعان، بالإضافة إلى اسم الملك والملكة[797].



صورة لإحدى مسكوكات مالك الثاني[798]

ويعتبر الملك رب ايل الثاني آخر ملك نبطي (70-106 م)، حيث ضُمَّت المملكة النبطية من قبل الرومان في أواخر عهده عام 106 م، وقد ضرب رب ايل نقوداً لم تختلف كثيراً عن تلك التي سُكَّت في عهد مالك الثاني، ولا يمكن تمييزها عنها إلا من خلال الأشرطة الكتابية، وتحمل تلك القطع التي تعود للسنوات الست الأولى من حكمه، صورته وصورة والدته التي كانت وصية على العرش بالإضافة إلى اسميهما، أما الإصدارات التي سكَّها لاحقاً فهي تحمل صورته وصورة زوجته الأولى "شقيلة" ومن ثم زوجته الثانية "هجرو"[799].



[795] Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, nos. 112-113.
[796] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 80.
[797] Schmitt-Korte, K. (1990): Nabataean Coinage- Part II, p. 130 ; Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 107; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 63-70.
[798] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.
[799] Schmitt-Korte, K. (1990): Nabataean Coinage- Part II, p. 130 ; Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, pp. 107-108; Meshorer, Y. (1975): Nabataean Coins, pp. 70-79.

صورة لإحدى مسكوكات رب ايل الثاني وزوجته جميلة[800]

وبعد أن تمَّ ضمّ المملكة النبطية للإمبراطورية الرومانية عام 106م، سيطر الرومان على مقدرات الدولة النبطية وقاموا بإعادة ضرب النقود النبطية مرة أخرى لإصدار نقود جديدة للولاية العربية الرومانية، الأمر الذي أدى إلى ظهور قطع نقدية رومانية جديدة عليها بقايا أحرف نبطية، وقد حمل وجه هذه الإصدارات النقدية صورة للإمبراطور تراجان، أما ظهرها فحمل صورة لفتاة بجانب جمل[801].

لقد قام الباحث شميت كورته بتقسيم النقود الفضية والبرونزية النبطية إلى فئات اعتماداً على عدة معايير، وهذه الفئات موضحة في الجدول التالي[802]:-

فئات النقود الفضية النبطية		فئات النقود البرونزية النبطية	
النوع	**الوزن**	**النوع**	**الوزن**
ثقيل	13.1غم 6.6غم 3.2غم	الآس(Aes) 20 آس 15	7.3غم 3.1غم
متوسط	4.3غم 2.2غم 1.1 غم	آس 24 آس 19 آس 15 آس 11	10.6غم 4.9غم 2.2غم 1.2غم
خفيف	3.5/ 2.9 غم 1.6غم 0.7غم	آس 17 آس 13	4.1/2.8غم 1.8غم

أما فيما يخص تقنية صناعة المسكوكات النبطية فيبدو أن صناعة أقراص المسكوكات كانت تقوم على عمل حفر دائرية الشكل تتصل فيما بينها بواسطة قنوات حيث يتم سكب المعدن بعد صهره في الحفرة الأولى ثم يصل السائل إلى باقي الحفر، وتتم عملية الضرب بعد أن يتماسك السائل، ثم يتم تشذيب المسكوكة بواسطة الإزميل الذي تظهر ضرباته على القطع النقدية حيث تظهر بعض القطع بشكل شبيه للمربع لان الإزميل قد أخذ من استدارتها بعض الشيء[803].

وتتميز المسكوكات النبطية بشكلٍ عامٍ بالمميزات التالية:-

1. سكَّ الأنباط نقودهم من معدني الفضة والبرونز ولكنهم لم يسكوا قطعاً نقدية ذهبية.

[800] https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea
[801] Bowersock, G. (1983): Roman Arabia, 83.
[802] Schmitt-Korte, K. and Price, M. (1994): Nabataean Coinage- Part III, p. 78, 88.
[803] الرواحنه، مسلم (2002): عهد الحارث الرابع من خلال مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية، ص. 93.

2. تعتبر بداية السك النبطي أمراً مُثيراً للجدل حيث يرى بعض الباحثين أن أول ملك نبطي يسك عملة نقدية هو الحارث الثاني، في حين يرى البعض أن أول من سك عملات نبطية هو الملك الحارث الثالث.
3. كانت القطع النقدية التي سكَّها ملوك الأنباط منذ بداية إصدارها وحتى عام 60 ق.م لا تحمل ملامح نبطية خالصة، ولكنها كانت متأثرة بشكلٍ كبيرٍ بالمسكوكات الهلنستية التي كانت متداولة في مناطق عدة من بلاد الشام، ويعتبر الملك النبطي عبادة الثاني(62-60 ق.م) أول ملك عربي نبطي يسك قطعا تحمل كتابات آرامية نبطية.
4. بدءاً من عام 30 ق.م بدأت صورة الملكة تظهر جنباً إلى جنب مع صورة زوجها على القطع النقدية النبطية، مما يؤكِّد دور المرأة المميز عند الأنباط، ويؤيد هذا الرأي العديد من الأدلة الأثرية الأخرى.
5. حملت هذه القطع رموزاً عديدة كالنسر وقرون الرخاء المتقاطعة وراحة اليد وصورة لامرأة واقفة والصولجان وسنابل القمح وثمار الرمان.
6. حملت معظم القطع النقدية التي سكَّها ملوك الأنباط تاريخاً إما بالأرقام أو بالكلمات كما حملت أسماء الملوك والملكات وألقابهم.
7. عرف الأنباط الإصدارات النقدية التذكارية (أي تلك التي كانت تسك في المناسبات الوطنية والمهمة).
8. يبدو أن البتراء كانت مدينة السك الرئيسية على الرغم من عدم وجود دليل آثاري وتاريخي على ذلك، كما تُعتبر مدائن صالح مدينة السك الثانية وذلك لورود اسمها على إحدى القطع النقدية النبطية التي سكَّها الملك الحارث الرابع.
9. بعد ضم المملكة النبطية، قام الرومان بالاستيلاء على كافة مقدرات الدولة النبطية حيث قاموا باستخدام القطع النقدية النبطية بإعادة إصدار قطعهم الخاصة، حيث يظهر على بعض القطع النقدية أحرف نبطية ولاتينية.
10. تظهر هذه المسكوكات وكغيرها من الإنجازات الحضارية النبطية تأثراً واضحاً بالحضارات المجاورة، ولكننا نجد أن الفنان النبطي قد أضفى على إنجازاته الحضارية طابعه وهويته الخاصتين، حيث تأثر الأنباط بهذه الحضارات المعاصرة لهم، كما أثروا بها حيث يظهر هذا التأثير بشكلٍ واضحٍ في الواجهات الصخرية المعمارية وغيرها من الإنجازات الحضارية النبطية.

ومما يجدر ذكره أنه عُثر على نقودٍ نبطيةٍ خارج حدود مملكة الأنباط، فعُثر على نماذج منها في أنطاكيا، قبرص، ايران، سويسرا، وفي مناطق عدة مجاورة من بلاد الشام، إضافة إلى شرق الجزيرة العربية[804].

سادساً: الإصدارات النقدية الرومانية في البتراء

نجد في نقود البتراء الرومانية اختلافاً عن غيرها من الإصدارات التي ضُربت في مدن أخرى من الولاية العربية، إذ ظهرت عليها بعض المعالم التي تُشير إلى محاولة الحفاظ على الهوية المحلية، فظهرت مثلاً على قطعة نقدية ضُربت هناك صورة نصفية للآلهة تايكي[805] التي صُوِّرَت بملامح نبطية، كما ظهرت قرون الرخاء بصورة مُقاربةً في شكلها لتلك التي ظهرت على المسكوكات النبطية[806]، وظهرت على قطعة أخرى ضُربت في عهد الإمبراطور هادريان صورة آلهة المدينة وهي جالسة وتمدُّ يدها، وهي صورة تذكرنا إلى حدٍ كبيرٍ بصور ملكات الأنباط[807].

بعد ضم المملكة النبطية من قبل الرومان تم نقل العاصمة الجديدة للولاية العربية إلى بصرى الشام، وقد اعتمد الرومان مراكز لسك نقودهم في الولاية العربية ومن هذه المراكز بصرى والبتراء، حيث قام الإمبراطور هادريان (113–138م) بضرب مسكوكاتٍ في مدينة البتراء تظهر عليها صورته باللباس العسكري، وتظهر على ظهرها صورة للآلهة تايكي، وتحمل هذه القطع النقدية اسم مدينة البتراء ولقبها (متربوليس) وكان يظهر على هذه القطع أحياناً إكليل الغار.

استمر الإمبراطور الروماني انطونينوس بيوس (138–161م) بسكِّ مسكوكات مشابهة لمسكوكات هادريان بالبتراء، أما خلال الفترة ما بين 161–180م فقد قام الإمبراطوران ماركوس اوريليوس واوليوس فيروس بسكِّ مسكوكات في البتراء تظهر عليها صورة تايكي أيضاً. وقد سُكَّت خلال الفترة ما بين (180–192م) نقود في البتراء مشابهة لبعض الإصدارات النقدية التي ضربها الإمبراطور هادريان.

كما اهتمت عائلة سيبتيموس سيفيروس (193–235م) بالبتراء، فقام سيفيروس بسكِّ نقود في المدينة حملت صورته وصورة لمعبد تايكي، كما سكَّت جوليا دومنا زوجة سيفيروس قطعاً مشابهة للقطع التي أصدرها زوجها، واستمر السك الروماني خلال فترة حكم الإمبراطور كراكلا وجيتا وايلاجابالوس.

---

[804] للمزيد انظر السلامين، زياد (2013): مسكوكات جديدة للوزير النبطي سلي. كرسي الامير سلطان بن سلمان لتطوير الكوادر الوطنية في السياحة والآثار، سلسلة دراسات علمية محكمة (3)، جامعة الملك سعود، 52-53.

[805] ظهرت تايكي في منحوتات فنية عُثر عليها في البتراء تعود للعصر النبطي، وقد دخلت هذه الربة المشرق العربي مع دخول الاسكندر المقدوني، وتعود العديد من نماذج تايكي الفنية التي عُثر عليها في البتراء إلى الفترة ما بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي. Basile, J. (1997): A Head of the Goddess Tyche from Petra, Jordan, ADAJ, XLI, 255-266.

[806] Meshorer, Y. (1985): City Coins of Eretz-Israel and the Decapolis in the Roman Period, Israel Museum, Jerusalem, n. 277.

[807] Meshorer, Y. (1985): City Coins of Eretz-Israel and the Decapolis, n. 279-80.

لقد ظهرت على مسكوكات البتراء الرومانية صور الأباطرة ورموز الآلهة وخصوصاً تايكي، وصور للمعبد ثنائي الأعمدة، وبعض ألقاب البتراء خلال الفترة الرومانية كـ "المدينة الأم" و " المستعمرة"[808].



مسكوكة ضُربت في عهد الإمبراطور هادريان	مسكوكة ضُربت في عهد الإمبراطور ماركوس اوريليوس
مسكوكة ضُربت في عهد الإمبراطور انطونينوس بيوس	مسكوكة ضُربت في عهد الإمبراطور كراكلا

قطع نقدية رومانية ضُربت في البتراء[809]

كشفت الحفريات الآثارية عن مجموعة من المسكوكات البيزنطية التي تعود إلى فترات حكم العديد من الأباطرة، ولكن هذه النقود لم تضرب محلياً، بل سُكَّت في مناطق ضرب معتمدة في عدة مناطق من الإمبراطورية البيزنطية.

سابعاً: الصناعات الخشبية

استخدمت الأخشاب بكثرة في العالم القديم، ولكن بسبب طبيعة تركيبتها الفيزيائية فلم يعثر على الكثير من البقايا الخشبية لأنها تتلف مع مرور الزمن، ويبدو أن الأخشاب كانت تستخدم للتدفئة، ولتشغيل الحمامات البخارية التي عُثر على العديد منها في البتراء وجوارها، ومن الاستخدامات الأخرى للخشب كما يتبيَّن من الحفريات والمسوحات الآثارية استخدامه لصناعة التوابيت[810]، وكذلك استخداماته في البناء، حيث استخدم في التسقيف، وطُعِّمت بعض جدران المنشآت المُشيَّدة بالحجارة بألواحٍ خشبيةٍ، وكانت ألواح الأخشاب تُستخدم من قبل البنّائين عند بناء الأقواس، كما يتضح من الفتحات الصغيرة الموجودة أسفل الأقواس والتي كانت تُحفر لهذه الغاية، وكانت الأخشاب تستخدم أيضاً لعمل مظلات أمام بعض الحجرات المحفورة في

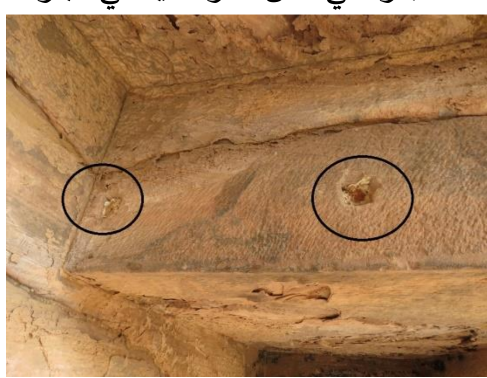
---

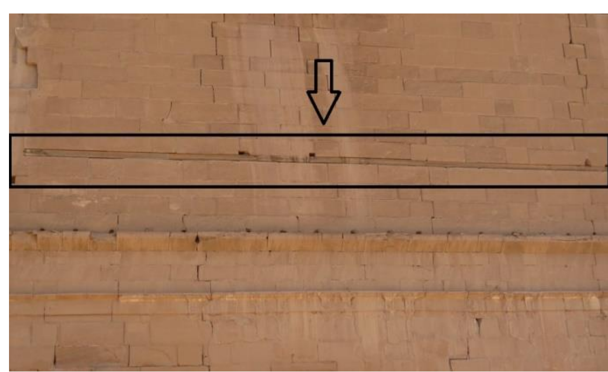
[808] Spijkerman, A. (1978): The Coins of the Decapolis and Provincai Arabia. Franciscan Priniting Press, Jerusalem.

[809] http://www.wildwinds.com/coins/greece/arabia/petra/i.html

الصخر[811]، كما كشفت الحفريات الآثارية عن بقايا مغازل أجزاؤها مصنوعة من العظم والخشب[812].

ومما يجدر ذكره هنا أنه كان هناك حرفيون مختصون في مهنة النجارة؛ فقد وردت كلمة "ن ج ر ا= النجار" في نقش عُثر عليه في البتراء[813].





بقايا خشبية كانت تستخدم في العمارة (تصوير الباحث)

ثامناً: صناعات أخرى برع فيها الأنباط وسكان البتراء على مر العصور

ومن الصناعات الأخرى التي برع فيها الأنباط:-

أولاً: صناعة الاميثيست Amethyst أو الجمشت كما يسمى بالعربية، ويعرف أيضاً باسم المرو البنفسجي، وهو من الأحجار الكريمة التي كان لها منزلة عظيمة قديماً، ولونه بنفسجي أو ارجواني الشكل، ويوجد حالياً في بعض مناطق المملكة العربية السعودية[814]، وقد كان يستخرج قديماً في الجزيرة العربية من الصفراء قرب المدينة كما يوجد في جنوب الجزيرة العربية، وهو يشبه الياقوت البنفسجي[815]، وكانت له عدة استخدامات كالزينة بالإضافة للاستخدامات السحرية، وقد ذكر المؤرخ الروماني بليني أنه يوجد في بلاد العرب والبتراء على وجه الخصوص[816]، كما يذكر بليني أن هذا النوع من الأحجار الكريمة موجود أيضاً في الهند وأرمينيا الصغرى، ومصر وجالاتيا وثاسوس وقبرص. وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في عددٍ من المواقع في البتراء كمعبد الأسود المجنحة، وكنيسة البتراء وعدد من مقابر وادي المطاحه عن قطعٍ من هذا النوع وجدت ضمن سياقات جنائزية ودينية[817]، كما يبدو أنه كان يستخدم لغايات رمزية وسحرية،

---

[810] Murray, M. and Ellis, J. (1940): A Street in Petra. British School of Archaeology, London, 13.

[811] Hammond, Ph. (1973): The Nabataeans, 63.

[812] Murray, M. and Ellis, J. (1940): A Street in Petra, plate XXXVI; Hammond, Ph. (1973): The Nabataeans, 7.

[813] Starcky, J., (1965): Nouvelles stèles funéraires à Pétra, ADAJ 10, n.4.

[814] للمزيد انظر هميمي، زكريا (2009): المرجع العلمي للأحجار الكريمة، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 209-211، 309.

[815] النعيم، نورة (1992): الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 92.

[816] Pliny, Natural History, XXXVII.121.

[817] Johnson, D. (2016): Nabataean Amethyst Trade: Sources, Production and Use , Studies on the Nabataean Culture, Vol II, N.I. Khairy (ed.), Amman, 25-52; Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, n. 12

ونستنتج من خلال الدراسات الميدانية أن البتراء تفتقر لهذا النوع من الحجارة التي توجد بشكل خاص في شمال الجزيرة العربية ومصر، حيث كان يُجلب من هذه المناطق ويُصنَّع في البتراء[818] ، وتُصدَّر بعد صناعتها إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط[819].

ثانياً: صناعة المنسوجات، وخصوصاً الكتانية والجلدية التي عُثر عليها في بعض المواقع النبطية، كما زودتنا النقوش النبطية ببعض المهن المرتبطة بهذه الصناعات مثل "م ر ق ع ا "و " ر ن و ل ا " خياط"[820]. وقد عُثر في بعض المواقع النبطية على بقايا مغازل كانت تستخدم لعمل المنسوجات، وكانت هذه المغازل مصنوعة من العظم أو الخشب[821]، كما عُثر على إبر خياطة برونزية وخشبية ضمن طبقات نبطية في وادي عربه[822]، وخصوصاً في موقع عين راحيل في صحراء النقب الذي كشف فيه عن بناءٍ أبعاده 16×16م ويعود للقرن الثاني قبل الميلاد، ويبدو أن محطة استراحة القوافل هذه كانت مرتبطة بالطريق التجاري الذي يربط البتراء بغزة. وقد عُثر هناك على العديد من اللقى التي تعود للفترة النبطية[823] والتي تتألف من أصواف وكتانيات وبقايا صناعات من شعر الماعز والجمال وخيوط وسلال، كما عُثر على بقايا ملابس كتانية من خربة الذريح[824] وخربة قازون بالقرب من البحر الميت[825]

أما فيما يخص الصناعات الجلدية فقد عُثر على أدلةٍ في خربة الذريح على أن الجلود كانت تستخدم لعمل الأكفان والصنادل[826]، كما عُثر على أمثلة للصنادل مرفقة مع الميت في ممفيس بالنقب والحميمة وخربة قازون[827]، حيث يبدو أن إرفاق الصندل مع المتوفى أمر مرتبط بإيمان بوجود حياة ما بعد الموت.

ثالثاً: صناعة العطور: أشارت المصادر اليونانية والرومانية مراراً إلى بلاد العرب أنها بلاد العطور والطيوب، حيث كانت هذه البلاد المصدر الرئيس الذي يزوِّد العالم باحتياجاته من المواد الأساسية لصناعتها، وشارك الأنباط في تجارة السلع العطرية، ولا نعرف حتى الآن وبشكل قاطع

---

[818] Johnson, D. (2016): Nabataean Amethyst Trade.

[819] Johnson, David (1987): Nabataean Trade, 76, 77, 143.

[820] الذييب سليمان (2014): المعجم النبطي، 167.

[821] Barrett, D. (1998): Artefacts and Artefact Database. In: Petra Great Temple, Volume I: Brown University Excavations 1993-1997. (Ed. Jowkowsky, M.). E. A. Johnson, East Providence, 310; al-Talhi, D. (2000): Mad'ain Salih, A Nabataean Town in North West Arabia: Analysis and Interpretations of the Excavations 1986-1990. Ph.D. Dissertation, The University of Southampton, 106.

[822] Shamir, O. (1999): Textiles, Basketry and Cordage from ‘En Rahel. 'Atiqot 38, 99.

[823] Shamir, O. (1999): Textiles, Basketry and Cordage from ‘En Rahel, 92-99.

[824] الشديفات، يونس (1994): عادات الدفن النبطية في خربة الذريح: 41-43.

[825] Politis, K. (1998): Rescue Excavations in the Nabataean Cemetery at Khirbat Qazone 1996-1997. ADAJ 42, 611-14.

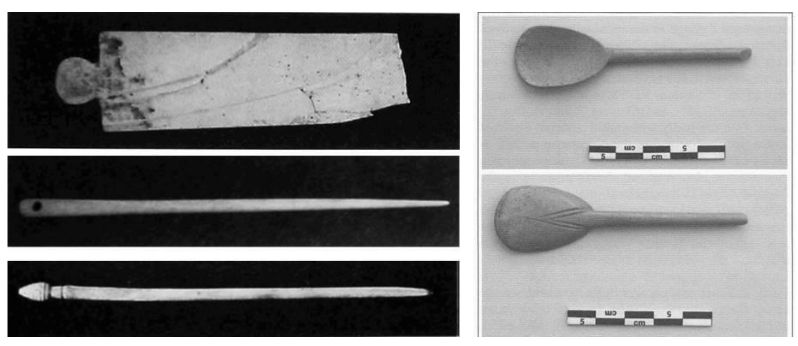
[826] الشديفات، يونس (1994): عادات الدفن النبطية، 43-49.

[827] الشديفات، يونس (1994): عادات الدفن النبطية، 49-51 ، Oleson, J., ‘Amr, K., Schick, R., Foote, R and Somogyi-Csizmazia (1993): The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of the 1991-1992 Seasons. ADAJ 37, 483; Negev, A. (1971): The Nabatean Necropolis at Mampsis (Kurnb). IEJ 21, 119; Politis, K. (1998): Rescue Excavations in the Nabataean Cemetery at Khirbat, 612-14.

فيما إذا كانت البتراء مركزاً لهذه الصناعات أم لا، ولكن هناك دليل واحد يشير إلى الاستخدام الكبير للمواد العطرية في البتراء منذ الفترة النبطية وحتى الفترة البيزنطية، حيث كشفت الحفريات والمسوحات الآثارية عن أعداد كبيرة من القوارير الفخارية التي كانت تستخدم لنقل وحفظ العطور الزيتية والتي عُرفت بين الباحثين باسم Unguentaria[828]، وقد قُسِّمت هذه الأواني إلى مجموعاتٍ اعتماداً على أشكالها ومراحل تطورها، كما صُنِّفت إلى نوعين هما: نوع مُضلَّع من الخارج، ونوع آخر لا يحمل أضلاعاً، وتميز هذه القوارير بوجود حواف تتجه للخارج وقواعد مخروطية ورقبة طويلة[829].

رابعاً: الصناعات العظمية، ومن أقدم المصنوعات العظمية التي عُثر عليها في محيط البتراء تلك التي كُشف عنها في منطقة بعجه والتي تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري، وتشتمل هذه المعثورات على المثاقب والإبر والملاعق[830].

وعُثر كذلك على أدوات عظمية داخل البتراء تؤرَّخ للفترات النبطية والرومانية والبيزنطية حيث يبدو أن العظام كانت تستخدم لصناعة بعض الأدوات مثل الإبر والمغازل والدبابيس وملاعق مستحضرات التجميل[831].



بعض الأدوات العظمية التي عُثر عليها في البتراء[832]

[828] Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.

[829] للمزيد انظر: Khairy, N. (1980): Nabataean Perfume Ungentaria. BASOR 240, 85-92; Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.

[830] Abuhelaleh, B (forthcoming): Daily Work Bone Tools from Ba'ja Pre-Pottery Neolithic B Site in Jordan.

[831] Joukowsky, M. (1998): Petra Great Temple, Vol. I, 310-314, Graf, D. F. – Schmid, S. G. – Ronza, E., (2005): The Hellenistic Petra Project: Excavations in the Qasr al-Bint Temenos Area. Preliminary Report of the Second Season, ADAJ, 51, 245.

[832] Joukowsky, M. (1998): Petra Great Temple, Vol. I, 310-314, Graf, D. F. – Schmid, S. G. – Ronza, E., (2005): The Hellenistic Petra Project, 245.

الفصل السادس: نظام الري والزراعة في البتراء وجوارها

الفصل السادس

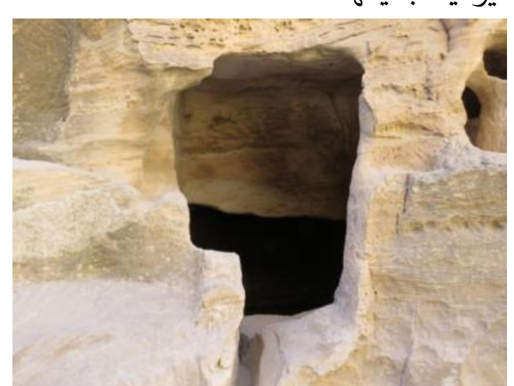
نظام الري والزراعة في البتراء وجوارها

لا تتوفر لدينا معلومات حول تقنيات إدارة الموارد المائية في البتراء وجوارها خلال الفترات التي تسبق ظهور الأنباط على مسرح التاريخ السياسي، ونأمل أن تكشف لنا الحفريات الآثارية التي سيتم إجراؤها مستقبلاً عن معلوماتٍ حول أنظمة الري والزراعة خلال تلك الفترات.

تطوَّرت في البتراء وجوارها خلال الفترة النبطية تقنية الحفاظ على الماء وإدارته واستدامته، وأصبح الاستيطان غير مرتبط بشكلٍ مباشرٍ بمياه الينابيع، وكانت الزراعة خلال الفترة النبطية في هذه المنطقة قائمة على جمع مياه الأمطار والاستفادة منها، إذ تُشير الدراسات المناخية إلى أن المناخ كان جافاً خلال الفترة النبطية، كما كانت معدلات التساقط أفضل بقليل مما هي عليه في هذه الأيام[833]، الأمر الذي ساعد على تطور الزراعة وانتشارها، وساعد على تطورها أيضاً اعتدال المناخ والاعتماد على تقنيات متطورة لجمع المياه وحفظها.

تُعدُّ المياه العنصر الأساسي لحياة الإنسان، إذ قامت أقدم الحضارات على وجه الأرض بالقرب من مصادر المياه، فهي أساس وجود جميع الكائنات الحية. وقد دفعت عدة عوامل من أبرزها ازدياد عدد السكان السريع إلى تطوير تقنيات جديدة لإدارة هذا المورد الهام في منطقة الدراسة التي تخضع إلى مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتميز بشتاء ماطر وصيف جاف حار، وبرع الأنباط في مجال هندسة المياه، وابتكروا أساليب مختلفة لجمع وتخزين الماء ونقله لاستخدامه لأغراض الزراعة وإرواء الحيوانات والشرب، ويتميز النظام المائي النبطي في مدينة البتراء بالعديد من المميزات فهو نظامٌ متكاملٌ شمل القنوات والسدود والآبار والخزانات، كما أنه شمل جميع أحياء المدينة ولبى احتياجات الناس اليومية جميعها[834].



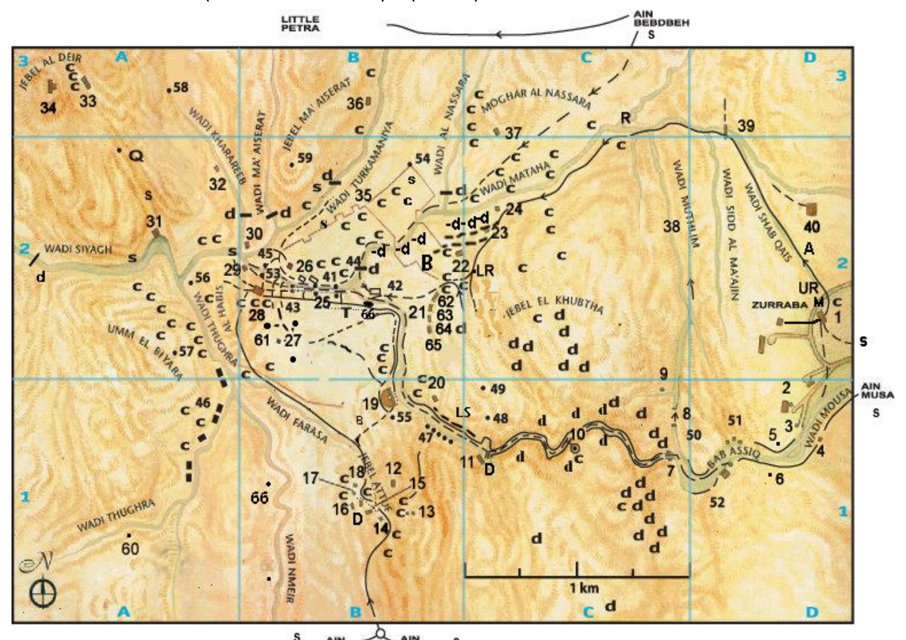


[833] Kouki, Paula (2012): The Hinterland of a City : Rural settlement and land use in the Petra region from the Nabataean-Roman to the Early Islamic period, PhD Thesis, University of Helsinki, 165.

[834] Farajat, S., and Falahat, H. (1999): The Role of the Nabataean Hydraulic System in the Protection of the Monuments of Petra, in: Siti e Monumenti della Giordania: Rapporto Sullo Stato de Conservazion, 25-32.



خزان مائي مقنطر في منطقة جبل هارون (يمين) فوهة خزان مائي منحوت في الصخر في منطقة سيق البارد (يسار) (تصوير الباحث)



التوزيع الجغرافي للسدود والخزانات المائية داخل البتراء[835]

سد =**D**
خزان مائي =**C**
عين ماء =**S**
خزان توزيعي =**T**

وتقسم مصادر المياه في منطقة البتراء وجوارها بشكل عام إلى نوعين:

الأول: المياه السطحية:

اعتمدت منطقة البتراء وجوارها على مياه الأمطار للري، خصوصاً في المناطق التي تفتقر إلى العيون، فيتسرب جزء من هذه المياه المتساقطة خلال الموسم الماطر إلى باطن الأرض، وينحدر جزء آخر عبر الأودية، حيث تنساب الأمطار الساقطة على المنطقة من المناطق العالية إلى المناطق شديدة الانحدار، وتكون سريعة الجريان وعظيمة التدفق، وكانت تستخدم لري الأراضي المزروعة بأنواع مختلفة من المحاصيل، وقد شُيِّدت العديد من السدود بالقرب من مجاري الأودية لغاية تخزين هذه المياه.

الثاني: العيون والينابيع:

وهي من المصادر المهمة التي اعتمد عليها المزارع في المنطقة خلال العصور المختلفة، وقد شُقّت القنوات في العديد من المواقع النبطية لتنقل الماء من العيون والينابيع إلى البساتين،

---

[835] Ortloff, Charles R. (2014): Hydraulic Engineering in Petra. Encyclopedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures, 1-13.

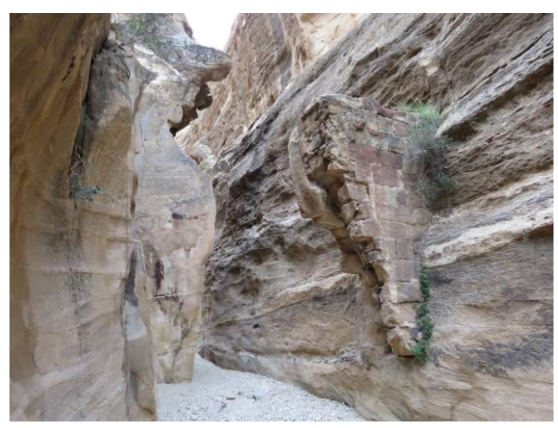
وكَشفت الأعمال الأثرية الميدانية التي أجريت في العديد من المواقع النبطية عن قنواتٍ مرتبطةٍ بهذه العيون والينابيع.

عاش الأنباط في منطقة صحراوية أحياناً وشبه صحراوية أحياناً أخرى، الأمر الذي دفعهم إلى البحث عن مصادر متنوعة للمياه وتطوير تقنيات للاستفادة من كل قطرة ماء لاستخدامها في أغراض مختلفة، فمعدلات التساقط في المملكة النبطية تراوحت بين 100–300 ملم، فابتكروا تقنيات وأساليب ووسائل لضمان عيشهم.

إن ما يُميّز الحضارة النبطية عن غيرها من حضارات الشرق القديم أنها لم تنشأ على ضفاف الأنهار كالحضارة المصرية القديمة، وحضارة بلاد الرافدين، بل قامت في منطقةٍ جافةٍ شحيحة بمواردها المائية، ونظراً لأن كميات المياه المتساقطة سنوياً في كل أرجاء المملكة النبطية لا تكفي لاحتياجات السكان المختلفة، فقد حاول الأنباط ابتكار أساليب متعددة في كيفية تجميع مياه الأمطار والحفاظ عليها، واتبعوا عدة تقنيات لخزن المياه السطحية من خلال بناء السدود والحواجز الأرضية، إضافة إلى بناء البرك والقنوات التي تُعدّ من تقنيات الحصاد المائي، وابتكروا العديد من طرق الحصاد المائي ومنها تقنية تصريف مياه الأمطار من المنازل، فقد عُثر في أحد مساكن الزنطور على قناةٍ تمتد من إحدى الساحات لغايات تصريف مياه الأمطار.

ومن الجدير بالذكر أن الأنباط قد قاموا بإلحاق آبار وخزانات ومنشآت مائية أخرى بمعظم بيوتهم، كما أقاموا السدود على مجاري الأودية بهدف الاستفادة من مياه الأمطار في الزراعة والري، وهدفت هذه السدود كما هو الحال في العديد من مناطق البتراء وجوارها إلى تخفيف اندفاع الماء، وبالتالي حماية المدينة ومنشآتها، وخزن أكبر كمية ممكنة من مياه الأمطار المتساقطة ومنعها من الضياع.





بقايا سدود نبطية في بيضا والبتراء (تصوير الباحث)

ولأن النبات يرتبط بالمناخ ومظاهر السطح، كان الغطاء النباتي مختلفا في كثافته من مكان لآخر، بسبب اختلاف مناسيب الارتفاع عن مستوى سطح البحر، والتذبذب في كميات الأمطار، إضافة إلى الاختلافات في نوعية التربة.

ويبدو أن الأنباط قد تبنوا عدداً من الأنماط الزراعية في منطقة البتراء وغيرها من المواقع النبطية، تبعاً لاختلاف بيئة وجغرافية ومعالم سطح أراضيهم، فمارسوا على ما يبدو الأنماط الزراعية التالية: -

1- الزراعة المكثفة: حيث يبدو أن هذا النمط كان معروفاً في المناطق التي تتوفر فيها المياه السطحية والمياه الجوفية كالينابيع الموجودة في وادي موسى، حيث يتميز هذا النمط بالاستخدام المكثف للأراضي زراعياً لغايات توفير احتياجات السكان.
2- الزراعة المختلطة: أي الزراعة التي يصاحبها تربية الماشية والأغنام بهدف توفير المنتجات الحيوانية اللازمة، ويبدو أن هذا النمط كان شائعاً في العديد من المواقع النبطية مثل وادي عربة، وحوران، وغيرها.
3- الزراعة البعلية: حيث تُمثِّل مياه الأمطار التي تسقط خلال فصل الشتاء مصدر الري الوحيد في هذا النمط الذي لا يعتمد على الزراعة المروية.
4- الزراعة بنظام المصاطب: الذي كان يهدف لتحويل المنحدرات إلى أرض مستوية للزراعة، ولتقليل انجراف التربة، وللسيطرة على الرطوبة وللتحكم بري هذه الحقول.

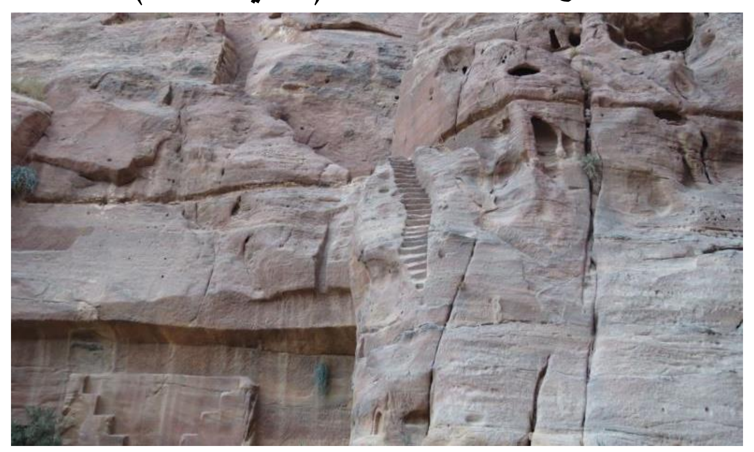
لقد أدى اتباع الأنباط هذه الأنظمة المميَّزة والمتطورة إلى تخزين كميات أكبر من الماء، وبالتالي زراعة أكبر رقعة جغرافية ممكنة، الأمر الذي أدى إلى استغلال أمثل لكل الموارد الطبيعية المتاحة.

أولاً: النظام المائي النبطي في البتراء

توجد في البتراء شبكة هيدرولوجية نبطية متكاملة تشتمل على سلسلةٍ من القنوات الفخارية والأخرى المنحوتة بالصخر بالإضافة إلى آبار جمع المياه من المصادر الخارجية والسدود وخزانات لتخزين الماء القادم من الينابيع أو من مياه الأمطار، والخزانات النبطية على عدة أشكال فمنها ما هو مربع ومنها ما هو مستطيل ومنها ما هو مبني بالحجارة أو مقطوع بالصخر ويبدو أن جميع هذه المنشآت التي كانت تستخدم لتخزين الماء كانت ذات جدران مقصورة كما كانت مسقوفة للحد من التلوث والتبخر، ويبدو أن هذه الشبكة المائية قد صُمِّمت لتشمل المدينة بأكملها سواء أكانت تقنيات مرتبطة بجمع مياه الأمطار أم أنظمة مرتبطة بتوزيع مياه العيون والينابيع.




نماذج لقنوات مياه نبطية (تصوير الباحث)



صورة تبين أدراجاً نُحتت في الصخر لغايات عمل صيانة لقناة المياه (تصوير الباحث)

كانت مياه الينابيع تُجلب للمدينة عبر قنوات رئيسة من الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية ويتضح هذا من خلال دراسة اتجاه القنوات والأماكن التي وزِّعت فيها الخزانات، ويبدو أن الأنباط قد طوَّروا نظاماً مائياً متقدماً في البتراء منذ منتصف القرن الأول قبل الميلاد، واستمر هذا النظام فعالا حتى عام 363م حيث حدثت هزة أرضية أدت إلى تعطُّل الكثير من أجزاء هذا النظام، ويمكن تحديد القنوات التي كانت تجلب المياه من الينابيع لمدينة البتراء على النحو التالي[836]:-

- قناة السيق: وتوجد في السيق قناتان كانتا تجلبان المياه للمدينة من عين موسى: الأولى فخارية وتعود لمنتصف القرن الأول قبل الميلاد وتقع في الجزء الشمالي من السيق حيث تتألف هذه القناة الطويلة من سلسلة من الأنابيب الفخارية الصغيرة المتصلة ويبلغ طول كل أنبوبة فخارية حوالي 40 سم ويبلغ قطرها حوالي 15 سم، وقد ارتبطت هذه القناة بخزانٍ مائيٍ تجميعيٍ عند نهايتها الواقعة بالقرب من الشارع المُعمَّد بوسط المدينة بالقرب مما يسمى بسبيل الحوريات، وهذه القناة الفخارية مغطاة ويبدو أنها كانت مخفية غير ظاهرة للعيان، كما مُدَّت أحياناً داخل أخاديد في الصخر، وكانت مخفية ومغطاة بحجارة تنسجم مع لون الصخر، ويبدو أن هذه القناة كانت تزود وسط المدينة بالمياه.

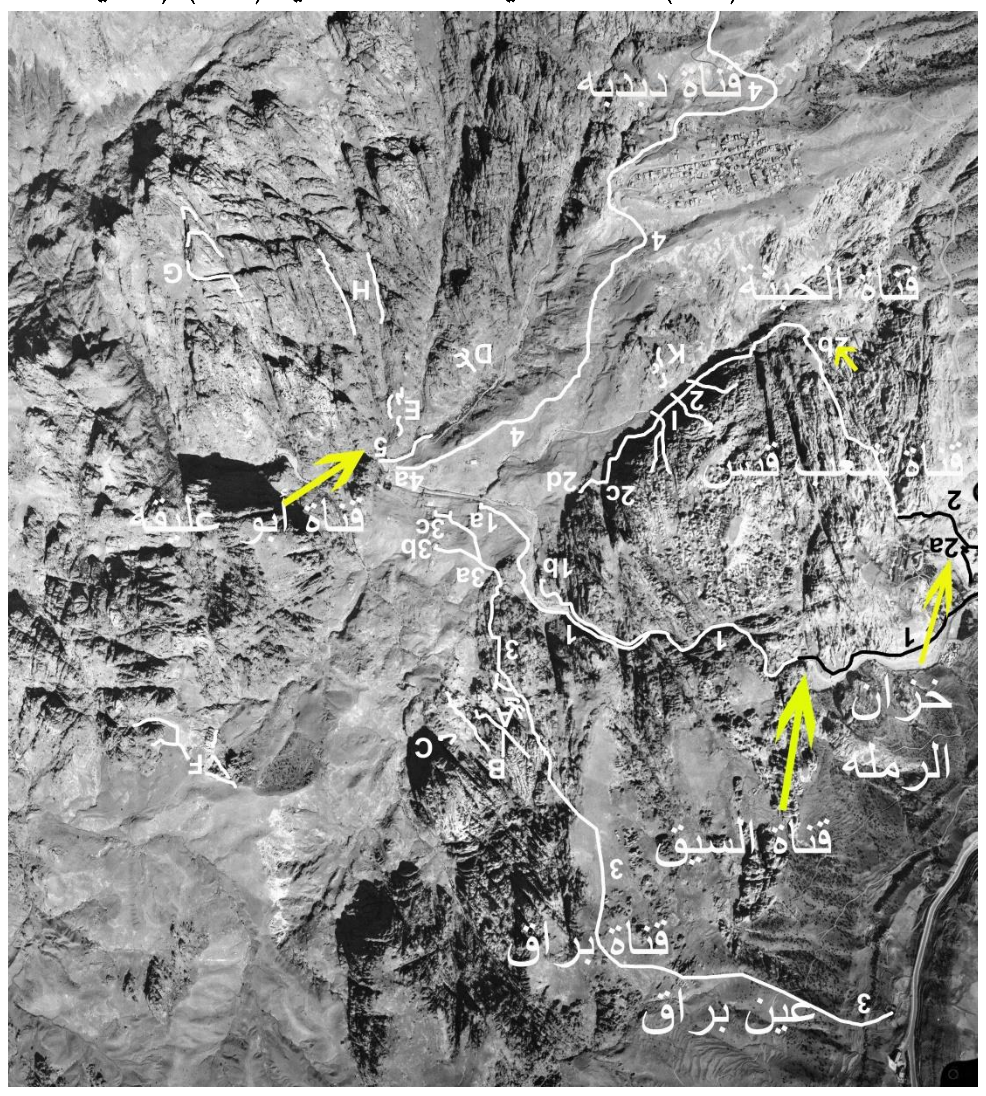
[836] Bellwald, U. (2007): The Hydraulic Infrastructure of Petra.

أما القناة الأخرى في السيق فهي تلك الواقعة في الجزء الجنوبي منه والتي يبدو أنها قد بنيت بحوالي منتصف القرن الأول الميلادي وكانت على ما يبدو تزود منطقة الخزنة وجوارها باحتياجاتها من المياه.





حوض ترسيب لقناة (يمين)، وقناة فخارية داخل قناة حجرية (يسار) (تصوير الباحث)



توزيع قنوات المياه النبطية داخل مدينة البتراء[837]

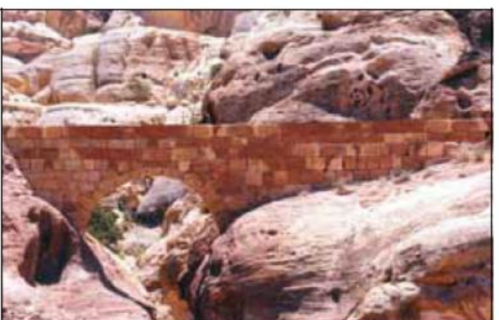
[837] Bellwald, U. (2007): The Hydraulic Infrastructure of Petra.

- ثانيا: قناة براق: كانت هذه القناة تجلب المياه من عين براق الواقع بالقرب من الطريق المؤدي من وادي موسى إلى الطيبه، وكانت تُزوِّد الأجزاء الجنوبية الغربية من المدينة، وهي قناة مزدوجة:–فخارية وحجرية حيث يوجد بنهاية القناة حوضان لتجميع المياه : احدهما يقع على تلة الزنطور والآخر يقع بالقرب من "المعبد الجنوبي".
- ثالثا: قناة عين دبدبه (أو بدبده كما تسمى أحياناً) وقد كانت هذه القناة تجلب الماء من منطقة دبدبه في بيضا إلى الجزء الشمالي الغربي من المدينة، وكان طولها حوالي ستة كيلومترات، وقد زُوِّدت هذه القناة في نهايتها بخزانٍ تجميعيٍ بالقرب من منطقة قصر البنت بوسط مدينة البتراء.
- رابعا: قناة أبو عِلّيقَه، وتربط هذه القناة الواقعة إلى الشمال الشرقي من قصر البنت عين الماء الموجود بأسفل وادي التركمانيه بمنطقة الساحة المقدسة بالقرب من معبد قصر البنت، ولكن لم يتبقَ شيء من هذه القناة، وهي مشابهة تماماً لقناة براق ويبدو أنها معاصرة لها وهي تتألف أيضاً من قناتين فخارية وحجرية.



جزء من قناة فخارية نبطية (تصوير الباحث)

- خامسا: قناة الخُبْثَه الشمالية ويبدو أن هذه القناة كانت تجلب الماء من عين موسى، حيث استخدمت هذه القناة بعد تعطُّل القناة الموجودة في السيق، وتمر القناة عبر شعب قيس فوق قنطرة، كما تمر بخزانٍ في منطقة الرملة بوادي موسى.





قناة الخُبْثَه[838]

ويبين الجدول التالي مناسيب ارتفاع عيون الماء التي كانت تمتدُّ منها القنوات المائية، ومناسيب ارتفاع الخزانات التجميعية في نهاية القنوات وأطوالها[839]:-

اسم القناة المائية	منسوب ارتفاع عين الماء	منسوب ارتفاع الخزان التجميعي في نهاية القناة	طول القناة
قناة الخُبْثَه الشمالية	1251م	917م	7675م
قناة السيق الفخارية	1251م	912م	6125م
قناة السيق الحجرية	1251م	898م	8375م
قناة عين براق الفخارية	1353م	936م	4928م
قناة عين براق الحجرية	1353م	911م	5460م
قناة عين أبو عِلّيقَه الحجرية	893م	882م	510م
قناة عين أبو عِلّيقَه الفخارية	893م	882م	510م
قناة عين دبدبه الحجرية	1355م	893م	10920م
قناة عين دبدبه الفخارية	1355م	916م	10760م
مجموع طول القنوات			55264م

لقد كانت معظم المياه التي تأتي للمدينة من خارجها، فكانت تُزوَّد من عيون ماء موجودة في وادي موسى وبيضا وبراق؛ وذلك لقلة ينابيع الماء الموجودة بالبتراء، كما أن مياه عيون البتراء هذه شحيحة حالياً، وربما كانت كميات الماء التي تنبع منها أكثر آنذاك، ولربما كانت هناك عيون أخرى داخل المدينة الأثرية غارت مياهها، ونحن نعرف عشرات الينابيع في منطقة وادي موسى خلال القرنين الماضيين والتي غارت مياهها ولم يتبقَ منها إلا القليل، وقد ينطبق هذا الحال على البتراء التي لم يتبقَ من ينابيعها حالياً إلا العيون التالية:-

1. عين قطَّار الدير، وهي تقع بالقرب من الطريق المؤدي للدير، وسُميّت العين بـ "قطار" لأن الماء يقطر منها بكميات قليلة جداً، وقد نحت الأنباط ضمن منطقة العين العديد من المحاريب والمشكاوات الدينية والنقوش.
2. عين أبو عِلّيقَه وهي تقع إلى الشمال الشرقي من قصر البنت.

---

[838] Bellwald, U. (2007): The Hydraulic Infrastructure of Petra.
[839] Bellwald, U. (2007): The Hydraulic Infrastructure of Petra.

3. عين الصيغ الذي ما زالت تسقي بعض البساتين المنتشرة حولها، حيث تجري مياه هذه العين من خلال وادي الصيغ الذي تخيط به العديد من المنشآت النبطية المنحوتة بالصخر والمبنية بالحجارة.

لقد أدى إتباع هذه الأنظمة المميزة والمتطورة إلى تخزين كميات اكبر من الماء وبالتالي فلاحة أكبر رقعة جغرافية ممكنة، الأمر الذي أدى إلى استغلال أمثل لكل الموارد الزراعية المتاحة في كافة أرجاء المملكة النبطية وخصوصاً تلك التي تحوي تربة ملائمة للزراعة.

لقد ساعد وجود شبكة مائية مميزة في منطقة بيضا على جعلها منطقة زراعية، فقد كانت هي ووادي موسى سلة البتراء الغذائية والزراعية، حيث شيَّد الأنباط فيها العديد من الخزانات والسدود والقنوات وبنوا المصاطب الزراعية على جوانب الأودية لتنظيم مجاري السيول أثناء فصل الشتاء وعدم الإضرار بالمناطق المجاورة ثم تخزين هذه الماء بأماكن معينة لاستخدامه لاحقاً، ويوجد في بيضا أكبر خزان مائي نبطي في المنطقة (بير العرايس) سعته حوالي 1200 متر مكعب كان يُعبأ بمياه الأمطار.

كشفت المسوحات الآثارية عن وجود أنظمة مياه نبطية متطورة في العديد من مناطق بيضا كالخزانات المقطوعة في الصخر، والسدود والقنوات ومعاصر النبيذ في المناطق التالية:-سيق البارد، منطقة البِقْعِة جنوبي سيق البارد، بعجه، سليسل، منطقة خروبة الفجَّه، الطنوب، أم قُصَّه، منطقة قبور العمارين، هِرْمِز، وادي عاقلات، سيق غراب وعين زويتره[840].

كانت منطقة وادي موسى إحدى الضواحي الحضرية المهمة بالنسبة للأنباط في محيط البتراء، حيث كشفت الحفريات عن نظام لتزويد المدينة بالمياه كان يستند أساساً على شبكةٍ مُعقدّةٍ من القنوات والجسور، ومن أشهر الجسور النبطية التي كُشف عنها بوادي موسى جسر وادي خليل[841]، ولكن تدمرت معظم معالم هذا النظام بسبب التوسع الحضري والعمراني الذي شهدته المدينة خلال العقود القليلة الماضية.

ويبدو من خلال اكتشافات مشروع الصرف الصحي الذي نُفِّذ في وادي موسى في نهايات القرن الماضي وجود شبكة من قنوات المياه كانت تزود كافة مناطق البلدة باحتياجاتها من المياه، ولا نستطيع تتبع هذه القنوات بسبب التوسع العمراني الذي أخفى العديد من معالمها، وقد كشف مشروع الصرف الصحي عن بقايا قنوات في وادي موسى، كما هو موضح في الجدول التالي[842]:-

الموقع	عدد كسر الأنابيب التي	المادة التي صنعت	تاريخها

---

[840] المحيسن، زيدون (2002): هندسة المياه والري عند الأنباط العرب، بيت الأنباط، البتراء، 74-90.

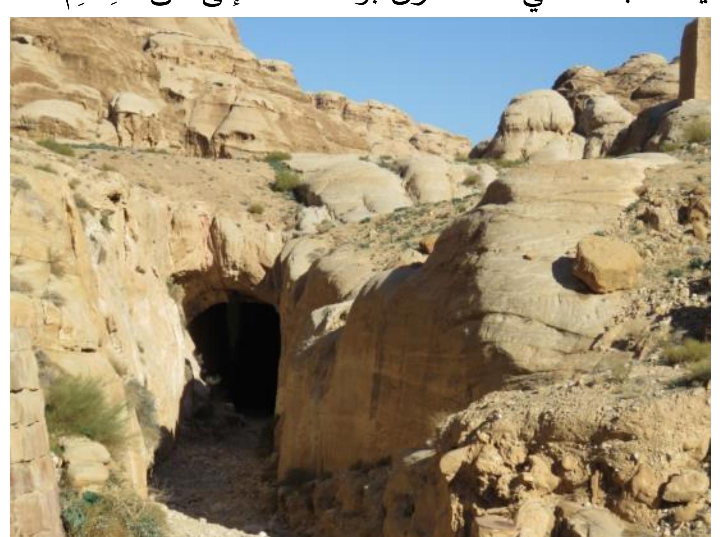
[841] 'Amr, K., al-Momani, A. Farajat, S. and Falahat, H. (1998): Archaeological Survey, site W 15.

[842] عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية لمشروع شبكات المياه والصرف الصحي لوادي موسى (1998-2000).

	عُثر عليها	منها القناة	
الزُرابه	بقايا أربعة أنابيب	فخارية	نبطية
البريكه	بقايا أنبوبين	فخارية	نبطية
السوق	جزء من قناة طولها 63.5 سم	رصاصية	نبطية
الداره	جزء من قناة طولها 44 سم	فخارية	نبطية
الزهور	بقايا أربعة أجزاء من أنبوب	فخارية	غير مؤرخة
الدرجه	بقايا أنبوبين	فخارية	نبطية
دار البركه	بقايا خمسة أنابيب	فخارية	نبطية
المسلخ	بقايا انبوب عُثر عليه ضمن غرفة حمام بخار	فخارية	نبطية

وفي الختام، لا بُدَّ من الإشارة إلى أن الأنباط قد زوَّدوا عاصمتهم البتراء بمجموعة من السدود الاعتراضية الضخمة التي كانت تهدف إلى تخفيف اندفاع الماء وحجزه والحد من تأثيره التدميري على المدينة، وتتوزَّع هذه السدود في المناطق التالية:

1. المنطقة الواقعة قبل مدخل السيق والتي كانت تحتوي خزاناً تجميعياً ضخماً، ويتم تحويل مجرى المياه المجتمعة في هذا الخزان بواسطة سد إلى نفق المِظْلِم.



صورة لنفق المِظْلِم (تصوير الباحث)

2. سدود اعتراضية في المناطق التالية: منطقة المَدْرَس، وادي المطاحة، وادي أم صيحون، قمة جبل الخُبْثَه، وادي الجرة، ووادي فَرَسَه.

ثانياً: الزراعة في البتراء وجوارها خلال العصور المختلفة

عرفت منطقة البتراء وجوارها الزراعة منذ أكثر من عشرة آلاف عام، وساعد على ظهورها ونموها وتطورها مجموعة من المقومات الطبيعية والبشرية، وحد من تطورها بعض المشكلات أحياناً كانخفاض معدلات التساقط ومظاهر السطح، وخير مثال على ممارسة الإنسان للزراعة في البتراء وجوارها خلال العصر الحجري الحديث موقع بيضا شمال البتراء الذي قدّم أدلة على بداية ممارسة الإنسان للزراعة خلال تلك الفترة، ويبدو أن الإنسان قد استمر بفلاحة أرضه خلال العصور اللاحقة معتمدا على الينابيع ومياه الأمطار، ولكننا ما زلنا نجهل الكثير من التفاصيل عن هذا الجانب خلال العصور البرونزية والحديدية لندرة المادة المتوفرة المرتبطة بهذا الموضوع.



مطاحن حبوب من منطقة بيضا تعود للعصر الحجري الحديث (تصوير الباحث)

وقد اختلف الباحثون في تحديد التاريخ الذي بدأ فيه الأنباط ممارسة الزراعة ولكن يبدو لي أن الزراعة وممارستها كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى استيطان الأنباط واستقرارهم وتحولهم من مجتمع متنقل إلى مجتمع مستقر فزراعة الأشجار تعني الارتباط بالأرض والمكان، ويبدو أن هذا التحول قد صاحبه ازدياد بأعداد السكان وازدياد بالحاجة وتغير اجتماعي أيضاً.

كانت الفترة النبطية أكثر فترة شهدت تطوراً هندسياً في مجال المياه والري. لقد أوجد الأنباط مملكتهم في منطقة قليلة الماء، صعبة التضاريس، وكانت ممارسة الزراعة تحدياً كبيراً، ولا نعرف بالتحديد متى بدأ الأنباط بممارسة الزراعة، ويُشير المؤرخ ديودوروس إلى إن الأنباط كانوا بحوالي القرن الرابع قبل الميلاد لا يزرعون الحبوب ولا الأشجار ومن يفعل ذلك يكون الموت[843] عقابه[844]، ويذكر أنهم كانوا يقومون بعمل آبار أرضية ويغطونها بالقصارة ويملؤونها بالماء ويغطونها ويضعون إشارات للاستدلال عليها[845]، وقد أكَّدت الدراسات الآثارية صحة هذا القول.

لا تزودنا المصادر التاريخية بمعلومات عن الزراعة عند الأنباط، وتحتوي المصادر الكلاسيكية على إشارات محدودة جداً عن هذا الجانب، فيشير سترابو الذي يورّخ لفترة نهاية القرن الأول قبل الميلاد إلى وجود ينابيع كثيرة في عاصمة الأنباط كانت تستخدم لأغراضٍ منزليةٍ ولري الحدائق[846] ويؤكد أن جزءاً كبيراً من بلاد الأنباط خصب وينتج كل شيء ما عدا زيت الزيتون

---

[843] نعتقد ان هذه العقوبة مبالغ فيها.

[844] Diodorus, The Library of History, XIX.94.

[845] Diodorus, The Library of History, XIX.94.6-9.

[846] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.IV.21.

وكانوا يستخدمون زيت السمسم بدلاً منه[847]. لقد كشفت الحفريات الأثرية عدم صحة هذه الرواية حيث عُثر على العديد من معاصر الزيتون النبطية في خربة الذريح ووادي موسى[848]، كما يتحدث المؤرخ بليني عن الميروبالانوم myrobalanum أو جوز الطيب الذي كان يزرع في بلاد العرب لاستخدمه في المعالجة الطبية، ومن الأنواع التي يذكرها بليني نوع "سوري" ينمو في بلاد العرب، بالإضافة إلى نوع يأتي من البتراء "قشرته سوداء وبذرته بيضاء"، وكان العطارون يستخرجون العصارة من قشوره[849].

ولأجل مناقشة هذا الجانب بصورة مقبولة، لا بد من الاعتماد بشكلٍ أساسيٍ على المادة الأثرية المكتشفة، فقد قام الأنباط باستخدام العديد من الأنظمة الزراعية كنظام المصاطب الذي كان يهدف لتحويل المنحدرات إلى اراضي مستوية للزراعة وللتقليل من انجراف التربة، وللسيطرة على الرطوبة وللتحكم بري هذه الحقول، وما زالت الكثير من بقايا هذه الجدران ماثلة للعيان.




بقايا مصاطب زراعية في المناطق المحيطة بالبتراء (تصوير الباحث)

كما انتشرت زراعة الكرمة في العديد من المناطق النبطية مثل خربة الذريح وحوران ووادي موسى، وتشير هذه الأدلة إلى أهمية العنب في منطقة بيضا بشكل خاص، والتي عُثر فيها على العديد من معاصر النبيذ النبطية[850]، وأماطت الحفريات الآثارية اللثام عن أدلة على وجود عنب من فصيلة (vitis vinifera)[851]، وقد أجريت دراسة على بقايا بذور العنب التي عُثر عليها في البتراء والتي تعود للعصرين النبطي والروماني، وبيَّنت الدراسة أن هذه الحبوب تنتمي لأشجار عنب برية وبعضها ينتمي لأشجار عنب قريبة من النوع البري، كما أكّدت عينات الدراسة أن هذه البقايا لا تنتمي لنوع أشجار العنب المزروعة[852].

ونظراً لموسمية العنب الذي يتوفر في الصيف فقط، فإننا نُرجِّح أن الأنباط كانوا يجففونه لغاية حفظه واستهلاكه في مواسم انقطاعه، ولكن لا يوجد دليل مكتشف من الفترة النبطية يؤكد هذا

---

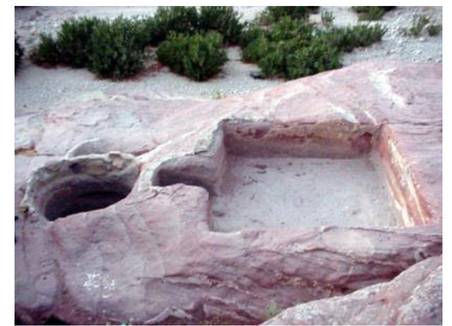
[847] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.IV.26.
[848] Al-Salameen, Z. (2004): The Nabataean Economy in the Light of Archaeological Evidence. Unpublished PhD Thesis, the University of Manchester, 136.
[849] Pliny. Natural History. XII. XXXXVI.
[850] Al-Salameen, Z. (2005): Nabataean Winepresses from Bayda, Southern Jordan. Aram 17,115-127.
[851] Bouchaud, Ch. (2009): The Archaeobotanical Remains. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the second season (2009) of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris, 260.
[852] Jacquat, Christiane and Martinoli, Daniele (1999): Vitis vinifera L.: wild or cultivated? Study of the grape pips found at Petra, Jordan; 150 B.C. - A.D. 40. Vegetation History and Archaeobotany 8, 25-30.

الافتراض، ولكن ما نعرفه من المصادر التاريخية هو أن الزبيب كان من أبرز السلع التي يتاجر بها العرب قبل الإسلام[853].

تُعتبر معاصر النبيذ من أبرز المنشآت الزراعية النبطية التي عُثر عليها في محيط البتراء وجميعها مقطوعة في الصخر، كما كُشف عن معاصر للزيتون ومطاحن للحبوب. لقد اكتشفت دراسة ميدانية عن وجود العشرات من معاصر النبيذ المقطوعة في الصخر في منطقة بيضا شمال البتراء، ونُحتت هذه المعاصر داخل أراضٍ كانت على ما يبدو حقولاً زراعية، وعُثر بالقرب من هذه المعاصر على آبار مياه وقنوات وغيرها من المرفقات المائية، بالإضافة إلى بعض الكهوف التي يبدو أنها قد استخدمت لخزن النبيذ بعد عصره ، وبشكلٍ عامٍ يمكن تصنيف هذه المعاصر إلى نوعين حسب مخططها العام

1. نوع بسيط: وهذا النوع يتألف من حوضين صغيرين ضحلين متصلين ببعضهما البعض حيث يبلغ عمق هذه الأحواض حوالي 20سم، ويتجهان عادة بشكل منحدر لتسهيل عملية سيلان عصير العنب أثناء عصره.
2. نوع متطور: وهذا النوع تمثله معظم معاصر النبيذ الموجودة في بيضا وتتكون معاصر هذا النوع من ثلاثة أجزاء: حوض هرس وحوض وسطي للترسيب وحوض للتجميع، وقد زودت أحواض الهرس وأحواض التجميع بأدراج منحوتة بالصخر لتسهيل النزول إليها.

ولوحظ أن بعض هذه المعاصر قد طُليت جدرانها بالقصارة، كما بُلِّطت بعض أرضياتها بالفسيفساء الأبيض الخالي من الزخارف، وقد تم تأريخ هذه المعاصر للفترة النبطية، ويبدو أنها استخدمت في العصور اللاحقة وخصوصاً خلال الفترة البيزنطية[854]، ونُرجِّح أن إنتاج هذه المعاصر كان مخصصاً أساساً لسد احتياجات المجتمع المحلي، وربما كان جزء منه يباع إلى القوافل التجارية المارة بالمنطقة، لا سيما وانها تقع على طريق البتراء– غزة الشهير الذي كانت تعبره القوافل المتجهة إلى غزة والبحر الأبيض المتوسط عبر وادي عربه.



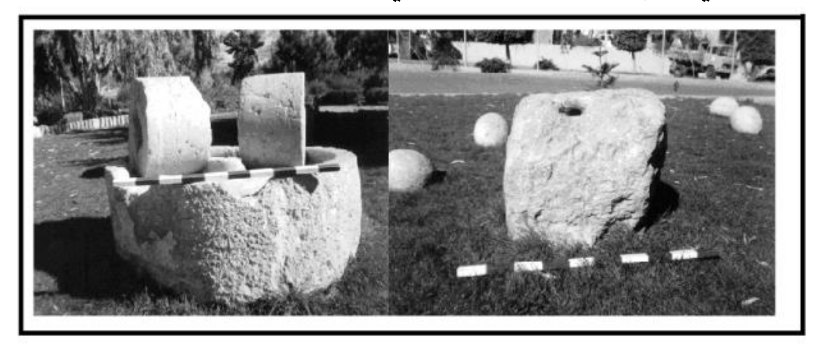

صور لمعصرتين نبطيتين في منطقة بيضا (تصوير الباحث)

[853] كرون، باتريشيا (2005): تجارة مكة وظهور الإسلام. ترجمة آمال الروبي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة،181.

[854] Browning, I. (1973): Petra, 33; Joukowsky, M. (1998): Petra: The Great Temple, 9.

لقد كشفت الحفريات الأثرية عن عددٍ من معاصر الزيتون النبطية في وادي موسى وخربة الذريح، ويبلغ عدد معاصر الزيتون المكتشفة حتى الآن خمسة معاصر نبطية، عُثر على اثنتين منهما في وادي موسى (خربة النوافله والبدّ)، واثنتين في خربة الذريح، وواحدة في وادي عربة، وهذه المعاصر مصنوعة من الحجر الجيري تتألف من أحواض حجرية لهرس الزيتون، وحجارة طحن أسطوانية، ومكابس وأحواض غسل وتجميع، كما عُثر على بقايا زيتون في مدائن صالح[855] وعلى بقايا منشأة ربما تمثل بقايا معصرة.

وبالإضافة إلى هذه المعاصر الخمس فقد عُثر أيضاً على بقايا لمعاصر أخرى غير مكتملة وواضحة المعالم، إذ كُشف في البتراء عن بقايا لحجارة لهرس الزيتون[856]، كما عُثر في وادي عربة وتحديداً في رجم طابا على كسرة مصنوعة من حجارة محلية يبدو أنها كانت تمثل جزءاً من مكبس معصرة زيتون وهي تؤرَّخ للقرنين الأول والثاني الميلاديين[857].

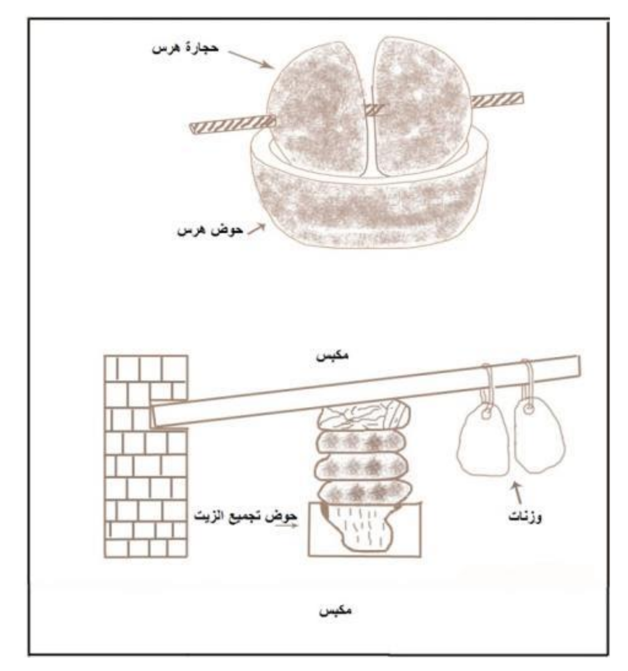


صورة لبقايا معصرة زيتون البدّ (تصوير الباحث)

[855] Bouchaud, Ch. (2009): The Archaeobotanical Remains, 260.

[856] Kolb, Bernhard (2007): Nabataean Dwellings: Domestic Architecture and Interior Decoration. In: The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001. Edited by Politis, K., Stuttgart, 153.

[857] Dolinka, B. (2006): The Rujm Taba Archaeological Project (RTAP): results of the 2001 survey and reconnaissance. In: Piotr Bienkowski and Katharina Galor (editors): Crossing the Rift: Resources, Routes, Settlement Patterns and Interaction in the Wadi Arabah, Oxbow Books, Oxford, 195-214.



شكل يمثل تقنية عصر الزيتون (إعداد الباحث)

كان القمح يمثل أحد مكونات الوجبات الرئيسة عند الأنباط بشكلٍ عامٍ، والبتراء بشكلٍ خاصٍ، وذلك لسهولة زراعته وقيمه الغذائية العالية، ولعدم وجود متطلبات كثيرة لزراعته ولأنه يمكن أن يروى فقط من مياه الأمطار، وقد كشفت الحفريات الآثارية عن العديد من حجارة الطحن (الرحى) في العديد من المواقع النبطية، إذ عُثر على العديد من الحجارة التي كانت تستخدم لطحن الحبوب في البتراء ومدائن صالح والعقبة[858].

ومما يجدر ذكره أن السفوح الصخرية المحاذية للعديد من الحقول الزراعية المنتشرة في المناطق المحيطة بالبتراء، والتي استخدمت خلال العصور المختلفة، قد حُفرت بها أحواض صغيرة في الصخر كانت على ما يبدو تستخدم لطحن الحبوب، حيث تنتشر هذه الحفر والتجاويف الصخرية بالقرب من العديد من الحقول الزراعية في منطقة بيضا وغيرها من المناطق المحيطة بالبتراء.

ويرتبط بالزراعة موضوع آخر وهو تربية الحيوانات، حيث يبدو أن الحيوانات كانت تستخدم عند الأنباط للاستفادة القصوى من منتجاتها، إضافة إلى استخدام بعضها للنقل، وقد بيَّنت الحفريات التي أجريت في العديد من مناطق المملكة النبطية استخدام الأنباط لأصواف ووبر وجلود الحيوانات لصناعة الملابس[859]، إضافة إلى استخدامها للصناعات الجلدية كالأكفان والصنادل كتلك التي عُثر عليها في خربة الذريح والحميمة وخربة قازون[860].

---

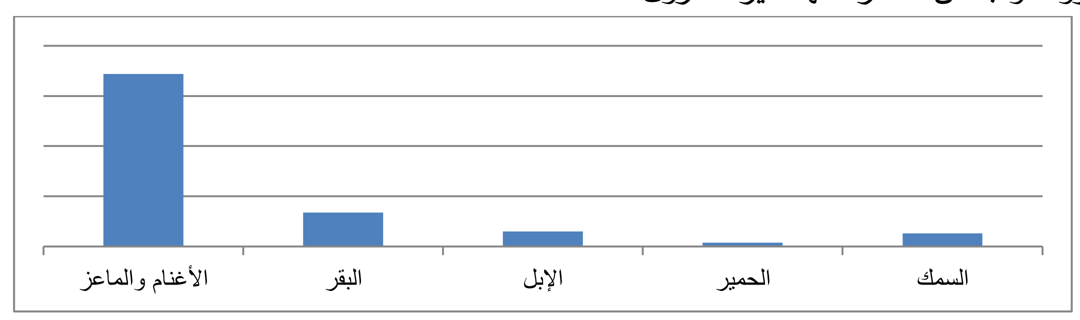
[858] Dolinka, B. (2003): Nabataean Aila (Aqaba, Jordan) from a Ceramic Perspective: Local and Intra-Regional Trade in Aqaba Ware During the 1st and 2nd Centuries AD. London: Archaeopress, 23.

[859] Shamir, O. (1999): Textiles, Basketry and Cordage from ‘En Rahel, 92-99; Politis, K. (1998): Rescue Excavations in the Nabataean Cemetery at Khirbat Qazone, 611-14 ; Granger-Taylor, H. (2000): The Textiles from Khirbet Qazone (Jordan). In: Archéologie des textiles, de origines au Ve

كشفت الحفريات الآثارية عن بقايا عظام حيوانية تظهر عليها علامات التقطيع في البتراء (في الزنطور و"المعبد الجنوبي") ووادي موسى ومدائن صالح، وهذه الحيوانات تشمل الماعز والأغنام والإبل والأبقار والغزلان والأرانب والطيور المنزلية والبرية والنعام والأسماك والخنازير.

وهنا لا بد من التعريج على نتيجة مهمة ظهرت أثناء تحليل البقايا العظمية التي تمَّ العثور عليها في "المعبد الجنوبي" في البتراء، وهو أن بقايا الدجاج التي كُشف عنها وجدت دون الرؤوس والأرجل مما يُشير إلى احتمالية أنها كانت تُذبح خارج المدينة[861]، وهذا يُرجِّح احتمال وجود أنظمة للحفاظ على البيئة داخل حدود عاصمة الأنباط.

كشفت الدراسات التحليلية التي أُجريت للبقايا العظمية التي عُثر عليها في "المعبد الجنوبي" عن نسبة من الحيوانات التي كانت تُحرق كقرابين ضمن سياقات دينية ومن بينها الأغنام والماعز والخنازير والجمال والبقر والدجاج[862]، وتم الكشف عن أمثلة مشابهة في خربة التنور التي عُثر فيها على أدلة تؤكد تقديم تقدمات دينية من العظام والحبوب والبخور، ووجدت معظم هذه المواد محروقة والبعض الآخر منها غير محروق[863].



توزيع العظام الحيوانية المكتشفة في خربة النوافله والتي تعود للعصر النبطي[864].

siècle: actes du colloque de L.- Montagnac : M. Mergoil. (Eds. Cardon, D. et Feugere, M.), Monographies Instrumentum 14,149-161.

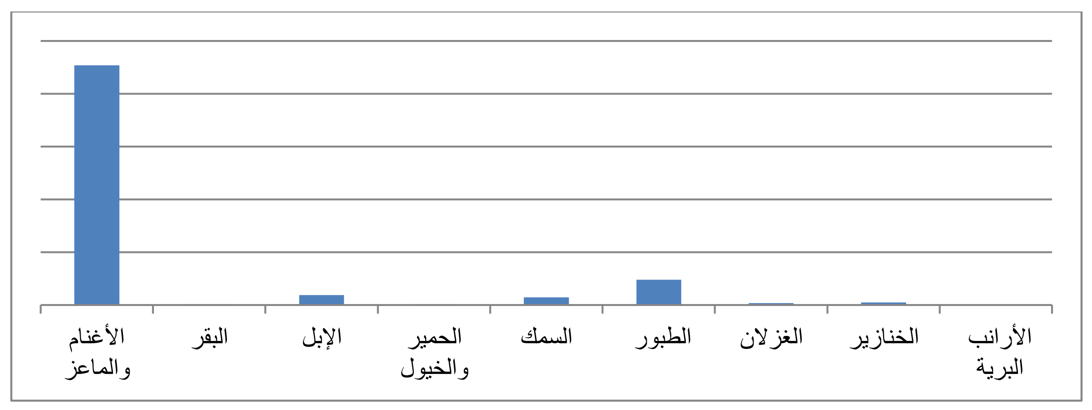
[860] الشديفات، يونس ، (1994): عادات الدفن النبطية، 43-49 ، Oleson, J., 'Amr, K., Schick, R., Foote, R and Somogyi-Csizmazia (1993): The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of the 1991-1992 Seasons. ADAJ 37, 483.

[861] Kansa, S. Whitcher (forthcoming) :Food Production and Procurement at Petra's Great Temple: Report on Faunal Analyses from the 1995–2004 Excavations." In: The Petra Great Temple III: 11. The Animal Bones 115: Architecture and Material Culture, ed. M. S. Joukowsky, Journal of Roman Archaeology Supplement. Portsmouth, RI.87.

[862] Kansa, S. Whitcher (forthcoming): Food Production.

[863] Kansa, S. Whitcher (2013): The Animal Bones. In: The Nabataean Temple at Khirbet et-Tannur, Jordan, Volume 2 Cultic Offerings, Vessels, and other Specialist Reports. Final Report on Nelson Glueck's 1937 Excavation, AASOR 68, edited by By Judith S. McKenzie, Joseph A. Greene, Andres T. Reyes, Catherine S. Alexander, Deirdre G. Barrett, Brian Gilmour, John F. Healey, Margaret O'Hea, Nadine Schibille, Stephan G. Schmid, Wilma Wetterstrom and, 80.

[864] تم إعداد هذا الشكل اعتمادا على Gharaibeh, Nasser (2002): Faunal Remains from Khirbet An-Nawafla, Jordan. Unpublished Master thesis, Yarmouk University.



توزيع العظام الحيوانية المكتشفة في الزنطور والتي تعود للعصر النبطي[865]

ويبدو لنا، وبشكلٍ جليٍ، أن الكائنات البحرية كانت مدرجة ضمن الخيارات الغذائية النبطية، إذ كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في منطقة الزنطور في البتراء عن بقايا تؤكد أكل السمك من قبل سكان البتراء خلال الفترة النبطية[866]، واشتملت الأنواع السمكية المستهلكة من قبل الأنباط على سمك التونا وسمك الماكريل (mackerel) وسمك القُشر (Groupers) والتي كانت تُجلب من البحر الأحمر[867].

كما بيّنت الدراسات التي أُجريت للمادة الأثرية المكتشفة في العقبة أن سكانها قد تناولوا المأكولات البحرية وصدّروا السمك المجفف[868]، كما صنعوا أيضاً صلصة من بقايا الأسماك عرفت باسم جاروم Garum، وعُثر على ما يشير إلى صناعتهم لهذه المادة في العقبة والبتراء.

ومن المعروف أن نقل السمك من مكان لآخر يتطلب حفظه حتى لا يتعفن، ويبدو أن الأنباط كانوا على دراية بتقنيات الحفظ هذه، وقد بيّنت الدراسات إتباع القدماء لعدة طرق لحفظ الأسماك، ومن أقدم هذه الطرق التمليح، حيث يؤخر الملح التحلل البكتيري للسمكة، ويساعد على احتفاظها بقيمها الغذائية وعدم تعفنها، إضافة إلى الحفظ بالتجفيف باستخدام أشعة الشمس حيث يمكن حفظ الإسماك بهذه الطريقة لعدة أشهر[869].

وتؤكِّد البرديات التي كُشف عنها في كنيسة البتراء أن الزراعة كانت تلعب دوراً أساسياً في تشكيل اقتصاد منطقة البتراء خلال الفترة البيزنطية، ويبدو من خلال دراسة هذه الوثائق أن بعض الأراضي الزراعية كانت مملوكة من قبل أفراد وأخرى مملوكة للكنيسة قامت بتأجيرها لبعض المزارعين، وكانت بعض هذه البساتين بالقرب من المساكن والكنائس. وتتحدث البرديات أيضاً

[865] تم اعداد هذا الشكل اعتمادا على Studer, J., (2007): Animal Exploitation in the Nabataean World. In: The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001. Edited by Politis, K., Stuttgart, 251-272.

[866] Berset, N. and Studer, J. (1996): Fish Remains from Ez-Zantur (Petra, Jordan). In: Petra- Ez-Zantur: Ergebnisse der Schweizerisch Liechtensteinischen Ausgrabungen 1988-1992. Volume I. Verlag Philipp von Zabren, Mainz, 381.

[867] Berset, N. and Studer, J. (1996): Fish Remains from Ez-Zantur, 383-85.

[868] Retzleff, A. (2003): A Nabataean and Roman Domestic Area at the Red Sea Port of Aila. BASOR 331:55.

[869] كوفمان، كاثي (2012): الطبخ في الحضارات القديمة، 24، 39، 60-61.

عن محاصيل وضرائب كانت تفرض على الإنتاج الزراعي، إذ كانت الأراضي تقسم إلى وحدات تدفع كل منها ضريبة ثابتة [870]، وكانت جباية هذه الضرائب موكولة إلى جُباة يتم تعيينهم لهذه الغاية، وكانت البتراء مركز جمع الضرائب آنذاك، ومن أسماء الجُباة التي وردت أسماؤهم في هذه البرديات إيوثينوس بن دوساريوس[871].

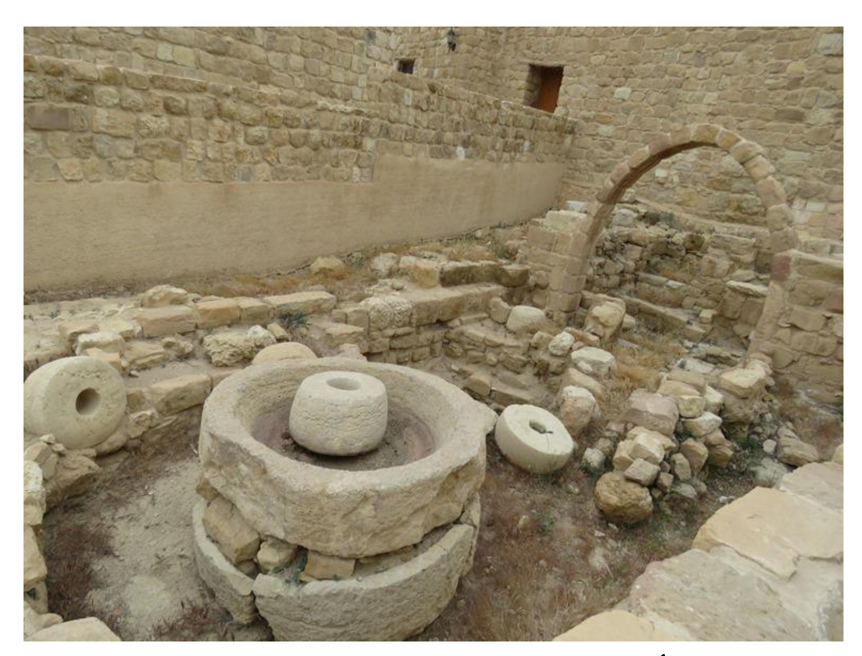
وتتحدث إحدى هذه البرديات عن قسمة أراضي زراعية بين أخوة واشتملت على أراضٍ مزروعةٍ في البتراء وغيرها من المناطق المجاورة، كما تُشير بردية أخرى إلى ملكية شخص من البتراء يدعى عبوديانوس لأراضي زراعية في غزة[872].

استمر الاستيطان البشري في البتراء ومحيطها معتمداً بشكلٍ أساسيٍ على الزراعة، إذ كشفت المسوحات الآثارية عن العديد من القرى التي تعود للفترتين الأيوبية والمملوكية والتي بُنيت ضمن حقول زراعية كما أن اللقى الأثرية المكتشفة تؤكد الدور الأكبر للزراعة في تشكيل اقتصاد المنطقة خلال تلك الفترة.

تشير المصادر الإسلامية إلى منطقة وادي موسى إلى أنه وادٍ كثير الزيتون، خصب التربة وينتج أنواعاً مختلفة من الثمار، وتؤكِّد لنا رواية وليم الصوري حول معركة جرت في وادي موسى لم يستطع فيها الصليبيون الانتصار إلا بعد أن بدأوا بحرق أشجار الزيتون التي كانت تمثل مصدر الدخل الرئيسي لسكان المنطقة الأمر الذي دفعهم للاستسلام[873] (للمزيد حول هذه المعركة انظر الفصل الأول من هذا الكتاب). وقد استمرت الزراعة تلعب دوراً رئيسيا وهاما في تشكيل اقتصاد المنطقة خلال العصور اللاحقة، وقد كُشف عن العديد من حجارة هرس الزيتون التي كانت تمثل أجزاء من معاصر في العديد من مناطق وادي موسى، ومن أبرز هذه الأمثلة تلك التي عُثر عليها في خربة النوافله، كما عُثر على أعدادٍ من حجارة الرحى التي تُشير إلى استهلاك مكثفٍ للحبوب خلال الفترات الإسلامية.

---

[870] Koenen, L. (1996): The Carbonized Archive from Petra, JRA, 9, 186.
[871] Frosen, J.; Arjava, A.; and Lehtinen, M. (2002): The Petra Papyri, Volume 1, p. 172.
[872] Koenen, L. (1996): The Carbonized Archive, 184.
[873] الصوري، وليم (1991): الحروب الصليبية، 16: 6.



صورة لمعصرة زيتون أيوبية مملوكية عُثر عليها في خربة النوافله (تصوير الباحث)

ومن الجدير بالذكر أن سكان المنطقة خلال العصور الإسلامية المتأخرة قد اعتمدوا على الطواحين المائية التي كانت تستخدم لطحن الحبوب، والتي تتوزع على طول قنوات ينابيع المياه وبمستوى منخفض عنها، حيث ما يزال بعضها ماثلاً للعيان على سبيل المثال بالقرب من عين موسى وعين الصدر.





صور لبقايا بعض مطاحن الحبوب التي كانت تعمل بقوة الماء (تصوير الباحث)

كانت الزراعة عصب اقتصاد المنطقة خلال العصر العثماني، وساعد على تطورها وفرة المياه وملائمة المناخ وصلاحية التربة للزراعة، وكان من بين أبرز المعيقات الرئيسة التي تواجهها الزراعة خلال هذه الفترة كثرة الضرائب المفروضة من قبل العثمانيين على الإنتاج الزراعي[874]. وقد تمّ تصنيف الأراضي الزراعية خلال هذه الفترة إلى عدة أنواع منها الأراضي المملوكة والأميرية والموقوفة والمتروكة والمحلولة والأرض الموات[875].

---

[874] أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، 436-474.

[875] أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، 267-285.

أما بخصوص استعمالات الأراضي الزراعية خلال هذه الفترة فكانت على عدة أنواع منها الاستخدام الشخصي المباشر من قبل المالك، كما أُتبِعت أنظمة المشاركة والمرابعة والضمان والإجارة، ويبدو أن هذه الأساليب كانت متوارثة في المنطقة عبر العصور.

لقد ظهر نظام الملكيات خلال العصر العثماني المتأخر في منطقة الدراسة على أساسٍ عشائريٍ، فظهر ما يعرف اليوم بالواجهات العشائرية على نطاقها الواسع في نهاية النصف الأول من القرن الفائت، وكانت علامات حدودها معالم كبيرة طبيعية في الأغلب مثل الأودية والجبال، وهذه الواجهات تنقسم إلى أقسام أصغر بحسب مجموع العشائر المستفيدة، ولبيان الحدود الفاصلة بين هذه العشائر فقد استخدمت العلامات السابقة الجبال والأودية، بالإضافة إلى استخدام شواهد على شكل أنصاب حجرية.

وبعد استقلال المملكة الأردنية الهاشمية بعدة سنوات وتحديداً في عام 1952 تم إقرار قانون تسوية الأراضي والمياه، والذي كان يهدف إلى تسوية جميع الوسائل والاختلافات المتعلقة بأي حق تصرف أو حق تملك في الأرض أو المياه، أو حق منفعة فيها، أو أية حقوق متعلقة بها وقابلة للتسجيل، وعلى الرغم من أهمية هذا التشريع، إلا أن سكان المنطقة قد استمروا في ممارسة تقاليدهم الخاصة المتعلقة بالزراعة والري وتوثيق حجج بينهم مرتبطة بهذه التقاليد.

الفصل السابع: تجارة البتراء

الفصل السابع

تجارة البتراء

لعبت التجارة دوراً بارزاً في ازدهار البتراء وجوارها خلال العصور المختلفة، وكانت المكوِّن الأساسي لاقتصاد هذه المنطقة خلال الفترة النبطية، وسنناقش في هذا الفصل تجارة البتراء وجوارها منذ أقدم العصور حتى الفترات الإسلامية المتأخرة، وذلك في ضوء المادة التاريخية المتوفرة، والشواهد الأثرية ذات العلاقة.

تُشير الدلائل الأثرية إلى أن منطقة الدراسة كانت على تواصلٍ مع العالم الخارجي بدءاً منذ عصور ما قبل التاريخ، حيث عُثر في منطقة بيضا على قطع اوبسيديان (سبج) جُلبت من الأناضول خلال العصر الحجري الحديث.

لا تتوفر لدينا حتى الآن أدلة توضح طبيعة التواصل التجاري مع العالم الخارجي خلال فترة العصر الحجري النحاسي والعصور البرونزية، أما من فترة العصر الحديدي فقد عُثر على رقيم طيني في منطقة طويلان في وادي موسى كُتب في منطقة حران، ويؤرَّخ لمنتصف الألف الأول قبل الميلاد، وهو عقد بيع ماشية حيث اشترى مواطن آدومي عدداً من الثيران والخراف من أشخاص غرباء[876]، ونأمل أن تزودنا الحفريات الآثارية التي ستُجرى مستقبلاً بمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع خلال تلك الفترات.

ازدهرت التجارة في البتراء بشكلٍ خاص خلال الفترة النبطية، وارتبطت حينها بتجارة الجزيرة العربية التي كانت قائمة أساساً على المواد العطرية التي بدأت في حوالي الألف الثاني قبل الميلاد[877]، ويرى الباحثون التوراتيون أن أول دليل مكتوب على وجود التجارة في المنطقة موجود في العهد القديم في معرض حديثه عن زيارة ملكة سبأ لسليمان عليه السلام[878] أما آثارياً فيعتبر أقدم دليل على وجود اتصال وعلاقات تجارية بين مصر والجزيرة العربية وشرق إفريقيا هي الرحلات البحرية التي قامت بها الملكة حتشبسوت من الأسرة المصرية الخامسة وذلك في حوالي 1472 ق.م[879].

يشير هيرودوت من القرن الخامس قبل الميلاد إلى أن بلاد العرب هي الموطن الوحيد في العالم الذي ينتج اللبان والمر والقرفة واللادن، والتي كان يتطلب الحصول عليها مصاعب جمة، إذ يُشير إلى وجود ثعابين طائرة كانت تهاجم كل من يقترب من أشجار البخور وكان يتم طرد هذه

---

[876] Dalley, S. (1984): The Cuneiform Tablet from Tell Tawilan, Levant 16, 19-22.

[877] Groom, N. (1981): Frankincense and Myrrh: a Study of the Arabian Incense Trade. Longman, Harlow, 29.

[878] سفر الملوك الأول 10:10-1.

[879] Kitchen, K. (1993): The Land of Punt. In: The Archaeology of Africa: Food, Metals and Towns. (Eds: Shaw, T., Sinclair, P., Andah, B. and Okpoko, A.) Rutledge, London and New York, 587-608.

الثعابين بحرق مادة كانت تجلب مع بعض التجار[880]. وقد تطرَّق المؤرخ ديودوروس الصقلي إلى موضوع تجارة العرب، إذ تحدث عن المنتجات العطرية لبلاد جنوب الجزيرة العربية، والأشجار التي تنمو في بلاد العرب، وذكر أن رائحة العطور كانت تفوح على طول البلاد التي تنمو فيها القرفة، والتي كانت تحتوي على غاباتٍ كثيفةٍ تشتمل على أشجار البخور الضخمة والنخيل، وتنتج كميات كبيرة من العطور التي تحمل الرياح عادة روائحها وتوصلها إلى أماكن بعيدة، وقد لعب الأنباط دوراً هاماً في هذه التجارة منذ القرن الرابع قبل الميلاد على الأقل حيث يذكر ديودوروس أن السلوقيين وأثناء حملتهم على بلاد الأنباط قد استولوا على كميات من البخور[881]، مما يؤكِّد استخدامهم وإتجارهم بهذه السلعة خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخهم (نهاية القرن الرابع قبل الميلاد).

كما تحدث المؤرخ الروماني بليني عن بلاد العرب بشكل عام في معرض حديثه عن مجتمع وقبائل هذه البلاد، وزودنا بتفاصيل عن السلع المستوردة من الشرق وأسعارها. وقد أشار بليني إلى وجود طلب مذهل على المواد العطرية الأجنبية في روما وخصوصاً الأجنبية[882]، ويؤكِّد بليني أن العرب قد تمكَّنوا من جمع ثروة طائلة من روما وبلاد فارس لأنهم يبيعون الكثير من منتجاتهم ولا يشترون مقابلها أشياء أخرى، وقد كانت السلع الشرقية تلقى قبولاً ورواجاً في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط والعالم العربي، فقد كانت روما تستورد بضائع مختلفة من الشرق مثل العاج الإفريقي، البخور العربي، الفلفل الهندي، والحرير الصيني[883]، وكانت الحكومة الرومانية تدفع مبالغ باهظة على هذه التجارة إذ يذكر بليني أن التجارة مع الهند كانت تكلف روما 12.500.000 ديناراً سنوياً، في حين كانت تجارة البخور العربي والحرير الصيني تكلف 15.500.000 دينار[884]، وكانت الجزيرة العربية مشهورة بمنتجاتها العطرية حيث يذكر بليني إن روما قد أنفقت كميات هائلة من البخور في جنازة بوبيا زوجة الإمبراطور نيرون[885].

ولعبت التجارة دوراً هاماً في اقتصاد مدينة البتراء خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية، ولكن على نحوٍ أقل مما شهدته خلال الفترة النبطية، وتؤكِّد الدراسات الميدانية استمرار استخدام طرق التجارة خلال هاتين الفترتين، فقد أكَّدت نتائج البحوث الآثارية أن طريق البتراء- غزة لم يُهْجر بعد انتهاء مملكة الأنباط، ولكنه كان ممراً رئيسياً رابطاً بين هاتين المنطقتين حتى القرنين الثالث والرابع الميلاديين على أقل تقدير إن لم يكن بعد ذلك، كما عُثر في العديد من المواقع الأثرية النبطية كالبتراء والحميمة والعقبة على لقىً تُشير إلى نشاطٍ تجاريٍ مع العالم الخارجي خلال

[880] Herodotus, The Histories, 107.
[881] Diodorus, The Library of History, XIX. 95.3.
[882] Pliny: Natural History, XII.XXXVIII.78.
[883] Wheeler, M. (1954): Rome beyond the Imperial Frontiers. G. Bell and Sons Ltd, London, 176-181
[884] Simkin, C. (1968): The Traditional Trade of Asia. Oxford University Press, London, 45.
[885] Pliny: Natural History, XII.XLI.83.

الفترة الرومانية[886]، كما أن ظهور اسم (المُقل البتراوي) Petraean bdellium في مرسوم ديوقليشيان لدليلٌ مؤكَّدٌ على أن تجارة البتراء بالبخور كانت نشطةً خلال القرن الرابع الميلادي[887].

ويبدو أن تجارة البتراء قد بدأت بالتضاؤل التدريجي في نهاية الفترة البيزنطية وتوقفت تقريباً مع بداية الفترة الإسلامية.

الطرق التجارية

قام الأنباط باستخدام الطرق التجارية الموجودة في المنطقة قبل قدومهم إليها، والتي كان أهمها طريق البخور القادم من جنوب الجزيرة والمار بأرض الأنباط، وهناك بعض الإشارات القليلة في المصادر التاريخية حول الطرق التجارية النبطية أولها سترابو الذي يقول أن البضائع تنقل من ليوكه كومي إلى البتراء ومنها إلى العريش بمصر حيث توزع بعد ذلك إلى مختلف الأمم[888] ، وهذا الطريق التجاري النبطي الذي يربط ليوكه كومي بالبتراء مذكور أيضاً عند مؤلف كتاب الطواف حول البحر الارتيري[889].

من المعروف أن الطرق التجارية يتم اختيارها عادة بناءً على معايير طبوغرافية وجيومورفولوجية واستراتيجية، وكانت تزود بمحطاتٍ وخاناتٍ لاستراحة القوافل، وأبراج مراقبه لتوفير الأمن والحماية، وتُشير الدلائل الآثارية إلى أن أبراج المراقبة الموجودة على طول الطريق التجاري المار بالمملكة النبطية هي أكثر كثافة في المنطقة الواقعة بين وادي الحسا ووادي الموجب وهذه الكثافة الواضحة تُعزى لعاملين اثنين: إن هذه الأبراج كانت تمثل جزءاً من نظام التحصينات الدفاعي خلال العصر الحديدي أي الفترة التي سبقت الوجود النبطي، والسبب الآخر هو كثرة الأعمال الآثارية التي أجريت بهذه المنطقة أكثر من غيرها من الأجزاء الواقعة على الطريق التجاري القديم حيث كانت دوافع هذه الأعمال توارتية بحتة.

يبدو إذاً أن الأنباط قد بنوا وأعادوا استخدام أبراج ومحطات مراقبة تؤرَّخ لفتراتٍ سابقةٍ من أجل حماية القوافل، وبنوا خانات مزودة بمرافق مائية ومتطلبات أخرى، وقد كانت القوافل التجارية مُلزمة بدفع تكاليف هذه الخدمات حيث يقول بليني أن القوافل كانت تدفع على طول الطريق أثناء ذهابها، بمكان للماء أو للمبيت أو لخدمات أخرى حتى تبلغ تكلفة الجمل المُحمَّل بالبخور

---

[886] Oleson, J. P. (2001): King, Emperor, Priest and Caliph: Cultural Change at Hawar (Ancient al-Humayma) in the First Millennium AD, SHAJ, 7, 570; Reid, S. (2005): The Small Temple. A Roman Imperial Cult Building in Petra, Jordan. Gorgias Dissertations 20, Near Eastern Studies 7, Piscataway, NJ: Gorgias Press, 104-105.

[887] Graf, D. F., (2007): The Nabataeans under Roman Rule (after AD 106), in: K. D. Politis (ed.), The World of the Nabataeans, Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001, Stuttgart, 176.

[888] Strabo, The Geography of Strabo, XVI.IV.24.

[889] Casson, L. (1989): The Periplus Maris Erythraei, 6.

من جنوب الجزيرة العربية إلى ما قبل سواحل البحر الأبيض المتوسط حوالي 688 ديناراً ذهبياً روماني عن كل جمل[890]، وهو مبلغ يؤكِّد الدخل العالي الذي كان يجنيه الأنباط من جراء اشتغالهم بهذه التجارة.

ازدهرت تجارة البخور والمر القادمة من جنوب الجزيرة بالإضافة إلى ازدهار تجارة البضائع القادمة من الهند وشرق إفريقيا الأمر الذي أدى إلى ازدهار وانتعاش العديد من المدن والقرى الواقعة على طول الطرق التجارية وظهور ما يسمى بـ "مدن القوافل".

أما بخصوص طريق البخور، فهو أهم طريق تجاري بالنسبة للأنباط، إذ كان يبدأ من المناطق المنتجة للمواد العطرية بجنوب الجزيرة العربية وخصوصاً من حضرموت وقتبان وظفار ثم تنقل البضائع إلى شبوة، وكانت توزع هناك وتُنقل منها إلى تمنع عاصمة قتبان، ومن هذه المدن العربية الجنوبية كانت تبدأ رحلة القوافل الطويلة حيث تمر القوافل بمأرب عاصمة سبأ ثم إلى براقش ومنها إلى نجران حيث يتفرع الطريق من نجران إلى فرعين رئيسيين:

الأول: يتجه شرقاً ليمر عبر قرية الفاو ويكمل طريقه إلى الخرج، الجرهاء ومنه إلى كراكس (ميسان) على رأس الخليج العربي. وقد عُثر على فخار نبطي في منطقة الفاو[891] الواقعة على طول هذا الطريق.

الثاني: يتجه مباشرة بالاتجاه الشمالي الغربي ليصل مكة، المدينة، العلا (دادان القديمة) عاصمة مملكة لحيان والتي شكلت جزءاً من المملكة النبطية خلال القرن الأول قبل الميلاد[892] ، وقد كانت منطقة العلا مرتبطة بجرها (الجرهاء) على سواحل الخليج العربي[893].

---

[890] Pliny: Natural History, XII.XXXII.65.

[891] al-Ansary, A. (1982): Qaryat al-Faw: A Portrait of Pre-Islamic Civilization in Saudi Arabia. Riyadh University, Riyadh, 22-24.

[892] Parr, P., Harding, L. and Dayton, J. (1970): Preliminary Survey in N.W. Arabia 1968. BIA 8,9, 213.

[893] Fiema, Z. (1991): Economics, Administration and Demography of Late Roman and Byzantine Southern Transjordan. PhD. Thesis, The University of Utah, 70.



الطرق التجارية القديمة في الجزيرة العربية (إعداد الباحث)

ومن العلا يتجه الطريق إلى الحِجر (مدائن صالح)[894] العاصمة الجنوبية لبلاد الأنباط وثاني اكبر مدينة نبطية، واعتماداً على كتاب جغرافية بطليموس فقد كان هناك طريقان يربطان الحِجر بالبتراء الأول يمر عبر مدين، وحقل (Acale) ووادي رم (Aramua) واذرح (Adru) والثاني كان يأتي من تبوك إلى البتراء[895].

ومن الحِجر يتفرع الطريق باتجاهات ثلاثة:

<u>الأول</u>: يتجه شمال شرق إلى تيماء حيث يتفرع بعد تيماء إلى ثلاثة اتجاهات فرعية هي (أ) تيماء–حائل–الخرج–الخليج العربي (ب) تيماء– تبوك– البتراء (ج) تيماء– الجوف حيث يتفرع الطريق من الجوف باتجاهات ثلاثة هي: (أ) الأول يمر عبر وادي السرحان إلى حوران ماراً بالأزرق حيث يمتد هذا الوادي بطول 300 ميل، (ب) الثاني يمر من الجوف إلى البتراء (ج) أما الثالث فيذهب إلى كراكس.

<u>الثاني</u>: يتوجه من الحِجر إلى تبوك حيث تقع مغائر شعيب.

[894] شهدت الحِجر (حجرا بالنبطية) استيطاناً نبطياً مكثفاً منذ منتصف القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي كما تشير لذلك الواجهات المقطوعة بالصخر، وقد بينت دراسة قام بها نبيل الخيري لنقوش هذه الواجهات أن 20 نقش من أصل 30 تعود إلى فترة حكم الحارث الرابع. Khairy, N. (1980): An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Madain Saleh. ZDPV 96, 164.

[895] Potts, D. (1999): Trans-Arabian Routes of the Pre-Islamic Period. In: The Arabs and Arabia on the Eve of Islam. (Ed: Peters, F.) Ashgate, Sydney, 152.

الثالث: يحتمل وجود طريق ثالث عبر روافه إلى عينونه/ ليوكة كومي. وقد عُثر في الروافه على معبد نبطي وخزانات مائية لتزويد المارة باحتياجاتهم[896] ، وهناك طريق آخر يمتد من تبوك إلى القويرة[897]، وآخر محتمل بين منطقة البدع/ مغائر شعيب والعقبة، ومن العقبة يتفرع الطريق باتجاهات أربعة هي:-

الأول: يمر عبر حسمى والقويرة ليلتقي بالطريق القادم من تبوك ثم يتجه شمالاً إلى عين القناة حيث يتفرع بعد عين القناة إلى ثلاثة اتجاهات فرعية صوب البتراء وهي:-

أ. عين القناة- الصدقة- بسطه- البتراء

ب. عين القناة- خربة السعود- دحاحة- البتراء

ج. عين القناة- خربة السعود- الطيبة- البتراء

الثاني: يتجه شمالاً ويصل إلى غرندل ومنها إلى البتراء وقد تم الكشف في هذا الطريق عن محطة لاستراحة القوافل برجم طابا[898].

الثالث: يتجه عبر الجزء الشرقي من وادي عربه ومن ثم يتوجه غرباً إلى غزة

الرابع: يتجه غرباً إلى سيناء ومصر

لقد كشفت الأعمال الآثارية عن وجود عدة طرق تربط البتراء بوادي عربه منها:

الأول: من البتراء إلى أبو خشيبه ومنها إلى وادي عربه[899].

الثاني: من البتراء إلى نقب الرباعي ومنه إلى بير مذكور[900].

الثالث: من البتراء إلى بيضا، نمله، بير مذكور حيث يتفرع الطريق من بئر مذكور إلى اتجاهات ثلاثة:-

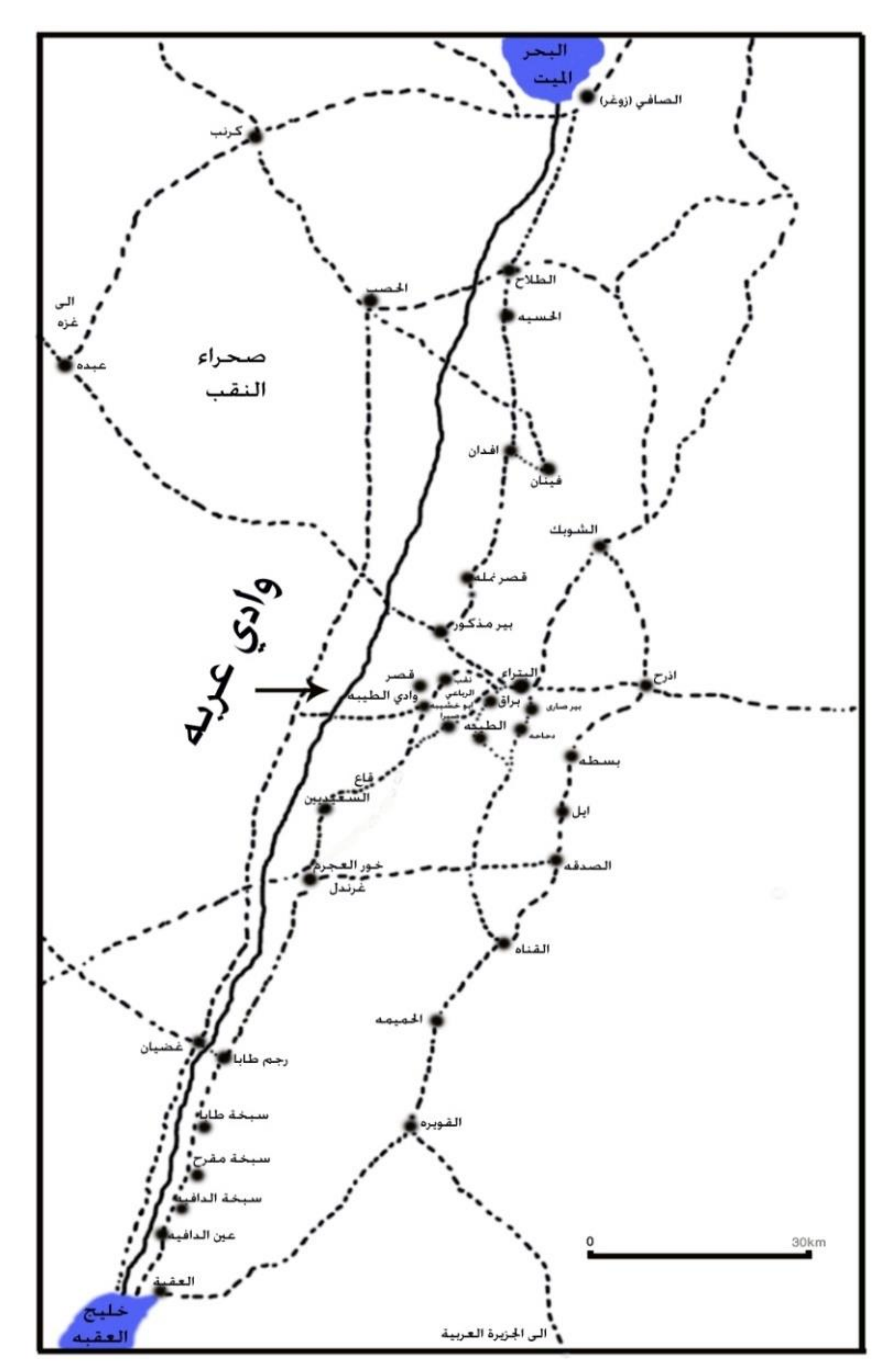
الأول: يتجه شمالاً إلى قصر الطلاح ومنه إلى ممفيس بالنقب، ومنه إلى بقية مدن النقب.

الثاني: يتجه غرباً عبر قصر العبد، عبده، غزة.

الثالث: يتجه جنوباً.

---

[896] Parr, P., Harding, L. and Dayton, J. (1970): Preliminary Survey in N.W. Arabia, 164.
[897] Glueck, N. (1935): Explorations in Eastern Palestine, 57.
[898] Dolinka, B. (2002): A Nabataean Caravanserai at Rujm Taba. Occident and Orient, March, 19-22.
[899] Linder, M. (1989): Sabra. In: Archaeology of Jordan, Field Reports. Volume 2. (Eds: Homes-Fredericq, D. and Hennessy, J.) Peeters, Leuven, 500
[900] Linder, M. and Zeitler, J. (1997/98): Sabra, 563.



خريطة الطرق التجارية القديمة المرتبطة بالبتراء (إعداد الباحث)

لقد عُثر على العديد من أبراج المراقبة ومحطات استراحة للقوافل في المنطقة الواقعة ما بين وادي الحسا ووادي الموجب، ويبدو أن الأنباط قد أعادوا استخدامها، وتبنوا نظاماً امنياً لحماية

القوافل، وأصبح هذا النظام الأساس الذي قام عليه نظام التحصينات الروماني لاحقاً[901] والذي بُني على طول طريق تراجان الذي نُفِّذ على طريق أقدم منه، ومن المحطات التجارية النبطية التي وجدت في هذه المنطقة قصر أبو ركبة[902] اللجون، رجم بني ياسر[903]، العال، الرامه[904] ، قصر ساليه[905]، نخل[906] ووادي الثمد[907].

أما بخصوص الطرق التي تربط الجزء الشمالي من المملكة النبطية مع الأجزاء الوسطى والجنوبية منها فهي على النحو التالي:

كان هناك طريقان يربطان بصرى باتجاه الجنوب الأول يمر عبر الطريق الملوكي والثاني عبر وادي السرحان وتشير خريطة التابولا بيوتنجريانا الرومانية إلى الطريق الروماني الذي كان يربط عمان ببصرى والذي يبدو انه قد بني على أساسات نبطية أقدم وهذا الطريق يبدأ من عمان ثم خربة السمرة فثغرة الجب فبصرى حيث يتجه شمالاً إلى القنوات ومنها إلى دمشق[908]، وهناك طريق آخر يربط هذه المنطقة بشمال الجزيرة العربية حيث الطريق القادم من وادي السرحان والمار من الأزرق، أم القطين ومنها إلى بصرى[909] .

ثالثاً: الأسواق النبطية

لقد عرف الأنباط نوعين من الأسواق: أسواق دائمة وموسمية، فالدائمة هي ثابتة يتم فيها البيع والشراء يومياً أما الموسمية فكان يُخصص لها وقت ومكان معين غالباً ما يكون خارج المدن، وكان العرب يقصدونها قبل الإسلام خلال فترة الأشهر الحرم، أما بخصوص الأسواق الدائمة فقد أقامها الأنباط في وسط مدنهم حول المعابد والمنشآت الدينية والمدنية، وقد كشفت لنا الحفريات الأثرية بقايا سوقين نبطيين دائمين اثنين الأول في البتراء والثاني في منطقة ممفيس بجنوب فلسطين، وبشكلٍ عامٍ، فإن هذه الأسواق قد بُنيت حسب الطراز الكلاسيكي موزعة على جانب شارع رئيسي يخترق المدينة. ويقع سوق البتراء على طول الجانب الجنوبي للشارع المعمد ويبدو أنه كان ممتداً من النمفيوم (حمام العذارى) إلى منطقة قصر البنت المقدسة[910] . وقد عُثر في منطقة السوق النبطي في البتراء على حوالي ثلاثين محلاً شهدت ثلاث مراحل استيطانية: نبطية

---

[901] Parker, T. (1976): Archaeological survey of the Limes Arabicus: A Preliminary Report. ADAJ 21, 19-30.

[902] Parker, T. (1986): Romans and Saracens: A History of the Arabian Frontiers. Eisenbrauns, Winona Lake., 89.

[903] Kennedy, D. (2000): The Roman Army in Jordan, 137.

[904] Glueck, N. (1934): Explorations in Eastern Palestine, I. AASOR 14, 38.

[905] Parker, T. (1986): Romans and Saracens: A History of the Arabian Frontiers, 48.

[906] Glueck, N. (1934): Explorations in Eastern Palestine, 66.

[907] Glueck, N. (1934): Explorations in Eastern Palestine.

[908] Bauzou, T. (1985): Le voies de communication dans le Hauran à l'époque romanie. In: Hauran I: Recherches archéologiques sur la Syrie du Sud a l'époque hellénistique et romaine. (Ed: Dentzer, J.) Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 142.

[909] Kennedy, D. (2000): The Roman Army in Jordan, 179.

[910] Fiema, Z., (1998): The Roman Street of the Petra Project, 1997: A Preliminary Report, ADAJ 42, 396ff.

ورومانية وبيزنطية، وعُثر في هذه المحال على فخاريات تتكون من جرار تخزين وأواني طبخ ومسكوكات معظمها يعود للفترتين الرومانية والبيزنطية[911]، مما يشير إلى أن هذا السوق كان مستخدماً خلال الفترة ما بين القرن الأول الميلادي وحتى القرن السادس.

أما فيما يتعلق بالأسواق الموسمية فقد عرفها العرب قبل الإسلام، وكانت تعقد في أوقات وأماكن معينة متعارف عليها، وكانت أماكن لقاء ثقافية ودينية واجتماعية حيث تشير المصادر العربية التاريخية إلى أسماء حوالي ثلاثين سوقاً موسمياً كانت تُعقد في فترة ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية وسوريا وبلاد الرافدين[912]، حيث كانت تعقد بأوقات معينة من السنة وكان يَفِدُ إليها سائر العرب للبيع والشراء، وكانت هذه الأسواق تفتح أبوابها خلال فترة الأشهر الحرم: رجب، ذو القعدة، ذي الحجة ومحرم وسبب انعقاد الأسواق بهذه الأوقات له مبررات أمنية، فهذه أشهر محرمة يحرم فيها القتال، وبالتالي فإن المشاركين في نشاطات هذه الأسواق، سواء أكانوا تجاراً أم باعة ينتقلون إلى هذه الأسواق بحرية وأمان. ويبدو إن الأنباط كان لديهم مثل هذه الأسواق.

ونعتقد أن من أسواق العرب قبل الإسلام من يعود بجذوره إلى الفترة النبطية، خصوصاً تلك التي كانت تعقد في مناطق شهدت استيطاناً ونشاطاً تجارياً كثيفاً كدومة الجندل وبصرى ودرعا والبتراء.

ولابد أن تكون ضواحي العاصمة البتراء قد شهدت تنظيم مثل هذه الأسواق حيث يرى فوزي زيادين أن منطقة الامطي في بيضا ربما كانت موقعاً لسوق موسمي على طول الطريق التجاري بالإضافة إلى سوق آخر محتمل في منطقة صبرا[913].

من الصعب إعداد قائمة بالسلع التي كانت تُباع في هذه الأسواق، ويبدو أن مصدرنا الوحيد حول أنواع البضائع التي كانت تتداول خلال العصور الكلاسيكية في بلاد العرب بشكل عام هو بليني الذي يعطينا معلومات عن بعض السلع التي كانت تباع للرومان خلال الفترة التي عاش فيها. وقد تنوعت هذه السلع فمنها ما كان من إنتاج العرب ومنها ما كان يستورد من الخارج وخصوصاً من الهند وأفريقيا، وقد قسَّم الباحثون السلع التجارية في جنوب الجزيرة العربية خلال الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثالث للميلاد إلى قسمين هما[914]:-

1. سلع كانت تنتجها بلاد العرب خاصة كالبخور، اللبان، الطيوب، العطور، المر، اللادن، الكاسيا، البلسم، الالوه، النيله، القرفة، الأحجار الكريمة، التمر، الملح، الذهب.

---

[911] Fiema, Z. (1998): The Roman Street of the Petra Project, 418-19.

[912] الأفغاني، سعيد (1960): أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، دار الفكر، دمشق، 231-407.

[913] Zayadine, F. and Farajat, S. (1991): The Petra National Trust Site Project: Excavations and Clearances at Petra and Beidha. ADAJ 35, 281.

[914] النعيمات، سلامه و ملاعبه، نهايه (1999): السلع التجارية في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) خلال الفترة ما بين القرن الأول ق.م والقرن الثالث الميلادي. دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 26، 635-650 .

2. السلع المستوردة كالبرود اليمانية، المقل، العاج، التوابل، الفلفل، الناردين.

توزيع الآثار النبطية خارج حدود المملكة النبطية (إعداد الباحث)

ويبدو أن هذه السلع كانت متداولة أيضاً في بلاد الأنباط وفي عاصمتهم، كما كانت تجارتهم تقوم على سلع كانت تُنتج محلياً كالفخار والتمر والعنب والملح والحناء[915]، والمنتجات الحيوانية والفخارية والمعدنية والخشبية.

كشفت الحفريات التي أجريت في البتراء عن عددٍ من المواد واللقى الأجنبيّة المستوردة من الخارج، والتي تعود لفترات زمنية مختلفة، وخصوصاً النبطية والرومانية والبيزنطية، مما يُشير إلى توجه محليّ لاستيراد البضائع الأجنبيّة، رغم إنتاج مواد مكافئة لها محلياً في أحيانٍ معينة، ومن هذه اللقى:

أولاً: مجموعة لقى مستوردة من الجزر اليونانيّة، وحوض البحر الأبيض المتوسط، وتشتمل هذه الآثار على جرار وكسر جرار نبيذ، بعضها يحمل أختاماً باليونانيّة وبعضها غير مختوم، كتلك التي عُثر عليها في الكتوته، معبد الأسود المجنّحة، الزنطور و"المعبد الجنوبيّ"[916]، بالإضافة إلى بقايا أواني فخاريّة من نوع الفخّار الأسود المزجج[917]، وفخاريات التيرا سيجيلاتا (د)

---

[915] Pliny: Natural History, XVI.IV.26.

[916] Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, nos. 96, 97, 101, 103; Hammond, Ph. (1977-78): Excavations at Petra, 1975-1977, *ADAJ* 22: fig. 83; Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik , 2: 3-521; Joukowsky, M. (1998): *Petra Great Temple*, n. 97.

[917] Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik: nos. 14-16, Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, n. 81.

المستوردة من قبرص[918]، ومجموعة أسرجة مستوردة من الجزر اليونانيّة[919] وقوارير عطور مزججّة باللون الأسود مستوردة من بلاد اليونان، وتؤرَّخ للفترة ما بين القرنين الثالث إلى الثاني قبل الميلاد[920]، كما عُثر على أمثلة أخرى مشابهة قليلة في الزنطور ومن قصر البنت في البتراء أيضاً[921].

ويبدو أيضاً أنّ مصدر بعض الزجاج الذي كُشف عنه في عدد من المواقع النبطيّة كالزنطور و"المعبد الجنوبيّ" والعقبة هو من جزيرة قبرص اليونانيّة.[922]

ثانياً: لقى مستوردة من الأناضول وأبرزها الرخام الذي استورد على ما يبدو من محاجر آسيا الصغرى[923]، وقد عُثر على كميات من الرخام في البتراء، تؤرّخ للفترات ما بين النبطيّة مروراً بالرّومانيّة وحتى البيزنطيّة، وتمّ إجراء تحاليل مخبريّة لهذه الرخاميات لمعرفة مصدرها، وقد بَيَّنت النتائج الأولية أنّ جميعها قد استورد من غرب الأناضول والبلقان[924]. وقد عُثر على أنواع من الرخام في المعبد الصغير في البتراء، حيث بلغ عدد الكسر المكتشفة في هذا المعبد 6173 كسرة[925].

ثالثاً: لقى مستوردة من مصر، وأبرزها مجموعة من التماثيل الفخّاريّة النبطيّة التي تُمثّل الآلهة إيزيس، عُثر عليها في عدّة أماكن داخل البتراء[926]، بالإضافة إلى تمثال صغير كُشف عنه في "المعبد الجنوبيّ" في البتراء، ربّما يكون للمعبود المصري Harpocrates واقفا فوق قاعدة مزخرفة[927].

ومن القطع الأثرية المصرية المميّزة التي عُثر عليها في البتراء، والتي يبدو أنها جُلبت مع أحد التجار المصريين، ذلك التمثال الذي كُشف عنه في معبد الأسود المجنحة، وهو معروض الآن في متحف الأردن، وهو يُصوِّر كاهناً يحمل في يده ما يُشير إلى أنه أحد كهنة الإله المصري أوزاريس، وقد صُنع هذا التمثال في مصر في حوالي عام 665 ق.م، ولكن عُثر عليه ضمن

---

[918] ‘Amr, K.(1987) : *The Pottery from Petra*, 8; Khairy, N. (1990): *The 1981 Petra Excavations*, figs. 1-19

[919] Grawehr, M. (2006): Die Lampen der Grabungen auf ez Zantur in Petra, nos. 549-550.

[920] Sachet, I., (2009): Refreshing and Perfuming the Dead, 110.

[921] كريستان أوجيه، مقابلة شخصية.

[922] Keller, D. (2006) : Die Gläser aus Petra , in : *Petra, Ez-Zantur III. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen*, edited by: Keller, D. and Grawehr, M., Terra Archeologica V, Mainz: Verlag Philipp von Zabern: p. 35, 38.

[923] Kreikenbom, D. (2002): Un nouveau portrait d'Aelius Caesar à Pétra. *Syria* 79, 195-206.

[924] Reid, S. (2004): *The Small Temple*, 131-134, Appendix B.

[925] Reid, S. (2005) *The Small Temple*, 104-105.

[926] Hammond, Ph. (1977-78): Excavations at Petra: Pl. XLVIII-1; Parlasca, Ingemarie (1993): Probleme nabatäischer koroplastik: Aspekte der Auswärtigen kulturbeziehungen Petras, in Arabia Antiqua. Hellenistic Centres Around Arabia. Serie Orientale Roma LXX, 2; eds. Antonio Invernizzi and Jean-François Salles (Rome: Instituto Italiano Per Il Medio ed Estremo Oriente), figs. 2, 3, 5, 6.

[927] Joukowsky, M. (1998): *Petra Great Temple, Vol. I*: fig. 6.90.

سياقات أثرية تعود للقرن الأول الميلادي أي بعد فترة طويلة من صناعته، ويذكر النص المنقوش عليه اسم ابن الكاهن، واسم الإله حورس، والآلهة التي في إحدى المدن المصرية[928].

ومما يجدر ذكره أن أوزاريس لم يكن يُعبد في البتراء، ونعتقد أن أحد التجار المصريين قد أحضر هذا التمثال معه إلى إليها خلال حوالي القرن الأول الميلادي.



التمثال المصري الذي عُثر عليه في معبد الأسود المجنحة، معروض في متحف الأردن (تصوير الباحث)

كما استخدمت أسطوانات أعمدة جرانيتية زرقاء اللون في تشييد كنيسة في البتراء خلال الفترة البيزنطية عُرفت باسم الكنيسة الزرقاء، وهذا الرخام غير متوفر في منطقتنا، ويبدو أنه مستورد من الخارج، إما من مصر[929] أو من الأناضول[930].

أجريت دراسة تحليليّة مخبرية للزخارف الجصيّة، التي تُزين بعض الواجهات المعماريّة في البتراء، وبعض المعالم الأخرى، حيث بَيَّنت هذه الدراسة أنّ المواد الخام التي استخدمت في تحضيرالملاط وطبقات الدّهان كانت موجودة في البتراء وجوارها، وأكدّت الدراسة أيضاً على أنّ الصبغة المصريّة قد استخدمت بكثافة لتحضير هذه الزخارف الجصيّة حيث يبدو أنّها قد صنعت في المنطقة بعد استيرادها كمادة خام[931]،

وكُشف عن أوانٍ زجاجيّة مستوردة داخل المملكة النبطيّة، إذ يبدو أنّ مصدر بعض هذه الأواني الزجاجية التي كُشف عنها في عددٍ من المواقع النبطيّة، كالزنطور و"المعبد الجنوبيّ" والعقبة، هو

---

[928] Meza, A. I. (1996): *The Egyptian Statuette in Petra*, 167–176.

[929] Perry, M. and Bikai, P.(2007): Petra's Churches. The Byzantines and Beyond, in: Th. E. Levy – P. M. M. Davia; R. Younker and M. Shaer (eds.), Crossing Jordan. North American Contributions to the Archaeology of Jordan, (London/Oakville, 435-443.

[930] Rababeh, S. (2005): How Petra was Built, 44.

[931] Shaer, M. (2005): *The Decorative Architectural Surfaces* , 148.

من مصر[932]، وكُشف أيضاً عن بقايا مشغولات، تمثّل تماثيل أنثويّة مصنوعة من الألباستر، ويبدو أنّ مصدرها مدينة الإسكندرية، إذ كُشف عن هذه الشواهد في موقعي الحبيس والزنطور والبتراء[933].

ومن الأمثلة والشواهد الأثريّة الأخرى، التي تؤكِّد عُمق الصلات النبطيّة مع مصر، هو العثور على بقايا حجارة الأميثيست، وبقايا مشغولات فنيّة مصنوعة من هذه المادة، حيث ذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه المادة كانت تستورد إلى المملكة النبطيّة من مصر، إضافة إلى خرز مستورد مصنوع من هذه المادة عُثر عليه في البتراء[934]. وقد استنتج جونسون أنّ إنتاج خرز الأميثيست تطور في المملكة النبطيّة خلال القرن الأول الميلادي، حيث كان يتمّ تصنيع هذه المشغولات من أميثيست مستورد من مصر على الأغلب[935].

رابعاً: لقى مستوردة من الهند وأبرزها الفخّار الهنديّ والذي عُثر على نوعين منه في البتراء ووادي رم وخربة الذريح والعقبة، وهذان النوعان هما الفخّار الأحمر المصقول Rep Polished Ware (RPW) والفخّار المشغول بعجلة الروليت Rouletted Ware (RW) ويؤرّخ هذا الفخّار للفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد، والقرن الثاني الميلادي[936] ، ويُعزِّز عثور الآثاريين على تاجيات أعمدة نحتت على هيئة رؤوس فيلة في مدينة البتراء هذه العلاقة.

خامساً: لقى من العالم الروماني، إذ عُثر على بقايا أواني تيرا سيجيلاتا في منطقة الزنطور ومصدرها إيطاليا وبلاد الغال تؤرّخ للقرنين الأول والثاني الميلاديين في البتراء[937]، كما كُشف عن فخاريات من نوع فخار بومبي الأحمر المطلي في منطقة الزنطور في البتراء[938]، وكشفت الحفريات عن بقايا كسر أواني زجاجية رّومانيّة، ويبدو أنّ مصدر بعض هذا الزجاج الذي كُشف عنه في عدد من المواقع النبطيّة كالزنطور و"المعبد الجنوبيّ" والعقبة هو إيطاليا[939].

[932] Karz, S. (1998): The Roman and Byzantine Glass, Petra: The Great Temple, Vol. 1, Brown University Excavations 1993-1997, 333, 335.
[933] Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, nos. 144-145, 147; Kolb, B. and Keller, D.(2002): Swiss-Liechtenstein Excavations on az-Zantur in Petra. The Twelfth Season. *ADAJ* 46, pp. 279-293.: fig. 5.
[934] Graf, D. and Sidebotham, S. (2003): Nabataean Trade. In: *Petra Rediscovered. Lost City of the Nabataeans*; ed. Markoe, G. Harry N. Abrams, New York, 65–74.
[935] Johnson, D. (1987): *Nabataean Trade*, 143.
[936] Gogte, V. (1999): Petra, the Periplus and Ancient Indio-Arabian Maritime Trade. *ADAJ* 43, 299-304.
[937] Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, nos. 406-408; Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik : nos. 107-109, 111-113.
[938] Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik: nos. 115-119.
[939] Kolb, B. , Keller, D. and Fellmann Brogli, R., (1997): Swiss-Liechtenstein Excavations at az-Zantur in Petra 1996. The Seventh Season, *ADAJ* 41: fig. 15, 16, 17a; Karz, S. (1998): The Roman and Byzantine Glass: p. 333, 335.

ومن بين المجموعات الفخّاريّة التي يبدو أنّ أصلها من إيطاليا، مجموعة أسرجة عُثر عليها في منطقة الزنطور في البتراء[940].

سادساً: لقى مستوردة من مناطق بلاد الشام المجاورة، فقد عُثر على بقايا توابيت خشبيّة في عددٍ من المناطق النبطيّة كالبتراء، ومنطقة النقب في جنوبي فلسطين، وخربة الذريح، ويبدو أنّ بعضها كان يُصنَّع من خشب مستورد من منطقة فينيقيا[941]، كما عُثر على مجموعة أسرجة فخاريّة، يبدو أنّ مصدرها فلسطين، وقد كُشف عن أمثلة عديدة على هذا النوع في منطقة الزنطور في البتراء[942]، وقد يكون مصدر بعض الزجاج الذي كُشف عنه في عدد من المواقع النبطيّة كالزنطور و"المعبد الجنوبيّ" والعقبة هو بلاد الشام.[943]

ومما يجدر ذكره في الختام أنه عُثر في وسط مدينة البتراء على عملات عربية شمالية مقلَّدة لتترادراخما مدينة أثينا، تعود إلى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد، ويبدو انها ضُربت في مكان ما في شمال الجزيرة العربية[944].

---

[940] Grawehr, M. (2006): Die Lampen der Grabungen auf ez Zantur in Petra: nos. 607-629; Barrett, D. G., (2009): The Ceramic Oil Lamp, p. 90ff.

[941] المحيسن، زيدون (2004): **الحضارة النبطيّة**، 57-59.

[942] Grawehr, M. (2006): Die Lampen der Grabungen auf ez Zantur in Petra: nos. 557-567.

[943] Keller, D. (2006): Die Gläser aus Petra, 148.

[944] Graf, D. (2013): Rediscovering Early Hellenistic Petra: Recent Excavation in the City Center, in: Studies on the Nabataean Culture I. N.I. Khairy, Th. M. Weber (ed.), Amman: 32-33.

الفصل الثامن: نقوش وكتابات البتراء وجوارها

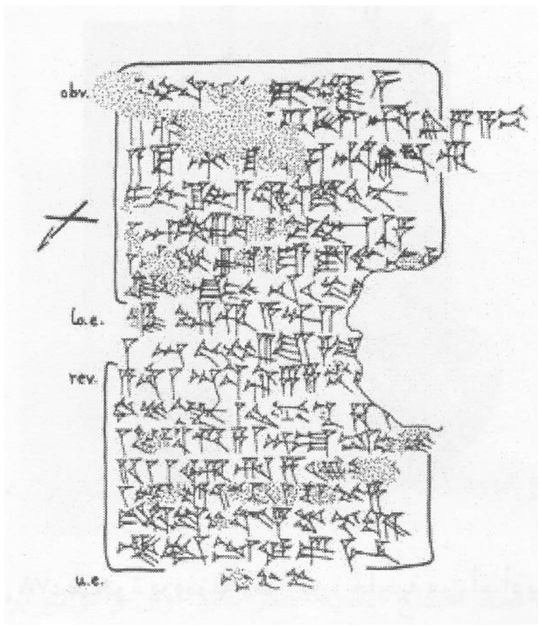
الفصل الثامن

نقوش وكتابات البتراء وجوارها

كشفت الأعمال الآثارية الميدانية التي أُجريت في منطقة الدراسة عن مجموعاتٍ من الكتابات التي تؤرّخ للفترة الممتدة ما بين العصر الحديدي وحتى نهاية الفترة العثمانية، كما تنتشر في المنطقة مجموعة من الرسومات الصخرية التي تُمثِّل حيوانات، ويبدو أن بعض هذه الرسومات يؤرّخ إلى نهايات العصور الحجرية، في حين تعود العديد منها إلى الفترة النبطية، ويمكن تصنيف النقوش والكتابات الموجودة في منطقة البتراء وجوارها زمنياً إلى المجموعات التالية:-

أولاً: الكتابات الآدومية

إن أقدم الكتابات التي عُثر عليها في البتراء هي الكتابات الآدومية، والتي تعود للعصر الحديدي (وتحديداً إلى الفترة ما بين القرن السابع- السادس قبل الميلاد)، وهي تُمثِّل أختاماً عُثر عليها في منطقة أم البيارة داخل البتراء منها ختم يذكر اسم "قوس جابر" ملك آدوم[945]، كما عُثر على كتابة مسمارية على رقيمٍ طينيٍ في منطقة طويلان عام 1982 أثناء حفريات كريستال بينيت حيث يتألف هذا النص من ستة عشر سطر، وقد كتب في حرَّان أيام الملك داريوس (قد يكون داريوس الأول 521-486 ق.م)، وهو عبارة عن عقد بيع ماشية حيث اشترى مواطن آدومي عدداً من الثيران والخراف من أشخاص غرباء[946].



رقيم طويلان[947]

ثانياً: النقوش النبطية

---

[945] Drivers, G. (1944): Seals from Amman and Petra. QDAP 11: 81-82.
[946] Dalley, S. (1984): The Cuneiform Tablet from Tell Tawilan, 19-22.
[947] Bienkowski, P. (1996): Treasures from an Ancient Land: The Art of Jordan, Sutton Pub Ltd.

رغم أن الأنباط قد تكلموا شكلاً من أشكال العربية إلا أنهم قد كتبوا نقوشهم باللغة الآرامية التي كانت لغة السياسة والتجارة آنذاك، واستخدمت الآرامية كلغة وخط في منطقةٍ واسعةٍ من الشرق الأدنى القديم، وتطوَّر نوع خاص من الخط الآرامي اقتصر استخدامه على الأنباط وأطلق عليه تسمية (نبطي) من قبل الباحثين، وتتألف الأبجدية النبطية من اثنين وعشرين حرفاً تكتب من اليمين لليسار، وتكتب منفردة أحياناً ومتصلة في أحيانٍ أخرى.

لقد كشفت الحفريات والمسوحات الآثارية الميدانية عن حوالي ستة آلاف نقش نبطي موزعة في كافة أرجاء المملكة النبطية، ولكن هذه النصوص ليست كافية لجلاء ما غمض من تاريخ هذه المملكة، ومن هذه النقوش ما هو مؤرَّخ، ومنها ما هو غير مؤرَّخ، وهي تغطي الفترة ما بين عام 168 ق.م وحتى القرن الثالث الميلادي.

أ ب ج د هـ و

ز ح ط ي ك ل م

ن س ع ف ص ق ر ش ت

الأبجدية النبطية (إعداد الباحث)

لا توجد على واجهات البتراء نقوش أو كتابات كتلك الموجودة على واجهات مقابر مدائن صالح الأمر الذي دفع الباحثين إلى التساؤل عن سبب افتقار البتراء لهذه النصوص، فقد بيَّنت الدراسات التي أجريت على واجهات البتراء أن معظمها كان مقصوراً بطبقة من الجص، ولكن لم يتبقَ شيء من هذه الطبقة، وبالتالي فإننا نتوقع وجود كتابات على هذه الطبقة التي كانت تعلو الواجهات والتي اختفت مع الزمن، كما يعلو بعض المداخل أخاديد حفرت بشكلٍ مستطيلٍ ربما كانت توضع فيها حجارة أو ألواح جصية كانت تدوَّن عليها كتابات تحوي معلومات عن هذه الواجهات.

ورغم العدد الهائل من النقوش النبطية المكتشفة إلا أن الغالبية العظمى منها مخربشات تحتوي على القليل من المعلومات التاريخية، وتحتوي هذه المخربشات الصغيرة على بعض المفردات التي تتكرر مراراً، وتتوزع النقوش النبطية في كافة أرجاء المملكة النبطية، ويبلغ عدد النقوش

النبطية الموجودة في البتراء حوالي مئتين وستين نقشاً يمكن تقسيمها حسب موضوعاتها إلى المجموعات التالية:

- المخربشات التذكارية وهي تُمثل النسبة الأعلى من النقوش المكتشفة، وهي عبارة عن أدعية وصلوات، وتحتوي أسماء أعلام قصيرة، ومفردات معينة مثل "د ك ي ر= مذكور، و "س ل م= سلام"، ب ط ب= بخير".



مخربشات نبطية من البتراء (تصوير الباحث)

- النسبة القليلة من نقوش البتراء قبورية، في الوقت الذي نجد تركزها في منطقة مدائن صالح وحوران، ومن أبرز نقوش البتراء القبورية نقش التركمانيه.
- النقوش التكريسية ومن أبرزها النقش الموجود في منطقة النمير، وذلك النقش الذي كُشف عنه في وادي موسى في ثمانينات القرن الماضي.
- النقوش الدينية وهي محدودة جداً، وأبرزها النقش الذي عُثر عليه في معبد الأسود المجنحة، والنقش الذي كُشف عنه في وادي موسى، بالإضافة إلى كتابات قصيرة كتبت بالقرب من بعض المنشآت الدينية كالأنصاب والمشكاوات.
- النقوش التي تُمثِّل توقيعات النحاتين وأولئك الذين كانوا يعملون في المحاجر.
- الأحرف التي كانت تكتب على أسطوانات الأعمدة لغاية ترقيمها قبل ترتيبها فوق بعضها البعض لعمل الأعمدة.

يُعتبر نقش (أصلح) الذي سنتحدث عنه في الفصل الاخير من هذا الكتاب أقدم نقش نبطي مؤرخ في البتراء، ويعود إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وهناك أيضاً نقش نبطي هام يتحدث عن عمل تمثال للملك رب ايل الثاني والذي لا نعرف عنه شيئاً [948]، بالإضافة إلى نقش تمثال عبادة الذي عُثر عليه في منطقة النمير والمؤرخ لعام 20م، والذي يسرد لنا أسماء العديد من

[948] CIS II 349.

أفراد العائلة الحاكمة النبطية[949]، والتي يتكرر ذكرها في نقش آخر عُثر عليه في منطقة الخُبثه[950] .

ومن بين النقوش النبطية المميزة في البتراء نقش التركمانيه الذي يتحدث عن الأجزاء التي يتكون منها القبر النبطي، ونقش النمير الذي يتحدث عن الملك النبطي عبادة الإله ونقشي الخُبْثَه ووادي موسى التي تزودنا بأسماء أفراد العائلة المالكة النبطية وفيما يلي ترجمة لنقش التركمانيه أهم هذه النقوش:

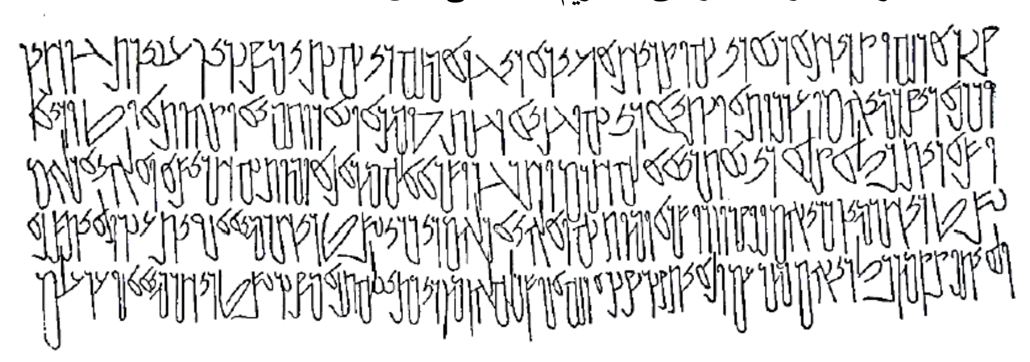
1- القبر هذا والحجرة الكبيرة التي به والحجرة الصغيرة التي بداخله التي بها بيوت مقابر عُملت أروقه.

2- والحظيرة التي أمامهم والكوات والبيوت التي بها والحديقة وحديقة الطعام وآبار المياه والشرفات والأسوار.

3- وسائر الأملاك التي بالمكان، هذا قدس وحرم ذي الشرى إله سيدنا وعرشه ح ر ي ش ا[951] والآلهة كلهم.

4- بموجب وثائق التحريم التي بهن سلطة ذو الشرى وعرشه والآلهة كلهم الذين في وثيقة التحريم هذه لا يعمل ولا يساء.

5- ولا يقسّم من كل الذي بهن شيء ولا يقبر بالقبر هذا أناس ما عدا من كتب له هذا القبر بـ< موجب> وثائق التحريم هذه حتى الآن.



رسم تفريغي لنقش التركمانية[952]

ومن بين النقوش الأخرى المميزة ذلك النص الذي عُثر عليه في معبد الأسود المجنحة والمنقوش على قطعة رخامية والمعروض حالياً في متحف البتراء، ويذكر ما يُقدَّم للمعبد والكهنة من قرابين

---

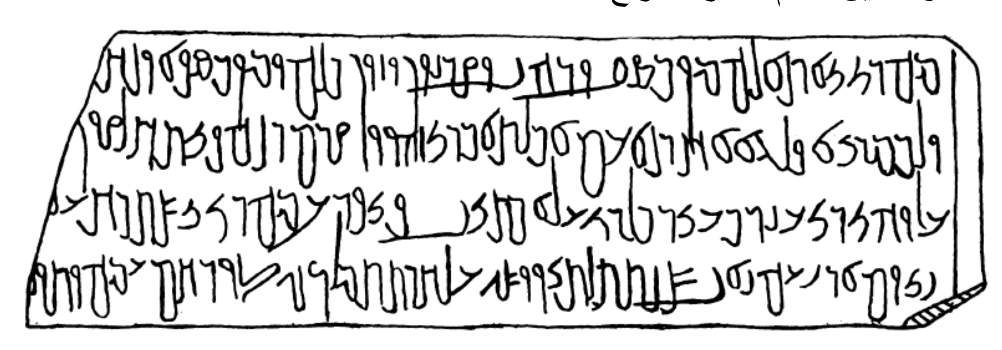
[949] CIS II 354.

[950] RES 1434

[951] ربما أمكن ترجمة (ح ر ي ش ا) بط" المُذهَّب" أو" الذهبي" لأن عرش ذي الشرى كان من الذهب أو يُطلَى بالذهب كما جاء في موسوعة Suidas.

[952] Cantineau, J., (1978): Le Nabatéen, 4.

من فضة وذهب وأخرى من الفضة والبرونز وحصة الكهنة، والنقش مؤرخ لشهر آب من السنة السابعة والثلاثين لحكم الحارث الرابع [953].



رسم تفريغي لنقش معبد الأسود المجنحة[954]

وفي نفس الوقت الذي كتب به الأنباط بالنبطية، نجد أن هناك قبائل بدوية خاضعة لحكم الأنباط كانت تكتب بخط البادية المعروف لدى الباحثين بالخط الصفوي، ولم يُعثر على مثل هذا النوع من الكتابات في البتراء وجوارها باستثناء مخربشتين قصيرتين ثموديتين.

أما بخصوص الخط العربي وعلاقته بالخط النبطي فقد اختلف الباحثون في ذلك فذهب فريق إلى إن الخط العربي منحدر عن الخط السرياني، في حين ذهب فريق آخر إلى أن الخط العربي منحدر عن الخط النبطي، وهو الرأي الأكثر قبولاً بسبب تشابه أشكال العديد من الأحرف النبطية العربية.

ولم تقتصر كتابات الأنباط على الحَجر بل استخدموا أوراق البردي للكتابة، حيث عُثر على مجموعات من أوراق البردي النبطية بالقرب من عين جدي غرب البحر الميت دُوِّنت عليها نصوص تجارية قانونية[955]، وتكمن أهمية هذه الوثائق في طولها فهي أطول نصوص نبطية يعثر عليها إلى الآن، وهي وثائق مكتوبة بالحبر على ورق البردي، ويبلغ حجم أكبر ورقة بردى حوالي 14.2×81سم [956]، وتعتبر هذه الوثائق مصادر تاريخية وقانونية مهمة فهي تلقي لنا الضوء على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة غور الصافي خلال السنوات الأخيرة لحكم رب ايل الثاني (70–106م) والسنوات الأولى التي تلت تأسيس الولاية العربية حيث تؤرَّخ آخر البرديات لعام 132م.

---

[953] Jones, R. (1989): A New Reading of the Petra Temple Inscription, BASOR 275, 41–46.

[954] Jones, R. (1989): A New Reading of the Petra Temple Inscription.

[955] Starcky, J. (1954): Un contrat nabatéen sur papyrus. RB 61, 161-81; Yardeni, A. (2000): Textbook of Aramaic, Hebrew and Nabataean Documentary Texts from the Judean Desert and Related Materials. The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem, volume 1, 290-292; Yadin, Y. (1962): Expedition D-The Cave of the Letters. IEJ 12, 227-57; Benoit, P., Milik, J. T. and de Vaux, R. (1961): Les Grottes de Muraba‘«t (Discoveries in the Judaean Desert II), (2 volumes), Clarendon Press, Oxford; Cotton, H. and Yardeni, A. (1997): Aramaic, Hebrew and Greek Documentary Texts from Nahal Hever and Other Sites (Discoveries in the Judaean Desert XXVII). Clarendon press, Oxford; Healey, J. (2004): A Nabataean Papyrus Fragment (Bodleian MS Heb. D. 89). ZPE 146, 183-88.

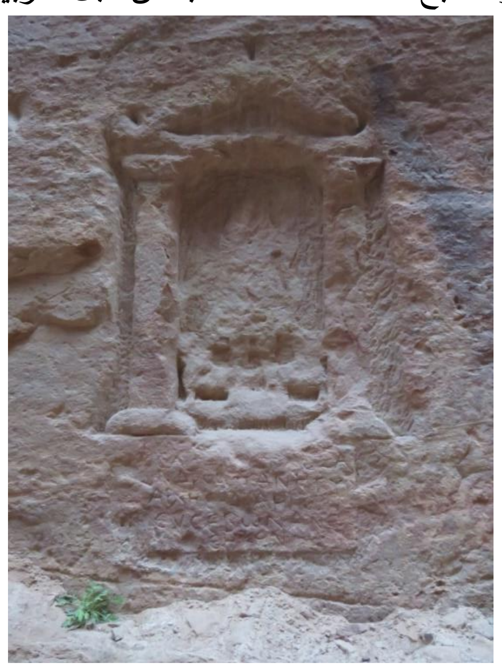
[956] Yadin, Y., Greenfiled, J., Yardeni, A. and Levine, B. (2002): The Documents from the Bar Kokhba Period in the Cave of Letters, 173.

ثالثاً: النقوش اللاتينية واليونانية

لقد كشفت المسوحات والحفريات الآثارية عن العديد من النقوش اللاتينية واليونانية في البتراء وجوارها، ومن أبرز البقايا الكتابية التي عُثر عليها في البتراء مجموعة البرديات اليونانية التي كُشف عنها في كنيسة البتراء الرئيسة عام 1993م، والتي تم الحديث عنها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

والنقوش اليونانية واللاتينية التي عُثر عليها في البتراء عديدة، وكُشف عن الكثير منها في وسط المدينة في محيط ساحة معبد قصر البنت، ويمكن تقسيم هذه النقوش من حيث محتواها إلى المجموعات التالية:-

1. النقوش التكريسية مثل تلك التي تُشير إلى تكريس مذابح وغالبيتها مكتوبة باللاتينية، كما عُثر في السيق على نقشٍ يونانيٍ مكرسٍ لسابينوس الإسكندر قائد الاحتفالات الدينية القادم من درعا من جنوب سوريا ليشارك في احتفال ديني بالبتراء، حيث يرى بعض الباحثين أن الأنباط في البتراء وبصرى كانوا يقيمون كل أربع سنوات احتفالا على شرف الإله ذي الشرى، إذ عُثر على قطعة نقدية رومانية تحمل على وجهها إشارة إلى هذا الاحتفال مع صورة لمذبح تدعمه ثلاثة أنصاب من أجل القرابين.



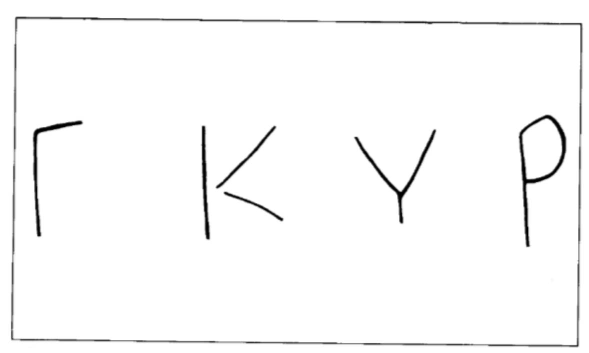
صورة لنقش ومنحوتة سابينوس (تصوير الباحث)

ووجد نقش يوناني شمال غرب البتراء يذكر اسم "عبد عبادة بن عبد عبادة" والذي كان قائداً مسؤولاً عن الطرق الموجودة بالمنطقة ومراقبتها، ويذكر اسم منطقة نمله الواقعة في وادي عربه [957].

2. النقوش التكريمية الخاصة بالأباطرة منها نقش يذكر اسم الإمبراطور قيصر بن نيرفا ويذكر اسم كايوس كلاوديوس سيفيروس حاكم الولاية العربية بين 107-115م، وآخر يذكر اسم الإمبراطور الروماني ديوقليشيان ويؤرخ للفترة ما بين 285-288م ويذكر اسم ايليوس فلافيانوس حاكم المنطقة العربية عام 286م[958].
3. النقوش البنائية والمعمارية، ومن أبرزها النقش اليوناني المكتوب على قبر الجرة والذي يؤرَّخ إلى عام 446م، ويشير إلى تحول هذا القبر إلى كنيسة وذلك في عهد أسقف البتراء ياسون Jason[959].
4. النقوش الدينية، ومنها النقش الذي عُثر عليه في السيق والذي يُشير إلى (الإله الذي يسمع الصلوات)، وتُشير نقوش السيق هذه إلى أن السيق كان له أهمية دينية خلال الفترة الرومانية[960]، تماماً كما كان عند الأنباط، كما عُثر في منطقة جبل هارون على كسرٍ من نقوشٍ منها ما هو منقوش على الصخر، ومنها ما هو مكتوب فوق الجدران، وهذه الكتابات صغيرة وقصيرة منها بعض النصوص الدينية من الكتاب المقدس.
5. شواهد القبور، مثل نقش سيكستيوس فلورنتينوس حاكم الولاية العربية، ونقش لاتينيٍ دفنيٍ آخر يذكر اسم الفيوس[961]، ونقوش دفنية صغيرة منتشرة في العديد من الأماكن، كما عُثر على نقش في وادي موسى يؤرخ إلى عام 517/516م، ويذكر اسم شخص يدعى أنتيباتروس، ويشير إلى والده الذي كان يعمل مستشاراً في البتراء.
6. النقوش العسكرية منها نقش يذكر اسم انطونيوس فالنيس من الوحدة العسكرية الثالثة الرومانية. ووجد في السيق نقش يذكر اسم أحد الفيالق الرومانية بشكل مختصر، وهو الفيلق البرقي (القوريني) الثالث[962] III Cyrenaica[963] λεγιων Κυρηναιχη وكان مقره بصرى، وكانت وحدات تابعة له تخدم في كافة أرجاء الولاية العربية الرومانية.

---

[957] Zayadine, F. (1993): Inscriptions grecques et nabatéennes au nord de Pétra, Syria 70, 85–88.
[958] Tracy, S. (1999): Two Inscriptions from Petra. ADAJ XLIII, 305-309
959 Brunnow and Domaszwski, Die Provincia Arabia, III. 345
[960] Zayadine, F. and Fiema, Z. (1986): Roman Inscriptions from the Siq of Petra.
[961] Tracy, S. (1999): Two Inscriptions from Petra. ADAJ XLIII, 305-309.
[962] نسبة لبرقة الواقعة شرقي ليبيا حيث يبدو أن هذا الفيلق قد تم تشكيله بداية على يد مارك انطونيوس عندما كان حاكماً هناك وذلك في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد.
[963] Kennedy, D. (2000): The Roman Army in Jordan, 48.



رسم للنقش الذي يذكر اسم الفيلق البرقي (القوريني) الثالث بصورة مختصرة[964]

كما عُثر في منطقة الزنطور على أختامٍ طينيةٍ غير مشويةٍ حملت كتابات بلغ عددها 122 وتعود للفترة الرومانية، وكان يتم إلصاق هذه الأختام بأوراق البردي التجارية، ويمكن تصنيف هذه الأختام اعتماداً على الأشكال التي تحملها إلى المجموعات التالية[965]:-

- النوع الأول وتظهر على أختامه صورة نصفية لتايكي يعلو رأسها التاج ويحيط بها لقبا مدينة البتراء "المدينة الأم" و "المستعمرة".
- النوع الثاني وتظهر عليه تايكي جالسة على صخرةٍ يعلو رأسها التاج، وتحمل بيدها اليمنى قارورة، ونقش حول الصورة بعض ألقاب المدينة كـ "الأنطونينية" "المستعمرة" "الهادريانية".
- النوع الثالث وتظهر عليه تايكي متجهة لليمين ويحيط بها اسم المدينة وألقابها.
- النوع الرابع ويمثِّل نصباً دينيا أو مذبحاً يحيط به مشعلان.
- النوع الخامس ويمثِّل شخصاً واقفاً، وبجانبه شكل نباتي.



أختام طينية من الفترة الرومانية[966]

رابعاً: النقوش الإسلامية

عُثر في البتراء على العديد من النقوش الإسلامية في منطقة جبل هارون ومنطقة دنقور الخزنة وهي نقوش تذكارية كتبت من قبل أشخاص زاروا المنطقة، وتحوي أدعية وتؤرَّخ هذه النقوش للفترة ما بين القرن الثاني للهجرة وحتى نهاية الفترة العثمانية. ومن هذه النقوش، النقش التالي

---

964 Zayadine, F. and Fiema, Z. (1986): Roman Inscriptions from the Siq of Petra. Remarks on the Initial Garrison of Arabia, ADAJ 30, 199–206.

965 Gitler, H. (2002): A Group of 120 Clay Bullae from Petra.

966 Gitler, H. (2002): A Group of 120 Clay Bullae from Petra.

الذي وجد في منطقة دنقور الخزنة وهو مؤرخ للعام 109 بعد الهجرة أي عام 727م حيث وجد بالقرب منه العديد من الرسومات الصخرية ويقرأ النقش كالتالي:

اللهم أغفر لسليمـ(ـا)ن بن محمود

ذنبه وكتب في شهر ربيع الأول

سنـ(ـة) تسع ومايه





نقش عربي من دنقور الخزنة بالبتراء (المصدر: الباحث)

الفصل التاسع: دراسة لأبرز المواقع الأثرية في البتراء وجوارها

الفصل التاسع

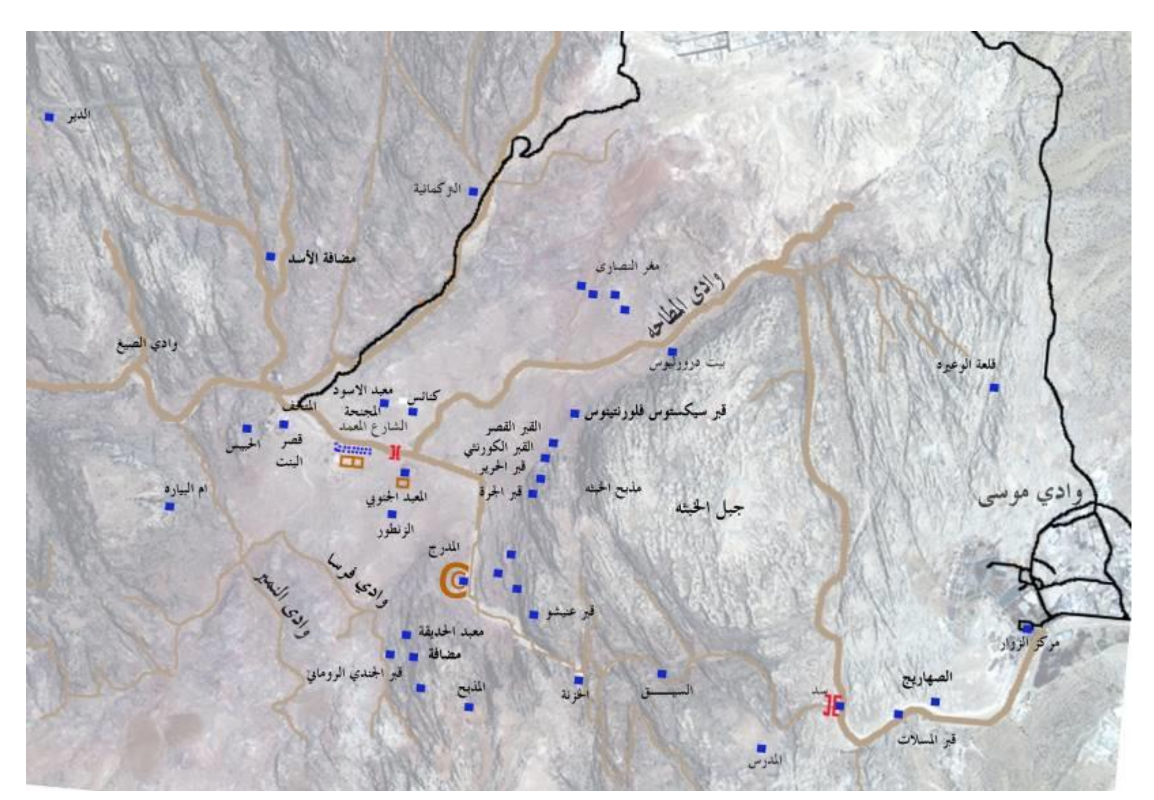
دراسة لأبرز المواقع الأثرية في البتراء

سُكنت البتراء وجوارها منذ عصور ما قبل التاريخ وبلا انقطاع حتى الوقت الحاضر، وازدهرت بشكلٍ خاصٍ خلال الفترة النبطية عندما اتخذها الأنباط عاصمة لهم، وبُنيت آنذاك مدينة متكاملة ذات نسيجٍ عمرانيٍ منظَّمٍ مبنيّة حسب نمط مخططات المدن الهلنستية اليونانية، يخترقها شارع رئيسي يشبه الشارع الذي يمرُّ بمركز المدينة اليونانية، ويحيط به صفان من الأعمدة والمحلات التجارية، وقد بيَّنت نتائج المسوحات الآثارية التي أجريت في البتراء مع بداية القرن الحالي أن المدينة تحتوي حوالي 3197 معلماً أثرياً مكتشفاً وظاهراً للعيان حتى الآن، وهذه المعالم مُقسَّمة إلى مجموعاتٍ كما هو مبين في الجدول المدرج أدناه، وهذا الرقم سيزداد حتماً في ضوء الأعمال الآثارية التي سيتم إجراؤها في الموقع الأثري مستقبلاً [967]:

نوع المنشآت	عددها
حُجر محفورة في الصخر	1179
قبور تذكارية ضخمة	628
منشآت دينية صغيرة	516
خزانات مياه	188
مضافات دينية وجنائزية	118
قبور عمودية	101
معاصر نبيذ[968]	22
نصب جنائزية من نوع (ن ف ش)	34
معابد ومعابد محتملة	7
منشآت متفرقة أخرى	404
المجموع	**3197**

وفيما يلي شرح لأبرز معالم المدينة الأثرية:-

[967] انظر Nehmé, L. (2003): The Petra Survey Project, in: Petra Rediscovered.
[968] تم اكتشاف أعداد أكبر من هذا الرقم مؤخراً.



خريطة للبتراء تبين أهم المواقع الواردة في هذه الدراسة

الصهاريج أو "كُتل الجن" (Djen Blocks)

تقع هذه المنشآت المنحوتة بالصخر قبل الوصول إلى قبر المسلات، وهي أول ما يشاهده الزائر لمدينة البتراء، وهي عبارة عن كتلٍ حجريةٍ شبه مكعبةٍ مقطوعةٍ في الصخر، كان يعلو بعضها زخارف وأفاريز، ولكنها تعرَّضت كثيراً للعوامل الجوية التي أدت إلى طمس الكثير من معالمها الزخرفية، أما من الداخل فمن هذه المنشآت ما يحتوي على حجرةٍ صغيرةٍ، ومنها ما يُمثِّل فقط كتلة مُكعَّبة غير منحوتة من الداخل.

اقترح الباحثون عدة آراء بشأن الغاية من عمل هذه المنشآت، فمنهم من اعتقد أنها مقابر ومنهم من اعتقد أن لها دلالات رمزية، ولكن الرأي الأغلب والأقرب للصواب هو أن بعضها يمثِّل مقابر بدلالة الاكتشافات الأخيرة التي حددت وظيفتها[969].

وربما كانت لبعض هذه الكتل المُكعَّبة وظائف دينية، حيث يذكر مؤلف كتاب Suda إن الإله ذو الشرى كان يُمثَّل على هيئة صخرة مربعة ارتفاعها أربعة أقدام وعرضها متران اثنان، وتقف على قاعدة ذهبية حيث يذبحون الأضاحي أمام هذه الصخرة ويريقون عليها الدم[970]، ويقارب هذا

[969] Mouton, M. (2010): The monolithic djin blocks at Petra: a funerary practice of pre-Islamic Arabia. In: Death and Burial in Arabia and Beyond: Multidisciplinary perspectives, edited by Lloyd Weeks, 275-287.

[970] Hackl, Ursula; Jenni, Hanna and Schneider Christoph (2003): Quellen zur Geschichte der Nabatäer, 617-618.

الوصف وصف المؤرّخ الإغريقي هيروديان (170–240م) لأحد معابد الشمس الحمصية حيث كان يتم تصوير الشمس على هيئة حجرٍ ضخمٍ مخروطي الشكل يستدق كلما اتجه للأعلى له قاعدة مدوَّرة وهو أسود اللون[971].

كما كان للشكل المكعَّب قداسة عن العرب قبل الإسلام في الجزيرة العربية، إذ تذكر لنا كتب التاريخ عدداً من البيوت المقدسة "الكعبات" عند العرب قبل الإسلام كبيت العزى وبيت اللات وذي الكعبات الذي كانت تحجُّه ربيعة قبل الإسلام، وبساء وهو بيت بنته غطفان وسمته مضاهاة للكعبة كما يقول ياقوت الحموي، وكون الأنباط ينتمون إلى العرب وديانتهم فلا بُدَّ أن يكون لهذه المنشآت دلالات مماثلة ومشابهة، وربما كانت تمارس بالقرب منها وحولها بعض الطقوس والشعائر الدينية.

وقد عُثر على ما يشابه هذه المنشآت في قرية الفاو في المملكة العربية السعودية[972] ، وهي تؤرَّخ إلى القرن الثالث قبل الميلاد، مما يُشير إلى أن فكرة إنشاء هذه المقابر قد جاءت من جنوبي شرق شبه الجزيرة العربية إلى البتراء، ومنها إلى تدمر التي عُثر فيها أيضاً على أبراج جنائزيّة يؤرّخ أقدمها إلى حوالي عام 9 ق.م وآخرها إلى عام 128م، وهي عبارة عن مدافن جماعية صُنِّفت إلى أنواع ومجموعات، ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ عادة جمع المدفن مع الصرح قد أتت من شبه الجزيرة العربيّة إلى سوريا في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد عن طريق الأنباط[973].

ويمكن مقارنة هذه المنشآت المعمارية مع منشآت مماثلة عُثر على بقاياها في منطقة مليحة في دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تؤرّخ إلى الفترة ما بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد، وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات البسيطة بين منشآت مليحه الجنائزية والصهاريج النبطية كمادة البناء وتزويد منشآت البتراء أحياناً بحُجرٍ مقطوعة في الصخر، إلا أنهما يشتركان في العديد من الخصائص منها[974]:

1. أن المقابر البرجية التي عُثر عليها في مليحة وتلك التي عُثر عليها في البتراء مربعة الشكل، يعلوها برج زُين في أعلاه بالزخرفة المعروفة بزخرفة خطوة الغراب.
2. بُنيت مقابر مليحة إلى الجنوب والجنوب الشرقي من المناطق السكنية وكذلك تلك الموجودة في البتراء، إذ تتوزع الشواهد النبطية المشابهة هناك في منطقة باب السيق الواقع شرق المدينة ومنطقة رأس سليمان الواقع جنوب غرب المدينة.

---

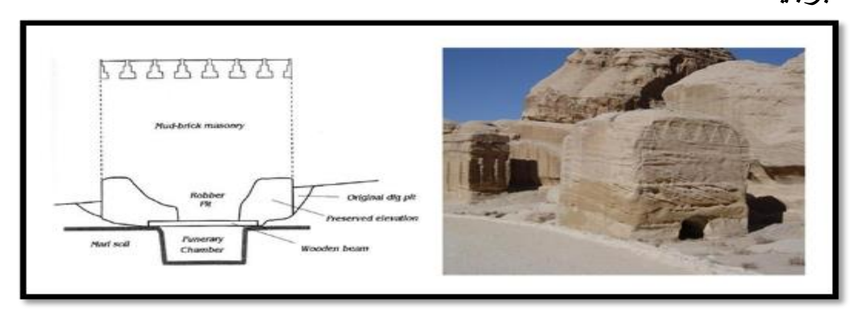
[971] Herodian (1969): History, ed./tr. C.R. Whittaker, Cambridge (Ma.), Loeb, 5.3.

[972] al-Ansary, A. (1982): Qaryat al-Faw.

[973] سعد، همام (2006-2007): أصول البرج الجنائزيّ التدمري ومراحل تطوره. الحوليات الآثارية العربيّة السّورية، المجلدان التاسع والأربعون والخمسون، 23-38، Gawlikowski, (1972): La notion de tombeau en Syrie romaine, Berytus, 21, 5-10.

[974] Mouton, M. (2010): The monolithic djin blocks at Petra.

3. لبعض المقابر البرجية التي عُثر عليها في مليحة قاعدة مدرجة وكذلك مقابر البتراء البرجية.



إلى اليسار: رسم تخيلي لأحد الأبراج الجنائزية في مليحه (إمارة الشارقة في دولة الإمارات العربية المتحدة) والتي تعود إلى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد ، إلى اليمين: أحد "الصهاريج" الموجودة في البتراء

ويستنتج بعض الباحثين أن عُلّو هذه الأبراج قد يُحدّد بحسب درجة غنى الشخص المدفون[975]، وكذلك المدافن النبطية المقطوعة في الصخر والتي تعكس الحالة الاجتماعيّة لمالك القبر، ويُمكننا معرفة الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمتوفى من خلال المدفن، إذ أنّ العديد من القبور النبطيّة المقطوعة في الصخر هي مملوكة من قبل أشخاص من ذوي مكانة رفيعة في المجتمع[976].



مقترح يبين شكل الصهاريج التخيلي قديماً وشكل أحدها حالياً[977]

مضافة باب السيق وقبر المسلات

يظهر هذان البناءان على شكل واجهة واحدة وهما يمثلان مدفناً ومضافة جنائزية مُلحقة بها، وتقع واجهة هذين البنائين إلى الشرق من السيق، ويبدو أنهما قد بُنيا في نفس الوقت، وقد عُثر على نقشٍ نبطيٍ مقابل الواجهة اعتمد عليه الباحثون لتأريخ هذه الواجهة إلى القرن الأول الميلادي، حيث يذكر هذا النقش المكتوب بالنبطية واليونانية قيام شخص يُدعى عبد منكو بن

---

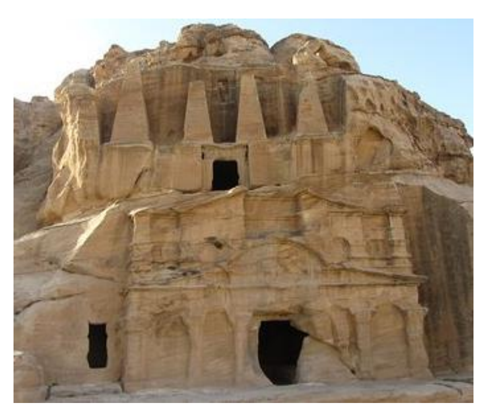
[975] Boucharlat, R. and Mouton, M. (1997): Excavations at Melieha Site: A Preliminary Report. In: Archaeological Surveys in Sharjah Emirate (U.A.E), Third Report (1986), Directorate of Archaeology in Sharjah and the French Archaeological Mission, 33-44.

[976] Healey, J. (1993): The Nabataean Tomb Inscriptions, nos. 6, 19, 24, 31, 32, 34, 38.

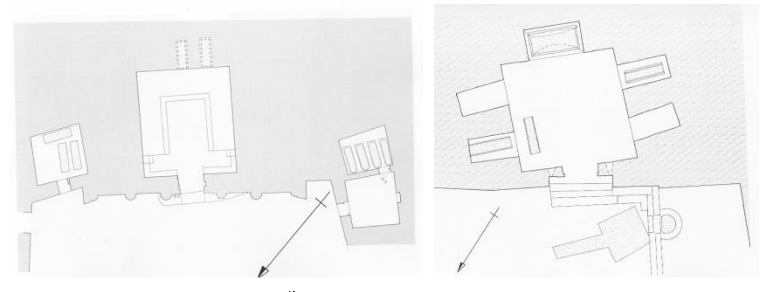
[977] Tholbecq, Laurent et al (2017): Mission archéologique française à Pétra. Rapport des campagnes archéologiques 2016-2017, Mission Archéologique Française, Bruxelles.

أكيس ببناء مدفن له ولأولاده وأولادهم في عهد الملك النبطي مالك الذي قد يكون مالك الثاني 40-70م[978].

تُشكِّل المضافة الجزء السفلي من الواجهة وفيها ست دعامات نُحتت بصورةٍ ملاصقةٍ للواجهة، حيث يبدو أن عوامل التعرية قد أثرت كثيراً على هذا الجزء، أما الحجرة التي تقع خلف المضافة فهي مربعة تقريباً وفي جدارها الخلفي تجويفان. أما الجزء العلوي من الواجهة فهو يتألف من أربع مسلات مقطوعة بالصخر يبلغ ارتفاعها ما بين 4-7م وتتوسطها مشكاة مزينة بالأعمدة والأفاريز وتحوي تمثالاً غير واضح المعالم، ولكن من خلال طيات الملابس يمكننا أن نستنتج أنها تعكس تأثيرات فنية إغريقية، ويتم الوصول إلى هذا الجزء من البناء عن طريق درج إلى اليسار مارا بخزان ماء. أما من الداخل فتوجد حجرة مربعة يبلغ طول ضلعها 5.80م وتوجد قبور بأرضية الغرفة.



واجهة قبر المسلات (تصوير الباحث)



مخطط قبر المسلات (يمين) ومضافة باب السيق (يسار)

مضافة أصلح

تقع هذه المضافة مقابل السيق، ويوجد بداخلها وعلى جدارها الداخلي نقش مهم يعود إلى بداية القرن الأول قبل الميلاد، وهو أقدم نقش مؤرخ في البتراء، ويذكر قيام شخص اسمه اصلح بن

[978] Wadeson L. (2012): The Obelisk Tomb at Petra and the Bāb al-Sīq inscription: a study of text, image and architecture. In G. Kiraz & Z. al-Salameen (eds), From Ugarit to Nabataea: Studies in Honor of John F. Healey. Piscataway, NJ: Gorgias Press, 207–234

اصلح بعمل غرفة دفنية وخزان مائي كرَّسهما لذي الشرى وذلك في السنة الأولى من حكم الملك عبادة الأول[979].

هذه الصروح والبئر التي عملـ(ـها) أصلح بن أصلح
هذا الصرح الذي عملـ(ـه) أصلح بن أصلح
لذي الشرى إله منبتو في حياة عبادة ملك
الأنباط بن الحارث ملك الأنباط سنة 1

رسم تفريغي لنقش أصلح وترجمته العربية

وقد كشفت الحفريات التي أجريت مؤخراً في هذه المنطقة عن عددٍ من المنشآت التي كانت مرتبطة بهذه المضافة من بينها مدافن ومنشآت دينية.

قوس باب السيق والسيق

كان مدخل السيق المؤدي إلى البتراء مُقنطراً، وكان يعلوه قوس ولكنه سقط عام 1895م، وهو مدمر حالياً ولم يتبقَ منه إلا جزء قليل، وفي الجانبين الشمالي والجنوبي للمدخل توجد مشكاتان مقوَّستان منحوتتان في الصخر، وهما محاطتان بدعامتين، وقد نحتت قناة للماء في قاعدة المشكاة الجنوبية، في حين مُدَّت قناة فخارية في الجزء المقابل لها.





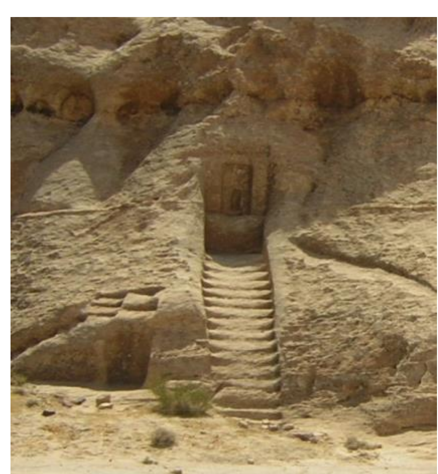
[979] Cantineau, J. (1978): Le Nabatéen, 2.

بوابة السيق حالياً (يمين، تصوير الباحث) ورسم ليون دو لا بورد للقوس الذي كان يعلو بوابة مدخل السيق عام 1828م (يسار)[980]

يبلغ طول السيق حوالي 1200م، وهو يُمثِّل المدخل الطبيعي والرئيسي للبتراء، ويتراوح ارتفاعه ما بين 75 إلى 90م، وقد تمَّ تبليطه على مرحلتين خلال الفترتين النبطية والرومانية، وزوِّد بالقنوات المائية، كما زُوِّد هذا الممر بالعديد من المشكاوات والأنصاب الدينية النبطية بالإضافة إلى بعض النقوش اليونانية ذات الطابع الديني التي تؤكِّد ممارسة بعض الشعائر والطقوس الدينية خلال الفترتين النبطية والرومانية.

المَدْرَس

يقع المَدْرَس جنوب السيق، ويعتبر أحد المواقع الدينية المهمة في البتراء، وتوجد في هذه المنطقة العديد من المضافات والمشكاوات والأنصاب وخزانات المياه والقنوات، بالإضافة إلى معالم أثرية تُشير إلى أهمية المنطقة الدينية، وبالقرب من المَدْرَس قام الأنباط ببناء مجموعة من السدود الوقائية الإعتراضية في المنطقة المنحدرة المحاذية لهذه المنطقة؛ وذلك من أجل التحكم باندفاع الماء خلال موسم الشتاء وتخفيف تأثيره التدميري والاستفادة منه[981].

صور لبعض المنشآت النبطية الموجودة في منطقة المَدْرَس (تصوير الباحث)

وقد عثر على مجموعةٍ من النقوش النبطية الدينية الطابع في هذه المنطقة، حيث يذكر إحدها عمل تمثال لذي الشرى من قبل شخص وصفه النقش بأنه "سيد المعسكر"[982]، ويذكر نقش آخر اسم منطقة المَدْرَس بالنبطية وهو "م د ر س ا" ويقرأ كالتالي[983]:

---

[980] Laborde, Léon de, (1936): Journey through Arabia Petraea to Mount Sinai, and the excavated city of Petra, the Edom of the prophecies, London.

[981] Farajat, S., and Falahat, H. (1999): The Role of the Nabataean Hydraulic System, 25-32.

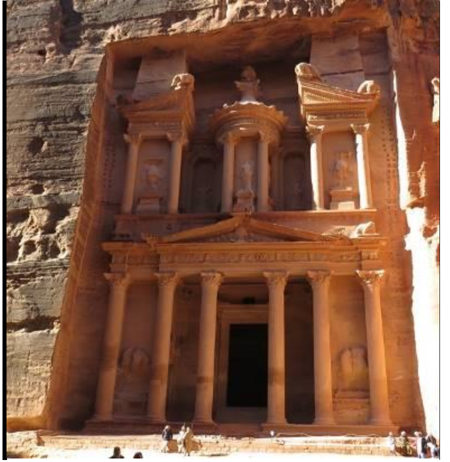
[982] CIS II 442

[983] CIS II 443

1. <ليكن> مذكوراً وهبو بن قومو
2. وأمه (ع ل ي م ت ر ا س)
3. بخير من أمام
4. ذي الشرى إله المدرس

الخزنة

وكان يسميها سكان المنطقة الجرة أيضاً، وهي تعتبر أكثر الواجهات النبطية الموجودة في البتراء لفتاً للاهتمام وذلك لبداعة نحتها وكثرة العناصر الفنية التي تم تصويرها عليها، إذ ظهرت عليها العديد من منحوتات الوجوه البشرية التي تم طمسها بشكلٍ مُتعمَّدٍ خلال فترات تلت سقوط مملكة الأنباط، وقد طرحت عدة نظريات حول وظيفة الخزنة وتاريخها، فمن الباحثين من أرجعها إلى عهد هادريان الروماني وربطها بزيارته للبتراء، ومنهم من أرخها الى الفترة الهلنستية المتأخرة، ومنهم من أرجعها للفترة النبطية، ولكن يبدو أنها نُحتت في الفترة النبطية، وتحديداً في النصف الأول من القرن الأول الميلادي كما سنرى لاحقاً.





صورة لواجهة الخزنة من الخارج (يمين)، ومن الداخل (يسار) (تصوير الباحث)

وقد سُميّت الخزنة بهذا الاسم لاعتقادٍ سابقٍ عند أهل المنطقة بوجود خزنة في الجرة الصخرية الواقعة في أعلى الواجهة، الأمر الذي جعل سكان المنطقة يطلقون النار على هذه الواجهة رغبة في الحصول على هذا الكنز.

تبلغ أبعاد هذه الواجهة حوالي 39.1م طولاً و 25.30م عرضاً، وتتألف من جزأين جزء علوي وسفلي. يتألف الجزء العلوي في وسطه من نحت مستدير Tholos تحيط به مشكاتان مستطيلتان تعلوهما لوحتان مثلثتان مكسورتان. أما الجزء السفلي من الواجهة فيحوي ست دعامات أسطوانية ملتصقة بالواجهة تعلوها تاجيات أعمدة مزخرفة بالأشكال النباتية والحلزونية، وتفصل بين الجزأين لوحة مثلثة كبيرة تعلوها حلية مزيَّنة بقرون إيزيس، وحولها أشكال حلزونية

ملتفة، أما الجزء الداخلي من هذه اللوحة ففيه منحوتة مطموسة المعالم، وتحيط بها الأشكال النباتية وأشكال الكؤوس.

توجد في الجزء العلوي من الواجهة العديد من المنحوتات التي تبدو واقفة فوق قواعد أو منصات، وهي تُمثِّل إناثاً ويمكن تقسيم هذه المنحوتات إلى المجموعات التالية (انظر الشكل اللاحق):–

1. منحوتات تمثل الأمازونيات (رقم 1)، ويبلغ عددها ست منحوتات، اثنتان منهما نحتتا بوضع مواجه للناظر، أما المنحوتات الأربع الأخرى فقد نُحتت داخل الكوى الجانبية المجاورة، وتعكس هذه المنحوتات خصائص فنية كلاسيكية تمثَّلت في معالمها وطيات الملابس، وتحمل هذه الأشكال فؤوساً في أيديها.

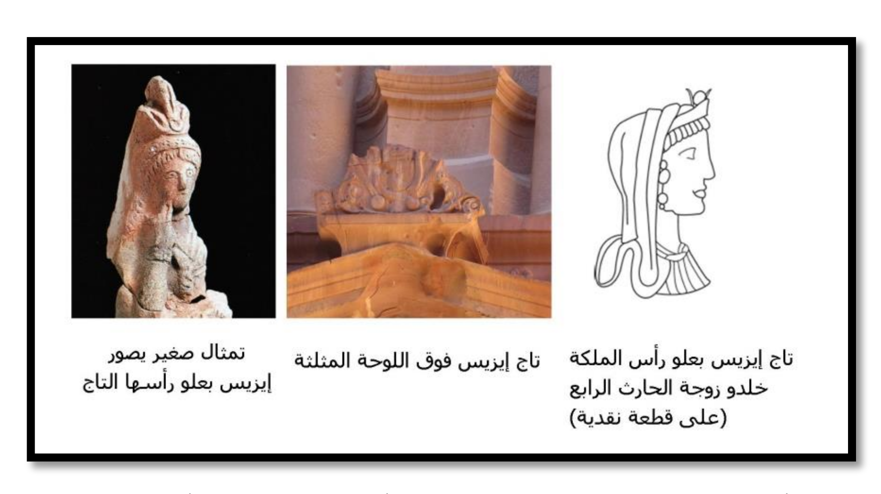


صورة للجزء العلوي من الخزنة (تصوير الباحث)

2. منحوتة أنثوية تتوسط هذه المجموعات من المنحوتات (2)، ويرى بعض الباحثين أنها تمثل الربة إيزيس واقفة ورأسها يتجه نحو اليمين، وتمسك بيدها كأساً وبالأخرى قرن رخاء، ويبدو لنا أن هذا الشكل مأخوذ من تصوير ملكات البطالمة اللواتي كُنَّ يُشبهنَّ أنفسهنَّ بإيزيس كما تظهر على الأواني البطلمية، ويرى زيادين أن هذه الصورة قد تُمثِّل ملكة نبطية قد تكون خلدو الزوجة الأولى للحارث الرابع[984].

---

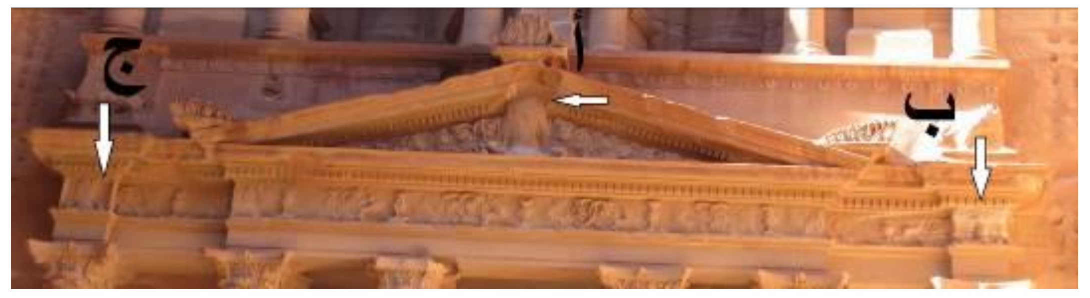
[984] Zayadine, F (2005): al-Khazna, the Treasury Revisited a Forgotten Document of Leon de Laborde, ADAJ 49, 400



تاج إيزيس يعلو رأس الملكة خلدو زوجة الحارث الرابع (على قطعة نقدية) | تاج إيزيس فوق اللوحة المثلثة | تمثال صغير يصور إيزيس يعلو رأسها التاج

3. منحوتات أنثوية مجنحة (رقم 3)، متوجة الرأس، وقد نُحتت أجنحتها على هيئة سنابل قمح، وربما تمثل آلهة النصر.

لقد تم تزيين الجزء الذي يعلو العمودين الجانبيين اللذين يزينان الجزء السفلي من الخزنة بوجهين بشريين تم طمسهما واختفت معالمهما تقريباً، وقد افترض بعض الباحثين أن هذين الوجهين يُمثِّلان الميدوسا (ب، ج)[985]، كما احتوى الجمالون (اللوحة المثلثة) الذي يزِّين وسط واجهة الخزنة شكل وجهٍ بشريٍ أنثويٍ تم طمسه (أ)، وتحيط به أشكال نباتية حلزونية، وعلى الرغم من عدم وضوح هذه المنحوتة التي يبدو أنها تُمثِّل وجه ورأس أنثى، إلا أن بعض الباحثين قد افترض أن هذا الشكل يُمثِّل الميدوسا أيضاً[986] .



الشكل المطموس الذي يزين وسط جمالون الخزنة (أ) (يمين) وشكل مطموس يقع في يسار الإفريز الذي يقع تحت الجمالون (ب) (يسار) (تصوير الباحث)

وبالإضافة إلى ذلك، فقد تمَّ نحت وجوهٍ بشريةٍ على إفريز الجزء العلوي من الخزنة تحت الجمالونين المكسورين، وتعلو رؤوسها أربطة (انظر الشكل اللاحق)، وترتبط الرؤوس مع بعضها بورود وأشكال نباتية وهي مشابهة لزخارف التوابيت الرومانية، ومعظم هذه الزخارف مطموس، كما أنها غير واضحة المعالم، ويُمثِّل أحدها شخصاً ملتحياً مموج اللحية له شعر مجدول، وقد فُسَّر هذا الشكل على أنه يُمثِّل الإله الإغريقي ساتير (Satyr)، وهناك صورة لامرأة مجاورة له

---

[985] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra, Fig. 14b.

[986] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra, 39; Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d'Arabie Pétrée, 241.

فُسِّرت على أنها تُمثِّل أحد الميناديات (Maenads)[987]، ومن الصعب القبول بهذه الافتراضات لعدم وضوح الصور من ناحية، ولعدم انسجام هذه الطروحات مع طبيعة الواجهة التي تُمثِّل مدفناً من ناحية أخرى، فلم تكن للميناديات (μαινάδες) أية علاقة في الفكر الإغريقي بالموت أو شعائر الدفن أو العالم الآخر، والميناديات مجموعة من الإناث مختلفات الأعمار يعني اسمهن "المعربدات"، بينهن شابات متزوجات وغير متزوجات، وفتيات عذراوات ونسوة عجائز، يُمثِّلن الجنون الديونوسي[988] والعربدة لإدمانهن على معاقرة الخمور واللهو والمجون، وقد صاحبْنَ الإله ديونيسيوس في حملاته العسكرية، وكُنَّ يعِشنَّ عيشة الحيوانات بحرية، ويقضين ليالي طويلة في مرح ولهو وعبث بصورة تجسد الحرية الديونوسية[989].

أما بخصوص الإله الإغريقي ساتير، فقد كان مصاحباً لإله الغابات والمراعي، وكان يُصوَّر على هيئة مُركَّبة تُمثِّل إنساناً وماعز، له أنف عريض مستو، وإذنين مدببتين، وقرنين صغيرين يبرزان في الجبهة، وذيل ماعز قصير[990]، ولا تعكس الصورة التي نُحتت على واجهة الخزنة أياً من هذه المعالم، وبالتالي فإننا نستبعد أن يكون لهذه المنحوتة علاقة بساتير.



منحوتات تزين الجزء الواقع أسفل الجمالونين المكسورين في واجهة الخزنة (تصوير الباحث)

ويوجد على يمين ويسار الداخل إلى الخزنة وفي جزئها السفلي منحوتتان تُمثِّلان قاعدتين يعلوهما حصانان يمتطي ظهريهما شخصان غير واضحي المعالم، ويتخذ هذان الحصانات اتجاهاً معاكساً للمدخل، وتبدو طيات ملابس الراكبين واضحة، وهما يمسكان شيئا ما بأيديهما. وقد رأى فيهما بعض الباحثين التوأم كاستور وبولكس.

ولا نستطيع الجزم بصحة هذا الافتراض لعدم وجود أدلة مقنعة تدعمه، ولكننا نُرجّح أن يكون لهذه الأشكال ارتباط بمكانة الحصان عند العربي قبل الإسلام، حيث يرى البعض " أنّ الحصان كان يلعبُ دور حيوان الشمس المقدس، لذلك فهو ينوب عن إله الشمس"[991].

[987] Green, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks and Faces from Petra, PEQ 130, fig. 14.

[988] نسبة للإله ديونيسيوس.

[989] شعراوي، عبدالمعطي (1995): أساطير إغريقية: الجزء الثاني: أساطير الآلهة الصغرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 529-531.

[990] Belton, J. H. (2009): An Encyclopedia of Ancient Greek and Roman Mythology, Gutenberg EBooks, 250.

[991] البطل، علي (1996): الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، 151.



صورة للجزء السفلي من الخزنة (تصوير الباحث)

ومن المنحوتات التي تظهر على واجهة الخزنة النسور التي ما تزال أرجلها وبقايا أجنحتها ماثلة للعيان في الجزء العلوي منها، وقد كان النسر يرمز في الشرق القديم إلى الشمس تارة[992]، وإلى القمر تارة أخرى[993]، وكان رمزاً للسلطة والإمبراطور خلال الفترتين السلوقية والرومانية[994]، والنسر من أكثر الرموز التي تظهر على الفنون النبطية حيث رجَّح الباحثون ارتباطه بالشمس[995]، وربما كان هذا صحيحاً في بعض الأحيان، ولكننا نلاحظ أيضاً أن الأنباط قد أكثروا من منحوتات النسور على واجهات مدافنهم في مدائن صالح أيضاً، الأمر الذي يجعلنا نُرجِّح وجود دلالة رمزية لها، وهي دلالة مرتبطة بنظرة العرب قبل الإسلام إلى الطير بشكلٍ عامٍ، حيث يؤكِّد الشعر الجاهلي وجود صلةٍ وثيقةٍ بين الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، ويبدو "أن للطير مهمة أساسية في تفكير ذلك الإنسان بمصيره في الحياة وبعد الممات، من هنا جاء ربطهم إيّاه بالبعث والحشر، وبطلب الخلود، والخوف من المجهول أو الجرأة على اقتحامه"[996].

ومن منحوتات الحيوانات التي ما تزال بعض بقاياها ظاهرة للعيان على واجهة الخزنة الأسد الذي يتوسط الواجهة من جهتيها اليمنى واليسرى ولكنه تعرَّض للتشويه، وربما كانت له دلالات رمزية وجنائزية ودينية، وقد ظهر الأسد في الفنون النبطية حيث نجده منحوتاً على مدخل مضافة في

---

[992] Waida, M. (2007): Birds. In: Encyclopedia of Religion. Edited by Lindsay Jones, Thomson Gale, USA, 947-949.

[993] Sedov, A. (1992): New Archaeological and Epigraphical Materials from Qana (South Arabia). AAE, 3: 2, 124.

[994] Mazzilli, F. (2014): Beyond Religion: Cultural Exchange and Economy in Northern Phoenicia and the Hauran, Syria, PhD Durham theses, Durham University, 343-344.

[995] انظر مثلاً Wenning, R. (1996): Hegra and Petra: Some Differences. Aram 8.2: 253-267.

[996] الرباعي، عبدالقادر (1988): الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية –الكويت، 29: 8، 150.

البتراء معروفة باسم مضافة الأسد، كما عُثر أيضاً على منحوتة لأسد تُمثِّل نافورة ماء في منطقة وادي فَرَسَه في البتراء.

حظي الأسد باهتمام عند الكثير من شعوب الشرق القديم؛ فبُجِّل في العراق وسوريا والجزيرة العربية وبلاد اليونان، وظهر كثيراً على الإصدارات النقدية الكلاسيكية، وكانت للأسد مكانة دينية عالية عند العرب حيث كانت تُسمي عبد الأسد، وكان الأسد من الحيوانات التي ترمز للشمس في الحضارة اليمنية القديمة حيث ظهر بكثرة في فنونهم الزخرفية [997]، كما كان المعبود يغوث عند العرب يُصوَّر على هيئة أسد، وكانت الآلهة عشتار عند السوريين تُصوَّر أحياناً مرتدية تاجاً وعرشها محروس بأسدين[998]، ويعتبر الأسد أحد الرموز التي تشير للشمس في منطقة المشرق القديم.

ويتوقع الزائر لمدينة البتراء أن يجد خلف هذه الواجهة حُجرة أو حُجرات لا تقل روعة في زخارفها عن الواجهة نفسها، ولكن هذا الجزء خالٍ تماماً من الزخارف، حيث توجد ثلاثة حجرات الأولى هي الرئيسية وتظهر مواجهة للداخل ويبلغ طول ضلعها 12,5م، وتوجد بجهاتها الثلاث محاريب كانت على ما يبدو تحوي توابيت، أما الغرفتان الأخيرتان فهما جانبيتان تقعان على يمين ويسار الداخل.

وقد أجابت لنا الحفريات التي أجريت عام 2003م في ساحة الخزنة عن الكثير من التساؤلات المرتبطة بها، إذ كشفت هذه الحفريات عن واجهات صخرية تُمثِّل مدافن نُحتت أسفل واجهة الخزنة، وعُثر في هذه المدافن على العديد من اللقى منها عظام بشرية وعظام حيوانات وبقايا عظام حيوانية محروقة، وفخاريات (أسرجة، كسر فخارية، قوارير عطور، وتماثيل فخارية)، بالإضافة إلى خمس قطع نقدية تعود للحارث الرابع ورب ايل الثاني وقطعة نقدية واحدة رومانية، وتم تمييز ثلاث مراحل بنائية لهذه الواجهات[999]:-

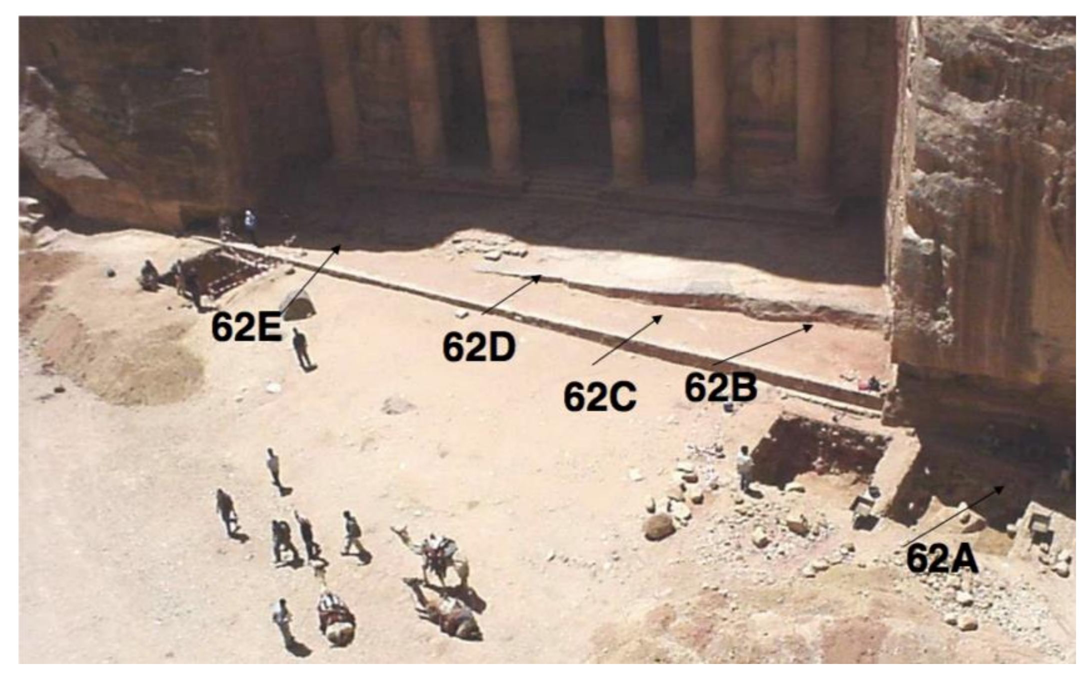
المرحلة الأولى: وتتمثَّل في واجهة المدفن الذي اطلق عليه اسم 62A، والذي يؤرخ إلى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد وذلك اعتماداً على الفخاريات التي عُثر عليها في نطاق المدفن.

---

[997] العريقي، منير (2002): الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من 1500 قبل الميلاد حتى 600 ميلادية)، مكتبة مدبولي، 51.

[998] Foster, B.2007: Mesopotamia. In: A Handbook of Ancient Religions, Cambridge, ed. Hinnells, J. 161-214.

[999] Farajat, S. and Nawafleh, S. (2005): Report on the al-Khazna courtyard excavations at Petra (2003 Season), ADAJ, Vol. 49, 373–393.



توزيع وأرقام المقابر التي كُشف عنها تحت واجهة الخزنة[1000]

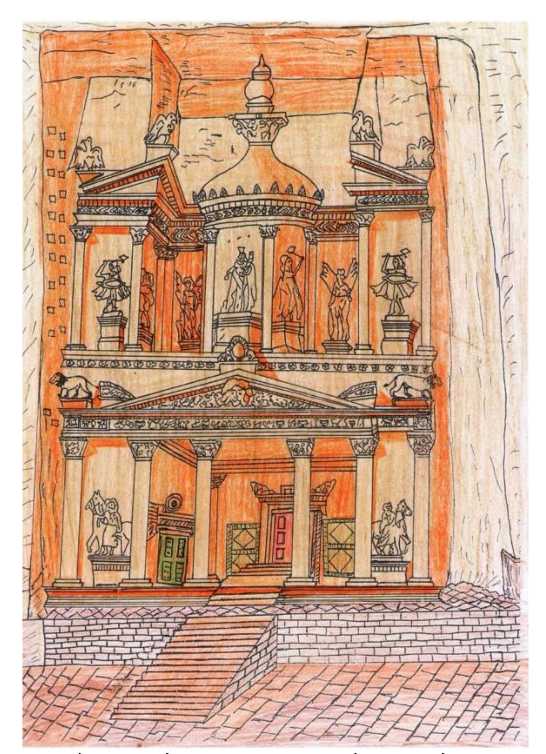
المرحلة الثانية: وتتمثَّل في المدافن ذوات الأرقام (62B, 62C, 62D, 62E)، واعتماداً على خصائص هذه الواجهات النحتية والفنية، فهي تنتمي إلى مجموعة مدافن الحِجر، وتم تأريخها إلى بدايات القرن الأول الميلادي، واعتماداً على الفخار المكتشف فقد بقيت هذه المدافن مستخدمة حتى بداية القرن الثاني الميلادي.

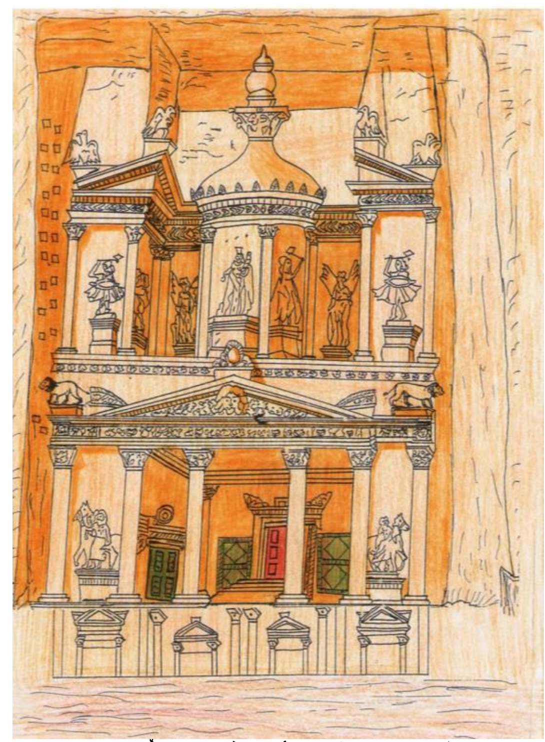


صورة لواجهات المدافن التي كُشف عنها أسفل واجهة الخزنة

المرحلة الثالثة: وتتمثَّل في بناء واجهة الخزنة نفسها والتي تعود على ما يبدو للنصف الأول من القرن الأول الميلادي.

[1000] مصدر الصورة: سليمان الفرجات.





رسم تخيّلي للمدافن الأربعة التي كُشف عنها تحت واجهة الخزنة (يمين)، واجهة الخزنة بعد توقف استخدام هذه المدافن (يسار) (رسم سامي محمد النوافله)

شارع الواجهات

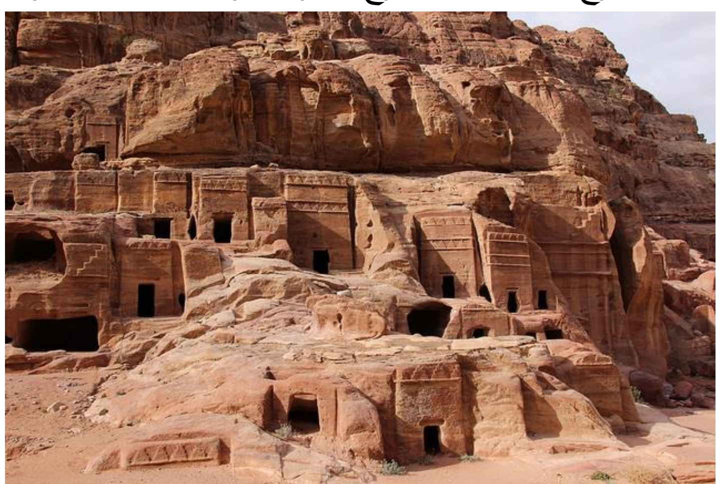
ويبدأ هذا الشارع بعد الخروج من ساحة الخزنة ويمتَّد حتى المُدرَّج، وتحيط به العديد من الواجهات النبطية المقطوعة في الصخر وأهم هذه الواجهات قبر من طراز قبور الحِجر حيث تزين واجهاته الخارجية العليا قناة مائية، ويحوي من الداخل أربعَ عشرةِ حجرة دفنية مستطيلة الشكل، وقد زُيّنت جدران المقبرة من الداخل بمسلات وكتابات لأسماء أشخاص وهم زيد يقومو بن يقوم ويقوم بن زيد قومو.



صورة لجزء من شارع الواجهات

وهناك واجهتان كانتا قائمتين إبّان زيارة الرحالة الأوروبيون للبتراء في القرن التاسع عشر، حيث تقعان في أول شارع الواجهات بعد الخزنة، ولكن لم يتبقَ من معالم هذه الواجهات التي انهارت إلا القليل.

وتقع مجموعة واجهات المقابر القديمة قبل الوصول إلى المُدرَّج، وهي في الغالب من نوع القبور المُسنَّنة التي نعتقد أنها أقدم الواجهات النبطية الموجودة في البتراء، ويبدو أنها قد نُحتت في الصخر قبل أن يُنحت المدرَّج؛ لأن نحت المدرج قد أزال جزءاً من هذه المقابر[1001].



صورة لمجموعة من المدافن المبكرة المنحوتة في الصخر

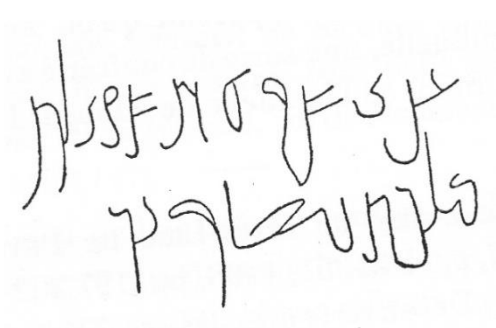
مدفن عنيشو

سُمي هذا المدفن بهذا الاسم لاكتشاف نقشٍ نبطيٍ هناك يذكر اسم عنيشو "أخ شقيلت ملكة الأنباط"[1002]، ولا نعرف أي شقيلة تكون هذه، وربما كان عنيشو وزيراً، لأن الوزير سُلي قد سُمي أيضاً "أخ الملك"، ويقع هذا المدفن مقابل مجموعة المدافن الواقعة إلى الشرق من المدرج، ويتألف من واجهة يعلوها زوجان متقابلان من الأدراج، وتحيط بمدخلها أعمدة ملاصقة للواجهة مُزيَّنة بتاجياتٍ نبطيةٍ، وتعلو الواجهة لوحة مثلثة، وتتوزع داخل الحجرة مجموعة من حجر الدفن المقطوعة في الصخر، وتتقدم الواجهة ساحة في جهتها الجنوبية بقايا أعمدة، ويقع شمال هذه الساحة مضافة ألحقت فيها مدافن، ويقع بجوارها خزان ماء وأدراج نحتت في الصخر[1003].

[1001] المحيسن، زيدون، (2004): الحضارة النبطية، 137.

[1002] CIS II 351.

[1003] Zayadine, F. (1986): Tempel, Gräber, Töpferöfen, In: M. Lindner (ed.), Petra: Neue Ausgrabungen und Entdeckungen. Munich: Delp. 214-72.

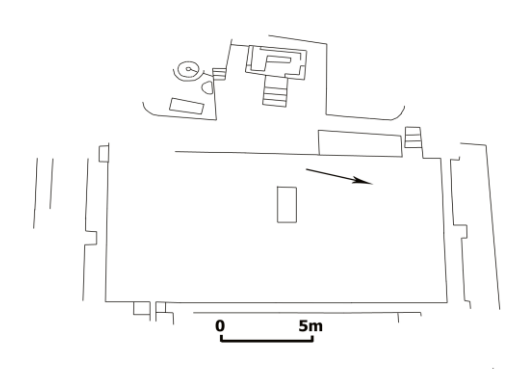




صورة لواجهة مدفن عنيشو (يمين، تصوير الباحث)، نقش عنيشو (يسار)[1004]

المذبح الرئيسي في البتراء

يتم الوصول إلى هذا المذبح من طريقين: الأول من جهة المدرج وشارع الواجهات أما الثاني فهو عن طريق وادي فَرَسَه حيث توجد بالقرب من المذبح مسلتان خاليتان من الكتابة او الزخرفة، وربما كانتا تمثلان معالم جنائزية أو دينية أو رمزية، ويتكون المذبح من ساحة مستطيلة وقاعدة أمامها درج ومذبح لتقديم القرابين (انظر المُعلّيات في الجزءِ المتعلق بالديانة).





صورة ومخطط المذبح الرئيس في البتراء (تصوير ورسم الباحث)

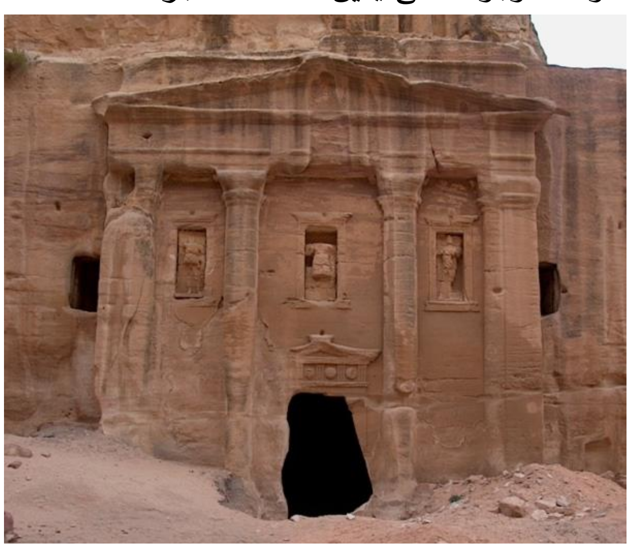
وعُثر بالقرب من منطقة المذبح على نقشٍ نبطيٍ يتحدث عن عمل تماثيل "العزى وسيد البيت"، وفي منطقة النمير الواقعة بالقرب من المذبح عُثر على نقشٍ نبطيٍ مهمٍ يذكر اسم عبادة الاله ويذكر أسماء أفراد العائلة النبطية المالكة والنقش مؤرخ للسنة التاسعة والعشرين لحكم الحارث الرابع.

قبر الجندي الروماني

يقع هذا القبر في منطقة وادي فَرَسَه، وتبلغ أبعاد واجهته الخارجية 12.5م x 11.68م، وللقبر واجهة بسيطة لها مدخل تعلوه لوحة مثلثة، وتوجد أربعة دعامات ملتصقة بالبناء، وتوجد بين كل دعامة وأخرى مشكاة وضعت فيها منحوتة ضمن إطار منتظم زوِّد بكورنيش في أعلاها، وكل

[1004] Cantineau, J., (1978): Le Nabatéen, 8.

مشكاة بها منحوتة صُوِّرت على هيئة النحت البارز، كما لوحظ وجود بقايا جص فوق المنحوتات. وتعتبر المنحوتة الواقعة إلى يسار الداخل للحجرة أكثر المنحوتات تشويها حيث تُمثِّل شخصاً يمسك شيئا ما بيده اليسرى. أما المنحوتة الوسطية فهي منحوتة يصاحبها درع، في حين لم يتبقَ شيء من المنحوتة الموجودة على يمين الداخل للحجرة.



واجهة قبر الجندي الروماني (تصوير الباحث)

أما بخصوص القبر من الداخل فهو يتكون من حجرتين: حجرة صغيرة وحجرة كبيرة حيث اعتقد هورسفيلد أن هذا القبر كان يحوي تابوتاً[1005]، ويبدو أن هذه الواجهة قد نُحتت خلال القرن الأول الميلادي.

وفي الجهة المقابلة من هذه الواجهة توجد مضافة جنائزية ثلاثية المقاعد بديعة الألوان، زُيِّنت جدرانها بالأعمدة المنحوتة التي تُشكِّل جزءاً من الجدران.



المضافة الموجودة مقابل قبر الجندي الروماني (تصوير الباحث)

[1005] Horsfield, G. and Conway, A., (1938): Sela-Petra, 93.

لقد كشفت الحفريات الأخيرة في منطقة هذه الواجهة عن ساحةٍ مُعمَّدةٍ كبيرةٍ أمامها، وكانت هذه الساحة تربط القبر بصالة احتفالات وبناء يتألف من طابقين، ولوحظ تبعاً لذلك أن هذا النوع من المنشآت المُلحَقة كان مرتبطاً بالعديد من واجهات البتراء.

المُدرَّج

يؤرخ مدرَّج البتراء إلى القرن الأول الميلادي، وقد نقَّب فيه فيليب هموند ودائرة الآثار العامة الأردنية بين عامي 1962-1963، وهو يتألف من حلقة شبه دائرية من المقاعد المقطوعة في الصخر حيث يوجد بالمدرج خمسة وأربعون صفاً من المقاعد يبلغ ارتفاع كل مقعد حوالي 52 سم أما عرضه فيبلغ 59سم، ويبلغ طول منطقة الجلوس حوالي 3860م، ويبدو أن المُدرَّج كان يتسع لحوالي ستة إلى عشرة آلاف مشاهد، وهذه المقاعد تتألف من ثلاثة أجزاء: جزء علوي (يتألف من عشرة مقاعد)، جزء وسطي (يتألف من أربعة وثلاثين مقعداً) وجزء سفلي (يتألف من أحد عشر مقعداً)، وقد قُطعت الاوركسترا في الصخر ويوجد لها مدخلان اثنان وهما مقطوعان في الصخر، أما قناطرهما فهي مبنية بالحجارة. أما الجزء الأمامي منه (المنصة) فهو مبني بالحجارة، ويوجد في أعلى المدرج نظام تصريف للمياه.



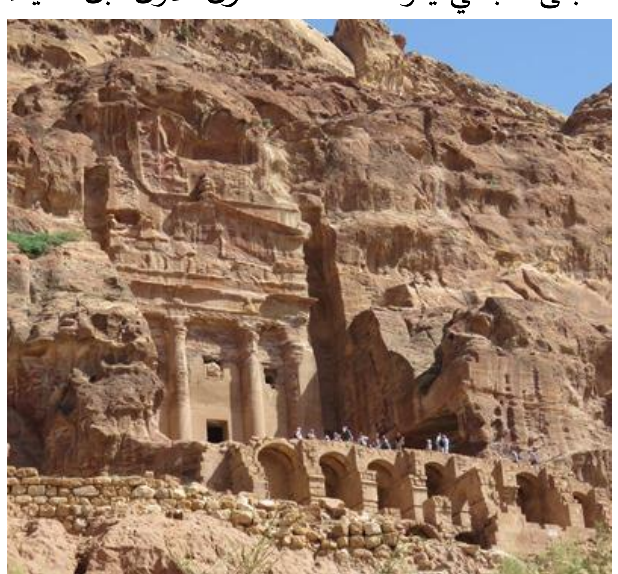
المُدرَّج (تصوير الباحث)

قبر الجرة (المحكمة)

تتكون واجهة قبر الجرة من جزأين علوي وسفلي، وتوجد بها دعامات ملتصقة، وتعلو المدخل لوحة مثلثة، وتوجد في الجزء السفلي مشكاوات لثلاثة منحوتات وزعت بين الدعامات وجمعيها غير واضحة المعالم. ويوجد أمام الواجهة رواق مُعمَّد يتألف من خمسة أعمدة على كل جانب

وهي من الطراز الدوري. ويقع أسفل هذه المصطبة طابقان مبنيان بالحجارة وتعلو حجراتها أقواس، وهذه الغرف مرتبطة بحجراتٍ مقطوعةٍ في الصخر خلفها، حيث قامت دائرة الآثار العامة بترميم بعض الأقواس والأدراج، ويبدو أن هذه الأقواس والأدراج معاصرة للواجهة نفسها، في حين يرى بعض الباحثين أن هذا الجزء قد بُني في القرن الخامس الميلادي عندما تحوَّل البناء إلى كنيسة بدليل أن الأروقة الموجودة على جانبي الساحة لا تمتد فوق الأقواس[1006].

تتوزع حجرات الدفن في داخل الغرفة المربعة الواقعة خلفها، وقد عُثر على نقشٍ يونانيٍ على جدار الغرفة الداخلية يتحدث عن تحويلها إلى كنيسة بين عامي 446–447م، ويبدو أن الحفر العديدة الموجودة بأرضية البناء كانت تُمثِّل أجزاء من ملاحق أضيفت للكنيسة ولكنها لم تعد موجودة، كما يبدو أن المبنى النبطي يعود لمنتصف القرن الأول قبل الميلاد.

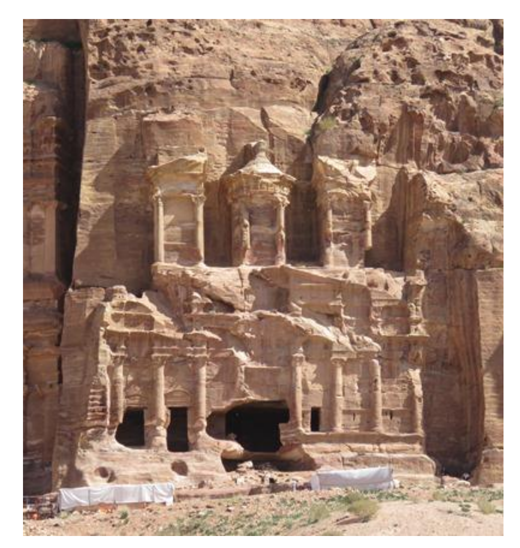


صورة لواجهة قبر الجرة (تصوير الباحث)

القبر الكورنثي

واجهة هذا القبر تتألف من ثلاثة أجزاء: عليا ووسطية وسفلى. الجزء العلوي يتألف من نحت اسطواني مستدير تقريباً Tholos تحيط به لوحات مثلثية نصفية، وتوجد في الجزء الأوسط لوحة مثلثة أخرى، أما الجزء السفلي ففيه ثماني دعامات ملتصقة بالواجهة، أما خلف هذه الواجهة فتوجد أربع حجرات منها حجرة رئيسية عريضة متصلة بُحجرٍ صغيرةٍ. ومن الجدير بالذكر أن هذه الواجهة هي أكثر الواجهات النبطية تأثراً بالعوامل الجوية كالتعرية.

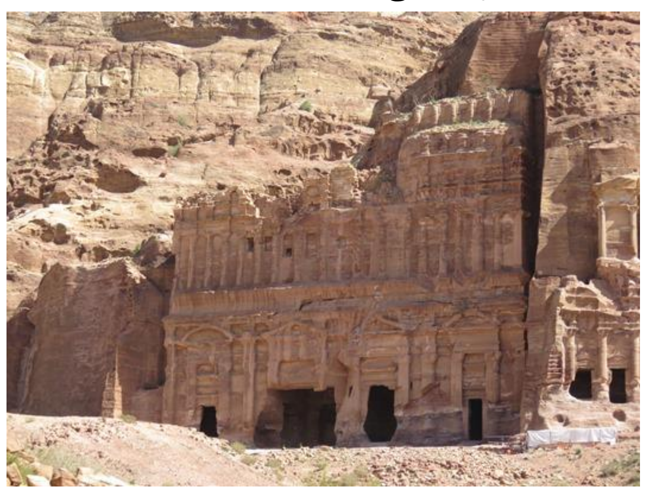
[1006] المحيسن، زيدون (2004): الحضارة النبطية، 138.



صورة لواجهة القبر الكورنثي (تصوير الباحث)

القبر القصر

تتكون هذه الواجهة من خمسة أجزاء يعلو كل جزء الآخر، ويبلغ ارتفاع الواجهة ككل 46م x 49م، وقد زُيّنت الواجهة بلوحات مثلثية ومقطعية، كما توجد تجاويف ومشكاوات في بعض أجزائها مما يشير إلى إحتمال وجود تماثيل فيها. وقد أكثر الفنان النبطي من استخدام الأعمدة الملتصقة والقصيرة بهذه الواجهة. أما الجزء العلوي من الواجهة فقد استخدمت الحجارة في بناء بعض أجزائه العلوية، وللواجهة أربعة مداخل تؤدي إلى أربع حجرات تتراوح أشكالها بين المربع والمستطيل، وقد احتوت هذه الحجرات على مدافن.

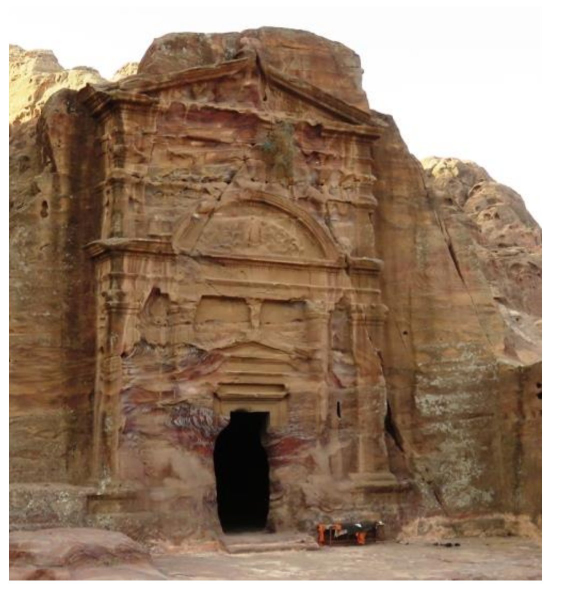


صورة لواجهة القبر القصر (تصوير الباحث)

قبر سيكستوس فلورنتينوس

هذه الواجهة نبطية الأصل وقد تم استخدامها لدفن حاكم الولاية العربية عام 129م سيكستوس فلورنتينوس كما يتضح من نقشٍ دوِّن هناك، وقد تمَّ تزيين وسط جمالون الواجهة بوجهٍ فُسِّر على

أنه يُمثِّل رأس ميدوسا اعتماداً على بقايا الأفاعي التي ما زالت تظهر بالقرب من الرأس[1007]، ولكن نظرة متمعنة لهذا المنحوتة لا تؤكّد هذا الزعم، بل تُمثِّل تموجات شعر المنحوتة متداخلة مع زخارف مُلتفَّة غير واضحة المعالم.



واجهة قبر سيكستوس فلورنتينوس (تصوير الباحث)

واجهة قبر الدرع

تقع هذه الواجهة (وهي الواجهة ذات الرقم 649 بحسب نظام الترقيم الذي ابتدعه برونو ودماسفسكي) في منطقة مُغر النصارى، وقد زُيِّن أحد أفاريزها العلوية بنحتٍ يُمثِّل وجهين لشخصٍ مسنٍ ملتحٍ ذي عينين جاحظتين ولحية طويلة، حيث يبدو أن الوجه الواقع في الجهة اليمنى مطموس، وتظهر من الوجه المتبقي على الجهة اليسرى بقايا الجفنين والعينين والفم المغلق. وقد رجَّح الباحثون الذين درسوا هذه المنحوتة أنها ليست منحوتة بشرية، واستنتجوا أنها تُمثِّل رأس الجن خمبابا الذي يرد ذكره في ملحمة جلجامش[1008] في الوقت الذي رجَّحت الباحثة ساشيه أن يكون هذا رأس الإله المصري بيس/بس[1009]. كما يظهر في وسط الواجهة رأس مطموس فُسِّر على أنه يُمثِّل رأس الميدوسا[1010].

[1007] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra, 39; Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d'Arabie Pétrée, 240.
[1008] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra, 36- 39.
[1009] Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d'Arabie Pétrée, 236.
[1010] McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra, 36-39.



منحوتة تزين إفريز واجهة قبر الدرع (تصوير الباحث)

مُصَّلى عُبادة

وهو عبارة عن منشأةٍ دينيةٍ تقع إلى الشرق من جبل النمير، ويتم الوصول إليها عبر أدراج تبدأ في الجزء العلوي من وادي النمير، وتُشير نتائج التنقيبات الآثارية أن المراحل الأولى لتشييد هذه المنشأة كانت في مرحلة مبكرة من تاريخ الأنباط، إذ يشابه الفخار الذي عُثر عليه هنا الفخار الذي عُثر عليه في منطقة قصر البنت والمؤرخ للفترة ما بين القرن الثالث وحتى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وهو تأريخ أكدته نتائج تحليل الكربون المشع التي أعطت تاريخاً يمتد ما بين القرن الثاني إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد[1011].

وتتألف هذه المنشأة التي بدأ التنقيب فيها عام 2001م من العديد من المعالم المنحوتة في الصخر والموزعة حول مضافة دينية مقطوعة في الصخر أطلق عليها اسم " مُصَّلى عُبادة" بسبب وجود نقش في المنطقة مُكرَّس لعبادة الملك– الإله، ومؤرخ لعام 20م[1012].



صورة لمُصَّلى عبادة (تصوير الباحث)

[1011] Tholbecq, L. and Durand, C. (2013): A late second-century BC Nabataean occupation at Jabal Numayr: the earliest phase of the "Obodas Chapel" sanctuary. In: Stephan G. Schmid and Michel Mouton (Eds.), Men on the Rocks. The Formation of Nabataean Petra, Logos Verlag, 205–222.
[1012] CIS II 354.

جبل المعْيصْرِه الشرقي والغربي

تضم هاتان المنطقتان عشرات المدافن النبطية والمضافات الجنائزية والعديد من المنشآت الدينية النبطية الصغيرة، وتقسم المعيصره إلى منطقتين: شرقية وغربية. وقد كُشف في المنطقة الغربية عن بقايا منشآت مائية كالخزانات والقنوات ومضافة دائرية ارتبطت بأحد هذه الخزانات، وتوجد في المعيصره الشرقية العديد من المنشآت المائية النبطية كالخزانات والقنوات[1013].



واجهات نبطية في منطقة المعيصره

الخُبْثَه

تمر بمحاذة هذه المنطقة قناة كانت تجلب الماء من خزان الرملة بوادي موسى إلى البتراء، وعلى قمة الجبل قام الأنباط بإنشاء مذبح يعتبر الثاني من حيث الأهمية في البتراء، وقد كشفت الدراسات الميدانية عن أدلة استيطانية في هذه المنطقة تعود للآدوميين، كما عُثر على شواهد تُشير إلى استيطانٍ خلال العصر البرونزي المبكر[1014]، وكُشف في نطاق الخُبْثَه أيضاً عن مجموعة من السدود الوقائية التي كانت تهدف إلى حماية مدينة البتراء. وتوجد في منطقة مغر النصارى الواقعة شمال الخُبْثَه مجموعة من المقابر النبطية، عُثر في هذه المنطقة على نقشٍ نبطيٍ يذكر أسماء العائلة الحاكمة النبطية، وهو أطول نقش نبطي عُثر عليه في البتراء[1015]، وفيما يلي ترجمة حرفية لهذا النقش:-

1- [هذا التمثا]ل ؟ الذي ا[قاموا.....................

[1013] المحيسن، زيدون (2002): هندسة المياه والري عند الأنباط العرب ، 70-73.

[1014] Lindner, M. (1990): A unique lithic- Early Bronze - Edomite - Nabataean site in southern Jordan – Life both past and present. Aram 2: 1&2, 77-92.

[1015] Cantineau, J. (1978): Le Nabatéen, 9.

2- [و] ابنه[الذ]ي [من] قبيتا هو و................ عـ [بـ] د الجا

3- بن عبد الجا الذي [مـ]ن سودي[1016] و[م...............] وأبناءه

4- [و] وهب الله و رب ايل و.................... ووهب الله

5- [و] ابنـ[ـا]ئـ[ـه ل] اله وائل الإله العظيم في نحبتا في حيا[ة]

6- [ر] ب ا يل الـ[مـ]لك ملك الأنباط الذي أحيا وانـ[ق]ذ شـ[ـعـ]ـبه

7- [وفـ]ي حياة جميلة وهاجر اخوا[ته مـ]لكات الأنباط بنو مالك

8- [الملـ]ك ملك الأنباط بن الحارث ملك الأنباط المحب لشعبة

9- [وفي حيا]ة قشما بن شعـ [و] دت أخته ملكة الأنباط وفـ[ـي

10- حياة ..... مـ]الك ابناء رب ايل وجميلة وهاجر [و ف ص ا ل]

11- ....[اخواته مـ]لكات الأنبـ[اط وفي حياة] قشما

12- ....[ق ش م ا ب ش ن...رب ايل ملك الأنبـ]اط مانح الحياة والخلاص

13- [لشعبه]



رسم تفريغي لنقش الخبثة النبطي[1017]

[1016] سودي هي السويداء في حوران جنوبي سوريا.

[1017] Cantineau, J., (1978): Le Nabatéen, 9.



الدرج المنحوت في الصخر المؤدي إلى قمة الخُبُثَه (تصوير الباحث)

وقد كشفت الحفريات التي أجريت مؤخراً في منطقة الخُبْثَه عن منشأة معمارية تمثل حماماً يعمل بالبخار استخدم على ما يبدو خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية، كما عُثر على مذبح صغير مربع منحوت في الصخر طول ضلعه 2.15م، والجزء المتبقي من ارتفاعه حوالي 1م، يتم الدخول إليه من الشرق عبر ثلاثة أدراج، ومضافة جنائزية (دينية) دائرية، مرتبطة بمصطبة مرتفعة، ووحدة بنائية منعزلة[1018].





الحمام الذي كُشف عنه في منطقة الخُبْثَه[1019]

وادي المطاحه

عُثر في هذا الوادي على أدواتٍ صوانيةٍ[1020] تعود للعصر الحجري اللاحق للقديم والدور الأول من العصر الحجري الحديث.

كشفت الأعمال الآثارية الميدانية التي بدأت في هذا الوادي عام 1997م عن منشآت دينية كالمذابح والمشكاوات والمضافات المرتبطة بها، بالإضافة إلى منشآت مرتبطة بالتحكم بالمياه

[1018] Fournet, Thibaud and Paridaens, Nicolas (2016): Les bains du Jabal Khubthah.

[1019] Tholbecq, Laurent et al (2017): Mission archéologique française à Pétra.

[1020] Johnson, D., Janetski, M. Chazan, S. Witcher, and Meadow, R. (1999): Preliminary report on Brigham Young University's First Season of Excavation and Survey at Wadi Al-Mataha, Petra, Jordan. ADAJ 43: 249-260.

وكسرة من نقش نبطي، كما كُشف عن مدافن مقطوعة في الصخر عُثر فيها على عددٍ من المرفقات الجنائزية التي تؤرَّخ للفترة الممتدة من نهاية العصر الهلنستي وحتى بداية الفترة الرومانية، وتشتمل هذه المرفقات على كسرٍ فخاريةٍ، أدوات صوانية، عظام حيوانات، أدوات حجرية، زجاج ومعادن، وبقايا مواد عضوية كالمنسوجات والبذور وقطعاً خشبية مشغولة زُيِّنت بأشكال بعض الآلهة[1021].

سبيل الحوريات (نافورة الماء)

تقع هذه النافورة إلى الشرق من الشارع المُعمَّد، وقد ضاعت معظم تفاصيلها ولم يتبقَ منها إلا بعض الأجزاء، ويتعذَّر معرفة مخططها الكامل أو تاريخها، ولكننا نعتقد أنها تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد.



سبيل الحوريات (نافورة الماء) (تصوير الباحث)

الشارع المُعمَّد

يمتد هذا الشارع باتجاه شرق–غرب، وقد اختفى الجزء الشرقي منه، وهو مبلط ببلاطاتٍ رخاميةٍ، ويبلغ عرضه ستة أمتار، وتوجد على جانبي الشارع أدراج من الحجارة الرملية تقف عليها الأعمدة وقد بيّنت حفريات بيتر بار التي أجراها بالقرب من الشارع المُعمَّد أن بناءه كان في بداية القرن الأول قبل الميلاد، وتحيط بهذا الشارع من الجهتين الشمالية والجنوبية العديد من المنشآت الدينية والمدنية والسكنية، ويوجد بالقرب من بوابة النصر سوق نبطي مكون من ثلاثين محلاً تجارياً شهدت ثلاثة مراحل استيطانية: نبطية ورومانية وبيزنطية، وعُثر في هذه المحلات

[1021] للمزيد انظر Johnson, D. (2013): A Nabataean Chamber Tomb and Carved Block in Wadi Mataha, Petra, Jordan, Studies on the Nabataean Culture, At Petra, Jordan, Volume: 1, 119-126.

التجارية على فخاريات تُمثّل جرار تخزين وأواني طبخ ومسكوكات معظمها يعود للفترتين الرومانية والبيزنطية[1022].



صورة للشارع المُعَّمد (تصوير الباحث)



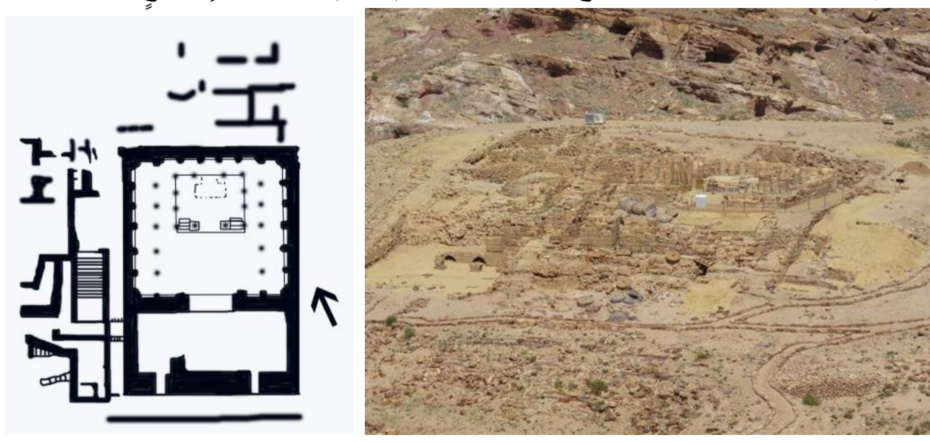
صورة لجزء من السوق (تصوير الباحث)

معبد الأسود المجنحة

وهو يؤرَّخ لفترة حكم الحارث الرابع وذلك بناءاً على نقشٍ عُثر عليه داخل المعبد، ويتجه مبنى المعبد باتجاه جنوب–جنوب–غرب، وسُمي بهذا الاسم لاكتشاف تاجيات مزّينة بأسود مجنحة فيه.

[1022] Fiema, Z., (1998): The Roman Street of the Petra Project, 418-419.

يقع المعبد في مركز المدينة إلى الشمال من الشارع المُعمَّد، وعلى بعد 200 م تقريباً شمال شرق معبد قصر البنت، وكان يتم الوصول إليه عبر طريق مرصوفة ومبلطة، ويرى المُنقِّب فيليب هموند أن هذا المعبد كان مخصصاً لعبادة الإله عطارغتيس التي صُوّرِت في شكل الآلهة المصرية إيزيس[1023]، ولكننا لا نستطيع تأكيد هذا الزعم لعدم وجود دليلٍ مقنعٍ.



صورة ومخطط معبد الأسود المجنحة (تصوير الباحث)

وقد عُثر في إحدى الغرف الواقعة في الجزء الغربي للمعبد على نقشٍ حُفر على قطعة رخامية، ويوضح بعض ما يجب أن يدفعه الناس من القرابين والذهب والفضة، وقد أرخ النقش إلى اليوم الرابع من شهر آب للسنة السابعة والثلاثين لحكم الحارث الرابع (9 ق.م – 40) محب شعبه[1024].

والمعبد عبارة عن بناءٍ مستطيل الشكل، ويقع مدخله في الواجهة الجنوبية من البناء، وبإتجاه مقابل لمركز المدينة، ويتكون المعبد من ثلاثة أجزاء :

1– الجزء المتقدم من المعبد (Pronaos) ويوجد فيه المدخل الرئيسي.

2– صحن المعبد، وقد رُصفت الأرضية بقطعٍ رخاميةٍ مربعةٍ ومستطيلةٍ ذات ألوان تتراوح ما بين البني والأبيض[1025]، أما سقف هذا المبنى فهو سقف تقليدي عادي، وتمت معرفة ذلك من خلال الأدلة المتوفرة كالرماد والحجارة والفحم المحروقين، كما كان السقف مدعَّماً بالدعامات الخشبية من حزم القصب[1026] .

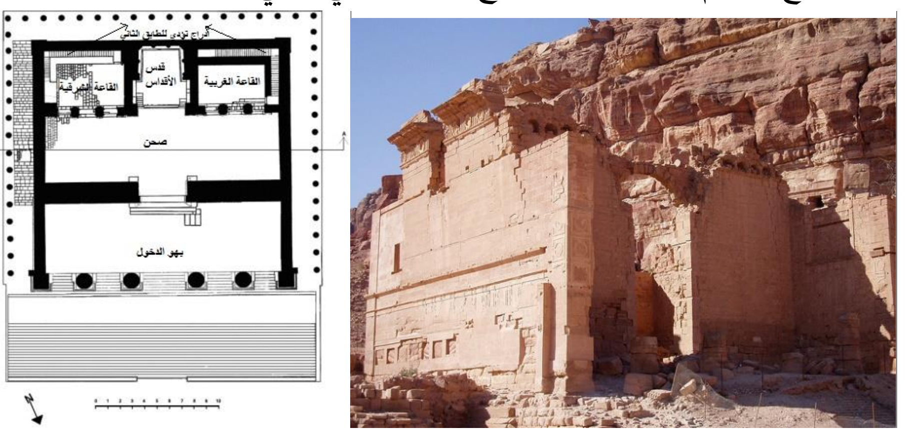
3– منصة المذبح، وهي تُكوِّن الجزء الأساسي من المعبد، وترتفع عن أرضية بقية أجزاء المعبد لأنها أكثر أجزائه قُدسية، وتبلغ أبعادها 7.1م في وجهيها الشمالي والجنوبي، وما بين 5.92 – 5.96 م في وجهيها الشرقي والغربي، ويمكن الوصول إليها عن طريق درج في الجهة الشمالية، وكانت أرضية هذه المنصة قد بُلِّطت ببلاط أبيض

[1023] Hammond, Ph. (1995): Nabataean Architectural Technology, 215–221.
[1024] Hammond, Ph., Johnson, D. and Jones, R. (1986): A Religio-Legal Nabataean Inscription from the Atargatis/Al-'Uzza Temple at Petra. BASOR 263, 77-80.
[1025] Hammond, Ph., (1975): Survey and Excavation at Petra, 1973–1974, ADAJ 20, 5–30.
[1026] Hammond, Ph. (1982): The Excavations at Petra, 231–238.

وبني، وملصقة بمادة ذات لون اخضر، كما توجد ممرات جانبية على كلا الجانبين الشرقي والغربي للمعبد ، ويبدو أنها كانت غير مسقوفة .

معبد قصر البنت

يقع هذا المعبد في وسط مدينة البتراء في نهاية الشارع المُعمَّد ضمن الساحة الكبيرة المقدسة إلى الغرب من بوابة النصر. ترتبط سبب تسمية هذا المعبد باسم " بنت فرعون "بعادة قديمة عند سكان المنطقة، إذ كانوا يعزون جميع المنشآت الضخمة إلى ملوك مصر القدماء، ومن بين أشهر هذه المنشآت الخزنة التي تدعى خزنة فرعون، وقد تعددت أراء الباحثين وتضاربت حول تسمية هذا المعبد بهذا الاسم، إذ يربط البعض اسم المعبد بأسطورة محلية مفادها أنه كانت بذلك القصر أميرة اشترطت على من يريد الزواج منها أن يجلب المياه إلى القصر من الينابيع والأنهار المجاورة، واستطاع أحدهم تلبية رغبتها وتزوج بالأميرة التي سُمي القصر باسمها.



صورة لمعبد قصر البنت ومخططه (تصوير الباحث)

أظهرت الحفريات الآثارية أن منطقة المعبد قد شهدت عدة مراحل استيطانية بدءاً من الفترة الهلنستية مروراً بالفترة النبطية وحتى الرومانية، وقد عُثر في الجدار العلوي لمنطقة الساحة المقدسة بالقرب من المعبد على نقشٍ تكريسيٍ يذكر قيام شخص يدعى (ع ب د و) تمثالاً للملك الحارث الرابع (9 ق.م – 4.م) ويقرأ النقش كالتالي :_" هذا تمثال الحارث محب شعبه ملك الأنباط عمله له ع ب د و العراف "[1027]. وقد استدل فوزي زيادين أن هذا المعبد قد دمر بالنار في الفترة الرومانية المتأخر قبل أن يضرب بزلزال عام 363 م وذلك من خلال ما أشارت إليه المقاعد الرخامية التي تحمل كتابات يونانية من العصر الإمبراطوري[1028].

وبناء المعبد مربَّع الشكل تبلغ أبعاده 32م لكل ضلع ويبلغ أقصى ارتفاع لجدرانه المتبقية 23م، ويوجد مذبح أمام المعبد تبلغ أبعاده 10.80م x 12م x 2.25 م، والمعبد مبني على مصطبةٍ

[1027] Starcky, J. and Strugnell, J., (1966): Pétra: Deux nouvelles inscriptions nabatéennes, RB 73, 244-47.

[1028] زيادين، فوزي (1968): قصر البنت، 5-12.

تتجه شمال–شمال–شرق، وكان يتألف من طابقين، إذ توجد أدراج على جانبي المعبد من الداخل تؤدي إلى طابق علوي، ويتقدم المعبد درج عريض يؤدي إلى بوابة المعبد، ويبدو أن المنصة قد بُنيت من حجارةٍ مربعةٍ منتظمةٍ وخلفها حجارة غير مشذبة وملاط. وقد أظهرت نتائج الحفريات أن الدرج قد أضيف بعد الانتهاء من بناء المنصة، وكان مغطى بالرخام الذي ما زالت بقاياه ثابتة على الدرج بالإضافة إلى وجود الحفر الكثيرة التي كانت تثبت فيها هذه الألواح الرخامية البيضاء بواسطة مسامير معدنية. ويتكون المعبد من الأجزاء التالية:–

1– المدخل المُعَمَّد (Portico) : وهو الجزء الأمامي من المعبد.

2– صحن المعبد الوسطي (Cella).

3– المقدس الثلاثي (Adyton) الذي يقع في نهاية البناء، ويتألف من ثلاث حجرات غير متصلة اثنتان منها جانبيتان وأخرى في الوسط تُدعى قدس الأقداس (Holy of the Holies)، وكانت للحجرتين الجانبيتين شرفتان يتم الوصول إليهما عبر درج.

يتجه معبد قصر البنت نحو الشمال، وهو بنفس اتجاه بعض المعابد النبطية الأخرى كما هو الحال في معبد الإله ذي الشرى في منطقة سيع بحوران، وكذلك معبد أم الجمال ومعبد خربة الذريح، بينما نجد أن اتجاه معبد بعل سمين في سيع ومعبد اللات في وادي رم متجهان نحو الجنوب الشرقي، ويتجه معبد خربة التنور نحو الشرق، وبالتالي فإننا نستنتج أنه لم يكن عند الأنباط إتجاه معين لبناء معابدهم.

وقد كشفت الحفريات الأخيرة التي قام بها فريق فرنسي مؤخراً عن أجزاء معمارية كانت مُلحقة بالمعبد لم يتبقَ إلا أساساتها، بالإضافة إلى مجموعة من المنحوتات[1029].



مجموعة منحوتات عُثر عليها ضمن نطاق معبد قصر البنت

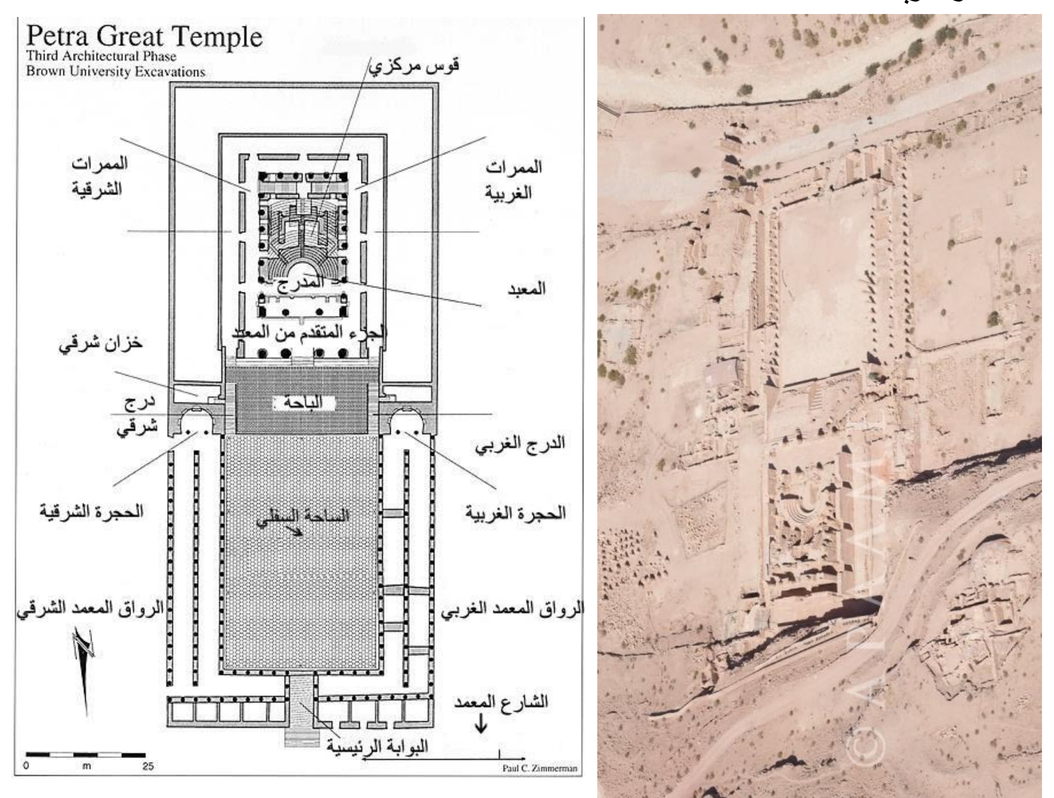
أما بخصوص المعبود الذي عُبد في معبد قصر البنت فما يزال موضع جدال، فهناك من يرى أنه كان مُكرَّسا لذي الشرى، وهناك من يرى أنه كان مخصصاً لعبادة أفروديت أو الكتبى أو العزى.

المعبد الجنوبي (المعبد الكبير)؟

يقع المبنى المسمى "المعبد الجنوبي" أو "معبد البتراء الكبير" إلى الشمال من منحدر الكتوتة على ارتفاع 895م عن مستوى سطح البحر، وحدوده الشمالية موازية للشارع المُعمَّد، وهذه الحدود

[1029] للمزيد انظر Tholbecq, Laurent et al (2017): Mission archéologique française à Pétra.

تُشكِّل ما يُعرف بالسوق السفلي الذي يقع إلى الجنوب من الشارع المُعمَّد، وتبلغ مساحته الكلية 7560 متراً مربعاً[1030] .



صورة جوية لـ "لمعبد الجنوبي" (يمين) (من تصوير ديفيد كينيدي)، مخطط "المعبد" (يسار)

لقد كانت أول إشارة لوجود "معبد نبطي" في هذا الموقع عند برونو ودوماسفسكي عام 1904، أما بالنسبة للنشاطات الأثرية الفعلية فلم تبدأ إلا في عام 1993م عندما بوشر التنقيب في الموقع من قبل بعثة أثرية من جامعة براون الأمريكية برئاسة مارثا جاكوفسكي التي كشفت عن مجمعٍ بنائيٍ يتألف من الأجزاء المعمارية الرئيسية التالية[1031]:

أولاً: البوابة الرئيسية والساحة السفلى:

تُشكِّل هذه البوابة المدخل الرئيسي لـ "المعبد" وتتكوَّن من حوالي 38 درجة، وهي تقع إلى الجنوب من الشارع المُعمَّد، وقد تبيَّن أن هذا الدرج متصل بها وأن البوابة قد بُنيت قبل إنشاء الشارع المُعمَّد نفسه والذي بُني فوق أساسات نبطية[1032]، ويبلغ أعلى ارتفاع لهذه الدرجات 28م . أما بالنسبة للدرجات العلوية فهي أضيق من السفلى والتي تمتد ما بين الجدارين الملاصقين للدرج. في حين تمتد الساحة السفلى تقريباً ما بين شارع الأعمدة في الشمال إلى الحدود الشمالية لما

[1030] Joukowsky, M., (2000): Brown University 1999 Excavations at the Petra Great Temple, ADAJ 44, 313–334.

[1031] للمزيد من التفاصيل انظر: Joukowsky, M. (1998): Petra: The Great Temple.

[1032] Parr, P, (1960): Excavations at Petra, 1958–59, PEQ 92, 124–135.

يعرف بالساحة العليا في الجنوب. وتوجد على الجانبين الشرقي والغربي لهذه الساحة ثلاثة صفوف من الأعمدة تمتد بشكلٍ شماليٍ جنوبيٍ، ويبلغ مجموع هذه الأعمدة 96 – 120 عمود حيث تُشكِّل صفوفها ممرات تؤدي في نهايتها الجنوبية إلى غرفةٍ ذات محراب في كل جانب من جوانب الساحة السفلى، ويوجد بالقرب من هذه الغرفة درج وسطي ضخم يؤدي للساحة العليا، وقد رصفت أرضية هذه الساحة ببلاطات سداسية الشكل.

ثانياً: الساحة العليا

يُمكن تمييز طورين من أطوار البناء في هذا الجزء:– الأول وهو يُعاصر الطور الأول من بناء الساحة السفلى، ويبدو أن تاريخه يعود إلى الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد. أما الطور الثاني فيتضمَّن البناء الرئيسي للساحة العليا والمعبد، ويؤرَّخ هذا الطور إلى القرن الثاني الميلادي، ويتكوّن هذا الجزء من باحة، وممرات شرقية وغربية وخزان ماء، وبناء "المعبد" نفسه الذي يحتوي مُدرَّجا يتسع لحوالي 600 شخص، ويتميز "المعبد الجنوبي" عن غيره من المعابد النبطية بوجود هذا المُدرجَّ الذي يتكون من الأجزاء التالية: الأدراج (Cavea)، الأوركسترا (Orchestra)، والمنصة (Platform)

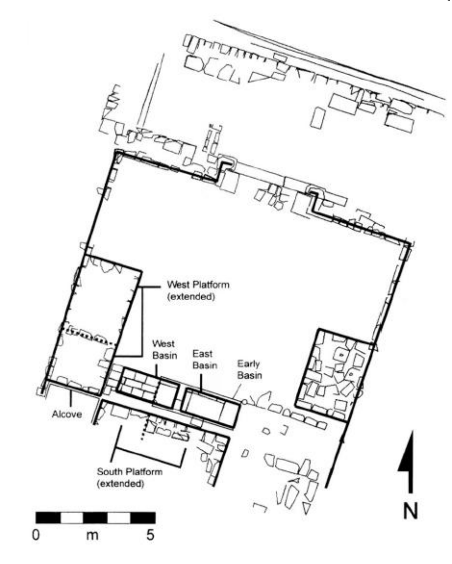
لقد شكك الباحثون فيما إذا كان هذا المبنى يُمثِّل معبداً أم لا، وهنا نرى أن الجزء الخلفي من البناء كان يُمثِّل معبداً ربما يعود إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، في حين تؤرّخ المرحلة الثانية للمعبد للفترة التي تلت ضم المملكة النبطية من قبل الرومان، حيث رافق هذه المرحلة أمران اثنان: الأول هو تغيير في مخطط البناء، أما الثاني فقد شهد تغيير في وظيفة البناء الذي أصبح على ما يبدو مشابهاً لمجلس المدينة المعروف في العالم الكلاسيكي باسم Bouleuterion، الذي عُثر على أمثلةٍ مشابهةٍ له في العديد من المواقع الرومانية، ويبدو أن مبنى المعبد بشكله المتكامل كان مركزاً إدارياً ومدنياً وقضائياً لمدينة البتراء خلال الفترة الرومانية.

المعبد الصغير

تم الكشف عن هذا المعبد الذي يقع بين "المعبد الجنوبي" ومعبد قصر البنت خلال الفترة ما بين عام 2000 و 2003، وهو مربع الشكل (15 x 15م)، ويتكون من ساحة كبيرة واسعة مُزيَّنة ببلاطات رخامية ذات ألوان متعددة، وتوجد في الجهتين الشرقية والجنوبية والغربية بقايا منصات مرتفعة يبدو أنها كانت تستخدم لوضع التماثيل[1033]، كما عُثر داخل المعبد على نقشٍ يذكر اسم

[1033] Reid, S. (2005): The Small Temple.

الإمبراطور تراجان يبدو أنه كان مرتبطاً بتمثالٍ لهذا الإمبراطور، ويُشير هذا الاكتشاف إلى أن النشاط المعماري الروماني في المدينة بدأ عقب ضمّ الرومان للبتراء مباشرة.



مخطط المعبد الصغير[1034]

بوابة النصر

تُشكِّل هذه البوابة مدخلاً للساحة المقدسة لمعبد قصر البنت، وهي تقع في نهاية الشارع المُعمَّد، وللبوابة ثلاثة مداخل، أعرضها أوسطها، وتُشير صور قديمة للبوابة تعود للخمسينيات من القرن الماضي إلى بقايا قوس كان يعلوها.

لقد تمَّت زخرفة أحد أوجه الواجهة بلوحات تُصوِّر تماثيل مطموسة وأشكالاً نباتية، كما يوجد تمثال نصفي لامرأة وقرن رخاء. أما الجهة الأخرى من البوابة ففيها أربعة أعمدة ملاصقة، وتوجد في هذه الجهة تاجيات نبطية، ولوحات صوَّرت كرمة تنبثق من نبات الخنشار، بالإضافة إلى أفاريز نباتية ودورية.

وقد عُثر على بعض المنحوتات بالقرب من هذه البوابة التي كانت تمثِّل بقايا من مبنى كان ملاصقاً لها، فمن هذه التماثيل ما هو نصفيّ، ومنها ما نُحت على هيئة رأس مجنح أو تايكي المجنحة أو هيرمس، وجميع هذه المنحوتات موجودة حالياً في متحف آثار البتراء، وهي مشابهة لمنحوتاتٍ نبطيةٍ عُثر عليها في خربة التنور. ومن الجدير بالذكر أن هذه البوابة قد بُنيت فوق أساسات نبطية على ما يبدو.

[1034] Reid, S. (2005): The Small Temple.

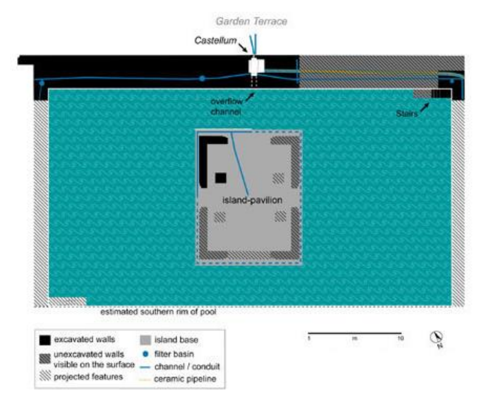




بوابة النصر حالياً (يمين، تصوير الباحث)، رسم ليون دو لا بورد لبوابة النصر عام 1828م (يسار)[1035]

الحديقة المائية paradeisos

تم العثور على منشأة في التسعينيات من القرن الماضي بالقرب من المعبد الجنوبي تم تحديد وظيفتها على أنها تُمثِّل ما أطلق عليه تسمية "السوق السفلى"، وفي عام 1998 تم تحديد هوية هذه المنشأة على أنها تُمثِّل حديقة مائية[1036]، وقد كان هذا النوع من المنشآت شائعاً في العديد من مناطق الشرق القديم وفي العالم الهلينستي، وتتكون هذه الحديقة المائية من بركةٍ كبيرةٍ طولها 43م وعرضها 23م وعمقها حوالي 2.5م وقُدِّرت سعتها الإجمالية بحوالي 2056 متر مكعب من الماء، وفيها نظامٌ مائيٌ متطورٌ. وقد تمّت معرفة وظيفة هذه المنشأة من خلال العثور على إيوان مستطيل مزخرف في وسطها (island pavilion) (11.5م و 14.5م) ويتم الوصول إليه من خلال جسر.





موقع الحديقة ومخططها[1037]

[1035] Laborde, Léon de, (1936): Journey through Arabia Petraea.

[1036] للمزيد عنها انظر Bedal, L. (2000): The Petra Pool-Complex: a Hellenistic Paradeisos in the Nabataean Capital: Results from the Petra "Lower Market" Survey and Excavation, 1998. Ph.D. Dissertation, University of University of Pennsylvania.

[1037] https://www.doaks.org/research/garden-landscape/resources/petra-garden-feasibility-study/petras8

الحمامات المجاورة للمعبد الجنوبي

تقع الحمامات إلى الغرب من "المعبد الجنوبي"، وتتألف الأجزاء المتبقية من عددٍ من الحُجر التي بلغ عددها 22، ويشابه الحمام الذي يعود بتاريخه إلى الفترتين الرومانية والبيزنطية في مخططه حمامات بومبي، ويتألف المبنى من غرف باردة ومتوسطة الحرارة وحارة وغرفة تغيير الملابس، أما الغرف الأخرى فهي خدمية مرتبطة بنشاطات كانت تُقام داخل الحمامات[1038].




صور لبقايا الحمام (تصوير الباحث)

قبر التركمانيه (أو الترجمانية)

تحمل واجهة هذا القبر كتابة نبطية هي الأكثر أهمية في البتراء، والقبر يتألف من حجرتين داخلية وخارجية ويحوي أماكن للدفن. ومن الجدير بالذكر أن النقش الذي يعلو الواجهة يختلف عن نقوش مدائن صالح الدفنية فهو لا يتكلم عن صاحب القبر أو من يحق لهم أن يدفنوا بالقبر، كما أنه غير مؤرَّخ، وقد أثار عدم ذكر اسم صاحب القبر جدلا بين الباحثين (لقد أوردنا نص هذا النقش عند حديثنا عن النقوش النبطية في البتراء).



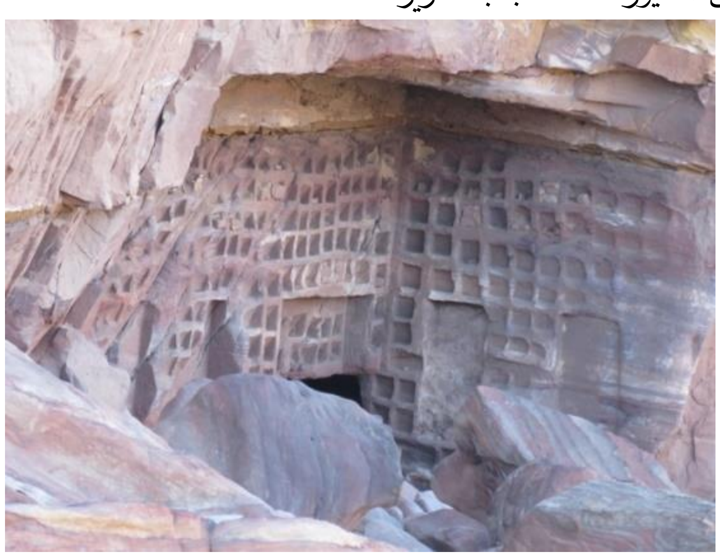
واجهة قبر التركمانيه (تصوير الباحث)

[1038] للمزيد انظر Power, E. (2007): The Roman-Byzantine Bath Complex at the Petra Great Temple in Jordan, Unpublished Honors Thesis at the Joukowsky Institute for Archaeology and the Ancient World at Brown University.

بيوت الحمام الزاجل (Columbarium)

تتكون هذه المنشأة من الداخل من حجرة مربعة تبلغ أبعادها 4.28 و 4.30 م، ويبلغ طول ضلع الفتحات الصغيرة المربعة حوالي 25سم، وقد نُحتت فتحات في الجدار الخلفي والأيمن للغرفة وكذلك على مدخل الحجرة، وقد أقترح جورج هورسفيلد الذي أجرى أول حفرية في البتراء عام 1929م أن هذه الحجرات كانت مُخصّصة لوضع رماد الموتى الذين يحرقون[1039]، ولكننا نستبعد هذا الرأي لأن الحرق لم يُعرف عند العرب قبل الإسلام نهائياً، ولكننا نُرجِّح أن تكون هذه المنشأة مُخصّصة للحمام الزاجل.

لقد كانت تربية الحمام للغذاء وتقديمها كقرابين وكوسيلة اتصال وللسحر والنبوءات شائعة في العالم القديم[1040]، وقد كُشف عن العديد من الأمثلة المشابهة في الأردن وفلسطين والتي تعود في الغالب للفترة الرومانية ومنها ما يعود للعصر الحديدي[1041]، ويؤكِّد استخدامها كوسيلة اتصال المؤرِّخ الروماني بليني الذي يقول أن الرومان كانوا يستخدمون الحمام لإرسال الرسائل[1042]، ويبدو أن هذه الاستخدامات كانت معروفة في البتراء حيث ترد عند جوسيفوس إشارة مهمة حيث يقول أن الحارث ملك الأنباط "قد استشار الطير بعد وصول نبأ حملة فيتيليوس الروماني"[1043] وهذه إشارة إلى أن الطيور كانت تجلب تقارير له.



بيوت الحمام الزاجل (تصوير الباحث)

[1039] Horsfield, G. and Conway, A. (1938): Sela-Petra, the Rock of Edome and Nabatene, III. The Excavations. QDAP 8, 99
[1040] Kakish, R. (2012): Evidence for Dove Breeding in the Iron Age: A Newly Discovered Dovecote at ‘Ain al-Baida/‘Amman, JJHA, VI, 3, 175-193.
[1041] Kakish, R. (2012): Evidence for Dove Breeding in the Iron Age; Hirschfeld, Y., Tepper, Y., (2006): Columbaria towers and other structures in the environs of Shivta. Tel Aviv 33, 83-116.
[1042] Pliny, Natural History, 20. 24.
[1043] Josephus, Jewish Antiquities, 18.125

أم البياره[1044]

تقع جنوب منطقة الحبيس، ويؤدي طريق ضيق جداً إليها، وعُثر فيها على منازل سكنية، وعدة صهاريج وخزانات مائية ومنشآت دينية نبطية، كما عُثر على أدلة استيطانية من العصر الحديدي منها ختم يذكر اسم قوس جبر ملك آدوم، وكشف فيها عن حمام نبطي يعمل بالبخار وبقايا مبنى ارستوقراطي ربما كان يُمثِل مبنى ملكياً[1045].



صورة جوية لقمة جبل أم البيارة (من تصوير ديفيد كينيدي)

نُصب الأفعى

يوجد في منطقة وادي الثُغره وتحديداً بالقرب من منطقة رأس سليمان نُصباً يمثّل أفعى منحوتة في الصخر، ويبدو أنّ لهذا الأثر أهميّة جنائزية، حيث تظهر الأفعى جالسة بوضع حلزوني، لكن رأسها وجزءِ من جسدها مكسور، وتتربَّع هذه الأفعى على مصطبةٍ مربعة الشكل. ومما يجدر ذكره أن الأفعى قد ارتبطت بمنحوتة نبطيّة عُثر عليها في البتراء مع أسد يحيط بإله[1046]؛ كما ظهر الأسد في منحوتة أخرى ممسكاً بثعبانين[1047]. ويبدو ان للافعى أيضاً دلالات دينية، ويؤيد ذلك منحوتتان للأفعى عُثر عليهما في منطقة القنطرة وأم البياره، ويبدو من خلال ارتباط بعض الأفاعي بالمدافن أن لهذه الأخيرة وظيفة جنائزية تتمثَّل في حماية المدفن، ويؤكد هذا الرأي وجود هذه الأفعى بين مجموعة المدافن الموجودة في الثُغره[1048].

[1044] تذكر المصادر الدينية اليهودية أن أمصيا اليهودي قد شنَّ حملة في القرن الثامن قبل الميلاد على بلاد آدوم، وأسر عشرة آلاف شخص وأنه قد رما بهم من فوق صخرة عالية تسمى "سلع" حيث ربط بعض الباحثين التوراتيين سلع هذه بأم البيارة، ولكننا نُرجّح أن تكون المنطقة المقصودة هنا هي السلع الواقعة بالطفيلة، هذا إذا قبلنا بصحة هذه الرواية.

[1045] Fournet, Thibaud and Paridaens, Nicolas (2016): Les bains du Jabal Khubthah.

[1046] Parr, P. (1957): Recent Discoveries at Petra, PEQ 89, pl Vb.

[1047] Glueck, N. (1965): Deities and Dolphins, 369, Plate 1679.

[1048] Wenning R. (2012): Snakes in Petra, in G. A. Kiraz / Z. Al-Salameen (eds.) From Ugarit to Nabataea. Studies in Honor ofJohn F. Healey, Piscataway, Gorgias Press, 235-254.



نُصب الأفعى (تصوير الباحث)

كما عُثر ضمن مجموعة المنحوتات التي وُجِدت بالقرب من بوابة القصر في البتراء، على منحوتة تمثّل ثعبانين مجنحين ملتفين حول بعضهما، وفوهاهُما فاغران[1049]، كما ظهرت الأفعى منحوتة على جدران أحد الكهوف الواقعة قبل مدخل مدينة البتراء.

وادي الصيغ

تعتبر منطقة وادي الصيغ من المناطق المهمة بالنسبة للأنباط. ويوجد في هذه المنطقة محجر ضخم كانت حجارته تستخدم لبناء بعض منشآت البتراء، كما توجد عين ماء شحيحة تروي بعض البساتين المجاورة، وتتوزع في هذه المنطقة العديد من المنشآت السكنية والدينية، بالإضافة إلى كتابات تذكر عطارغتيس المنبجية وإيزيس والعزى.





كهوف ومنازل الصيغ (تصوير الباحث)

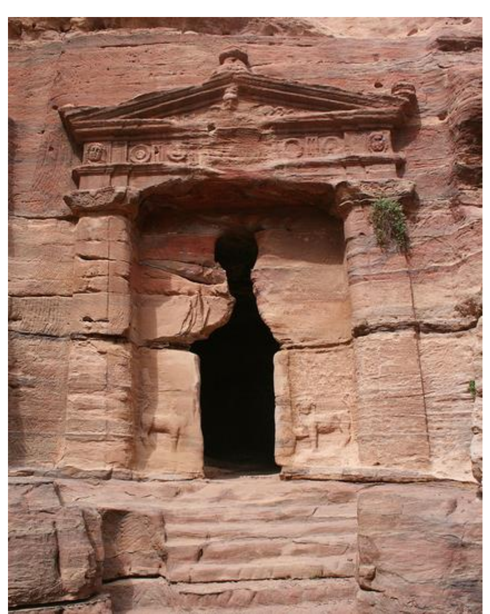
مضافة الأسد

تعتبر هذه المضافة نموذجاً من الواجهات المنحوتة في الصخر التي لا تُمثِّل مدافن، شأنها شأن الدير، وقد تمَّ تزيين واجهة هذه المضافة من الخارج بواجهةٍ بسيطةٍ لها مدخل تعلوه لوحة مثلثة،

[1049] Parr, P. (1957): Recent Discoveries, pl.VI A.

وتوجد بين الدعامات التي تحيط بالمدخل منحوتات ملتصقة لأُسودٍ تتجه باتجاه المدخل، ويظهر الأسد الواقع على الجهة اليمني بشكلٍ أفضل حالاً من الأسد الواقع في الجهة ليسرى، أما من الداخل فالمضافة مربعة تقريباً.

تم تزيين الإفريز الدوري الذي يقع اسفل جمالون الواجهة من الجانبين بصورتين بشريتين غير متشابهتين، طال تلك الواقعة إلى اليمين قليل من التشويه، أما الصورة الواقعة إلى اليسار فهي واضحة المعالم حيث تم تفسير هذا الرأس على أنه يُمثِّل الميدوسا. ويتبين من خلال التمعُّن في الصورة أنها تمُثِّل فتىً يافعاً ولا تُمثِّل وجه أنثى. ولأن هذه الواجهة لمضافة وليست لمدفن فلربما كان القصد من الوجه تمثيل شخص قد يكون له أهمية دينية، أو مكانة مرموقة داخل المجتمع النبطي.



واجهة مضافة الأسد (تصوير الباحث)

الدير

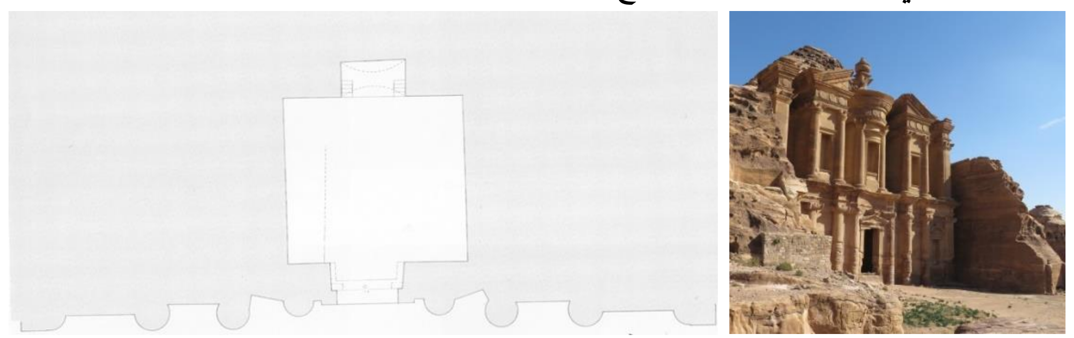
يتم الوصول للدير عبر سلسلةٍ من الأدراج المقطوعة في الصخر، والتي تآكلت كثيراً بفعل عوامل التعرية الناتجة عن الاستخدامات المكثفة للدواب لنقل السياح إلى منطقة الدير، وتتألف هذه الواجهة من جزأين: علوي وسفلي، وقد زخرفت هذه الواجهة بالأعمدة المتصلة وبزخرفة الميتوب والترجليف، وهي تخلو من أية أشكال آدمية أو حيوانية. أما خلف هذه الواجهة فتوجد حجرة مربعة تبلغ أبعادها 12م x 11م حيث يبدو أنها كانت مضافة، فلا توجد بالحجرة أي قبر أو أماكن دفن، ويرى بعض الباحثين أن هذه المضافة الدينية كانت مُكرَّسة للملك النبطي عبادة الأول[1050]، ولكننا نستبعد ذلك ونرى اعتماداً على العناصر الفنية والمعمارية أنها تعود لنهايات

[1050] Tarrier, D. (1986): Les installations de banquette de Pétra.

القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، وقد حُفر على الجهة الشرقية من الحجرة الداخلية للواجهة مجموعة من الصُلبان مما يؤكد إعادة استخدام المبنى ككنيسة (مُصلى) خلال الفترة البيزنطية.

ويوجد أمام الواجهة ما يشبه الرواق المُعمَّد، وإلى الغرب من الدير ثمة مذبح مواجه للجهة الجنوبية الشرقية يتم الوصول إليه عن طريق أدراج، وتوجد إلى الغرب أيضاً دلائل تُشير إلى وجود بناء دائري.

وقد عُثر في منطقة الدير على نقشٍ نبطيٍ مهمٍ يشير إلى احتفال ديني ويذكر اسم عبادة الإله ولا يعرف على وجه التحديد من هو عبادة ولكننا نرجح أن يكون الثالث (30–9 ق.م)، ويبدو من أحرف النقش أنه يؤرخ لتلك الفترة، وقد عُثر بالقرب من الدير أيضاً على منحوتة تمثل رجلين يقودان جملين ويتقدمان بهما صوب مذبح.



صورة لواجهة الدير (يمين، تصوير الباحث)، مخططها الداخلي (يسار)[1051]

قصور ملوك الأنباط في البتراء

كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في مدينة البتراء عن مبانٍ يبدو أنها ملكية الطابع، ومنها ما كُشف عنه في منطقة وادي فَرَسَه، وعلى قمة جبل أم البيارة، بالإضافة إلى مبانٍ ملكية في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من وادي المطاحه في الجزء الشرقي من المدينة[1052]، وما زالت مخططات هذا المباني غير واضحة بشكلٍ تامٍ.

أسوار المدينة

تحيط بمدينة البتراء من الجهتين الشرقية والغربية الجبال وبالتالي لم يكن هناك ضرورة لوجود أسوار في هاتين الجهتين، وقد كشفت الأعمال الآثارية الميدانية عن أسوار في الجهتين الشمالية والجنوبية من المدينة.

[1051] McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra.

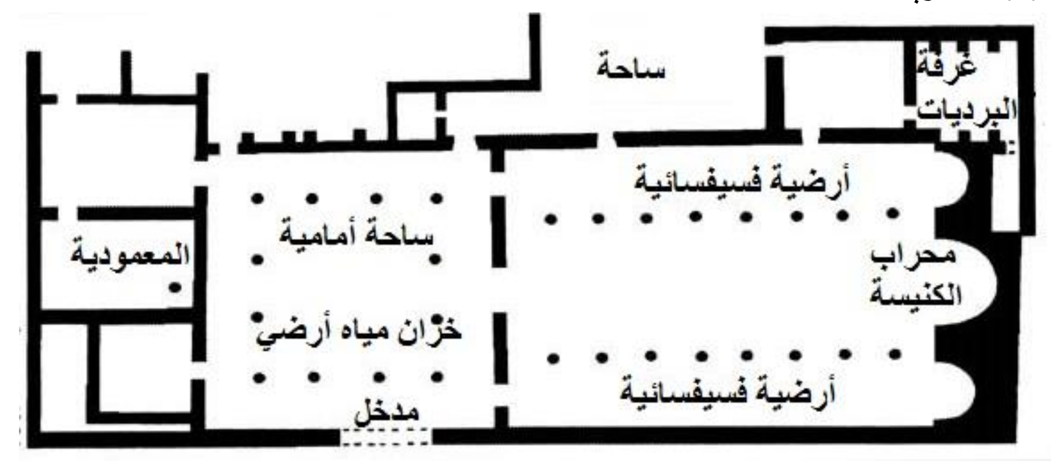
[1052] Schmid, S., Fiema, Z., Bienkowski, P. and Kolb, B. (2015): Documenting Nabataean Royal Residences in Petra, in: Zeev Weiss (Ed.), Ehud Netzer Volume, 2015, 166–181.

كنائس البتراء

رافق انتشار الديانة المسيحية في البتراء بدءاً منذ القرن الرابع للميلاد بناء كنائس تركز وجودها في وسط المدينة، كما تم تحويل بعض المنشآت النبطية المقطوعة بالصخر إلى كنائس، أما الكنائس التي بُنيت خلال هذه الفترة فهي:-

أولا: كنيسة البتراء الرئيسة

تقع هذه الكنيسة إلى الشمال من الشارع المُعمَّد بالقرب من معبد الأسود المجنحة النبطي، وهي كنيسة مبنية على النمط البازيليكي، وتبلغ أبعادها 15.65م x 26.95م، وتتألف من صالةٍ وسطيةٍ عرضها حوالي 7.85م يحيط بها جناحين، واحد من الجهة الشمالية والآخر من الجهة الجنوبية، ويفصل بين هذه الأجزاء صفين من الأعمدة التي يبلغ عددها ثمانية. أما الجهة الشرقية من الكنيسة فتوجد ثلاثة محاريب أو حنى الأوسط هو أكبرها، وللكنيسة عدة مداخل هي كالتالي: بابان يقعان في الجدار الشمالي وثلاثة أبواب بالجدار الغربي، أما المدخل الرئيس فيقع في جهتها الجنوبية.



مخطط الكنيسة (إعداد الباحث)

لقد استخدمت الحجارة الرملية لبناء الكنيسة، والتي أخذت بالإضافة إلى بعض تاجيات الأعمدة وكما يبدو من مبانٍ نبطيةٍ مدمَّرةٍ كانت موجودة بالقرب من الكنيسة، ويمكن ملاحظة الكثير من هذه العناصر الإنشائية النبطية في جدران الكنيسة. أما الصحن الأوسط للكنيسة فقد بُلِّط بالرخام والحجارة الرملية، كما لوحظ على الجدران استخدام القصارة البيضاء، ويتبع لهذه الكنيسة معمودية في الجهة الشرقية بها حوض للتعميد، كما أُلحق بالكنيسة بعض الغرف بالجهة الشمالية حيث عُثر في إحدى هذه الغرف على برديات متفحمة .



لوحات فسيفسائية تُزيِّن أرضية الكنيسة (تصوير الباحث)

لقد زُيِّنت أرضيات الرواقين الجانبيين اللذين يحيطان بالرواق الأوسط بلوحات فسيفسائية أرضية تُمثِّل أشكالاً نباتية وصوراً لأشخاص وحيوانات، كما استخدم الفنان البيزنطي أشكالاً هندسية لزخرفة أرضياته، وجُسِّدت الفصول الأربعة بلوحات، كما عكست بعض الصور مواضيع رمزية، وصاحب بعض الصور كلمات يونانية للدلالة عليها.

لقد عُثر على بناء الكنيسة متأثراً بتدميرٍ ناتجٍ عن هزة أرضية، وكُشف في أرضية الكنيسة عن قطع خشبيةٍ وقرميديةٍ كانت تُمثِّل جزءاً من السقف. أما بخصوص تاريخ بناء الكنيسة فهو غير معروف على وجه التحديد، فالكنيسة لا تحتوي نقوشاً بنائية كتلك التي توجد في أرضيات كنائس مادبا مثلاً، ولكن يبدو من خلال الشكل العام للبناء أن الكنيسة قد بُنيت خلال الفترة ما بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي، وربما قد تكون دمرت بفعل زلزال عام 749م.

ثانيا: كنيسة التلة

بُنيت هذه الكنيسة بجوار الكنيسة الرئيسية، وتبلغ أبعادها حوالي 11.40 x 15م، وتنحرف حنيتها عن جهة الشرق قليلاً. أما مخطط الكنيسة فهو بازيليكي يتألف من صالة وسطى يحيط بها جناحان شمالي وجنوبي، ويفصل بين هذه الأجزاء الثلاثة صفان من الأعمدة، ويوجد في الجهة الشرقية ما يُعرف بهيكل الكنيسة الذي يتألف من محراب تحيط به غرفتان جانبيتان، ويوجد للكنيسة ثلاثة مداخل في الجدار الغربي. أما الحجارة التي بُنيت منها الكنيسة فهي من نفس النوع الذي استخدم لبناء الكنيسة الرئيسية. أما أرضيتها فقد بُلطت ببلاطات من الحجارة الرملية، وتوجد بئر محفورة في الصخر تحت الصالة الوسطى للكنيسة.

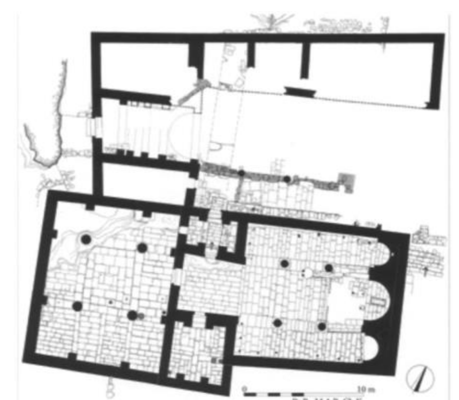
لقد كشفت الأعمال الأثرية عن بعض الكسر الفسيفسائية التي تدل على أن بعض أرضيات هذه الكنيسة كانت مزيّنة بالفسيفساء، كما عُثر على بقايا فسيفساء زجاجية كانت قد استخدمت لتزيين بعض جدران الكنيسة. أما بخصوص تاريخ بناء هذه الكنيسة فهو غير معروف بالتحديد ولكن اعتماداً على الشكل العام لمخطط الكنيسة، فيبدو أنها قد بُنيت بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس للميلاد.

ثالثا: الكنيسة الزرقاء

تقع هذه الكنيسة بين الكنيسة الرئيسية، وتبلغ أبعادها 11م x 12.60م، ويبدو أن شكلها العام أقرب إلى المربع منه إلى المستطيل، وتتألف من صالة وسطى يحيط بها رواقان جانبيان من الجهتين الجنوبية والشمالية، واستخدمت حجارة من مبانٍ نبطيةٍ سابقةٍ لبناء معظم أجزائها، كما استخدمت أسطوانات أعمدة جرانيتية زرقاء اللون يرى الباحثون أنها استوردت من مصر[1053] أو من الأناضول[1054] لعدم توفر خامات هذا النوع من الجرانيت في المنطقة، كما رُصفت الأرضية ببلاطاتٍ حجريةٍ من الحجارة الرملية، وتحيط بالكنيسة غرف من الجهة الغربية وبناء من الجهة الشمالية.

لم تكشف لنا الأعمال الآثارية عن أرضيات أو لوحات فسيفسائية في هذه الكنيسة، ولم يتم العثور على نقش يؤرِّخ للبناء، ولكن يبدو أن البناء قد بني بنفس الفترة التي بنيت بها الكنيستان السابقتان.





صورة للكنيسة الزرقاء (يمين، تصوير الباحث)، ومخطط الكنيسة (يسار)[1055]

رابعا: دير النبي هارون

أنظر جبل هارون في الأجزاء اللاحقة من هذا الفصل.

قلعة الوعيرة (Li Vaux Moise)

تعتبر قلعة الوعيرة من أبرز القلاع الصليبية الموجودة في منطقة البتراء حيث كان الهدف الرئيسي من بنائها السيطرة على الطرق التجارية التي كانت تمرّ بالقرب من البتراء، وللسيطرة على القبائل العربية الموجودة في المنطقة والحدّ من تحركاتها.

[1053] Perry, M. and Bikai, P.(2007): Petra's Churches. The Byzantines and Beyond, in: Th. E. Levy – P. M. M. Davia; R. Younker and M. Shaer (eds.), Crossing Jordan. North American Contributions to the Archaeology of Jordan, (London/Oakville, 435-443.

[1054] Rababeh, S. (2005): How Petra was Built, 44.

[1055] Bikai, P. (2002): The Churches of Byzantine Petra, NEA, Vol. 65, No. 4, 271-276.

يقول ياقوت الحموي عن الوعيرة: "الوعيرة كأنه تصغير الوعرة، حصن من جبال الشَّرَاة قرب وادي موسى"[1056]، وذكرها طلائع بن رزيك (1101- 1161م) في قصيدة تحدث فيها عن محاربة الفرنجة قائلاً[1057]:-

تمْضِي خفافا للمغار ... بهَا وتأتينا ثقالا

حَتَّى لقد رام الأعادي ... من دِيَارهمْ ارتحالا

وعَلى الوعيرةِ معشر ... لم يعهدوا فِيهَا القتالا

لما نأت عَمَّن يحف ... بهَا يَمِينا أَو شمالا

نهضت إِلَيْهَا خَيْلنَا ... من مصر تحْتَمل الرجالا

وَالْبيض لامعة وبيض ... الْهِنْد والاسل النهالا

فغدت كأن لم يعهدوا ... فِي أَرْضهَا حَيا حَلَالا

تقع قلعة الوعيرة على ارتفاع 1060م فوق مستوى سطح البحر، وقد قام بعض الرحالة بدءاً من القرن التاسع عشر برسم بعض المخططات للقلعة المدمر معظمها، وشكل القلعة مستطيل تبلغ أبعاده حوالي 100 م شمال جنوب و 80-64 م شرق غرب، وهي مزوّدة بأبراج تحتوي على مزاغل للسهام وجدران دفاعية. أما مدخل القلعة فيتم عبر ممرٍ مقطوعٍ في الصخر يقع جنوب غرب البناء حيث كان مرتبطاً بجسر، ويوجد بها مصلى مشابه تماماً للمصليات والكنائس الموجودة في قلاع صليبية أخرى كالشوبك، كما توجد خزانات مائية أسفل الكنيسة، حيث يبدو أن بعض هذه المنشآت المائية تعود للفترة النبطية.

لقد عُثر في هذه القلعة على كمياتٍ كبيرةٍ من الفخار الذي يعود لفترة العصور الوسطى، وهو فخار مشابه للفخار الذي كُشف عنه في قلاعٍ معاصرةٍ ومجاورةٍ كالشوبك، فهو فخار خشن مصنوع باليد يحتوي على بعض الشوائب، إذ أن عجينته غير مصفاة، كما أن نسبة المسامية فيه عالية، أما لون سطحه الخارجي فهو يتراوح بين البني الفاتح والبني الغامق[1058].





[1056] الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، ج 5، 380.

[1057] أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (1288 هـ): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، مطبعة وادي النيل، ج1، 117.

[1058] Brown, R.M. (1988): Summary Report of the 1986 Excavations, Late Islamic Shobak. ADAJ 32, 225-245.

صور لبقايا قلعة الوعيرة (تصوير الباحث)

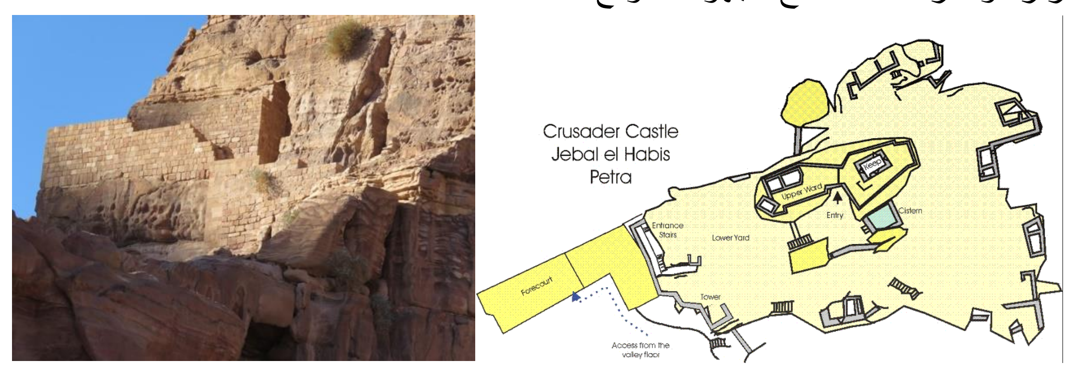
إن التاريخ الدقيق لبناء القلعة غير معروف على وجه التحديد، ولكن يبدو أنها بُنيت بين 1115–1127 م[1059]، وكانت الوعيرة آخر قلعة من منطقة شرق الأردن تسقط بيد الأيوبيين.

وقد زودنا وليم الصوري كما ذكرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب بوصفٍ كاملٍ عن معركة حدثت في وادي موسى عام 1144م عندما لجأ سكان وادي موسى إلى هذه القلعة (انظر الجزء الأخير من الفصل الأول).

قلعة الحبيس

تقع هذه القلعة خلف معبد قصر البنت، وهي للأسف مدمرة الآن ولم يتبقَ منها إلا بعض الأجزاء، وقد بُنيت هذه القلعة خلال الفترة الصليبية، وزوِّدت بمصادر كافية للمياه حيث توجد بها آبار لجمع مياه الأمطار، وربما تكون هذه القلعة هي قلعة (الصويت/ الاصويت) التي مرّ بها الظاهر بيبرس وذكرها النويري عند زيارة بيبرس للبتراء، ومروره بمقام هارون عليه السلام وهو في طريقه إلى الكرك.

وتشير المصادر التاريخية إلى وجود قلاع أخرى في منطقة البتراء وهي قلاع جمع وحبال وهرمز، ولا تزال هذه القلاع مجهولة المواقع.



قلعة الحبيس[1060]

جبل هارون

يقع جبل هارون على بعد حوالي 5 كم جنوب غرب البتراء على ارتفاع 1350م عن سطح البحر، ويتم الوصول إلى هذا المقام عن طريق يمر بمحاذاة أم البياره والثُغره، واعتماداً على المصادر اليهودية والمسيحية والإسلامية فإن هذا المكان يعتبر الموضع الذي دُفن فيه هارون عليه السلام شقيق موسى عليه السلام، ويوجد على قمة الجبل مقام يحتوي مدفنا يعتقد انه يضم

[1059] Walmsley, A. (2002): Fatimid, Ayyubid and Mamluk Jordan and the Crusader interlude, 515-559.
[1060] http://nabataea.net/habismap.html.

رفات هارون، وبالقرب من المقام توجد بقايا مبنى قديم ضخم على بعد 60م تحت الضريح يمثل ديراً مسيحياً.

وقد عُثر في منطقة جبل النبي هارون على أدلة تشير لنشاطات بشرية منذ العصر الحجري القديم وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة.

ويبدو أن أهمية جبل هارون الدينية تعود للفترة النبطية، حيث كانت تقام فيه العديد من الطقوس والشعائر الدينية، فقد كشفت الحفريات والمسوحات الأثرية التي أجريت هناك إلى استخدامٍ نبطيٍ مكثفٍ للموقع، فعُثر على فخارياتٍ نبطيةٍ ملونةٍ وغير ملونةٍ، وكُشف عن منشآت مرتبطة بنشاطاتٍ دينيةٍ كالمشاكي، وخزانات المياه، والأدراج المنحوتة في الصخر، والمضافات ضمن نطاق المنطقة على الطريق المؤدية للجبل، وكُشف عن العديد من المصاطب الزراعية التي تُشير إلى استغلالٍ زراعيٍ للموارد المتاحة خلال الفترة النبطية[1061].

أما بخصوص الحفريات التي أجريت في المنطقة والتي كُشف من خلالها عن دير بيزنطي، فقد بينت وجود دير بُني فوق أساسات نبطية، وكُشف عن ثلاثة مراحل زمنية استخدم فيها الموقع قبل بناء الدير وهذه المراحل هي: الأولى (وتؤرَّخ لمنتصف القرن الأول الميلادي)، والثانية (وتؤرَّخ للفترة الواقعة ما بين نهاية القرن الأول وحتى بداية القرن الثاني الميلادي)، أما المرحلة الثالثة فتؤرَّخ للفترة الواقعة ما بين بداية القرن الثاني وحتى عام 363م تقريباً[1062].

ويوجد دير بالقرب من المقام، وهو كبير تبلغ أبعاده 75 x 45م وتبلغ أبعاد الكنيسة الرئيسية بالدير 13.20 x 22.60م وهي مبنية على النمط البازيليكي الذي يتألف من صالة وسطية يحيط بها رواقان، أما في الجهة الشرقية من الكنيسة فيوجد الهيكل الذي يتكوَّن من محراب وغرف جانبية، ويبدو أن الدير قد شهد مرحلتين بنائيتين مثلت الأولى المرحلة الرئيسية، في حين شهدت المرحلة الثانية بعض التعديلات، ونستنتج من الحفريات أن المحراب كان مسقوفاً بشكلٍ يشبه القبة. ويتبع للبناء ساحتان محاطتان بغرفٍ، بالإضافة إلى مصلى تبلغ إبعاده 6.40 x 16م يقع إلى الجزء الشمالي من الكنيسة.

كشفت الحفريات الآثارية في هذه المنشأة عن أرضيات فسيفسائية تم تأريخها إلى القرن السادس الميلادي، وقد تعرَّضت هذه الصور لتشويهٍ ارتبط بحركة حرب الأيقونات[1063]، ولم يقتصر هذا

[1061] Fiema, Z. (2016): The Jabal Harun Site: 1000 Years of Continuity and Change. In: Zbigniew T. Fiema, Jaakko Frösén and Maija Holappa (Eds.), Petra – The Mountain of Aaron, II. The Nabataean Sanctuary and the Byzantine Monastery, 539-544.

[1062] Fiema, Z. (2016): The Jabal Harun Site: 1000 Years of Continuity and Change, 539-544.

[1063] تُشير المصادر التاريخية إلى معارضة العديد من القادة البيزنطيين لاستعمال التماثيل الدينية والصور داخل الكنائس خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، حيث ظهرت حركة عُرفت باسم حرب الايقونات، حيث أثر نشاطها على الأرضيات الفسيفسائية التي كانت تمثل صوراً لأشخاص او حيوانات. للمزيد انظر عاشور، سعيد (1978): محاضرات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية، بيروت، 39-43.

التشويه على الفسيفساء فقط بل تعداه ليشمل التماثيل والمنحوتات النبطية حيث عُثر على أمثلة لتشويه مماثل في خربة الذريح والبتراء[1064].

لقد تم تأريخ الدير بأكمله إلى نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس وذلك اعتماداً على المخطط العام للبناء بالإضافة إلى الفخار واللقى الأثرية الأخرى، ويبدو أن الدير بقي مستخدماً حتى القرن الثالث عشر لورود ذلك في شهادة الأسقف فوشيه الشارتري الذي يذكر أنه كان هناك دير للقديس هارون[1065].



صورة جوية لدير جبل هارون (تصوير ديفيد كينيدي)

أما بخصوص المقام الإسلامي والموجود بجوار الدير، فهو مستطيل الشكل تبلغ أبعاده 9.50 و11.27م وتعلوه قبة، وتوجد عند مدخله كتابة تُشير لتجديد "عمارة هذا المشهد العظيم" خلال فترة حكم السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (1293–1309م). أما داخل المقام فيوجد قبر مستطيل يرتفع عن سطح الأرض حوالي المتر الواحد وقد استخدمت الحجارة الرخامية لبناء هذا الجزء من المقام، وعليه نقش يقرأ كالتالي: بسم الله الرحمن الرحيم، لا اله إلا الله، محمد رسول الله، أمر بإنشاء هذا المقام المبارك مولانا الملك الناصر المجاهد المرابط، ناصر الدنيا والدين.

[1064] Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art, 156.

[1065] Fulcher of Chartres. (1913): Fulcheri Carnotensis historia Hierosolymitana (1095-1127). Heidelberg, 381





صورة جوية لمقام النبي هارون (يمين) (من تصوير ديفيد كينيدي)، القبر من الداخل (يسار) (تصوير الباحث)

لقد زار المقام العديد من الرحالة الأوروبيين مثل ايربي ومانجلز، ديفيد روبرتس، بالمر وموزل، وأشاروا إلى أهمية هذا الموقع عند أهل الكتاب، وتشير المصادر التاريخية إلى أهمية هذا المكان عند أتباع الديانات السماوية الثلاث، ولكن هذه المصادر لا تزودنا بمعلوماتٍ عن تاريخ هذا المكان، ونجد أقدم ذكر لهارون في العهد القديم الذي يقول أن هارون قد مات على قمة جبل هور بالقرب من حدود آدوم[1066].

أما في المصادر الكلاسيكية فنجد أقدم ذكر لوفاة هارون في كتابات المؤرخ اليهودي جوسيفوس الذي يقول أن هارون قد صعد إلى جبلٍ عالٍ في البتراء وتوفي هناك[1067]. أما المؤرخ الكنسي يوسيبيوس القيساري فيؤكِّد هذه الرواية ويورد لنا الرواية الواردة في العهد القديم ويُحدّد لنا جبل هور بالقرب من البتراء، ويقول أن البتراء هي المكان الذي ضرب به موسى العصا فخرجت منه المياه[1068]. تشير المصادر البيزنطية إلى مكان اسمه مار هارون (أي السيد هارون)حيث كان يتردد عليه الرهبان في جولاتهم حول البحر الميت ولا نعرف فيما إذا كان هذا الجبل هو جبل هارون أم لا. أما خلال الفترة الصليبية فقد زار المنطقة بلدوين الأول كما يذكر الأسقف فوشيه الشارتري الذي يذكر أنه كان هناك دير للقديس هارون مما يشير إلى وجودٍ مسيحيٍ خلال تلك الفترة هناك[1069]، واعتماداً على رواية هذا الأسقف فقد كان هذا المكان يُزار من قبل الصليبيين أثناء حملاتهم خلال فترة حكم بلدوين الأول على شرق الأردن عام 1100م كما تشير مصادر صليبية أخرى إلى وجود كنيسة هناك.

[1066] سفر العدد 20: 22-29.

[1067] Josephus, Antiquities, IV, 4,7 .

[1068] Eusebius (1966): Das Onomastikon, 176-177 .

[1069] Fulcher of Chartres. (1913): Fulcheri Carnotensis historia Hierosolymitana, 381.

وبالإضافة إلى ذلك، نجد هناك إشارة عند الرحالة ماجيستر تتماروس الذي زار البتراء خلال الفترة التي تلت الحروب الصليبية ولاحظ وجود دير على قمة جبل هارون ووجد راهبين ما زالا يعيشان هناك عام 1217م[1070].

أما بخصوص المصادر التاريخية الإسلامية التي تتطرَّق للفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي، فهي تخلو من أي ذكر للبتراء، ونجد أقدم ذكر لهذا المكان في كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري المتوفى عام 922م حيث يتحدث عن موسى وهارون ويذكر أن هارون قد توفي قبل موسى حيث دفنه وعاد إلى بني إسرائيل الذين اتهموه بمقتل هارون[1071]، ويشير المسعودي من بداية القرن العاشر الميلادي في كتابه التنبيه والإشراف إلى جبل هارون كجبل مقدس عند المسيحيين[1072] ويقول المسعودي في كتابه مروج الذهب[1073]:- "وقبض الله هارون إليه فدفن في جبل موات نحو جبال الشراة مما يلي الطور وقبره مشهور في مغارة عادية يسمع من بعض الليالي دمي عظيم يجزع من كل ذي روح، وقيل أنه غير مدفون بل موضوع بتلك المغارة". ويتحدث القزويني عن المنطقة في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد حيث يقول أنه وبمقابل بيت المقدس يوجد وادٍ وفير الزيتون فيه أقام موسى، وعندما علم بمقدم أجله ذهب إلى صخرة ووضع بها حجرا فخرجت منه اثنتا عشر عينا وتوفي موسى بعدها وبقي الحجر. أما آخر إشارة إلى هذا المكان فهي في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (1225م) الذي يصف لنا طور هارون على أنه جبلٌ عال مشرف في قبلي بيت المقدس فيه قبر هارون لأنه أصعد إليه مع أخيه فلم يعد[1074]. وكما ذكرنا يوجد نقشان عربيان بالمقام احدهما عند المدخل ويوجد نقش أخر على القبر وتوجد بعض الكتابات العبرية الحديثة على القبر وهي تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر كتبت من قبل رحالة وهي أسماء أشخاص زاروا المنطقة، وفي عام 1363 تم بناء الضريح الإسلامي على قمة الجبل من أجل حماية القبر والمحافظة عليه.

لقد اعتاد سكان وادي موسى والمناطق المجاورة أن يقوموا بزيارة هذا المقام مرتين كل عام، وأحياناً عند الحاجة حيث كانوا يتوجهون رجالاً ونساءاً وأطفالاً، ويذبحون القرابين عند هذا المقام طلباً للرزق والمطر ودرءاً للخطر، وكانوا يُصلّون هناك ويبتهلون ويحرقون الشموع ويطبخون ويأكلون، وفي اليوم الثاني للزيارة كانوا يتوجهون إلى منطقة الجميد في وادي موسى لحضور سباق الخيل احتفالاً بهذه الزيارة. وقد كان سادن المقام يقوم بجميع الخدمات التي يحتاجها هذا

[1070] Fiema, Zbigniew and Frösén, Jakko (2012): Jabal Haroun in the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods, La Transgiordania nei secoli XII-XIII e le “frontiere” del Mediterraneo medievale, a cura di G. Vannini e M. Nucciotti , BAR, Oxford, 195.

[1071] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د. ت): تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، بيت الأفكار الدولية، عمان، 144 – 145.

[1072] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1965): التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، ٧٤.

[1073] المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1965): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ٢٥.

الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، دار الفكر، ج 4، ٤٨.

المقام حيث كان يقوم بزيارة المزارعين عند موسم الحصاد لأخذ أول الثمار إلى مقام هارون، وتعتبر هذه العادة من العادات القديمة التي عرفت في مناطق عدة من الشرق القديم.

وقبل أن ننهي هذا الموضوع، سنحاول الإجابة على التساؤل التالي الذي يطرح دائما: هل صحيح أن هناك علاقة بين موسى عليه السلام ووادي موسى، وهل عين موسى هي المكان الذي ضرب به موسى الحجر كما يدعي البعض. للحديث عن هذا الموضوع لا بد من العودة إلى بعض المصادر للتحقق من الأحداث المرتبطة بخروج بني إسرائيل، حيث يرد في سفر الخروج أن بني إسرائيل ارتحلوا من بحر سوف إلى برية سيناء ثم نزلوا بموضع في سيناء يقال له رفيديم حيث لم يكن هناك ماء فخاصم الشعب سيدنا موسى وطلبوا منه ماء فاستغاث بربه الذي أمره أن يضرب صخرة معينة بعصا ففعل موسى وتفجر من الصخرة ماء فشرب الجميع[1075]، وبعد ذلك استلم سيدنا موسى الألواح التي نقشت عليها الوصايا العشر وبالتالي فان خروج الماء من الصخر كان قبل مغادرة موسى وقومه لسيناء ويبدو أن منطقة عيون موسى بسيناء هي مكان تلك الحادثة، كما يرد في سفر العدد[1076] أن موسى قد أخرج ماء لقومه، ولكن يرد بالسفر نفسه أنه قد استخرج الماء قبل أن يراسل ملك آدوم الذي كان يحكم منطقة جنوب الأردن من أجل أن يسمح له بالعبور. ومن ناحية أخرى فإن أسفار التوراة التي تعتبر المصدر الوحيد الذي يتحدث عن هذه الحادثة تتناقض ولا تتفق فيما بينها بخصوص المناطق التي مرَّ فيها القوم أثناء رحيلهم.

أما بخصوص وفاة هارون فيرد في سفر العدد أن بني إسرائيل قد أقاموا في منطقة قادش برنيع بسيناء مدة ثمان وثلاثين سنة حتى أكملوا أربعين عاما لخروجهم من مصر[1077]، وبعد ذلك تحركَّ موسى وجماعته وأخوه هارون حتى وصلوا حدود آدوم التي كانت البتراء جزءاً منها وأرسل موسى رسله إلى ملك آدوم طالباً منه السماح له ولقومه بالعبور من أرضه، ولكن ملك آدوم رفض الطلب وخرج للقائه حيث اتخذ موسى طريقاً آخر نحو شرقي الأردن، وعندما حلّوا في جبل اسمه هور مات هارون ودفن هناك "وصعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة، فخلع موسى عن هارون ثيابه وألْبَس ألعازار ابنه إيَّاها. فمات هارون هناك على رأس الجبل، ثم انحدر موسى وألعازار عن الجبل"[1078] ويرد في سفر التثنية اسم موضع آخر لموت هارون وهو موسير (وَبَنُو إِسْرَائِيل ارْتَحَلُوا مِنْ آبَارِ بَنِي يَعْقَانَ إلى مُوسِيرَ .هُنَاكَ مَاتَ هَارُونُ وَهُنَاكَ دُفِنَ .فَكَهَنَ أَلِعَازَارُ ابْنُهُ عِوَضاً عَنْهُ)[1079]

[1075] سفر الخروج 15-17.

[1076] سفر العدد 20.

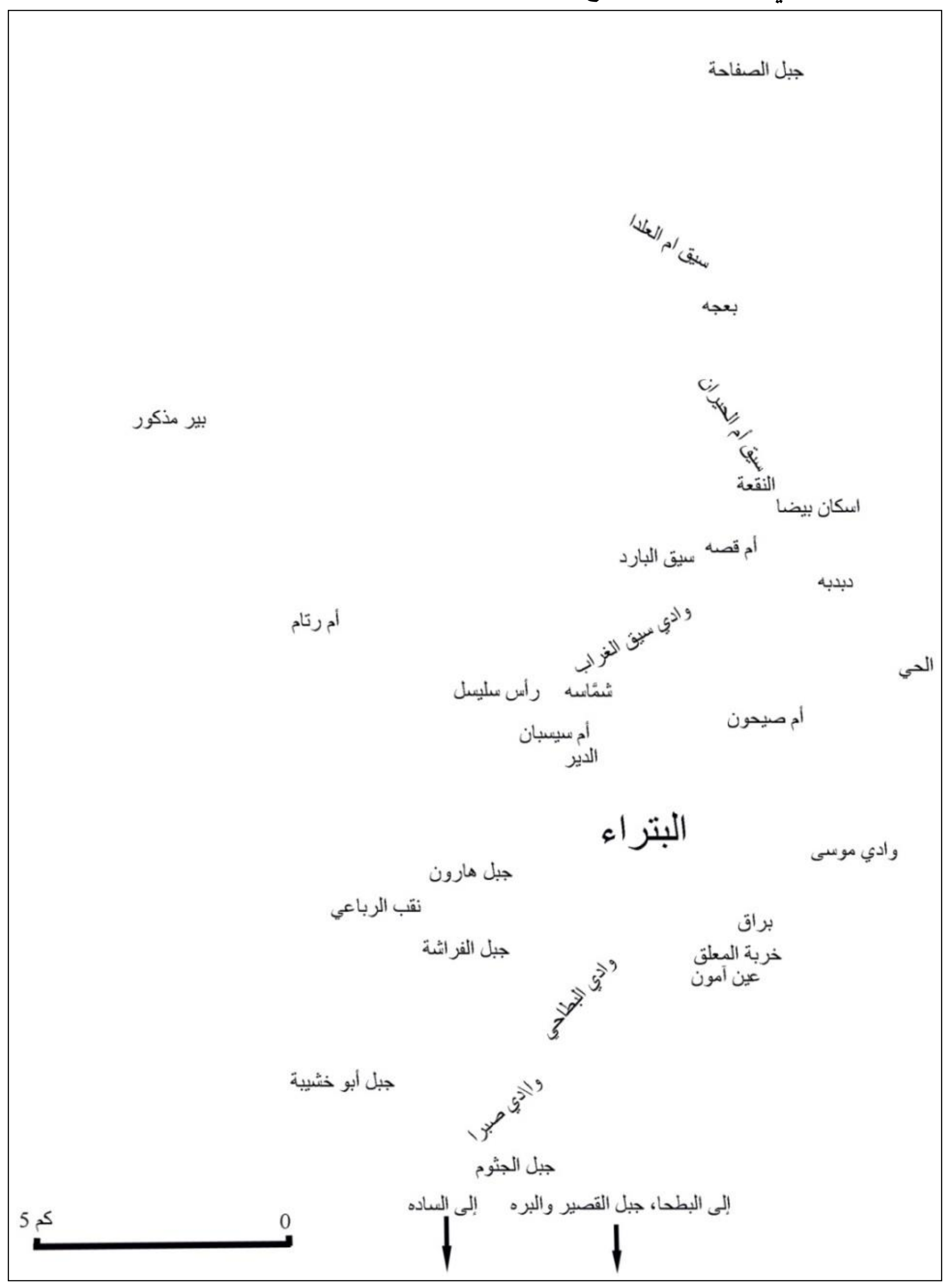
[1077] سفر العدد 16.

[1078] سفر العدد 20-21.

[1079] سفر التثنية 10.

مواقع أثرية مهمة في محيط البتراء

تنتشر العديد من المواقع الأثرية في محيط البتراء، وتحتوي أدلة أثرية تؤكِّد أن الاستيطان البشري في هذه المناطق قد بدأ منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمر حتى الفترات الإسلامية المتأخرة، وسنعرض فيما يلي لأبرز هذه المواقع:



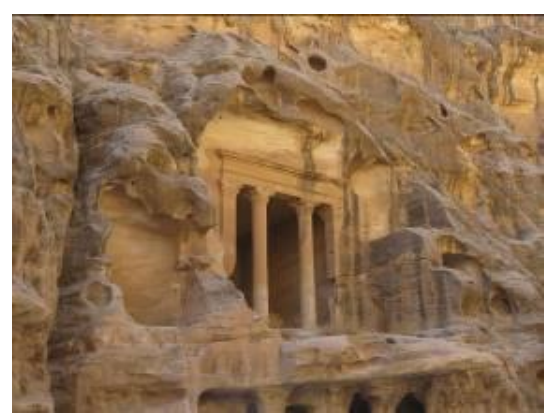
أبرز المواقع الأثرية المحيطة بالبتراء (إعداد الباحث)

بيضا

تعتبر بيضا الواقعة شمال البتراء من أبرز المواقع الأثرية الموجودة في محيطها، ويعود الاستيطان البشري في هذه المنطقة إلى حوالي تسعة آلاف عام قبل الميلاد، وقد كُشف فيها عن قرية تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري، كما كُشف عن العديد من اللقى الأثرية التي تعود لهذه الفترة.

أما أبرز فترة تاريخية متمثلة في بيضا فهي الفترة النبطية، حيث يبدو أن هذه المنطقة كانت سلة البتراء الغذائية وتتوزع فيها شبكة مائية متكاملة تهدف إلى جمع مياه الأمطار وخزنها ومن ثم استخدامها لأغراض زراعية، وتتكَّون هذه الشبكة من سدود وخزانات مائية وآبار وقنوات منحوتة بالصخر، كما تتوزع في بيضا عشرات معاصر النبيذ التي قطعت بالصخر بوسط الحقول الزراعية حيث تشير هذه المعاصر وكثافتها إلى أن الكرمة كانت أبرز الأشجار التي تزرع هناك، وقد سبق أن أشرنا إلى أهمية هذه المنطقة الزراعية عند حديثنا عن الزراعة في المناطق المحيطة بالبتراء في فصلٍ سابقٍ.

وتتوزع الآثار النبطية في العديد من الأماكن في بيضا عامة حيث عُثر على مجموعة تماثيل مؤخراً في منطقة أم قُصَّه، كما عُثر في منطقة الإمطي على دلائل تشير إلى وجود محطة لاستراحة القوافل، وسيق البارد الذي تتوزع فيه الحجُر المنحوتة بالصخر ومجموعة مخربشات قصيرة، بالإضافة إلى المضافات الجنائزية والخزانات المائية، ويُعتبر البيت الملون Painted house أهم معالم سيق البارد الآثارية. وقد كان هذا (البيت) على ما يبدو عبارة عن مضافة زُيّن سقفها برسومات لمخلوقات وآلهة ونباتات مختلفة.

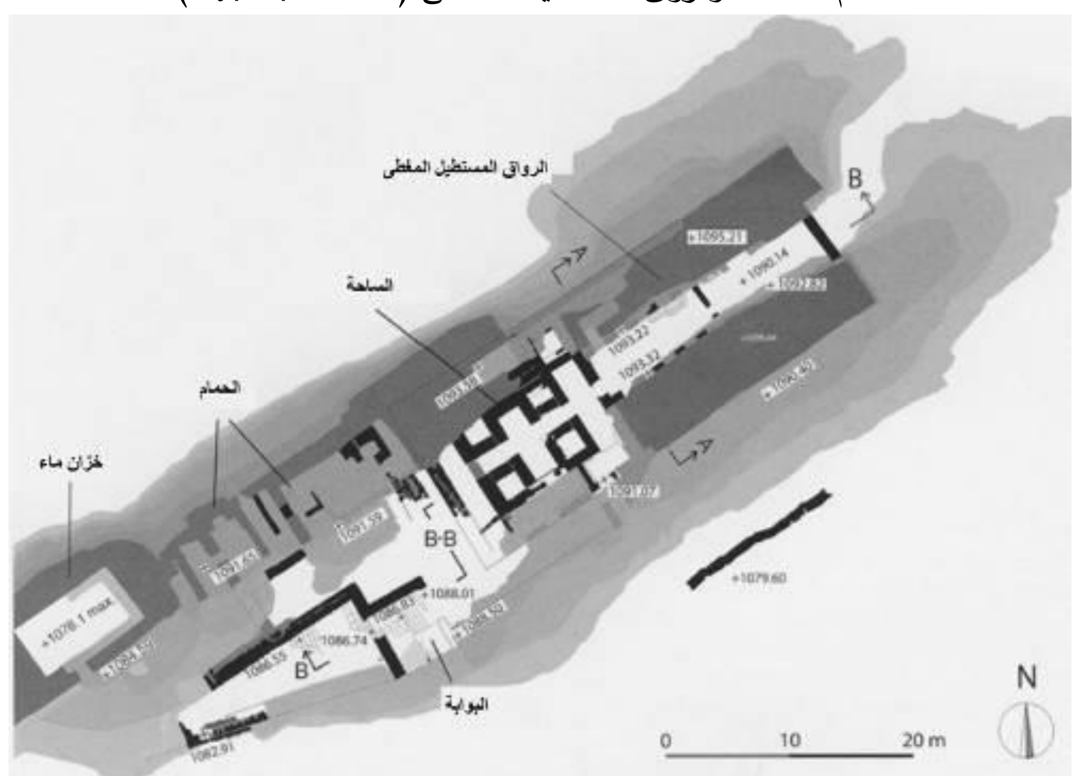
بعض واجهات سيق البارد (تصوير الباحث)

ومن المواقع الهامة في منطقة بيضا أم قُصَّه، الواقعة مقابل بير العرايس، وتتوزع في هذه المنطقة خزانات المياه النبطية، وفي عام 2005م تم الكشف عن بناءٍ مزخرفٍ بطريقةٍ مميزةٍ[1080]، ويرتفع هذا البناء الذي شُيّد على هضبة صخرية حوالي 16 م عن المنطقة المجاورة،

[1080] Bikai, Patricia; Kanellopoulos, Chrysanthos and Saunders, Shari Lee (2008): Beidha in Jordan: A Dionysian Hall in a Nabataean Landscape, AJA, 112, 3, 465-507.

ويبلغ طوله حوالي 180م أما عرضه الأقصى فهو 30م، وعلى الرغم من أن الأجزاء المتبقية من هذا المبنى قليلة، إلا أن البقايا المعمارية التي وجدت تُشير إلى وجود صالةٍ مُعَّمدةٍ يتم الوصول إليها من خلال ساحة. وربما تكون هذه الصالة المُعمَّدة مضافة "دينية" لأحد ملوك الأنباط أو لشخصية أخرى ارستوقراطية. وتُشير البقايا الأثرية المكتشفة إلى توظيف العديد من العناصر الفنية والمعمارية الأجنبية في تشييد هذا البناء وزخارفه التي يظهر فيها بكثرة الإله ديونيسوس إله الخمر، وهذا ليس مستغرباً لا سيما وأن منطقة بيضا كانت المنطقة الرئيسة في محيط البتراء التي تُنتج النبيذ.

وتتكون المنشأة برمتها من الأجزاء المعمارية التالية: خزان ماء، الدرج المؤدي إلى الأعلى، المدخل، منطقة الحمام، الساحة والرواق المستطيل المغطى (cryptoporticus).



مخطط المنشأة المعمارية التي كُشف عنها في منطقة أم قُصَّه[1081]

ومن المواقع الأخرى المهمة الموجودة في بيضا خربة النقعة الواقعة بالقرب من إسكان العمارين، وقد أمكن تمييز موقعين في هذه المنطقة هما النقعة I والنقعة II [1082]، وقد بُنيت خربة النقعة I خلال الفترة العثمانية المتأخرة، وعلى أساسات قرية قديمة كانت مبنية في نفس المكان، وتنتشر حولها كميات من الفخار النبطي والروماني والإسلامي المتأخر.

[1081] Bikai, Patricia; Kanellopoulos, Chrysanthos and Saunders, Shari Lee (2008): Beidha in Jordan.

[1082] للمزيد انظر Lindner, M. (1999): Late Islamic villages in the greater Petra region and Medieval "Hormuz". ADAJ 43, 479-500.

أما خربة النقعة II فهي تقع إلى الغرب من النقعة I وهي محمية بالجبل والوصول إليها صعب، ويرى مانفرد لندنر أن هذه الخربة تُمثِّل بقايا قلعة هرمز التي أشارت لها بعض المصادر الإسلامية كقلعة في ضواحي البتراء خلال فترة الحروب الصليبية، وتتميز بسماكة جدران مبانيها كما أن الفخار المكتشف في هذا المبنى المدمر مشابه تماماً للفخار المكتشف في قلعتي الشوبك والكرك.

ومن الجدير بالذكر أن ياقوت الحموي قد أشار إلى هذه القلعة قائلاً وهرمز أيضاً قلعة بوادي موسى عليه السلام بين القدس والكرك[1083]، كما يرد في كتابه الكامل في التاريخ أن صلاح الدين قد (تسلَّم أيضاً ما يقارب من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع)[1084] .

بعجه

تقع بعجه على بعد حوالي 10كم شمال البتراء، وقد كشفت الحفريات والمسوحات الأثرية التي أُجريت في هذه المنطقة عن دلائل تؤكِّد وجود استيطانٍ بشري امتد منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الوسطى، وتنتشر في هذه المنطقة القنوات المائية المقطوعة بالصخر ومعاصر النبيذ والمصاطب الزراعية، وقد قسَّم الباحثون المستوطنات التي عُثر عليها بعجه إلى خمس مناطق هي[1085]:

1. بعجه 1: كشف في هذا الموقع عن بقايا مباني وفخار يغطي الفترة الممتدة من الفترة الرومانية وحتى نهاية الفترة المملوكية، وأظهرت الدراسات أن أكثر تمركز استيطاني في هذه المنطقة كان خلال الفترتين الأيوبية والمملوكية.
2. بعجه 2: وكشف في هذه المنطقة عن شواهد أثرية تُمثِّل خربة تعود للفترة المتأخرة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري ب (6500–6000ق.م)، وتغطي هذه المنطقة مساحة 12000م2.
3. بعجه 3: وهي تقع بين بعجه 1 وبعجه 2، وعلى بعد حوالي 40م شمال سيق بعجه، وعُثر فيها على فخار آدومي وبقايا تحصينات آدومية تؤرَّخ للعصر الحديدي الثاني.
4. بعجه 4: وتقع على بعد حوالي 2كم جنوب غرب سيق بعجه، وتنتشر فيها المصاطب الزراعية، وبقايا البيوت القديمة، بالإضافة إلى فخاريات تعود للعصور البرونزية والنبطية والرومانية المتأخرة.

[1083] الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ج 5، 402.

[1084] ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن (1987): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 10، 59.

[1085] للمزيد انظر .Lindner, M. 1999: Late Islamic villages in the greater Petra, 479-500.

5. بعجه 5: وتقع بالقرب من بعجه 1، وعُثر فيها على شواهد أثرية تؤرَّخ للعصر الحجري الحديث[1086].



إعادة تخيل لقرية بعجه الحجرية[1087]

الفرش

تقع منطقة الفرش بالقرب من بعجه وما يزال في الموقع مجمعان سكنيان بُنيا خلال القرن الماضي على أساسات بيوت نبطية، وتوجد بالقرب منهما خزانات مائية مقطوعة بالصخر، وتتميز هذه المباني بسماكة جدرانها، إذ يتكون كل مبنى من مجموعة غرف. أما الشواهد الأثرية الأخرى التي عُثر عليها في الفرش فتتمثَّل في الفخار النبطي والرسومات الصخرية التي تصوّر غزلاناً وحيوانات، بالإضافة إلى نقشٍ ثموديٍ قصيرٍ[1088].

رأس سليسل

يقع رأس سليسل جنوب غرب بيضا وعلى بعد 5كم شمال البتراء، وتنتشر في هذه المنطقة العشرات من المصاطب الزراعية التي يطلق عليها عادة لقب (سلاسل)، وربما أشتق اسم المكان

[1086] للمزيد أنظر Lindner, M. (1999): Late Islamic villages in the greater Petra region, 479-500; Bienert, H. and Gebel, H. (1998): Archaeological excavations at Late PPNB Ba'ja a preliminary report on the 1997 season. ADAJ 42, 75-90; Bienert, H., Lamprichs, R. and Vieweger, D. 2000: Ba'ja- The archaeology of a landscape.9000 years of human occupation: A preliminary report on the 1999 Field Season.ADAJ 44, 119-148.

[1087] http://books.openedition.org/ifpo/4881?lang=en.

[1088] Bienert, H., Lamprichs, R. and Vieweger, D. 2000: Ba'ja-, 140.

من هذه التسمية، وقد عُثر فيه على بركة كانت تزود بالمياه من نبع، وعُثر في هذه المنطقة على خزانات مائية نبطية وقنوات ري[1089]، كما عُثر على بقايا تشير إلى وجود معبد نبطي (مُعلّى) في هذا الموقع الذي كان يمثل تقاطعاً وملتقى للطرق التجارية بين البتراء ووادي عربة، وكُشف عن العديد من الشواهد الأثرية الأخرى كتاجيات الأعمدة النبطية والمذبح النبطي حيث يبدو أن ازدهار هذه المنطقة كان خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الأول والرابع الميلاديين.[1090] وإلى الشرق من رأس سلسيل تقع منطقة النعيره التي يوجد فيها محجر على رأس تلة، كما توجد معصرة نبيذ هناك مبلطة بالفسيفساء، وبالقرب منها بقايا منشآت مائية، وكذلك يوجد نصب ديني كبير مستطيل ربما يمثل ذو الشرى.





بعض المعالم الأثرية الموجودة في منطقة النعيره بالقرب من رأس سليسل (تصوير الباحث)

جبل الصفاحه

يقع هذا الجبل على بعد حوالي 15كم شمال البتراء، وقد عُثر في نطاقه على آثار تؤرَّخ للفترة الممتدة ما بين العصر الحديدي وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة، وكُشف عن مسجد في العراء له ساحة أبعادها 7.5×11م، ومن المواقع المهمة التي عُثر عليها في منطقة جبل الصفاحه ما يلي[1091]:-

كُتله: تقع على الطرف الغربي لجبل الصفاحه، وقد عُثر على العديد من المواقع ضمن هذه المنطقة وهي:

1. كُتله I : عُثر فيها على بقايا مبانٍ وجدران تعود للفترتين الأيوبية والمملوكية، بالإضافة إلى فخاريات مصنوعة باليد وغير مزخرفة، وبقايا مطاحن حبوب.
2. كُتله II: وجميع مباني هذا الموقع مدمرة بفعل الهزات الأرضية والعوامل الطبيعية الأخرى، وكُشف في هذه المنطقة عن مجموعة من البيوت واللقى الأثرية التي تعود معظمها للعصر الحديدي.

[1089] المحسين، زيدون (2002): هندسة المياه والري عند العرب الأنباط، 81.
[1090] Gunsam, E. and Lindner, M. (1995): The Unique Nabataean High Place of Ras Slaysil, 267–280.

[1091] Lindner, M. – Knauf, E. A. – Hübner, U. et al., (1998): From Edomite to Late Islamic. Jabal as-Suffaha North of Petra.

3. كُتله III: تقع شمال كتله II، وعُثر فيها على بقايا جدران وفخاريات تعود للعصر الحديدي.
4. كُتله E: حيث يعتقد الباحث مانفرد لندنر أنها كانت خاناً، وقد عُثر فيها على بقايا مساكن وفخاريات تُشير إلى استيطانٍ مكثفٍ خلال فترة العصور الوسطى.
5. كُتله H: وعثر فيها على منطقةٍ سكنيةٍ تعود للفترتين النبطية والرومانية.

دراج

تقع بالقرب من كُتله وقد أمكن توثيق ثلاثة مواقع أثرية ضمن هذه المنطقة وهي:-

1. دراج I: وهي قرية تعود للعصر الحديدي واستخدمت في فتراتٍ لاحقةٍ خلال الفترتين الرومانية والبيزنطية، وما تزال بعض جدران هذه القرية واقفة على ارتفاع 2م.
2. دراج II: قرية تعود للفترة الرومانية المتأخرة، وتقع إلى الشمال الشرقي من دراج I، ويبدو أن معظم الآثار المكتشفة في هذه القرية تعود للفترة الرومانية المتأخرة.
3. دراج III: عُثر فيها على حصنٍ آدوميٍ لم يتبقَ منه إلا بعض جدرانه السميكة.

خربة المْعَلَّق

تقع خربة المْعَلَّق بين الطريق المؤدي من وادي موسى إلى الطيبة، وقد بُنيت بالقرب من عين المْعَلَّق، حيث أمكن تمييز فترتين استيطانيتين رئيسيتين في هذه الخربة هما الفترة الآدومية (العصر الحديدي) والفترة الإسلامية المتأخرة.

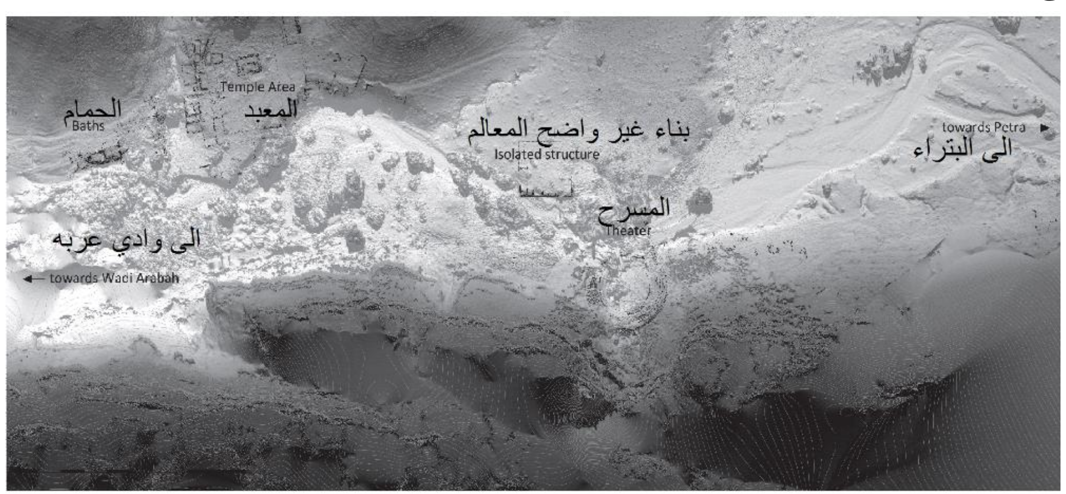
ويبدو أن خربة المْعَلَّق كانت إحدى مناطق التحصينات الآدومية في ضواحي البتراء خلال العصر الحديدي، ولكنها هجرت مع نهاية العصر الحديدي، واستمر الاستيطان بها مؤقتاً إلى أن عادت تُسكن من جديد خلال الفترتين الأيوبية والمملوكية. وقد عُثر على كميات من الفخار الإسلامي من هذه الفترة بالإضافة إلى بقايا منشآت زراعية كجزءِ من معصرة زيتون ومطاحن حبوب[1092].

صبرا

تقع صبرا جنوب البتراء، وقد عُثر في هذا الموقع على شواهد أثرية تعود لعصور ما قبل التاريخ، كما عُثر على بقايا أبنية وبقايا فخار يعود للعصور البرونزية، ويبدو أن ازدهار صبرا كان في الفترة النبطية حيث كُشف عن نظام حصاد مائي متطور هناك، ومدرَّج وبقايا مستوطنة وفخار

[1092] Lindner, M., Knauf, E. and Zeitler, J. (1996): An Edomite fortress and a Late Islamic village near Petra (Jordan): Khirbat al-Mu'allaq. ADAJ 40, 111-135.

ونظام مصاطب زراعية ومحاجر، حيث يبدو أن المدرج الموجود يتسع لـ 500−800 شخص. وقد كانت صبرا إحدى محطات القوافل القديمة، كما كشف فيها عن بقايا معبد وحمام[1093]، ويعتقد نيلسون جلوك أن هذه المنطقة قد شهدت صناعات تعدينية مكثفة، إذ عُثر على بقايا تدل على صهر معادن.



توزيع الآثار في منطقة صبرا (الصورة للورنت تولبيك)



صورة لمدرج صبرا (تصوير الباحث)

[1093] Laurent Tholbecq, Thibaud Fournet, Nicolas Paridaens, Soline Delcros & Caroline Durand (2016): Sabrah, a satellite hamlet of Petra, PSAS 46, 277–303; Fournet, Thibaud (2015): Les Bains De Sabrā : Un Nouvel Édifice Thermal Aux Portes De Pétra, Syria 92, p. 33 - 43

وبالقرب من صبرا عُثر على سدٍ ومنطقةٍ سكنيةٍ في جبل الجثوم، ويبدو أن هذه المنطقة السكنية نبطية الأصل، كما عُثر على منشأة ذات طابعٍ دينيٍ، وهي مقطوعة في الصخر[1094].

سيل البطحا والبرَّه

يقع سيل البطحا والبرَّه إلى الجنوب الغربي من صبرا، ومن أبرز الآثار التي عُثر عليها هناك نُصب لذي الشرى وبقايا منزل كان مرتبطاً بمزرعة، ومرفقات مائية نبطية كالخزانات والقنوات، وصلبان تُشير إلى استقرار في الفترة البيزنطية، بالإضافة إلى معصرة نبيذ. كما كشف في البرَّه الواقعة جنوب غرب البطحا عن بقايا منازل والكثير من الفخار، بالإضافة إلى قطعٍ صوانيةٍ تعود للعصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، وفخار يؤرَّخ للفترة الممتدة ما بين نهايات العصر الحديدي وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة[1095].



معصرة نبيذ مقطوعة في الصخر في منطقة البطحا (تصوير الباحث)

أبو خشيبه

تقع أبو خشيبه على بعد 7.5كم جنوب غرب البتراء، وقد كانت هذه المنطقة ممراً للقوافل المتوجهة إلى وادي عربة، وكان الطريق ينطلق من جبل هارون، نقب الرباعي، أبو خشيبه ومنه إلى وادي عربه.

كُشف في منطقة أبو خشيبه عن مبانٍ عُثر على جدرانها الداخلية على بقايا جص، وتنتشر حول هذه الأبنية أسطوانات الأعمدة، كما عُثر على قناة مبنية بالحجارة، وهي مدمرة حيث كانت تنقل الماء من رأس الوادي إلى خزان تبلغ أبعاده 7×7م، أما الفخار المكتشف فيشير إلى أن المنطقة كانت مزدهرة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الأول والثالث الميلاديين[1096]، ويبدو أن الظاهر

[1094] Lindner, M. (1992): Survey of Sabra, 193-216; Lindner M. and Zeitler J 1998: Sabra, 535-565.
[1095] Lindner, M. (2003): Über Petra hinaus, 15-28..
[1096] Lindner, M. 1992: Abu Khusheiba - A newly discovered Nabataean settlement and caravan station between Wadi ‘Arabah and Petra. SHAJ 4, 263-267.

بيبرس وفي رحلته من القاهرة للكرك قد مرَّ بها، حيث بيَّت –وكما يذكر النويري– في منطقة نقب الرباعي المجاورة لها ومن ثم صعد منها إلى جبل هارون، حيث يبدو أن السلطان بيبرس قد مرَّ عبر طريق مشهور كان يمثل مدخلاً لمدينة البتراء من الجهة الجنوبية الغربية[1097].

شمَّاسه

تبعد حوالي 3 كم عن وسط مدينة البتراء، وتتوزَّع فيها المنشآت الزراعية، ويبدو أنها كانت مليئة بالحقول والبساتين خلال الفترة الممتدة ما بين الفترة النبطية حتى الفترة البيزنطية، حيث عُثر فيها على أربع معاصر نبيذ نبطية مقطوعة في الصخر، ومنشآت مائية، ونُصباً يُمثِّل أحد المعبودات النبطية (ذو الشرى؟)، ومذبحاً ومحاجر وبقايا مساكن[1098].

أم سيسبانه

تقع شمال الدير إلى جنوب من منطقة شماسة في بيضا، وقد عُثر فيها على بقايا مستوطنة تعود للعصر البرونزي المبكر، وأدوات صوانية، وفخاريات تعود لبدايات العصر البرونزي، وفخاريات تعود للفترات النبطية والإسلامية[1099].

الساده

تعتبر السادة من أبرز المواقع الأثرية الموجودة في محيط البتراء، وهي تقع على بعد 15كم جنوب غرب البتراء، وأقدم الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في الساده هي الأدوات الصوانية التي تؤرَّخ للعصر الحجري القديم والعصر الحجري اللاحق للقديم، كما عُثر في هذه المنطقة على مستوطنة تعود لعصور ما قبل التاريخ، وفخار من العصر البرونزي المبكر، وبقايا أثرية تعود للعصر الحديدي، وكُشف عن عدة شواهد تعود لهذا العصر منها أساسات بيوت وفخار، كما عُثر على بقايا أبنية تمثل جزءاً من تحصيناتٍ آدوميةٍ، وتتميز هذه المجمعات البنائية بطول غرفها.

وإلى الجنوب الغربي من وادي الساده يوجد معبد نبطي مدمر تبلغ أبعاده 17×6م، متجه باتجاه شمال جنوب، وقد كشفت الدراسات الميدانية عن قريةٍ نبطيةٍ جنوب غرب وادي الساده بُنيت على منحدرٍ، وتتألف هذه القرية من حوالي خمسة وعشرين منزلاً بعضها ما زالت جدرانه واقفة

[1097] Zayadine, F. (1985): Caravan Routes between Egypt and Nabataea, 172.

[1098] Lindner, M. and Gunsam, E. (2002): A Fortified Suburb of Ancient Petra: Shammasa. ADAJ 46, 225–241.

[1099] Lindner, M. (2003): Über Petra hinaus, 127-154.

على ارتفاع خمسة مداميك[1100]؛ كما كشف في هذه المنطقة عن خزان ماء نبطي كان يتزود بالماء من عين الساده عبر قناة مقنطرة أقيمت فوق جدار على طول ثلاثمائة متر حتى الخزان، كما تتوزّع في منطقة الساده بقايا الجدران الاستنادية والزراعية القديمة مما يدل على الأهمية الزراعية للموقع[1101].

أم رتّام

تقع أم رتّام جنوب غرب البتراء في الجزء الشرقي من وادي عربة. وقد كشفت الدراسات الميدانية التي أجريت في هذه المنطقة عن أدواتٍ صوانيةٍ تعود للدورين المتوسط والمتأخر من العصر الحجري القديم، وكذلك العصر اللاحق للقديم[1102]، كما عُثر على فخاريات وبقايا منطقة سكنية ومصاطب زراعية تعود للفترتين النبطية والرومانية، وفيها مبنى أطلق عليه قصر أم رتّام، ويسمى أحيانا قصر وادي موسى، وقد اختلف الباحثون في وظيفته، فمنهم من ذهب إلى انه حصن، ومنه من رجّح احتمالية أن يكون محطة لاستراحات القوافل التجارية لوقوعه على الطريق التجاري القديم المؤدي إلى غزة، ويوجد بجانب هذا القصر خزان مائي ترتبط به قناة كانت تجلب الماء له على ما يبدو من عين الصيغ، وطولها حوالي 9.3 كم[1103].





صورة لبقايا قصر أم رتّام (يمين)، خزان الماء المجاور للقصر (وسط) وبقايا قناة الماء (يسار) (تصوير الباحث)

[1100] للمزيد انظر- Lindner, M., Farajat, S. and Zeitler, J. (1988): Es-Sadeh: An important Edomite-Nabataean site in southern Jordan. Preliminary report. ADAJ 32, 75-99.

[1101] المحسين، زيدون (2002): هندسة المياه والري عند العرب الأنباط، 93-94.

[1102] Lindner, M. et al (2007): Umm Rattam Survey: Specialized Reports. ADAJ 51, 2007, 243–256

[1103] Lindner, M. et al (2007): Umm Rattam Survey: Specialized Reports.

الخاتمة

شهدت منطقة البتراء وجوارها استيطاناً بشرياً متصلاً منذ بدايات العصر الحجري القديم وحتى الوقت الحاضر، وقد حاولنا في هذا الكتاب إبراز الدور الحضاري الذي لعبته هذه المدينة على مرّ العصور، حيث اشتمل على مناقشةٍ للأحداث التاريخية التي شهدتها، وأبرز معالمها الحضارية بالإضافة إلى التعريج على الأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي لعبتها البتراء وجوارها منذ أقدم العصور وحتى نهاية العصر العثماني.

إن زيارة واحدة للبتراء كافية لإظهار العديد من التهديدات التي تواجهها، وتشتمل هذه المخاطر على تهديدات طبيعية، وتجاوزات واعتداءات بشرية، ويزداد تأثير هذه العوامل يوماً بعد يوم في ظل غياب التنسيق والتعاون بين الجهات المعنية بالموقع، وافتقار الموقع لخطة متكاملة للصيانة والترميم، وعدم التقيد بمبادئ وأخلاقيات الترميم في حال تنفيذ الكثير من مشاريعها التي تجب أن تُنفَّذ اعتماداً على آليات محددة وواضحة ومنظمة منسجمة مع المعايير الدولية المتعارف عليها، كما تعتبر قلة مشاريع الصيانة واستخدام المواد الخاطئة في الترميم واستعمال غير المؤهلين لهذه المهمة من أبرز المشكلات التي تتعرض لها البتراء.

إن الحفاظ على معالم مدينة البتراء الأثرية أمرٌ صعبٌ ومكلفٌ، فالموارد المتاحة سواء أكانت مالية أم بشرية غير كافية، ولأن صيانة وترميم المباني التاريخية والمعالم الأثرية شأنٌ وطنيٌ، فإننا بحاجة إلى خطة متكاملة واستراتيجيات واضحة للحفاظ عليها، فما يزال الموقع بحاجةٍ إلى العديد من مشاريع الترميم والصيانة التي يجب أن تشتمل على تقوية وترميم بعض المعالم الأثرية، وتدخلات لحماية الواجهات المقطوعة في الصخر والمباني المشيَّدة بالحجارة، وفرض رقابة كافية على الموقع الأثري، ومنع استخدام الكهوف النبطية والدواب في بعض الأماكن، إضافة لمراقبة ما يُباع داخل الموقع الأثري من قطعٍ أثريةٍ توضع جنباً إلى جنبٍ مع القطع المُقلَّدة، وفرض رقابة أكثر على مشاريع الترميم والحفريات الأثرية التي تُنفَّذ داخل البتراء، بالإضافة إلى الصيانة الدورية والتنظيف للمباني الآثرية أو المباني التي تم ترميمها، وإعادة تأهيل الوسط المحيط بمعظم المواقع الآثارية، وإعادة تأهيل بعض أجزاء النظام المائي النبطي، ووضع الآليات المناسبة لوقف تَغُّول السياحة وإرهاصاتها على القيم الثقافية والتراثية للموقع، وضبط حركة الزوار وتحديد مساراتهم بما يقلل من آثار حركتهم على الموقع ومعالمه الهشة.

وفي إطار السعي لحفاظ على آثار المدينة لا بد من رفع نسبة الوعي المجتمعي بأهمية المحافظة على الآثار، إذ يساعد تدني الوعي بأهمية الآثار على دمارها واندثارها، وبالتالي لا بد من تعميق الوعي المجتمعي بأهمية التراث بين المواطنين وخصوصاً الطلبة. وهنا تحضرني

مقولة لدكتور يوسف عبدالله: "إن الماضي قد يحيا في الحاضر، ولكنه قد يفنى فيه أيضاً، على قدر وعي الناس به أو إعراضهم عنه".

ملحق (1)

قائمة بأسماء الرحالة المعروفين الذين زاروا البتراء خلال القرن التاسع عشر (1812 – 1900)[1104]

1. الرحاله يوهان فريدريك بيركهاردت، 22 – 1812/8/23
2. الرحالة ويليام جون بانكس، 24 – 25/5/ 1818
3. الرحالة ت . لي، 24–1818/5/25
5. الرحالة الكابتن ل . إيربي، 24–1818/5/25
6. والرحالة الكابتن ج . مانجليس، 24–1818/5/25
7. الرحالة فيناتي (الحاج محمود)، 24–1818/5/25
8. الرحالة ا . هـ . فريزر، بعد 1818
9. الرحالة سترانج وايز، 1826
10. الرحالة انسون، 1826
11. الرحالة ليون لابورد، 28/اذار – 3/نيسان/1828
12. الرحالة لويس موريس ادولف لينانت دي بيليفوندز، 28/اذار – 3/نيسان/1828
13. الرحالة ج . ل . ستيفنز اذار، 1836 (أول أمريكي يزور البترا).
14. الرحالة تشارلوت رولي وزوجها ريتشارد وأخوها ويليام شيبلي–كونوي وصديقهم سيمير في عام 1836.
15. الرحالة جوتيلف هنريك فون سكوبرت، اذار 1837
16. الرحالة الكساندر لينزي، 25–1837/4/26
17. الرحالة اللورد برودهو، 1838
18. الرحالة كومتي . ج. دي بورتو، 14–19/ نيسان / 1838
19. الرحالة ادوارد روبينسون، 31/ايار– 1/حزيران/ 1838
20. الرحالة ج . ج . كينيير، 6–11 /3 / 1839
21. الرحالة ديفيد روبرتس، 6–11/3/ 1839 و 30/ اذار – 3/ نيسان / 1840
22. الرحالة هوستن هنري ليارد، كانون الثاني 1840
23. الرحالة ادوارد جوي موريس، اذار – نيسان / 1840
24. الرحالة ج . ي. كوولي وزوجته، 1840
25. الرحالة هنري فورمبي، 1840

[1104] من إعداد الدكتور فوزي أبو دنه

26. الرحالة بارون كولر، نيسان 1840
27. الرحالة ك . ميلارد، 27–29 /كانون الثاني / 1842
28. الرحالة هـ . ب . ميزور، 1842
29. الرحالة اللورد كاستلري (فريدريك ويليام روبرت ستيورت)، 30/6/– 1842/7/4
30. الرحالة ج . ويلسون، 9 – 1843/3/13
31. الرحالة و . هـ . بارتليت، 1845؟
32. الرحالة هـ . مارتينيو، 19 – 1847/3/24
33. الرحالة ف . ديتيريشي، 21 – 1849/3/25
34. الرحالة الآنسه هندلي، 28 – 30 /1850/3
35. الرحالة ج . ت . لوث، 1851
36. الرحالة ج . فين، 6 و 7 /1851/4
37. الرحالة ج . ب . مارش، 1851
38. الرحالة جون شو سميث وزوجته ماري، 21 – 24/3/1852
39. الرحالة ا . ب . ستانلي، 1853
40. الرحالة ويليام كوبر برايم، 1856/1855
41. الرحالة ج . ب . روث، 1857
42. الرحالة ادوارد لير، 13 –1858/4/14
43. الرحالة ج . ج . بوراسي، 1858
44. الرحالة جون ستوارت ستوارت–جليني، 4 – 1862/4/9
45. الرحالة هنري توماس باكيل، 4 – 1862/4/9
46. الرحالة ج . اهني، 1862
47. الرحالة ليونيس دوك دي، 19 – 1864/5/21
48. الرحالة ل . لارتيت، 1864
49. الرحالة ج . ا . فيسكونتي، 1865/4/3
50. الرحالة ر . هـ . مايلز، 1865
51. الرحالة ي . جيرج، 24 – 1868/2/27
52. الرحالة د . س . دوج، 1868
53. الرحالة جاين . لوفتوس، 1868
54. الرحالة ج . ل . جيرومي، 24 – 1868/3/27
55. الرحالة ب . لينوير برفقة ل . جيرومي، 1868

56. الرحالة مارز تيستاس برفقة ل . جيرومي، 1868
57. الرحالة ادوارد هنري بالمر، 5 – 1870/4/11
58. الرحالة و . س . ماوغان، 1872/3/21
59. الرحالة ج . سترونج و س . د . وارد، 1874
60. الرحالة تشارلز مونتاغو داوتي، 1875
61. الرحالة ي . ل . ويلسون، 1882
62. الرحالة هوراتيو هيربيرت كيتشينر، 1883
63. الرحالة ي . هل، 10 – 1883/12/11
64. الرحالة ي . س . هارت، 1883
65. الرحالة ا . هورنستاين، 1895
66. الرحالة جراي هيل نيسان، 25 – 10/29/ 1896
67. الرحالة الويس موزيل، 5 – 1896/9/11 و 23 /4 – 1898/5/2
68. الرحالة م . ج . لاجرانج، 25 – 1896/10/29
69. الرحالة هـ . فينسينت، 1896
70. الرحالة ر . ي . برونو، 3 –1897/3/13 و 8 –1898/3/23
71. الرحالة س . فايلهي، 26 – 1897/4/29
72. الرحالة ا . ف . دومازفسكي، 8 –3/23/ 1898
73. الرحالة س . و . ويلسون، 1899
74. الرحالة ا . فوردار، عدة رحلات بين 1899 و 1900
75. الرحالة جيرترود بيل، 29 – 30/ 1900
76. الرحالة ج . ل . روبينسون، 1900
77. الرحالة س . ي . كيرتيس، 12 – 13 /1900/7
78. الرحالة ج . بايتشير، اذار 1900

ملحق (2)

رحلة الأسقف بارصوما لـ (رقِم د جايا) ܪܩܡ ܕ ܓܝܐ

ولد أسقف نصيبين بارصوما[1105] ܒܪ ܨܘܡܐ في عام 420م وتوفي حوالي 491م، وقد تتلمذ في الرها على يد الأستاذ هيبا، وغادرها إلى نصيبين حيث أصبح أسقفها في حوالي عام 450م، وانتشرت من مدرسة نصيبين حملات تبشيرية إلى العديد من مناطق المشرق منها حملة أرسلت إلى(رقِم د جايا) ܪܩܡ ܕ ܓܝܐ سنتناولها هنا، وقد كان بارصوما من أتباع المذهب النسطوري، كما كان من المقربين للملك الساساني فيروز الأول المتوفى عام 484م، ويعتبر بارصوما من أبرز شخصيات الكنيسة الفارسية[1106].

وردت لنا قصة زيارة بارصوما لمدينة (رِقِمْ) في عدد من المخطوطات[1107]، منها المخطوط رقم (305 ميامر) المحفوظ في مكتبة دير السريان والتي ترجمها للعربية الأنبأ متاؤس عام 2005، إلا أن هذه الترجمة لم تكن دقيقة أذ تمت ترجمة كلمة (ر ق م) التي تعنينا هنا (راغام)[1108]، وقد اعتمدنا في هذا البحث بشكل أساسي على النص السرياني الأصلي الذي يعكف على ترجمته إلى الإنجليزية والتعليق عليه الباحث أندرو بالمرAndrew Palmer[1109].

تشير قصة بارصوما لزيارة قام بها إلى (رق م/ د ج ا ي ا) ܪܩܡ ܕ ܓܝܐ [1110] أي (الرقيم ذات جايا)، وقد سبق ورود لفظ مشابه تماماً لهذا اللفظ في المصادر الترجومية والتلمود[1111]، ويبدو أن هذه المدينة هي مدينة البتراء كما سنحاول أن نُبيّن لاحقاً، فخلال زيارته لمناطق فينيقيا والعربية ܥܪܒܝܐ وفلسطين قام بهدم المعابد الوثنية وحرقها، كما قام بتدمير المعابد اليهودية، وبعد أن صلّى في القدس، توجّه صوب (رقِم د جايا) عبر الطريق الصحراوي (ܐܘܪܚܐ ܡܕܒܪܝܬܐ) [1112]، ويبدو أن الطريق الصحراوي الذي يُشير إليه بارصوما هو نفسه الطريق التراجاني الذي تم تشييده بعد سقوط المملكة النبطية، وتحديداً خلال الفترة ما بين 111-114م، ويربط هذا الطريق العاصمة الجديدة بصرى بالعقبة في جنوب الأردن[1113].

يذكر بارصوما أن الوثنية كانت منتشرة خلال فترة زيارته لعددٍ من المناطق التي مر بها وهو في طريقه لهذه المدينة، ويُشير إلى إغلاق سكان هذه المدن الوثنيين أبواب مدنهم في وجهه، وقيامهم

[1105] يتكون اسم بارصوما من كلمتين هما: بار: وتعني ابن، وصاوما وتعني الصوم.

[1106] Wigram, W. A. (2004): An introduction to the history of the Assyrian Church, or, The Church of the Sassanid Persian Empire, 100–640 A.D. Gorgias Press.

[1107] اندرو بالمر: اتصال شخصي.

[1108] الأنبا متاؤس (2005): القديس ماربرصوما السرياني عن مخطوطة رقم 305 ميامر بمكتبة دير السريان العامر، دير السيدة العذراء مريم.

[1109] قام اندرو بالمر مشكوراً بإرسال النص السرياني وترجمته الإنجليزية لي.

[1110] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo the Northerner: Syriac and English.

[1111] للمزيد انظر السلامين، زياد (2015): (رِقِمْ= الرقيم) في المصادر التاريخية والنقشية.

[1112] Palmer, A.(in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 1.

[1113] للمزيد عن هذا الطريق انظر Graf, D. (1995): The Via Nova Traiana in Arabia Petraea. 1, 241-267.

بتسليح انفسهم، واتخاذهم مواقع على أسوار مدنهم لحمايتها[1114]، ومن المدن التي وصلها (مدينة عظيمة تسمى رقِم د جايا ܪܩܡ ܕܓܐܝܐ) والتي يبدو أنها البتراء، وتؤكد التنقيبات الآثارية والمصادر التاريخية انتشار الوثنية في البتراء وغيرها من مناطق جنوبي بلاد الشام خلال القرن الرابع الميلادي، فقد أشار المؤرخ الكنسي يوسيبيوس (265–340م) إلى وجودٍ وثني في البتراء، كما ذكر وجود عددٍ من الكنائس في الصحراء بالقرب من المدينة خلال القرن الرابع الميلادي[1115]. وتطرق المؤرخون الكنسيون كما أسلفنا إلى وجود الوثنية في البتراء آنذاك[1116].

الوصف العام لـ رقِم د جايا في قصة بارصوما

تورد قصة بارصوما معلومات عن مدينة رقِم د جايا، فعند وصوله لها وجد أبوابها مغلقة، ويحرسها سكانها المسلحون الواقفون على أسوارها، وقد خاطب بارصوما سكانها قائلاً: "اسمحوا لي أن أقترب منكم! لا تدعو أحداً يؤذيني، فأنا أصغر المسيحيين! لقد أرسلوني لكم كرسول لأتكلم معكم كلمة السلام"[1117]، وبعد موافقة سكان المدينة على سماع ما يريد قوله بارصوما قال لهم بصوت لين: "أنتم مسلحون وكثيرو العدد وعددنا قليل[1118]، كما أننا غير مسلحين فكيف لنا أن نقاتلكم، فالآلاف وعشرات الآلاف منكم مدججون بالسلاح". [1119]

قال بارصوما للعامة بعد ذلك: "لأن مدينتكم تقع على جبلٍ وتحيطها المنحدرات الصخرية، ويصعب تجاوزها، فإننا نسألكم أن تسمحوا لنا بالمرور وأن نغادر بسلام. وإذا كنتم لا ترغبون بذلك، فلن نقول لأي منكم أية كلمة، وإذا لم تسمحوا لنا بالمرور بسلام، فسنشن حرباً عليكم وسنحرق مدينتكم"[1120].

ويبدو أن هذا الوصف يطابق تماماً مدينة البتراء الصخرية التي تحيطها بها الجبال والمنحدرات الصخرية والأسوار، ويصعب دخولها إلا من مدخلها الرئيسي الذي يمر عبر السيق المبلط الذي يمثل بداية الشارع الرئيسي الذي يخترق وسط المدينة من شرقها إلى غربها.

دخول بارصوما للمدينة

عندما سمع سكان مدينة (رقِم د جايا) ما قاله بارصوما اضطربوا وارتعبوا، وسمحوا له بأن يدخل شريطة أن لا يفعل أي شر لمدينتهم، وأن لا يحرق آلهتهم بالنار[1121]، ففتحوا أبواب المدينة له ولتلاميذه، ودخلوها، وعندما وصلوا إلى مكان معين في وسط المدينة، وقف بارصوما في الوسط وأومأ بيده تجاه الشعب وتحدث لهم بكلمات عن حكمة الله والإيمان الحقيقي، واستمر حديثه من

[1114] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 2.
[1115] Eusebius 1966: Das Onomastikon , 36.13-14.
[1116] Epiphanius of Salamis (2008): The Panarion of Epiphanius, 2.51.22; Sozomen (ud): The Ecclesiastical History, Hartford Theological Seminary, VII.5.
[1117] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 3.
[1118] بلغ عدد المرافقين لبارصوما أربعون شخصاً.
[1119] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 4.
[1120] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 6.
[1121] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 7.

الساعة الرابعة وحتى الساعة التاسعة من ذلك اليوم، فأخافت كلماته سكان المدينة[1122]، وقالوا له أنهم يعتبرون أن آلهتهم هي من خلقت السماء والأرض، وهذا مناقضٌ لقول بارصوما أن إله المسيحيين هو من خلقهما، وأنه هو الذي ينزل المطر ويغذي كل ذي جسد[1123]. وبعدها قالوا له أنه منذ أربع سنوات لم تسقط قطرة من المطر على مدينتهم، وأنهم يعتمدون على مياه الأمطار للشرب ويخزنونها في خزانات، وأكّدوا له عدم وجود أية قناة تجلب الماء إلى هذه المدينة، "فإذا كان إلهك هو من خلق السماوات والأرض، وإذا كان هو من ينزل المطر، ويُشكّل الندى، دعْهُ بدعائك أن يُنزّل المطر، وسنصبح مسيحيين"[1124].

تعتبر مشكلة شح المياه من المشاكل التي عانت منها، وما زالت تعاني منها العديد من مناطق جنوب الأردن، وقد تغلب سكان هذه المنطقة على هذه المشكلة، وقاموا خلال العصر النبطي بتزويد عاصمتهم بشبكةٍ متكاملةٍ من القنوات الفخارية والمنحوتة بالصخر، كما قاموا بتشييد منشآت لجمع المياه من المصادر الخارجية والسدود، وخزانات لتخزين الماء القادم من الينابيع أو من مياه الأمطار، وقد استمر استخدام هذه المنشآت على ما يبدو خلال العصرين الروماني والبيزنطي، حيث كانت مياه الأمطار تُجمع في هذه الأحواض والخزانات لغايات الاستفادة من كل قطرة مطر.

وتكمن المشكلة هنا في تأكيد سكان المدينة عدم وجود أية قناة تجلب الماء إلى هذه المدينة، وهذا غير صحيح، فقد زوّد الأنباط مدينتهم بشبكة هيدرولوجية تغطي كافة أرجاء المدينة تجلب الماء من ثلاثة مصادر خارجية هي عين موسى، وعين براق وعين دبدبه، ونعتقد أن إنكارهم هذا مرتبط برغبتهم في إخفاء بعض المعلومات عن بارصوما، إذ دأب الأنباط، وكما يذكر المؤرخ ديودورس الصقلي، على عمل آبار أرضية وكانوا يغطونها بالقصارة ويملؤونها بالماء ويغطونها ويخفونها ويضعون إشارات للاستدلال عليها[1125]، وهذه دلالة على قيام سكان المدينة بإخفاء هذه المعالم حتى لا يتم التعرف عليها من قبل الغرباء. ويبدو أن هذا التقليد الاستراتيجي بقي معمولاً به ومتوارثاً بعد سقوط مملكة الأنباط خلال العصرين الروماني والبيزنطي بهدف حماية مصادر المياه القادمة من خارج المدينة، وعدم اطلاع الغرباء عليها؛ فقد كانوا يخفونها ويضعون إشارات للاستدلال عليها حتى لا يعرف أماكنها غيرهم.

ردة فعل بارصوما على طلب استسقاء سكان مدينة رقِم د جايا

وبعد أن سمع بارصوما ما قاله سكان المدينة بخصوص شح المياه، قال لهم: لكم ما تطلبون، وسألهم عن الساعة التي يريدون أن ينزل فيها المطر فقالوا له أنهم يريدونه في الساعة

[1122] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 8-9.
[1123] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 9.
[1124] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 10.
[1125] Diodorus of Sicily: The Library of History, XIX.94.6-9.

الثانية[1126]، وقال لهم: لكم ذلك، "وإذا لم يسقط مطرٌ كثيرٌ في الوقت الذي تريدون، ويملأ خزاناتكم وشوارعكم بالمياه، فسنسمح لكم برجمنا حتى الموت"[1127].

بعدها ذهب بارصوما وتلاميذه إلى فناءٍ واسعٍ في وسط المدينة محاطٍ بمباني عالية ومحصنة. وبقى المحاربون المسلحون يراقبون ذلك الفناء طيلة الليل، في حين أغلقت أبواب الفناء، وغنّى التلاميذ المرافقون المزامير، وفي اليوم التالي، وعندما قاربت الساعة الثانية من اليوم على الانتهاء، وسكان المدينة يتهكمون[1128]، وحينها فجأة بدأ صوت الرعد يُسمع فوق تلك المدينة، ولمع البرق، وتساقطت الأمطار، وامتلأت الساحات والبيوت والشوارع وخزانات المياه بمياه المطر. وكان الناس غير قادرين على المشي على طول شوارع المدينة بسبب الفيضانات، كما تم اختراق جدار المدينة وسقط من ضغط المياه داخله، واستمر التساقط العنيف للمطر على هذا النحو أربعة أيام وأربع ليال[1129].

ويبدو من خلال هذا السرد أن لقاء بارصوما وتلاميذه مع سكان المدينة قد حدث في الساحة العامة الموجودة في وسط مدينة البتراء، حيث يتم الدخول لهذه الساحة عبر بوابة تذكارية، وتحيط بهذه الساحة أبرز معالم المدينة كمعبد قصر البنت ومعبد الأسود المجنحة و"المعبد الجنوبي"، فهي بالتالي أفضل مكان يجمع بارصوما ورفاقه مع أكبر عدد ممكن من سكان المدينة.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات الجيولوجية التي أجريت مؤخراً في البتراء باستخدام تقنيات إعادة تصور الفيضانات القديمة Paleoflood Reconstruction Techniques قد كشفت عن حدوث فيضانٍ مدمرٍ اجتاح مدينة البتراء خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين[1130]، وهي الفترة التي زار خلالها بارصوما مدينة (رقم دجايا)، ولا نعرف هل كانت لبقايا الفيضان التي كشفت عنها الدراسات الجيولوجية ارتباط بالحادثة التي يشير إليها بارصوما هنا أم لا.

ماذا بعد تساقط المطر؟

ونتيجة للتساقط المخيف للمطر، بكى سكان المدينة وطلبوا من بارصوما أن يدعو إلهه لكي يتوقف المطر حتى لا تتدمر المدينة، فقال لهم: "إذا أردتم أن يتوقف هطول المطر قبل أن تتدمر مدينتكم تبرأوا من أصنامكم المضللة واعترفوا بإله المسيحيين! صرخ الوثنيون بصوت واحد: إننا نعلن براءتنا من أصنامنا الميتة ونعترف بالإله الحي"[1131]، فوقف كهنة الأصنام في العراء،

[1126] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 11.
[1127] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 12.
[1128] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 34: 14-15.
[1129] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 35: 1-2.
[1130] Paradise, T. (2012): The Great Flood of Petra: Evidence for a 4th-5th AD Century Catastrophic Flood. ADAJ, 56, 1, 143-158.
[1131] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 35: 3.

واعترفوا بالإله الحي وتبرأوا من أصنامهم الملفقة، باستثناء رئيسهم الذي لم يكن راغباً بأن يتبرأ من الأصنام وأن يعترف بالله[1132].

فقا لهم بارصوما: "لن يتوقف المطر من السماء حتى يعترف هذا الرجل المتمرد بإله المسيحيين"، فصرخ السكان طالبين من الكاهن أن يتبرأ من الأصنام وأن يعترف بالإله الحي، وإلا سيقتلونه وسيحرقون بيته[1133].

وحينها، وعندما كان الكاهن يجادل سكان المدينة، خرجت ابنتاه تركضان في شوارع المدينة وتصرخان، وكانت هناك عفاريت معلقة بأرجلهما، وعندما وصلتا حيث كان بارصوما، قُيّدت أيديهما وأرجلهما وعُلّقتا بين الأرض والسماء[1134]، فأخرج بارصوما هذه العفاريت الساكنة، واعتذر الكاهن عما بدر منه وتبرأ مما كان يُعبد[1135].

فقال بارصوما بعد ذلك لذلك الكاهن ورفاقه: "يجب أن تأخذوا مطارق وتهدمون وتسقطون أصنامكم المضللة ". فأخذ جميع الكهنة المطارق ومطارق الحديد وبأيديهم حطموا وأطاحوا بالأصنام[1136].

ويحتاج موضوع تحطيم الأصنام هذا وقفة ومناقشة، إذ يبدو لنا ومن خلال دراسة المادة الأثرية المكتشفة وجود تدميرٍ وتخريبٍ متعمدٍ للمنحوتات وللأشكال البشرية والحيوانية التي كانت تُزين العديد من الواجهات النبطية، خصوصاً في البتراء، وقد اقترح الباحثون دوافع وتواريخ لهذه التشويهات منها أن بعض أشكال التخريب هذه قد حدثت خلال العصر النبطي لوجود حركة مناهضة للأيقونات في البتراء خلال القرن الأول الميلادي، ومنهم من نسب هذا التدمير لحركة الأيقونات خلال القرن الثامن الميلادي، وهناك من ربط هذا التدمير بحركة تدمير التصاوير الوثنية خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين[1137]، ويبدو أن أجزاء من التدمير الذي حدث في البتراء قد حدث بالتزامن مع بداية دخول المسيحية إلى المنطقة والتي قد تبدأ اعتباراً من تاريخ زيارة بارصوما لهذه هذه المدينة.

مغادرة بارصوما للمدينة

وبعدها أعطى بارصوما تلك العفاريت أوامره بأن تغادر جسدي البنتين، وطلب منهن أن يغادرن المدينة، فغادرن، وفي تلك اللحظة توقف المطر وتناثرت الغيوم، وأصبح جميع سكان تلك المدينة مسيحيين[1138]، وبعدها غادر بارصوما المدينة بسلام، وتوجه إلى سيناء[1139].

[1132] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 35: 4.
[1133] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 35: 5.
[1134] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 36: 1.
[1135] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 36: 2.
[1136] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 36: 4.
[1137] مكنزي، جودث (2013): تشويه التصاوير (تدمير الأيقونات) في البتراء ومواقع نبطية أخرى، 1-25.
[1138] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 36: 5.
[1139] Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo, 36: 6-7.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

- ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن (1987): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (1989): في الأدوية المفردة: كتاب دياسقوريدوس، تحقيق إبراهيم مراد، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (2001): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (1986): تذكرة الأريب في تفسير الغريب. تحقيق علي حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض.
- ابن القلانسي، أبو يعلي (1908) تاريخ ابي يعلي حمزه بن القلانسي، مكتبة المثنى.
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين (1988): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، إعداد فؤاد سزكين، استانبول.
- ابن منظور (1968): لسان العرب، 16ج، دار صادر، بيروت.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (1288 هـ): كناب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، مطبعة وادي النيل.
- أبو الشعر، هند (2010): تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني (922 هـ -1337 هـ/ 1516-1918م)، وزارة الثقافة، عمَّان.
- الإدريسي، محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (1409 هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت.
- الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (1983): أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.
- الاصطخري، أبو القاسم إبراهيم (1937): المسالك والممالك، بريل، لايدن.
- الإصفهاني، أبو الفرج (1415 هـ): الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأفغاني، سعيد (1960): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق.
- الأنبا متاؤس (2005): القديس ماربرصوما السرياني عن مخطوطة رقم 305 ميامر بمكتبة دير السريان العامر، دير السيدة العذراء مريم.

- بارندر، جفري (1993): المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
- البطل، علي (1996): الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس.
- البكري الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (1982): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت.
- بن صراي، حمد والشامسي، يوسف (2000): المعجم الجامع لما صُرح به وأُبهم في القرآن الكريم من المواضع، مركز زايد للتراث والتاريخ.
- بن صراي، حمد، (1999): الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية تاريخيا، آثاريا وأدبيا. بحوث تاريخية: سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية، الجمعية التاريخية السعودية، الرياض.
- بن صراي، حمد (د.ت): تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم. مركز الخليج للكتب.
- البني، عدنان (1972): الفن التدمري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق.
- بيات، فاضل (1999): رحلة سويله مز اوغلي إلى بلاد الشام 1307هـ/1890م، جامعة آل البيت.
- التبريزي، يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الخطيب (2000): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية.
- الجرو، اسمهان، (1996): التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، مؤسسة حمادة للخدمات، إربد.
- جواد، حسن حمزه (2015): السلوقيون وفيلة الحرب، دراسات في التاريخ والآثار، 48، 489-521.
- حسين، إيمان (2009): الطقوس الجنائزية في بلاد وادي الرافدين خلال الألف الثالث قبل الميلاد. مجلة القادسية للآداب والعلوم التربوية، 8، 4، 215-236.
- حمارنه، صالح (1991): الناس والأرض: دراسات في تاريخ جنوب بلاد الشام في القرون الثلاثة الهجرية الأولى. دار الينابيع للنشر والتوزيع.
- الحموي، ياقوت (1986): معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

- حنون، نائل (2006): ملحمة: جلجامش، ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكديِ، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق .
- الخطاطبه، محمد (2006): عمارة الأنباط السّكنية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- الخوري، لمياء (2010): المنحوتات الحجرية النبطية في مدينة البتراء، منشورات بيت الأنباط بالتعاون مع الجامعة الأردنية، عمان.
- الذييب، سليمان (2002): نقوش أم جذايذ النبطية: دراسة تحليلية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض
- الذييب، سليمان (1432 هـ): التاريخ السياسي للأنباط، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض.
- الذييب، سليمان (2007): نقوش تيماء الآرامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- الذييب، سليمان (2010): مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز.
- الذييب، سليمان (2014): المعجم النبطي: دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض.
- الرباعي، عبدالقادر (1988): الطير والمعتقد في الشعر الجاهلي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية –الكويت، 29: 8، 116-156.
- رحال، محمود (2005): الأواني الفخارية المكتشفة أثناء حفريات الانقاذ الأثرية في مشروع شبكات المياه و الصرف الصحي في وادي موسى للمواسم 1998-2000م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- الرواحنه، مسلم (2002): عهد الحارث الرابع من خلال مجموعة خاصة من المسكوكات النبطية. مشروع بيت الأنباط للتأليف والنشر (1)، البتراء.
- الرواحنه، مسلم (2005): بداية اصدار المسكوكات النبطية المغفلة. مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العشرون، العدد السادس، 195-214.
- الرواضية، المهدي عيد (2007): مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه. منشورات اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، عمان.
- ريلر، كلير والشيخ، نبيل (2010): مدفن ثاج، في: طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة العربية السعودية، تحرير علي الغبان وآخرون، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 382-387.

- الزهراني، حبيب (1406 هـ): أدب الحنيفية في العصر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.
- زيادين، فوزي (1968): قصر البنت، حولية دائرة الآثار العامة الاردنية، 12، 5-12.
- سعد، همام (2006-2007): أصول البرج الجنائزيّ التدمري ومراحل تطوره. الحوليات الآثارية العربيّة السّورية، المجلدان التاسع والأربعون والخمسون، 23-38.
- سلامه، عواطف (2001): أهل مدين: دراسة للخصائص والعلاقات 1360-110 ق.م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- السلامين، زياد (2011): دراسة للمسكوكات الرومانية المكتشفة في وادي موسى عام 2000م، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، جامعة الملك سعود، الرياض.
- السلامين، زياد (2013): مسكوكات جديدة للوزير النبطي سلي. كرسي الأمير سلطان بن سلمان لتطوير الكوادر الوطنية في السياحة والآثار، سلسلة دراسات علمية محكمة (3)، جامعة الملك سعود.
- السلامين، زياد (2014): العلاقات الخارجية النبطية، دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية. الجمعية التاريخية السعودية، الرياض.
- السلامين، زياد (2015): (رقِمْ= الرقيم) في المصادر التاريخية والنقشية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية- جامعة الملك سعود، العدد 31، 7-35.
- السلامين، زياد (2017): المدن والقرى النبطية المتنازع عليها بين الأنباط والمكابيين: دراسة لقائمة المدن الاثني عشر الواردة عند المؤرخ فلافيوس جوسيفوس، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، 11:1، 51-71.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1987): التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن الكريم، تحقيق عبد مهنا، دار الكتب العامة، بيروت، 100؛ السيوطي، جلال الدين (د. ت): الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت.
- السواح، فراس (2002): لغز عشتار: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق.
- سيريغ، هنري (1951): طعام الموتى والوليمة الجنائزية في تدمر، الحوليات الأثرية العربية السورية، 1، 1، 127-130.
- شعراوي، عبدالمعطي (1995): أساطير إغريقية: الجزء الثاني: أساطير الآلهة الصغرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

- الشمس، ماجد عبد الله (1988): الحضر العاصمة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد
- الشيباني، محمد بن محمد (1995): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الصوري، وليم (1991): الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (د. ت)، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، بيت الأفكار الدولية، عمان.
- طجو، تانيا (2004): الفخار المكتشف في خربة النوافله لموسم عام 1997، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- طربوش، ماهر (2001): البتراء خلال العصر البيزنطي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- الطويسي، سعد، (2001): دراسة للمخلفات النبطية المكتشفة في حفريات وادي موسى لعام 1996، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.
- عاشور، سعيد (1978): محاضرات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت.
- العبادي، صبري (1996): ذكر حرب الأنباط واليهود في النقوش الصفوية، مؤته للبحوث والدراسات، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، 239-253
- عباس، احسان، (2007): تاريخ دولة الأنباط، وزارة الثقافة، عمان.
- العبدالجبار، عبدالله (2017): مقتطفات النصوص الشعرية اللاتينية الثانوية عن الجزيرة العربية، ترجمة السيد جابر، تعليق حمد بن صراي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- العبدالجبار، عبدالله (2017) (محرر): أجاثارخيديس الكنيدي والجزيرة العربية، ترجمة الحسين عبدالله، تعليق عبدالمعطي سمسم، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- عبدالحق، سليم عادل (1954-1955): الأشياء الأثرية المكتشفة في مقبرة من العهد الروماني، الحوليات الأثرية السورية، 4-5، 3-20.
- عبدالله، يوسف محمد (1989): ترنيمة الشمس، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء.
- العريقي، منير (2002): الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم (من 1500 قبل الميلاد حتى 600 ميلادية)، مكتبة مدبولي.

- عقاب، فتحية حسين (2014): العلاقات بين الأنباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، سلسلة دراسات أثرية محكمة رقم 17، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض.
- علي، جواد (2001): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت.
- عمرو، خيرية (2003): الإنسان والأرض في وادي موسى عبر العصور، في: التاريخ الاجتماعي لمنطقة البتراء وجوارها الاستمرارية والتغير، تحرير باسم الطويسي، البترا، بيت الأنباط.
- عمرو، خيرية والمومني، أحمد (د. ت): تقرير أولي موجز عن أعمال المتابعة الآثارية لمشروع شبكات المياه والصرف الصحي لوادي موسى (1998-2000)، تقرير غير منشور.
- الغول، عمر (2008): الهويات الحضارية للبترا: لا شرقية ولا غربية يكاد إرثها يضيء، اليرموك، 94، 11-15.
- فارس، صبا وزيابن، فوزي (1997): استكشاف النّقوش في وادي ارم (1996). حولية دائرة الآثار العامة الأردنية، 37-44.
- الفاسي، هتون (1993): الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية في الفترة ما بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، الرياض.
- فروسين، ياكو (2017): من أوراق البردي المتفحمة إلى حفريات جبل هارون: الفنلنديون ينقذون سجل أوراق البردي المتفحمة. مجلة مرحبا 41: الجمعية الفنلندية العربية، 5-46.
- فهد، توفيق (2007): الكهانة العربية قبل الإسلام، شركة قدمس للنشر، بيروت.
- فيلنوف، فرانسوا (2005): نقشان عسكريان لاتينيان جديدان مكتشفان في جزائر فرسان: روما والإسكندرية والبتراء وتجارة الشرق في القرن الثاني بعد الميلاد، في: المدينة في الوطن العربي، 167-180.
- كرون، باتريشيا (2005): تجارة مكة وظهور الإسلام. ترجمة آمال الروبي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة.
- كريم، جمعه (1999): نقش كوفي من وادي موسى-البترا يعود للعصر العباسي الأول: دراسة نقشية تحليلية. دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 36، 670-685.

- كفافي، زيدان (2006): تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة: العصور البرونزية والحديدية، دار المقتبس، عمان.
- كوفمان، كاثي (2012): الطبخ في الحضارات القديمة، ترجمة سعيد الغانمي، مشروع كلمة للترجمة، أبوظبي.
- لوقيانوس السميساطي (1987): أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي، ترجمة سعد صائب ومفيد عرنوق، دار المعرفة، دمشق.
- المجالي، بكر خازر، والدروع، قاسم (1995): التاريخ العسكري للثورة العربية الكبرى فوق الأرض الأردنية، سلسلة دراسات في الثورة العربية الكبرى (1).
- محمد، عبدالحكيم شايف (2002): الدلالات الثقافية والحضارية للمدافن في جنوب الجزيرة العربية خلال الألف الأول ق.م.: دراسة تطبيقية لمدافن حيد بن عقيل (قتبان)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الخرطوم.
- المحيسن، زيدون (2002): هندسة المياه والري عند الأنباط العرب، بيت الأنباط، البتراء.
- المحيسن، زيدون (2004): الحضارة النبطية، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد.
- المحيسن، زيدون؛ فيلنوف، فرانسوا؛ جانيف، مولاي محمد (2004): خربة الذريح: أضواء جديدة على ديانة الأنباط ومعتقداتهم، أدوماتو 9، 43-58.
- محيسن، سلطان (2008): القرى الزراعية الأولى في المشرق العربي القديم. في: المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية: النشأة والتطور، تحرير، عبد الرحمن الانصاري واخرون، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، ط 1، 51-65.
- مرقطن، محمد (2014): حول العلاقات ما بين بلاد الشام واليمن قبل الإسلام. في: رائد من رواد الجزيرة العربية- دراسات في آثار ونقوش بلاد الشام والجزيرة العربية، مقدمة تكريما للأستاذ الدكتور معاوية إبراهيم، تحرير، زيدان كفافي ومحمد مرقطن، "لا سابينز" البعثة إلى فلسطين والأردن، روما، 97-114.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1965): التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (1965): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت.

- المعاني، سلطان (1993): في حياة العرب الدينية قبل الإسلام من خلال النقوش، مجلة دراسات تاريخية، العددان 47 و 48، 95-112.
- معراج، محمد (2007): عادات الدفن في تايلوس: موقع الشاخورة، وزارة الإعلام، البحرين.
- المعيقل، خليل والذييب، سليمان (1996): الآثار والكتابات النبطية في منطقة الجوف، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- مكنزي، جودث (2013): تشويه التصاوير (تدمير الأيقونات) في البتراء ومواقع نبطية أخرى. في: دراسات في الحضارة النبطية، المجلد الأول، تحرير: نبيل الخيري وتوماس فيبر، الجامعة الأردنية، عمان، 1-25
- الملكي، هيا (2011-2012): تماثيل الآلهة في سوريا خلال العصر الروماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق.
- النادر، رياض (1999): الأشكال الفنية على التوابيت الحجرية خلال العصر الروماني في شمال الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.
- النعيم، نورة (1992): الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض.
- النعيمات، سلامه و ملاعبه، نهايه (1999): السلع التجارية في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) خلال الفترة ما بين القرن الأول ق.م والقرن الثالث الميلادي. دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 26، 635-650.
- هزيم، رفعت (2007): الهجرات من جنوبي الجزيرة العربيّة حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العددان 99-100، 127-148.
- هميمي، زكريا (2009): المرجع العلمي للأحجار الكريمة، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الواقدي، محمد بن عمر (1966): المغـازي، اوكسفورد.
- الواقدي، محمد بن عمر (1997): فتوح الشام، دار الكتب العلمية.
- وورث، تشارلز (1999): الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- ياسين، خير نمر (1991): جنوبي بلاد الشام: تاريخه وآثاره في العصور البرونزية، لجنة تاريخ الأردن، سلسلة الكتاب الأم في تاريخ الأردن.

- ياسين، خير نمر (1994): الأدوميون: تاريخهم وآثارهم، الجامعة الأردنية.

المراجع الأجنبية

- Abudanh, F.; Twaissi, S. and Falahat, H. (2011): An Underground Tomb from Khirbet Suboor Southeast Petra, Southern Jordan, MAA, 11, 1, 75-84.
- Abuhelaleh, B (forthcoming): Daily Work Bone Tools from Ba‘ja Pre-Pottery Neolithic B Site in Jordan.
- Albright, William Foxwell (1932): An Anthropoid Coffin from Sahab in Transjordan. AJA 36, 295 - 306.
- Allen, C. (unpublished): Brief Overview of Wadi Rum Geology and Implications for Rock Art and Inscriptions.
- Altheim, F. and Stiehl, R. (1964): Die Araber in der Alten Welt, vol. 1, Berlin.
- Ammianus Marcellinus, (1956): Res Gestae, 3rd, 3 Vols, Harvard University Press.
- ‘Amr, K. and al-Momani, A. (1999): The Discovery of Two Additional Pottery Kilns at az-Zurraba /Wadi Mousa. ADAJ 43, 175-94.
- ‘Amr, K. (1987): The Pottery from Petra. A Neutron Activation Analysis Study, BAR-IS 324, Oxford : British Archaeological Report.
- ‘Amr, K. (1991): Preliminary Report on the 1991 Season at Zurrabah. ADAJ 35, 313-23.
- ‘Amr, K., al-Momani, A., Nawafleh, N. and Nawafleh, S. (2000): Summery Results of the Archaeological Project at Khirbat an-Nawafla/ Wadi Mousa. ADAJ 44, 231-55.

- Anderson, B., (2005): Constructing Nabataea: Identity, Ideology and Connectivity. Unpublished PhD Thesis, The University of Michigan.
- al-Ansary, A. (1982): Qaryat al-Faw: A Portrait of Pre-Islamic Civilization in Saudi Arabia. Riyadh University, Riyadh.
- Appian, (1913): Roman history, Cambridge, Mass, Harvard University Press.
- Apuleius, (1959): Apulei Platonica Madaurensis: Opera quae supersunt Vol. 11:2 Florida, ed. R. Helm, Lipsias.
- Arjava, A. Buchholz, M and Gagos, T. (2007): The Petra Papyri III, Amman, American Center of Oriental Research.
- Arrian, (1971): The Campaigns of Alexander, trans. Aubrey de Sélincourt, Intro. & Notes: J. R. Hamilton, (Penguin Books), New York.
- Avner, U. (2000): Nabatean Standing Stones and Their Interpretation. Aram 11-12:97-122.
- Avner, U. (2002): Studies in the Material and Spiritual Culture of the Negev and Sinai Populations, During the 6th-3rd Millennia B.C. PhD Thesis, Hebrew University.
- Baadsgaard, A & Chazan, Michael & Scott Cummings, L & Janetski, Joel. (2010): Natufian strategy shifts: evidence from Wadi Mataha 2, Petra, Jordan. EP, 7. 9-30.
- Baly, T.J.C. (1930): Notes on the Ritual of Opening the Mouth, JEA 16: 173-86.
- Barnett, R., (1982): Ancient Ivories in the Middle East, Qedem 14. Jerusalem.

- Barjous, M., and Jaser, D. (1992): Geotechnical studies and geological mapping of ancient Petra city, Natural Resources Authority, Amman.
- Barr, James (1974): Philo of Byblos and his "Phoenician history", John Rylands University Library of Manchester, 27-28.
- Barrett, D. (1998): Artefacts and Artefact Database. In: Petra Great Temple, Volume I: Brown University Excavations 1993-1997. (Ed. Jowkowsky, M.). E. A. Johnson, East Providence.
- Barrett, D. G., (2009): The Ceramic Oil Lamp as an Indicator of Cultural Change within Nabataean Society in Petra and its Environs circa CE 106, Piscataway.
- Bartlett, J. (1990): From Edomites to Nabataeans: The Problem of Continuity. Aram 2, 25-34.
- Bartlett, John R., (1985): Jews in the Hellenistic world: Josephus, Aristeas, the Sibylline oracles, Eupolemus, New York : Cambridge University Press.
- Bar-Yosef, O. (1997): Munhata. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 63-64.
- Bar-Yosef, O. (1997a): Prehistoric Palestine. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 207-211.
- Basile, J. (1997): A Head of the Goddess Tyche from Petra, Jordan, ADAJ, XLI, 255-266.
- Batstone, W.W. and Damon, C., (2006): Caesar’s Civil War (Oxford Approaches to Classical Literature). Oxford, Oxford University Press.

- Bauzou, T. (1985): Le voies de communication dans le Hauran à l'époque romaine. In: Hauran I: Recherches archéologiques sur la Syrie du Sud a l'époque hellénistique et romaine. (Ed: Dentzer, J.) Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris.
- Bedal, L. (2000): The Petra Pool-Complex: a Hellenistic Paradeisos in the Nabataean Capital: Results from the Petra “Lower Market” Survey and Excavation, 1998. Ph.D. Dissertation, University of University of Pennsylvania.
- Bellwald, U. (2007): The Hydraulic Infrastructure of Petra – A Model for Water Strategies in Arid Lands. In Cura Aquarum in Jordanien. Proceedings of the 13th International Conference on the History of Water Management and Hydraulic Engineering in the Mediterranean Region, ed. C. Ohlig, Amman, Jordan.
- Belton, J. H. (2009): An Encyclopedia of Ancient Greek and Roman Mythology, Gutenberg EBooks.
- Bennett, C. M. (1966): Fouilles d'Umm el-Biyara: Rapport Preliminaire. RB 73:372 – 403, 386-387.
- Bennett, C. M. (1969): Tawilan (Jordanie). RB 76, 386-390.
- Benoit, P., Milik, J. T. and de Vaux, R. (1961): Les Grottes de Muraba‘at (Discoveries in the Judaean Desert II), (2 volumes), Clarendon Press, Oxford.
- Berset, N. and Studer, J. (1996): Fish Remains from Ez-Zantur (Petra, Jordan). In: Petra- Ez-Zantur: Ergebnisse der Schweizerisch Liechtensteinischen Ausgrabungen 1988-1992. Volume I. Verlag Philipp von Zabren, Mainz.
- Bessac, Jean-Claude (2008): Le travail de la pierre à Pétra: Technique et économie de la taille rupestre, Recherche sur les Civilisations.

- Bienert, H. and Gebel, H. (1998): Archaeological excavations at Late PPNB Ba’ja a preliminary report on the 1997 season. ADAJ 42, 75-90.
- Bienert, H., Lamprichs, R. and Vieweger, D. 2000: Ba'ja- The archaeology of a landscape.9000 years of human occupation: A preliminary report on the 1999 Field Season. ADAJ 44, 119-148.
- Bienkowski, P. (1990): Umm el-Biyara, Tawilan and Buseirah in retrospect. Levant 22, 91- 109.
- Bienkowski, P. (1990a): The Chronology of Tawilan and the 'Dark Age' of Edom. Aram 2/1, 2:35-44.
- Bienkowski, P. (1992): The beginning of the Iron Age in southern Jordan: a framework. In Bienkowski, P. (ed.): Early Edom and Moab. The Beginning of the Iron Age in Southern Jordan. Sheffield Archaeological Monographs 7. Sheffield, J. R. Collis Publications, 1-12.
- Bienkowski, P. (1996): Treasures from an Ancient Land: The Art of Jordan, Sutton Pub Ltd.
- Bikai, P. (2002): The Churches of Byzantine Petra, NEA, Vol. 65, No. 4, 271-276.
- Bikai, Patricia; Kanellopoulos, Chrysanthos and Saunders, Shari Lee (2008): Beidha in Jordan: A Dionysian Hall in a Nabataean Landscape, AJA,112, 3, 465-507.
- Blackman, Aylward M. (1924): The Rite of opening the Mouth in Ancient Egypt and Babylonia, JEA X, 47-59.
- Blagg, Th. (1990): Column Capitals with Elephant-Head Volutes at Petra. Levant, 22, 131-37.
- Blatt, F. (1958): The Latin Josephus, Copenhagen.
- Boucharlat, R. and Mouton, M. (1997): Excavations at Melieha Site: A Preliminary Report. In: Archaeological Surveys in Sharjah

Emirate (U.A.E), Third Report (1986), Directorate of Archaeology in Sharjah and the French Archaeological Mission, 33-44.

- Bouchaud, Ch. (2009): The Archaeobotanical Remains. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the second season (2009) of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris.
- Bouchaud, Ch., (2010): Archaeobotanical Report. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the Third Excavation Season (2010) of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris.
- Bowersock, G. (1983): Roman Arabia. Cambridge University Press, Cambridge.
- Bowsher, J., (1990): Early Nabataean Coinage. Aram 2:1&2, 221-28.
- Brock S.P. (1977): A letter attributed to Cyril of Jerusalem on the rebuilding of the Temple. BASOR 40, 267–286.
- Broom, E. (1973): Nabaiati, Nebaioth and the Nabataeans: The Linguistic Problem, JSS 18: 2-10.
- Brown, R.M. (1988): Summary Report of the 1986 Excavations, Late Islamic Shobak. ADAJ 32, 225-245.
- Browning, I. (1973): Petra. Chatto and Windus, London.
- Brunnow. R. E., and Domaszewski von A., (1904): Die Provincia Arabia, Strasburg.
- Bunson, Matthew, (2002): Encyclopedia of the Roman Empire, Facts on File.
- Burckhardt, J. (1930): Travels in Syria and the Holy Land. London, Palestine Exploration Fund.
- Byrd, B. (1991): Beidha: An Early Natufian encampment in southern Jordan. In Bar-Yosef, O. and Valla, F. R. (eds.): The

Natufian Culture in the Levant. Ann Arbor, International Monographs in Prehistory.

- Canaan, T. (1930): Studies in the Topography and Folklore of Petra, Beyt-Ul-Makdes Press, Jerusalem.
- Cantineau, J., (1978): Le Nabatéen. Osnabruck, Otto Zeller.
- Casson, L. (1989): The Periplus Maris Erythraei: Texts with introduction, Translations, and Commentary. Princeton University Press, Princeton.
- Christides, V. (1973): Once Again the 'Narrations' of Nilus Sinaiticus, Byzantion 43, 39-50
- CIS = Corpus Inscriptionum Semiticarum, 1889-: Pars Secunda, Inscriptiones Aramaicas Continens.
- Civil, Miguel (1967): Remarks on "Sumerian and Bilingual Texts"', JNES 26, 200-211.
- Cotton, H. (1993): The Guardianship of Jesus son of Babatha: Roman and Local Law in the Province of Arabia. JRS 83, 94-107.
- Cotton, H. and Yardeni, A. (1997): Aramaic, Hebrew and Greek Documentary Texts from Nahal Hever and Other Sites (Discoveries in the Judaean Desert XXVII). Clarendon press, Oxford.
- Cotton, H. M., (2009): Continuity of Nabataean law in the Petra papyri: a methodological exercise, in: H. M. Cotton et al. (eds.), From Hellenism to Islam: cultural and linguistic change in the Roman Near East, 154-174.
- Curnow, Trevor (2006): The Philosophers of the Ancient World: An A-Z Guide, Bristol Classical Press.
- Curtis, John E. (1979): Loftus' Parthian Cemetery at Warka. Archaologische Mitteilungen aus Iran 6, 309-317.

- Dalley, S. (1984): The Cuneiform Tablet from Tell Tawilan. Levant 16, 19-22
- Dalman, G. (1908): Petra und seine Felsheiligtümer. J. C. Hinrichs, Leipzig.
- Dalman, G. (1912): Neue Petra-Forschungen und der Heilige Felsen von Jerusalem. Palästinische Forschungen zur Archäologie und Topographie II, Leipzig.
- Delhopital, N. (2010): Du monde des vivants au monde des morts en Nabatène, entre le 2e s. av. J.-C. et le 4e s. ap. J.-C. : approche archéo-anthropologique des tombes de Khirbet Edh-Dharih, Pétra (Jordanie) et de Madâ'in Sâlih (Arabie Saoudite), Université Bordeaux 1, Bordeaux, France. Unpublished PhD Thesis.
- DeMello, M. (2012): Faces around the World: A Cultural Encyclopedia of the Human Face, ABC-CLIO.
- Dickinson, O.T.P.K. (2005): The “Face of Agamemnon”, Hesperia 74, 299-308.
- Dijkstra, K. (1995): Life and Loyalty: A Study in the Socio-Religious Culture of Syria and Mesopotamia in the Graeco-Roman Period Based on Epigraphical Evidence. New York: Brill.
- Dio Cassius: Dio’s Roman History. Translated by Cary, E. William Heinemann, London.
- Diodorus of Sicily: The Library of History. Translated by Oldfather, C. William Heinemann, London.
- Dioscorides, (2005): De Materia Medica, translated by Lily Y. Beck, (Publisher Hildesheim: Olms-Weidmann).
- Dolinka, B. (2002): A Nabataean Caravanserai at Rujm Taba. Occident and Orient, March, 19-22.

- Dolinka, B. (2003): Nabataean Aila (Aqaba, Jordan) from a Ceramic Perspective: Local and Intra-Regional Trade in Aqaba Ware During the 1st and 2nd Centuries AD. London: Archaeopress.
- Dolinka, B. (2006): The Rujm Taba Archaeological Project (RTAP): results of the 2001 survey and reconnaissance. In: Piotr Bienkowski and Katharina Galor (editors): Crossing the Rift: Resources, Routes, Settlement Patterns and Interaction in the Wadi Arabah, Oxbow Books, Oxford, 195-214.
- Dolinka, B. (2006): Arabia Adquisita? Ceramic Evidence for Nabataean Cultural Continuity during the Periods: The Aqaba Ware from Horat Dafit, Ph.D. Dissertation, Philosophy and Archaeology, University of Liverpool, Liverpool.
- Drijvers, H. (1965): The Book of the Laws of the Countries. Koninklijke Van Gorcum, The Netherlands.
- Drivers, G. (1944): Seals from Amman and Petra. QDAP 11: 81-82
- DuBois, M. (2015): Auxillae, Lulu com.
- Durand, C. (2008): Le rôle des Nabatéens dans le commerce oriental et Méditerranéen de l’époque hellénistique aux campagnes de Trajan (IVème s. av. J.-C.- IIème s. ap. J.-C.). Étude historique et archéologique. PhD Thesis, University of Lumiere Lyon.
- Ebeling, Erich (1930): Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier, Berlin, Leipzig.
- Eddinger , Terry W. (2004): A Nabatean/Roman temple at Dhat Ras, Jordan, NEA 67,1, 14-25.
- Eph'al, I., (1982): The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent 9th- 5th Centuries BC. Magness Press, The Hebrew University of Jerusalem.

- Epiphanius of Salamis (2008): The Panarion of Epiphanius of Salamis, Brill: Leiden.
- Erdosy, M.U. (2000): Map 6 Asia Orientalis. In: Barrington Atlas of the Greek and Roman World, Edited by Richard J. A. Talbert, Princeton University Press.
- Eusebius (1966): Das Onomastikon der biblischen Ortsnamen. Georg Olms Verlag, Hildesheim.
- Eusebius of Caesarea, (1903): Praeparatio Evangelica (Preparation for the Gospel), Tr. E.H. Gifford.
- Eusebius, (1976): In Praise of Constantine: A Historical Study and New Translation of Eusebius' Tricennial Orations.
- Eutropius, (1853) Abridgement of Roman History, London: Henry G. Bohn, York Street, Convent Garden.
- Evagrius, (1964): The History of the Church, Amsterdam, A.M. Hakkert.
- Fain, Gordon L., (2010): Ancient Greek Epigrams: Major Poets in Verse Translation, University of California Press.
- Farajat, S., and Falahat, H. (1999): The Role of the Nabataean Hydraulic System in the Protection of the Monuments of Petra, in: Siti e Monuments della Giordania: Rapporto Sullo Stato de Conservazion. Pp. 25-32.
- Farajat, S. and Nawafleh, S. (2005): Report on the al-Khazna courtyard excavations at Petra (2003 Season), ADAJ, Vol. 49, 373–393.
- Feldman, L. H. (1991): Josephus, in: The Anchor Bible Dictionary, volume III, Garden City, NY: Doubleday, Edited by David Noel Freedman, 981-98.

- Festus, Sextus, (2010): Breviarium rerum gestarum populi Romani, Brepols Publishers, Turnhout.
- Fiema, Z. (1991): Economics, Administration and Demography of Late Roman and Byzantine Southern Transjordan. PhD. Thesis, The University of Utah.
- Fiema, Z. (1998): The Roman Street of the Petra Project, 1997: A Preliminary Report. ADAJ 42, 395-424.
- Fiema, Z. (2012): Reinventing the Sacred: from Shrine to Monastery at Jabal Hārūn, Supplement to Proceedings of the Seminar for Arabian Studies 42, The Nabataeans in Focus: Current Archaeological Research at Petra, edited by Laïla Nehmé and Lucy Wadeson, 28-31.
- Fiema, Z. (2016): The Jabal Harun Site: 1000 Years of Continuity and Change. In: Zbigniew T. Fiema, Jaakko Frösén and Maija Holappa (Eds.), Petra – The Mountain of Aaron, II. The Nabataean Sanctuary and the Byzantine Monastery, 539-544.
- Fiema, Z. and Frösén, J. (2012): Jabal Haroun in the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods, La Transgiordania nei secoli XII-XIII e le "frontiere" del Mediterraneo medievale, a cura di G. Vannini e M. Nucciotti, BAR, Oxford.
- Finkelstein, I. (1992): Edom in the Iron I. Levant 24, 159-165.
- Finlayson, C. (2016): The Obelisk, the Crow-Step, and the Elephant in Nabataean Contexts: The Influences of Eastern Mediterranean Globalization and the Adoption of Cross-Cultural Bridge Symbols at Petra, Jordan. In: Studies on the Nabataean Culture II, edited by Nabil I. Khairy, 75-104.
- Fino, N. (1998): Al-Basit Neolithic site in southern Jordan. ADAJ 42, 103-111; 'Amr, K. and al-Momani, A. (2001): Preliminary

Report on the Archaeological Component of the Wadi Musa Water Supply and Wastewater Project (1998-2000). ADAJ 45, 262-264.

- Florus, (1929): The Epitome of Roman History, Loeb Classical Library.
- Forder, A. (1901): Sela or Petra, "The Strong City." The Ruined Capital of Edom. BW, 18: 5, 328-337.
- Fournet, Thibaud (2015): Les Bains De Sabrā : Un Nouvel Édifice Thermal Aux Portes De Pétra, Syria 92, p. 33 – 43.
- Fournet, Thibaud and Paridaens, Nicolas (2016): Les bains du Jabal Khubthah: rapport de fouille de la campagne 2016, In: Mission Archéologique Française À Pétra (Jordanie), Rapport des campagnes archéologiques 2015-2016, Édité par Laurent Tholbecq.
- Frösén, J. (2004): Archaeological Information from the Petra Papyri, SHAJ, 8, 141-144.
- Frosen, J.; Arjava, A.; and Lehtinen, M. (2002): The Petra Papyri, Volume 1. Published by the American Center of Oriental Research.
- Frösén,, J., Fiema, Z. T., Lavento, M., Danielli, C., Holmgren, R., Latikka, J., Rajala, A., Mikkola, E., Lahelma, A., Holappa, M. & Juntunen, K. (2004): The 2003 Finnish Jabal Harun Project: Preliminary Report. ADAJ 48, 97-116.
- Fulcher of Chartres. (1913): Fulcheri Carnotensis historia Hierosolymitana (1095-1127). Heidelberg.
- Gawlikowski, (1972): La notion de tombeau en Syrie romaine, Berytus, 21, 5-10.
- Gawlikowski, M. (1990): Les dieux des Nabateens. ANRW, 18.4: 2659-2677.

- Gebel H. G. (1988): Late Epipalaeolithic - Aceramic Neolithic sites in the Petra area. In Garrard, A. N. & Gebel, H. G. (eds.): The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986. BAR IS 396 (i), 67-100.
- Gebel, H. and Muheisen, M. (1997): Basta. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 1, 279-280.
- Gerber, Yvonne (2003): Remarkable changes in two centuries of Nabataean coarse ware: New Analyses Show Systematic, Time-dependent Alteration of Chemical Composition, Proceedings of the 6th European Meeting on Ancient Ceramics Fribourg, Switzerland, edited by S. DiPierro V. Semeels M. Maggett, Fribourg.
- Gharaibeh, Nasser (2002): Faunal Remains from Khirbet An-Nawafla, Jordan. Unpublished Master thesis, Yarmouk University.
- Gitler, H. (2002): A Group of 120 Clay Bullae from Petra with Titles of the City, NCh 165, 183–192.
- Glueck, N. (1935): Explorations in Eastern Palestine II. AASOR 15, 1-202.
- Glueck, N. (1956): A Nabataean Painting. BASOR 141, 13-23.
- Glueck, N. (1965): Deities and Dolphins: The Story of the Nabataeans, Farrar Straus & Giroux.
- Gogte, V. (1999): Petra, the Periplus and Ancient Indio-Arabian Maritime Trade. ADAJ 43, 299-304.
- Graf, D. (1990): The Origin of the Nabataeans. Aram 2, 45-75.
- Graf, D. (1995): The Via Nova Traiana in Arabia Petraea. Journal of Roman Archaeology Supplementary Series 14, 141-67.

- Graf, D. F., (1994): The Nabatean Army and the cohortes Ulpiae Petraeorum. Pp. 265-311. In: The Roman and Byzantine Army in the East (Ed, E. Dabrowa), Krakow.
- Graf, D. F., (2006): The Nabateans in the Early Hellenistic Period: The Testimony of Posidippus of Pella, Topoi, 1/14, 47-68.
- Graf, D. F., (2007): The Nabataeans under Roman Rule (after AD 106), in: K. D. Politis (ed.), The World of the Nabataeans, Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001, Stuttgart, 173-186.
- Graf, D.F. (2013): Rediscovering Early Hellenistic Petra: Recent Excavation in the City Center, in: Studies on the Nabataean Culture I. N.I. Khairy, T. M. Weber (ed.), Amman, 29-46.
- Graf, D. and Sidebotham, S. (2003): Nabataean Trade. In: Petra Rediscovered. Lost City of the Nabataeans; ed. Markoe, G. Harry N. Abrams, New York, 65–74.
- Graf, D. F. – Schmid, S. G. – Ronza, E., (2005): The Hellenistic Petra Project: Excavations in the Qasr al-Bint Temenos Area. Preliminary Report of the Second Season, ADAJ 51, 223-238.
- Granger-Taylor, H. (2000): The Textiles from Khirbet Qazone (Jordan). In: Archéologie des textiles, de origines au Ve siècle: actes du colloque de L.- Montagnac : M. Mergoil. (Eds. Cardon, D. et Feugere, M.), Monographies Instrumentum 14,149-161.
- Grawehr, M. (2006): Die Lampen der Grabungen auf ez Zantur in Petra. In: Keller, D and Grawher, M. Petra, Ez-Zantur III. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen, Terra Archeologica V, Mainz: Verlag Philipp von Zabern.

- Grawehr, M. (2011): The Roman lamps of Nabataean Petra, in: Lampes antiques du Bilad es Sham. Jordanie, Syrie, Liban, Palestine, Ancient lamps of Bilad esh Sham, 11-30.
- Green, J. R. (1998): A Note on the Classification of Some Masks and Faces from Petra, PEQ 130: 43-50.
- Groom, N. (1981): Frankincense and Myrrh: a Study of the Arabian Incense Trade. Longman, Harlow.
- Hackl, Ursula; Jenni, Hanna and Schneider Christoph (2003): Quellen zur Geschichte der Nabatäer: Textsammlung mit Übersetzung und Kommentar, Academic Press, Fribourg.
- Hammond, Ph. (1970): The Crusader Fort on El-Habis: Its Survery and Interpretation. Salt Lake City, Utah
- Hammond, Ph. (1973): The Nabataeans: Their History, Culture and Archaeology. Studies in the Mediterranean Archaeology, 37. Gothenburg, Astrom.
- Hammond, Ph., (1975): Survey and Excavation at Petra, 1973–1974, ADAJ 20, 5–30.
- Hammond, Ph. (1977-78): Excavations at Petra, 1975-1977, ADAJ 22, 81–101.
- Hammond, Ph. (1982): The Excavations at Petra, 1974. Cultural Aspects of Nabataean Architecture, Religion, Art and Influence, in: SHAJ, 1, 231–238.
- Hammond, Ph. (1990): The Goddess of the ‘Temple of the Winged Lions’. In: Petra and the Caravan Cities, edited by F. Zayadine, Amman, 115-130.
- Hammond, Ph. (1995): Nabataean Architectural Technology. SHAJ, 5: 215–221.

- Hammond, Ph. (2000): Nabataean Metallurgy: Foundry and Fraud. In: The Archaeology of Jordan and Beyond - Essays in Honor of James Sauer. (Eds: Stager, L., Greene, J. and Coogan, M.) Harvard University Press, Cambridge, 145–156.
- Hammond, Ph. C. and Mellott-Khan, T. (1998): Nabataean Faces from Petra. ADAJ 42, 319–330.
- Hammond, Ph., Johnson, D. and Jones, R. (1986): A Religio-Legal Nabataean Inscription from the Atargatis/Al-'Uzza Temple at Petra. BASOR 263, 77-80.
- Harrell, J. and Lewan, M. (2002): Sources of Mummy Bitumen in Ancient Egypt and Palestine. Archeometry 44:2, 285-93.
- Hart, S. 1986. Sela: The Rock of Edom? PEQ 118:91–95.
- Hayajneh, H., (2006): The Nabataean Camel Burial Inscription from Wadi Ram/ Jordan. WO XXXVI, 104-113.
- Healey, J., (1993): The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih. Oxford University Press, Oxford.
- Healey, J. (2001): The Religion of the Nabataeans: A Conspectus. (Religions in the Graeco-Roman World). E. J. Brill, Leiden.
- Healey, J. (2004): A Nabataean Papyrus Fragment (Bodleian MS Heb. D. 89). ZPE 146, 183-88.
- Healey, J., (2010): Aramaic Inscriptions & Documents of the Roman Period, Oxford University Press, Oxford.
- Hennessy, J. B. (1997): Teleilat El-Ghassul. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 5, 161-163.
- Herodian (1969): History, ed./tr. C.R. Whittaker, Cambridge (Ma.), Loeb.

- Herodotus (1920): The Histories, with an English translation by A. D. Godley. Cambridge. Harvard University Press.
- Hiller von Gaertringen, Friedrich Freiherr, (1906): Inschriften von Priene.
- Hirschfeld, Y., Tepper, Y., (2006): Columbaria towers and other structures in the environs of Shivta. Tel Aviv 33, 83-116.
- Hirtius, Aulus?, (1869): Commentary on the Alexandrian War. Translated from Latin to English, by W. A. McDevitte and W. S. Bohn (New York: Harper & Brothers.
- Hoover, O.D., (2006): A Reassessment of Nabatean Lead Coinage in Light of New Discoveries, NCh, Vol.166, 2006, pp.105-119, pl.27-30.
- Horsfield, G. and Conway, A. (1938): Sela-Petra, the Rock of Edome and Nabatene, III. The Excavations. QDAP 8, 87–115.
- Horsfield, G. and Conway, A. (1938): Sela-Petra, the Rock, of Edom and Nabatene, I. II. QDAP 7, 1–67.
- Horsfield, G. and Conway, A. (1942): Sela-Petra, The Rock of Edom and Nabatene, IV: The Finds. QDAP 9, 105–204.
- Jacoby, Felix (1999): Die Fragmente der griechischen Historiker, Part 4, Biography and antiquarian literature. – A, Biography. - Fasc. 7, Imperial and undated authors, Brill, Leiden, von Jan Radicke.
- Jacquat, Christiane and Martinoli, Daniele (1999): Vitis vinifera L.: wild or cultivated? Study of the grape pips found at Petra, Jordan; 150 B.C. - A.D. 40. Vegetation History and Archaeobotany 8, 25-30.
- Janif, M. M. (2011): Le Maître de la Maison" chez les Nabatéens et en Arabie préislamique in V. Rondot, F. Alpi and F. Villeneuve

(dir.). La pioche et la plume. Autour du Soudan du Liban et de la Jordanie. Hommages archéologiques à Patrice Lenoble, Paris, PUPS, 55-64.

- Jaussen, A. and Savignac, R. (1909-14): Mission Archéologique en Arabie. Libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris.
- Jerome, (1845): Vita Hilarionis, Bibliotheca patrum latina, ed. J.P. Migne 23, 29–53.
- Johnson, David (1987): Nabataean Trade: Intensification and Culture Change, PhD Thesism University of Utah.
- Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.
- Johnson, D. (2013): A Nabataean Chamber Tomb and Carved Block in Wadi Mataha, Petra, Jordan, Studies on the Nabataean Culture, At Petra, Jordan, Volume: 1, 119-126.
- Johnson, D. (2016): Nabataean Amethyst Trade: Sources, Production and Use , Studies on the Nabataean Culture, Vol II, N.I. Khairy (ed.), Amman, 25-52.
- Johnson, D., Janetski, M. Chazan, S. Witcher, and Meadow, R. (1999): Preliminary report on Brigham Young University's First Season of Excavation and Survey at Wadi Al-Mataha, Petra, Jordan. ADAJ 43: 249-260.
- Jones, R. (1989): A New Reading of the Petra Temple Inscription, BASOR 275, 41–46.
- Josephus, F.: Jewish Antiquities. Translated by Thackeray, H. and Marcus, R. William Heinemann, London, IV.
- Josephus, F.: The Jewish War. Translated by Thackeray, H. St Edmundsbury Press Ltd, London.
- Joukowsky, M. (1998): Petra Great Temple, Vol. I, Brown University excavations, 1993-1997, Providence, R.I.

- Joukowsky, M., (2000): Brown University 1999 Excavations at the Petra Great Temple, ADAJ 44, 313–334.
- Justinus, Marcus Junianus, (1853): Epitome of the Philippic History of Pompeius Trogus.
- Juvenal, (2011): The Satires, Translated by Kline, A. S.
- Kakish, R. (2012): Evidence for Dove Breeding in the Iron Age: A Newly Discovered Dovecote at ‘Ain al-Baida/‘Amman, JJHA, VI, 3, 175-193.
- Kaliszan L., Hermansen B., Jensen C. , Skuldbøl T., Bille M., Bangsgaard P., Sørensen M. , Markussen B. (2002): Shaqarat Mazyad - The village on the edge. Neo-Lithics 1/2002, 16-19.
- Kanellopoulos, Ch. (2002): A New Plan of Petra's City Center. NEA, 65, 4, 251- 254.
- Kansa, S. Whitcher (2013): The Animal Bones. In: The Nabataean Temple at Khirbet et-Tannur, Jordan, Volume 2 Cultic Offerings, Vessels, and other Specialist Reports. Final Report on Nelson Glueck’s 1937 Excavation, AASOR 68, edited by By Judith S. McKenzie, Joseph A. Greene, Andres T. Reyes, Catherine S. Alexander, Deirdre G. Barrett, Brian Gilmour, John F. Healey, Margaret O’Hea, Nadine Schibille, Stephan G. Schmid, Wilma Wetterstrom and Sarah Whitcher Kansa, 73-116.
- Kansa, S. Whitcher (forthcoming): Food Production and Procurement at Petra’s Great Temple: Report on Faunal Analyses from the 1995–2004 Excavations.” In: The Petra Great Temple III: 11. The Animal Bones 115: Architecture and Material Culture, ed. M. S. Joukowsky, Journal of Roman Archaeology Supplement. Portsmouth, RI.87.

- Karz, S. (1998): The Roman and Byzantine Glass, Petra: The Great Temple, Vol. 1, Brown University Excavations 1993-1997, 325-343.
- Keith-Bennett, Jean (1981): Catalogue of anthropoid busts from Egyptian sites other than Deir el Medineh. BES 3, pp. 51 - 71.
- Keller, D. (2006): Die Gläser aus Petra, in: Petra, Ez-Zantur III. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen, edited by: Keller, D. and Grawehr, M., Terra Archeologica V, Mainz: Verlag Philipp von Zabern, 1-256.
- Kennedy, A. (1925): Petra: Its History and Monuments, London: Country Life.
- Kennedy, D. (2000): The Roman Army in Jordan. The Council of the British Research in the Levant, London.
- Kennedy, D. L. (1980): Legio VI Ferrata, the annexation and early garrison of Arabia, HSCP 81: 283–309.
- Khairy, N. (1980): An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Madain Saleh. ZDPV 96, 163-68.
- Khairy, N. (1980): Nabataean Perfume Ungentaria. BASOR 240, 85-92; Johnson, D. (1990): Nabataean Piriform Unguentaria. Aram 2:1&2: 235-48.
- Khairy, N. (1990): The 1981 Petra Excavations, Wiesbaden: O. Harrassowitz
- Khairy, N., (2009): A Study of the Nabataean Minor Arts and Their Cultural Interpretation. SHAJ X: 881-898.
- El-Khouri, L. (2002): The Nabataean Terracotta Figurines. BAR-IS 1034, Oxford: Archaeopress.
- Killick, A. (1987): Udruh and the Trade Route through Southern Jordan. SHAJ 3, 173 -179.

- Kirkbride, D. (1966): Five seasons at the Pre-Pottery Neolithic Village at Seyl Aqlat, Beidha near Petra. PEQ 98, 5-61.
- Kitchen, K. (1993): The Land of Punt. In: The Archaeology of Africa: Food, Metals and Towns. (Eds: Shaw, T., Sinclair, P., Andah, B. and Okpoko, A.) Rutledge, London and New York, 587-608 .
- Knauf, E., (1984): Nabataean Origins. In: M.M. Ibrahim (ed.), Arabian Studies in Honour of Mahmoud Ghul, Wiesbaden, 56-62.
- Knauf, E. (1990): Dushara and Shai'AL-Qaum, Aram, 2,175-183.
- Knodell, A. et al (2017): The Brown University Petra Archaeological Project: Landscape Archaeology in the Northern Hinterland of Petra, Jordan. AJA, Vol. 121, 621–683.
- Koenen, L. (1996): The Carbonized Archive from Petra, JRA, 9, 177-188.
- Kolb, B. – Keller, D. – Fellmann Brogli, R., (1997): Swiss-Liechtenstein Excavations at az-Zantur in Petra 1996. The Seventh Season, ADAJ 41, 231–254.
- Kolb, B. et al (1998): Swiss- Liechtenstein Excavations at Ez-Zantur in Petra 1997. ADAJ 42: 259-277.
- Kolb, B. and Keller, D. (2002): Swiss-Liechtenstein Excavations on az-Zantur in Petra. The Twelfth Season. ADAJ 46, 279-293.
- Kolb, Bernhard (2007): Nabataean Dwellings: Domestic Architecture and Interior Decoration. In: The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001. Edited by Politis, K., Stuttgart, 145-172.

- Kouki, P. (2006): Environmental Change and Human History in the Jabal Harun Area, Jordan, Unpublished PhD Dissertation, University of Helsinki.
- Kouki, Paula (2012): The Hinterland of a City: Rural settlement and land use in the Petra region from the Nabataean-Roman to the Early Islamic period, PhD Thesis, University of Helsinki.
- Kreikenbom, D. (2002): Un nouveau portrait d'Aelius Caesar à Pétra. Syria 79, 195-206.
- Kropp, A. (2010): Limits of Hellenisation: Pre-Roman basalt temples in the Hauran. Bollettino di Archeologia on line I, 1-18.
- Kropp, A. (2013): Kings in Cuirass — Some Overlooked Full-Length Portraits of Herodian and Nabataean Dynasts, Levant, 45:1, 45-56.
- Kushnir-Stein, A. and Gitler, H., (1992-93): Numismatic Evidence from Tel Beer-Sheva and the Beginning of Nabatean Coinage, INJ, 12, 13-20, pl.1-2.
- Laborde, Léon de, (1936): Journey through Arabia Petraea to Mount Sinai, and the excavated city of Petra, the Edom of the prophecies, London.
- Laurent Tholbecq, Thibaud Fournet, Nicolas Paridaens, Soline Delcros & Caroline Durand (2016): Sabrah, a satellite hamlet of Petra, PSAS 46, 277–303.
- Lewis, N., Yadin, Y. and Greenfield, J. (1989): The Documents from the Bar Kokhba Period in the Cave of Letters: Greek Papyri. Israel Exploration Society, Jerusalem.
- Lichtenberger, Achim (2008): Artemis And Zeus Olympios In Roman Gerasa And Seleucid Religious Policy, In Kaizer, Ted, editor, The Variety of Local Religious Life in the Near East in the

Hellenistic and Roman Periods. Religions in the Graeco-Roman World, Brill, 133-153.

- Lightfoot, J. (1989): A Commentary on the New Testament from the Talmud and Hebraica, Volume 1m Place Names in the Gospels, Hendrickson Publishers, Chapter VII; The Babylonian Talmud.
- Linder, M. (1989): Sabra. In: Archaeology of Jordan, Field Reports. Volume 2. (Eds: Homes-Fredericq, D. and Hennessy, J.) Peeters, Leuven, 500-5005.
- Lindner, M. (1990): Uunique Lithic- Early Bronze - Edomite - Nabataean Site in Southern Jordan – Life both Past and Present. Aram 2: 1&2, 77-92.
- Lindner, M. (1992): Survey of Sabra (Jordan) 1990 Preliminary Report. ADAJ 36: 193-216.
- Lindner, M. (1992): Abu Khusheiba - A newly discovered Nabataean settlement and caravan station between Wadi ‘Arabah and Petra. SHAJ 4, 263-267.
- Lindner, M. (1999): Late Islamic villages in the greater Petra region and Medieval “Hormuz”. ADAJ 43, 479-500.
- Lindner, M. – Knauf, E. A. – Hübner, U. et al., (1998): From Edomite to Late Islamic. Jabal as-Suffaha North of Petra, ADAJ 42, 225–240.
- Lindner M. and Zeitler J.P. (1998): Sabra - Entdeckung, Erforschung und Siedlungsgeschihte einer antiken Oasenstadt bei Petra (Jordanien). Archiv für Orientforschung XLIV und XLV 1997/1998, 535-565.
- Lindner, M. and Gunsam, E. (2002): A Fortified Suburb of Ancient Petra: Shammasa. ADAJ 46, 225–241.

- Lindner, M. et al (2007): Umm Rattam Survey: Specialized Reports. ADAJ 51, 2007, 243–256.
- Lindner, M., Farajat, S. and Zeitler, J. (1988): Es-Sadeh: An important Edomite-Nabataean site in southern Jordan. Preliminary report. ADAJ 32, 75-99.
- Lindner, M., Gunsam, E. (1995): The Unique Nabataean High Place of Ras Slaysil Northwest of Petra and its Topographical Context. ADAJ 39. Pp. 267-279.
- Lindner, M., Knauf, E. A., Zeitler, J. P. and Hübl, H. (1996): Jabal al-Qseir: A fortified Iron II (Edomite) mountain stronghold in southern Jordan, its pottery and its historical context. ADAJ 40, 137-166.
- Lindner, M., Knauf, E. and Zeitler, J. (1996): An Edomite fortress and a Late Islamic village near Petra (Jordan): Khirbat al-Mu'allaq. ADAJ 40, 111-135.
- Littmann, E., (1914): Semitic Inscriptions. Section A, Nabataean Inscriptions from Southern Hauran. Publication of Princeton University Archaeological Expedition to Syria, Leiden.
- Littmann, E., Magie, D. and Stuart, D. R. (1913): Greek and Latin Inscriptions. In: Syria. Publications of the Princeton Archaeological Expedition to Syria Div. III, Sect. A, Part 3 Umm Idj-Djimal, Leyden.
- Long, G. (1997): Eshmunazar Inscription. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press.
- Luckenbill, D. (1968): Ancient Records of Assyria and Babylonia, New York: Greenwood Press.

- Lyttleton, M. and Blagg, T. (1990): Sculpture from the Temonos of Qasr el-Bint at Petra, Aram 2: 267-286.
- MacAdam, H., (1989) Strabo, Pliny the Elder and Ptolemy of Alexandria: Three Views of Ancient Arabia and its Peoples. In: L'Arabie Preislamique et son environnement historique et culturel, (Ed: Fahad, T.) Universite de Sciences Humaines de Strasbourg.
- Malalas, J. (1986): The Chronicle of John Malalas, Australian Association for Byzantine Studies,◌̊ University of Sydney.
- Marii, F., and Rehren, Th., (2009): Archaeological coloured glass cakes and tesserae from the Petra church, in Annales 17e Congrès de l’Association Internationale pour l’Histoire du Verre: AIHV, Antwerp, 295–300.
- Marii, F. (2013): Glass Tesserae from the Petra Church. In: New Light on Old Glass: Recent Research on Byzantine Mosaics and Glass, Edited by Chris Entwistle and Liz James, The British Museum, 11-24.
- Markoe, G. (1997): Phoenicians. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 4, 324-331.
- Mazar, A. (1997): Beth-Shean. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 1, 305-309.
- Mazzilli, F. (2014): Beyond Religion: Cultural Exchange and Economy in Northern Phoenicia and the Hauran, Syria, PhD Durham theses, Durham University.
- McKenzie, J. (1990): The Architecture of Petra. British Academy Monograph in Archaeology, Oxford.

- McKenzie, J. (2003): Carvings in the Desert: the Sculpture of Petra and Khirbet et-Tannur. In: Petra Rediscovered, Lost City of the Nabataeans, New York, ed. G. Markoe, 169–95.
- McKenzie, J. and Reyes, A. T. (2013): Iconographic Programme. In: J. McKenzie et al. (eds.), The Nabataean Temple at Khirbet Et-Tannur, Jordan, Vol. 1 – Architecture and Religion, AASOR 65. Oxford: Annual of the American Schools of Oriental Research 67 (2013) and Manar al-Athar Monograph, 189–229.
- McKenzie, J. et al (2013): The Nabataean Temple at Khirbet et Tannur, Jordan, Vol. 1. Architecture and Religions, Final Report on Nelson Glueck's 1937 Excavation Vol. 2: Cultic Offerings, Vessels, and Other Specialist Reports, Annual of the American Schools of Oriental Research 67 and 68. Manar al Athar Monographs 1 and 2. Boston.
- McKenzie, J. S., Reyes, A. T., and Schmidt-Colinet, A. (1998): Faces in the Rock at Petra and Medain Saleh. PEQ130: 35–50.
- McKenzie, J.(1988): The Development of Nabataean Sculpture at Petra and Khirbet Tannur, PEQ 120: 81-96.
- Merklein, H. and Wenning, R. (1998): Ein Verehrungplatz der Isis in Petra neu untersucht, ZDPV 162-178.
- Meshorer, Y. (1985): City Coins of Eretz-Israel and the Decapolis in the Roman Period, Israel Museum, Jerusalem, n. 277.
- Meshorer, Y., (1975): Nabataean Coins. Qedem 3 - Monograph of the Institute of Archaeology, The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.
- Meza, A. I. (1996): The Egyptian Statuette in Petra and the Isis Cult Connection. *ADAJ* 40, 167–176.

- Milik, J. T. and Starcky, Jean (1975): Inscriptions récemment découvertes à Pétra. ADAJ 20, 111-130, pl. 37-47.
- Milik, J., (1982): Origines des Nabatéens. SHAJ, 1: 261–265
- Milik, J.T., (2003): Une bilingue araméo-grecque de 105/104 avant J.-C. In: J. Dentzer-Feydy, J.-M. Dentzer, P.-M. Blanc (ed), Hauran II, BAH 164, IFPO, Beyrouth, 269-275.
- Morenz, Siegfried (1973): Egyptian Religion, Ithaca, NY: Cornell University Press.
- Mouton, M. (2010): The monolithic djin blocks at Petra: a funerary practice of pre-Islamic Arabia. In: Death and Burial in Arabia and Beyond: Multidisciplinary perspectives, edited by Lloyd Weeks, 275-287.
- al-Muheisen, Z. and F. Villeneuve, F., (1988): Fouilles à Khirbet edh-Dharih (Jordanie), 1984-1987: un village, son sanctuaire et sa necropolis aux époques nabateenne et romaine (1er-IVe siècles apr. J.-C.), in: CRAI: 458-479.
- Murray, M. (1939): Petra: The Rock City of Edom, Blackie and Son, London.
- Murray, M. and Ellis, J. (1940): A Street in Petra. British School of Archaeology, London.
- Nabarz, P. and Matthews, C. (2005): The Mysteries of Mithras: The Pagan Belief That Shaped the Christian World, Inner Traditions.
- Negev, A. (1963): Nabatean Inscriptions from ‘Avdat (Oboda) II. IEJ 13, 113-124.
- Negev, A. (1968): Seal-Impressions from Tomb 107 at Kurnub (Mampsis). IEJ 18, 89-90.

- Negev, A. (1971): A Nabatean Epitaph from Trans-Jordan, IEJ21, 50-64.
- Negev, A. (1971): The Nabatean Necropolis at Mampsis (Kurnb). IEJ 21, 110-29.
- Negev, A. (1977): The Inscriptions of Wadi Haggag, Sinai. Qedem 6- Monograph of the Institute of Archaeology, the Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.
- Negev, A., (1977): The Nabateans and the Provincia Arabia. In: ANRW, 2, 8, Berlin, 520–686.
- Negev, A. (1978): The Greek Inscriptions from Avdat (Oboda), LA 28, 87–126.
- Negev, A. (1981): The Greek Inscriptions from the Negev, Jerusalem: Franciscan Printing Press.
- Negev, A. (1986): The Late Hellenistic and Early Roman Pottery of Nabatean Oboda, Final Report. Qedem 22- Monograph of the Institute of Archaeology, The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.
- Negev, A., (1986): Nabataean Archaeology Today, New York.
- Negev, A., (1991): Personal Names in the Nabatean Realm, Jerusalem: The Hebrew University, Qedem 32.
- Nehmé, L (2002): The World of the Nabataeans 312 BC-106 AD. In: The Levant: History and Archaeology in the Eastern Mediterranean. (Ed.) Olivier Bonst, Konemann, 140-185.
- Nehmé, L. (2003): The Petra Survey Project, in: Petra Rediscovered: Lost City of the Nabataeans, ed. Glenn Markoe, New York: The Cincinnati Art Museum, 154-164.
- Nehmé, L. (2012): A Recently-Discovered Nabataean Sanctuary, Possibly Devoted to the Sun-god, in G.A. Kiraz and Z. Al-

Salameen (eds), From Ugarit to Nabataea. Studies in Honor of John F. Healey, Gorgias Ugaritic Studies 6. Piscataway (NJ): Gorgias Press, 153-166 [text], 266-270 [plates].

- Netzer, E. (2003): Nabatäische Architektur. Insbesondere Gräber und Tempel, Mayence.
- Noldeke, Th. (1971): Arabs (Ancient), Encyclopedia of Religions And Ethics, Edited Byjames Hastings, M.A, D.D. Vol. 1, 659-673.
- Nünnerich-Asmus, A. (2002): Traian: ein Kaiser der Superlative am Beginn einer Umbruchzeit? Mainz am Rhein: Verlag Philipp von Zabern.
- Oleson, J. P., (2001): King, Emperor, Priest and Caliph: Cultural Change at Hawar (Ancient al-Humayma) in the First Millennium AD, SHAJ, 7:569–80.
- Oleson, J., ‘Amr, K., Schick, R., Foote, R and Somogyi-Csizmazia (1993): The Humeima Excavation Project: Preliminary Report of the 1991-1992 Seasons. ADAJ 37, 461-502.
- Olszewski, D., al-Nahar, M. (2012): New Excavations at Wadi Madamagh, Petra Region, Neo-Lithics 2/11, 8-13.
- Oppenheim, L., (1955), Babylonian and Assyrian Historical Texts. In Ancient Near Easter Texts Relating to the Old Testament, (ed.) Pritchard, J. Princeton University Press.
- Oren, E. (1997): Sinai. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 5, 41-47.
- Orosius, (2010): Seven Books of History against the Pagans, Translated with commentary by Andrew Fear, Translated Texts for Historians.

- Ortloff, Charles R. (2014): Hydraulic Engineering in Petra. Encyclopedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures, 1-13.
- Palmer, A. (in preparation): The Life of Barṣawmo the Northerner: Syriac and English.
- Palmer, E. (1871): The Desert of Exodus: Journeys on Foot in the Wilderness of the Forty Years Wandering. Deighton, Bell and Co., Cambridge.
- Paradise, T. (2012): The Great Flood of Petra: Evidence for a 4th-5th AD Century Catastrophic Flood. ADAJ, 56, 1, 143-158.
- Parker, T. (1976): Archaeological survey of the Limes Arabicus: A Preliminary Report. ADAJ 21, 19-30.

- Parker, T. (1986): Romans and Saracens: A History of the Arabian Frontiers. Eisenbrauns, Winona Lake.
- Parlasca, Ingemarie (1993): Probleme nabatäischer koroplastik: Aspekte der Auswärtigen kulturbeziehungen Petras, in Arabia Antiqua. Hellenistic Centres around Arabia. Serie Orientale Roma LXX, 2; eds. Antonio Invernizzi and Jean-François Salles (Rome: Instituto Italiano Per Il Medio ed Estremo Oriente), 55–79.
- Parr, P., (1957): Recent Discoveries at Petra. PEQ 89, 5-16.
- Parr, P, (1960): Excavations at Petra, 1958–59, PEQ 92, 124–135.
- Parr, P. (1960): Nabataean Sculpture from Khirbet Braq, ADAJ, 4-5, 134-136, pl. XV-XVI.
- Parr, P., (1970): A Sequence of Pottery from Petra. In: Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century: Essays in Honor of Nelson Gleuck, (Ed. Sanders, J. A.), Doubleday, Garden City, 348-81.

- Parr, P. (2003): The Origins and Emergence of the Nabateans. In, Petra Rediscovered. Edited by Glenn Markoe, 27–35.
- Parr, P., Harding, L. and Dayton, J. (1970): Preliminary Survey in N.W. Arabia 1968. BIA 8, 9, 193-242.
- Patrich, J. (1990): The Formation of Nabatean Art: Prohibition of a Graven Image among the Nabateans. The Hebrew University, Jerusalem.
- Perry, M. and Bikai, P.(2007): Petra's Churches. The Byzantines and Beyond, in: Th. E. Levy – P. M. M. Davia; R. Younker and M. Shaer (eds.), Crossing Jordan. North American Contributions to the Archaeology of Jordan, (London/Oakville, 435-443.
- Petersmann, Hubert (1989): Le Culte du Soleil chez les Arabes selon les témoignages gréco-romains. In: L'Arabie préislamique et son environnement historique et culturel, edited by Fahd Toufic, Leiden: Brill, 401-412.
- Pliny: Natural History. Translated by Rackam, H. William Heinemann Ltd., London.
- Plutarch (1917): Plutarch's Lives, Revised by Clough. Volume 3. J.M. Dent and Sons Ltd., London and Toronto.
- Plutarch, (1917): The Parallel Lives: The Life of Pompey, Loeb Classical Library.
- Politis, K. (1998): Rescue Excavations in the Nabataean Cemetery at Khirbat Qazone 1996-1997. ADAJ 42, 611-14.
- Potts, D. (1999): Trans-Arabian Routes of the Pre-Islamic Period. In: The Arabs and Arabia on the Eve of Islam. (Ed: Peters, F.) Ashgate, Sydney.
- Power, E. (2007): The Roman-Byzantine Bath Complex at the Petra Great Temple in Jordan, Unpublished Honors Thesis at the

Joukowsky Institute for Archaeology and the Ancient World at Brown University

- Pritchard, J. (1969): Ancient Neat Eastern Texts Relating to the Old Testament. Princeton University Press, Princeton.
- Rababeh, S. (2005): How Petra was Built: An Analysis of the Construction Techniques of the Nabataean Freestanding Buildings and Rock-Cut Monumentes in Petra, Jordan, BAR Int. Ser. 1460, Oxford.
- Rababeh, Shaher and Al Rabady, R. (2014): The Crowsteps Motif in Nabataean Architecture: Insights into its Meaning and Use, AAE, 25, 22-36.
- Reid, S. (2005): The Small Temple. A Roman Imperial Cult Building in Petra, Jordan. Gorgias Dissertations 20, Near Eastern Studies 7, Piscataway, NJ: Gorgias Press
- RES= Répertoire d'Epigraphie Sémitique.
- Retsö, J. (2003): The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads. Routledge, London.
- Retsö, J. (2011): Petra and Qadesh. Svensk Exegetisk Årsbok, Volume 76, 115-136.
- Retzleff, A. (2003): A Nabataean and Roman Domestic Area at the Red Sea Port of Aila. BASOR 331:45-65.
- Roche, J-M. (1995): Le culte lunaire à Pétra. Transeuphratène 10:57-66.
- Roche, M. J. (1989): Les niches cultuelles du Sadd al-Majan à Pétr", ADAJ 33, 327- 337.
- Roche, J-M. (2001): Figurines, Sculpture and Reliefs, in in Z. Fiema, C. Kanellopoulos, T. Waliszewski, and R. Schick, The

Petra Church (Amman, Jordan: American Center of Oriental Research): 350-358.

- Roehrer-Ertl, O. Frey, K.-W. Newesely, H. (1988): Preliminary Note on Early Neolithic Human Remains from Basta and Sabra, Garrard and Gebel (eds.), The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986, BAR International Series 396, Oxford, 135-136.
- Rosen, S. (1997): Lithics: Typology and Technology. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 3, 369-382.
- Ryckmans, G. (1965): Dhu ’l-Shara. In: Encyclopedia of Islam, Volume II, edited by B. Lewis, Ch. Pellat, and J. Schacht, Leiden: Brill, 965-66.
- Sachet, I. (2012): Dieux et hommes des tombeaux d’Arabie Pétrée: iconographie et aniconisme des élites nabatéennes.” Pp. 225–58 in: Dieux et déesses d’Arabie, images et représentations, actes de la table ronde tenue au Collège de France les 1 et 2 octobre 2007, eds. I. Sachet and C. J. Robin. Paris.
- Sachet, I., (2009): Refreshing and Perfuming the Dead: Nabataean Funerary Libations, SHAJ, 97-112.
- Al-Salameen, Z. (2004): The Nabataean Economy in the Light of Archaeological Evidence. Unpublished PhD Thesis, the University of Manchester.
- Al-Salameen, Z. (2005): Nabataean Winepresses from Bayda, Southern Jordan. Aram 17,115-127.
- Al-Salameen, Z., al-Falahat, H. (2007): Jabal Haroun during Islamic Periods: A Study in the Light of Newly Discovered Islamic Inscriptions. AAE, 18, 2, 258-64.

- Al-Salameen, Z., (2008): The Nabataeans and Lycians. MAA, 8: 2, 21-29.
- Al-Salameen, Z. (2009) Nabataean Frankincense: Historical and Archaeological Evidence. Journal of King Saud University for Tourism and Archaeology, 21 (1), 1-5.
- Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2012): Two New Nabataean Inscriptions from Wādī Mūsā, with discussion of Gaia and the Marzeah JSS LVII/1 Spring 2012, 37-51.
- Al-Salameen, Z. and Falahat, H. (2014): An Inscribed Nabataean Bronze Object Dedicated to Obodas the God from Wadi Musa, Southern Jordan. PEQ, 146, 4, 293-307.
- Savignac, R. (1933): Le sanctuarire d'Allat à Iram [II]", RB 42, 405-422.
- Savignac, R. (1934): Le sanctuaire d'Allat à Iram (suite). RB 43, 572-89.
- Schick, R. (1997): Southern Jordan in the Fatimid and Seljuq periods. BASOR 305, 73-85.
- Schick, R. (2001): Ecclesiastical history of Petra. In Fiema, Z.T., C. Kanellopoulos, T. Waliszewski and R. Schick, The Petra Church, 1–5. Amman: American Center of Oriental Research.
- Schmid, S. (1997): Nabataean Fine Ware Pottery and the Destruction of Petra in the Late First and Early Second Century AD. SHAJ 6, 413-20.
- Schmid, S., (2001): The Nabataeans. Travellers between Lifestyles, in: B. MacDonald and R. Adams and P. Bienkowski (eds.), The Archaeology of Jordan, Sheffield, 367–426.

- Schmid, S. (2004): The Distribution of the Nabataean Pottery and the Organization of Nabataean Long Distance Trade. SHAJ VIII, 414-426
- Schmid, S. G., (2004): The International Wadi Farasa Project (IWFP). Progress on the Work in the Wadi Farasa East, Petra, PEQ 136, 163–186.
- Schmid, S. G. et al (2006): New insights into Nabataean funerary practices, Proceedings of the 5th International Congress on the Archaeology of the Ancient Near East, Edited by Joaquín M Córdoba and others, 135-160.
- Schmid, S., Fiema, Z., Bienkowski, P. and Kolb, B. (2015): Documenting Nabataean Royal Residences in Petra, in: Zeev Weiss (Ed.), Ehud Netzer Volume, 2015, 166–181.
- Schmitt-Korte, K. (1984): Nabataean Pottery: A typological and Chronological Framework. Pp 7-40 in A. M. Abdalla, S. Al-Sakkar and R. Mortel (eds), Pre-Islamic Arabia, Studies in History of Arabia II, Riyadh: King Saud University.
- Schmitt-Korte, K. and Cowell, M., (1989): Nabataean Coinage - Part I: The Silver Content Measured by X-Ray Fluorescence Analysis. NCh 149, 33-58.
- Schmitt-Korte, K. and Price, M., (1994): Nabataean Coinage- Part III: The Nabataean Monetary System. NCh 154, 64-131.
- Schneider, Ch. (1996): Die Importkeramik , in : Petra. Ez-Zantur I. Ergebnisse der Schweizerisch-Liechtensteinischen Ausgrabungen 1988-1992, edited by Bignasca, A. et al, Mainz : Terra archaeologica 2: 3-521.
- Schwentzel, C-G., (2010): Arétas IV "Rois des Nabatéens" d'après les Monnaies, NAC, Vol.XXXIX, 2010, pp.233-249.

- Schyle, D. and Uerpmann, H. (1988): Palaeolithic sites in the Petra area. In Garrard, A. N. and Gebel, H. G. (eds.): The Prehistory of Jordan. The State of Research in 1986. BAR IS 396 (i), 39-40.
- Sedov, A. (1992): New Archaeological and Epigraphical Materials from Qana (South Arabia). AAE, 3: 2, 110-137.
- Seeck, O. (1867): Notitia dignitatum; accedunt Notitia urbis Constantinopolitanae et laterculi prouinciarum, Berolini, apud Weidmannos.
- Shaer, M. (2005): The Decorative Architectural Surfaces of Petra, PhD Thesis, Technischen Universität München.
- Shaer M. and Aslan Z. (2000): Nabataean Building Techniques with Special Reference to the Architecture of Tomb 825 (Tomb of the Fourteen Graves). in: M. Kühlenthal – H. Fischer (eds.), Petra. Die Restaurierung der Grabfassaden – The Restoration of the Rock cut Tomb Façades, Munich, 89–108.
- Shahid, I. (1984): Rome and the Arabs: A Prolegomenon to the Study of Byzantium and the Arabs. Washington, D.C., Dumbarton Oaks.
- Shamir, O. (1999): Textiles, Basketry and Cordage from ‘En Rahel. 'Atiqot 38, 92-99.
- Al-Shorman, Z. (2012): The Assimilation of Dushara - Ḍwsara in Greco-Roman Period. In: Arabia, Greece and Byzantium Cultural Contacts in Ancient and Medieval Times, Proceedings of the :International Symposium on the Historical Relations between Arabia the Greek and Byzantine World (5th century BC-10th century AD) Riyadh, 6 – 10 December, 2010, edited by Abdulaziz Al-Helabi; Dimitrios G. Letsios; Moshalleh Al-Moraekhi; Abdullah Al-Abduljabbar, King Saud University, 43-58.

- Sidebotham, S., (1986): Roman Economic Policy in the Erythra Thalassa 30 BC-AD 217. E. J. Brill, Leiden.
- Sinibaldi, M. (2013): The pottery from the 11th-20th centuries from the FJHP survey. Ceramics, Settlement and Pilgrimage at Jabal Harun during the Late Islamic periods, in Pp. 169-197 P. Kouki and M. Lavento (eds.), Petra, the Mountain of Aaron. Vol. III. The Archaeological Survey.
- Silvonen, S. (2013): Nabataean-Roman, Byzantine and Early Islamic Pottery from the FJHP Survey In: Kouki, P. and M. Lavento (eds): Petra – The Mountain of Aaron III: The Archaeological Survey, Helsinki: Societas Scientiarum Fennica 121-145.
- Simkin, C. (1968): The Traditional Trade of Asia. Oxford University Press, London.
- Sozomen (ud): The Ecclesiastical History, Hartford Theological Seminary.
- Speidel, M. P. (1977): The Roman army in Arabia, in: ANRW II.8: 687-730.
- Spijkerman, A. (1978): The Coins of the Decapolis and Provincai Arabia. Franciscan Priniting Press, Jerusalem.
- Starcky, J. (1954): Un contrat nabatéen sur papyrus. RB 61, 161-81.
- Starcky, J. (1955): The Nabataeans: A Historical Sketch. BA 18, 84-106
- Starcky, J. and Strugnell, J., (1966): Pétra: Deux nouvelles inscriptions nabatéennes, RB 73, 236–247.
- Starcky, J. (1965): Nouvelle epitaphe Nabatéenne donnant le nom semitique de Pétra. RB 72, 95-7.

- Starcky, J., (1966) : Pétra et la Nabatène, Dictionnaire de la Bible, Supplément 7, Paris, col. 886-1017.
- Stephanus of Byzantium. (1958): Ethnika: Stephani Byzantii Ethnicol'um quae supersunt ex recensione Augusti Meine/dt. Edited by A Meineke. Graz: Akademische Dmck- U. Verlagsanstalt.
- Stevenson, E. (1991): The Geography of Ptolemy, Dover Publications, New York.
- Strugnell, John (1959): The Nabataean Goddess Al-Kutba' and Her Sanctuaries. BASOR 156: 29-31.
- Strugnell, J.; Albright, W. and Milik, J-T (1961): The Nabataean Goddess al-Kutba and her Sanctuaries. Some Notes on theNabtaean Goddess al-Kutba and Related Matters. New Evidence on the North-Arabic Deity Aktab-Kutbâ. BASOR 163, 22–25.
- Stucky R.A. Gerber, G., Kolb, B and Schmid, S. (1994): Swiss-Liechtenstein Excavations at ez-Zantur in Petra 1993: The Fifth Campaign, ADAJ 38, 271-292.
- Studer, J., (2007): Animal Exploitation in the Nabataean World. In: The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001. Edited by Politis, K., Stuttgart, 251-272.
- al-Talhi, D. (2000): Mad'ain Salih, A Nabataean Town in North West Arabia: Analysis and Interpretations of the Excavations 1986-1990. Ph.D. Dissertation, The University of Southampton.
- Tarrier, D. (1986): Les installations de banquette de Pétra. RB 93, 254-6.

- Tarrier, D. (1995): Banquets rituels en Palmyrène et en Nabatène, Aram 7, 165-182.
- Tawfike, M. (2013): 25the December and the Celebration of Sol Invictus. St Francis Magazine, 9/6, 27-30.
- Taylor, J. (1997): Before the portraits: burial practices in pharaonic Egypt. In: Walker S, Bierbrier M, eds. Ancient faces, mummy portraits from Roman Egypt. London: Trustees of the British Museum, 9–13.
- Teixidor, J. (1977): The Pagan God: Popular Religion in the Greco-Roman Near East, Princeton: Princeton University Press.
- Thackeray, H., (1957): Josephus IV, Cambridge.
- Theodoret, (1953): The History of the Church, Grand Rapids, MI, W.M. Eerdmans.
- Tholbecq, L. (2001): The Hinterlands of Petra from the Edomite to the Islamic periods: the Jabal ash-Sharah Survey (1996-1997), SHAJ, VII, 399-405.
- Tholbecq, L., (2007): Nabataean Monumental Architecture, in: K. D. Politis (ed.), The World of the Nabataeans. Volume 2 of the International Conference «The World of the Herods and the Nabataeans» held at the British Museum, 17-19 April 2001, Stuttgart 2007, 103-143.
- Tholbecq, Laurent et al (2017): Mission archéologique française à Pétra. Rapport des campagnes archéologiques 2016-2017, Mission Archéologique Française, Bruxelles.
- Tholbecq, L. and Durand, C. (2013): A late second-century BC Nabataean occupation at Jabal Numayr: the earliest phase of the “Obodas Chapel” sanctuary. In: Stephan G. Schmid and Michel

Mouton (Eds.), Men on the Rocks. The Formation of Nabataean Petra, Logos Verlag, 205–222.

- Tonghini, C. and Vanni Desideri, A. (1997): The material evidence from al-Wu'ayra: A sample of pottery. SHAJ 6, 707-719.
- Tracy, S. (1999): Two Inscriptions from Petra. ADAJ XLIII, 305-309.
- Tuttle, C. (2009): The Nabataean Coroplastic Arts: A Synthetic Approach for Studying Terracotta Figurines, Plaques, Vessels, and other Clay Objects. PhD. Brown University
- Twaissi, S. (2004): Sedentarization of a Nomadic Society in the Ancient Arab World: The Nabataeans. Unpublished Doctoral Dissertation, University of Bradford, UK.
- Twaissi, S., Abudanh, F., Twaissi, Q., (2010): The Identity of the Nabataean 'Painted House' Complex at Baidha, North-West Petra. PEQ, 142:1, 31-42.
- Vaelske, V. (2013): Isis in Petra. Chronological and Topographical Aspects, In: S. G. Schmid and M. Mouton (eds.), Men on the Rocks: The Formation of Nabataean Petra, Berlin, Logos Verlag, 351–361.
- Vannini, G. & Vanni Desideri, A. (1995): Archaeological research on Medieval Petra: a preliminary report. ADAJ 39, 509-540.
- Vitruvius, M. (1914): The Ten Books on Architecture, Translated by Morris Hicky Morgan, Harvard University Press.
- Wacholder, B. Z., (1974): Eupolemus. A Study of Judaeo-Greek Literature, Cincinnati.
- Wadeson L. (2012): The Obelisk Tomb at Petra and the Bāb al-Sīq inscription: a study of text, image and architecture. In G. Kiraz &

Z. al-Salameen (eds), From Ugarit to Nabataea: Studies in Honor of John F. Healey. Piscataway, NJ: Gorgias Press, 207–234.

- Waida, M. (2007): Birds. In: Encyclopedia of Religion. Edited by Lindsay Jones, Thomson Gale, USA, 947-949.
- Walker, Christopher and Dick, Michael (2001): The Induction of the Cult Image in Ancient Mesopotamia, State Archives of Assyria Literary Texts Vol I, The Neo-Assyrian Text Corpus Project.
- Walmsley, A. (2002): Fatimid, Ayyubid and Mamluk Jordan and the Crusader interlude. In MacDonald, B., Adams, R. & Bienkowski, P. (eds.): The Archaeology of Jordan. Copenhagen, Carsten Niebuhr Institut.
- Weinstein, J. (1997): Tell El-Far'ah. In: The Oxford Encyclopedia of Archaeology in the Near East, Edited by Eric M. Meyers, Oxford University Press, Volume 2, 304-305.
- Wenning, R. (1993): Eine neuerstellte Liste der nabatäischen Dynastie, Boreas, 16, 25–38.
- Wenning, R. (1996): Hegra and Petra: Some Differences. Aram 8.2: 253-267.
- Wenning, R. (2001): The Betyls of Petra, BASOR 324, 79-95.
- Wenning, R. (2003): The Rock-Cut Architecture of Petra. In: Petra Rediscovered: Lost City of the Nabataeans,(ed.) Markoe, G., 138-145.
- Wenning, R. (2008): Decoding Nabataean Betyls. In: Proceedings of the 4th International Congress of the Archaeology of the Ancient Near East. Edited by Hartmut Kühne, Rainer M. Czichon, and Florian Janoscha Kreppner, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 613-619.

- Wenning R. (2012): Snakes in Petra, in G. A. Kiraz / Z. Al-Salameen (eds.) From Ugarit to Nabataea. Studies in Honor ofJohn F. Healey, Piscataway, Gorgias Press, 235-245.
- Wenning, R. and Hübner, U. (2004): Nabatäische Büstenreliefs aus Petra. Zwei Neufunde, ZDPV, 120, 157-181.
- Wheeler, M. (1954): Rome beyond the Imperial Frontiers. G. Bell and Sons Ltd, London.
- Wigram, W. A. (2004): An introduction to the history of the Assyrian Church, or, The Church of the Sassanid Persian Empire, 100–640 A.D. Gorgias Press.
- Winnet, F. (1940): The Daughters of Allah. In: The Moslem World 30: 113-30.
- Winnett, F. and Reed, W. (1970): Ancient Records from Northern Arabia. Toronto University Press, Toronto.
- Wright, G. (1967-1968): Recent Discoveries in the Sanctuary of the Qasr Bint Far'un at Petra, II: Some Aspects Concerning the Architecture and Sculpture, ADAJ 12-13, 20-29.
- Wright, G. R. H. (1961): The Nabatean-Roman Temple at Dhiban: A Suggested Reinterpretation, BASOR 163: 26–30.
- Yadin, Y. (1962): Expedition D- The Cave of the Letters. IEJ 12, 227-57.
- Yadin, Y. (1971): Symbols of Deities at Zinjirli, Carthage and Hazer, In: Near Eastern Archaeology in the Twentieth Century, ed. J. A. Sanders, Garden City, N.Y.
- Yadin, Y., Greenfiled, J., Yardeni, A. and Levine, B. (2002): The Documents from the Bar Kokhba Period in the Cave of Letters.

- Yardeni, A. (2000): Textbook of Aramaic, Hebrew and Nabataean Documentary Texts from the Judean Desert and Related Materials. The Hebrew University of Jerusalem, Jerusalem.
- Zahle, J., (1983): Arkoeologiske Studiere i Lykiske Klippgrave og Deros Relieffer fra c. 550 - 300 f.Kr. Sociale og Religiøse Aspekter. Copenhagen.
- Zayadine, F. (1982): Recent excavations at Petra (1979-1981), ADAJ, 26, 365-393.
- Zayadine, F., (1985): Caravan Routes between Egypt and Nabataea and the Voyage of Sultan Baibars to Petra in 1276 A.D, SHAJ, 2, 159-174.
- Zayadine, F. (1986): Tempel, Gräber, Töpferöfen, In: M. Lindner (ed.), Petra: Neue Ausgrabungen und Entdeckungen. Munich: Delp. 214-72.
- Zayadine, F., (1986) A Symposiarch from Petra, in: L. T. Geraty – L. G. Herr (eds.), The Archaeology of Jordan and Other Studies Presented to Siegfried H. Horn, 465–474.
- Zayadine, F. (1987): Decorative Stucco at Petra and Other Hellenistic Sites, in: SHAJ, 3, 131–142.
- Zayadine, F. (1993): Inscriptions grecques et nabatéennes au nord de Pétra, Syria 70, 81–94.
- Zayadine, F. (1997): Die Götter der Nabatäer. In: Petra und das Königreich der Nabatäer: Lebensraum, Geschichte und Kultur eines arabischen Volkes der Antike, edited by Lindner Manfred, München, Delp, 113-123.
- Zayadine, F (2005): al-Khazna, the Treasury Revisited a Forgotten Document of Leon de Laborde, ADAJ 49, 395–401.

- Zayadine, F. and Farajat, S. (1991): The Petra National Trust Site Project: Excavations and Clearances at Petra and Beidha. ADAJ 35, 275-311.
- Zayadine, F. and Fiema, Z. (1986): Roman Inscriptions from the Siq of Petra. Remarks on the Initial Garrison of Arabia, ADAJ 30, 199–206.
- Zeitler, J. (1990): Houses, Sherds and Bones: Aspects of Daily Life in Petra. In: The Near East in Antiquity, Volume 1 (Ed. Kerner, S.), Al-Kutba Publishers.

المراجع الالكترونية

https://www.doaks.org/research/garden-landscape/resources/petra-garden-feasibility-study/petras8

http://books.openedition.org/ifpo/4881?lang=en.

https://www.exoriente.org/baja/2005/2.php.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D9%82%D8%B9_%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB_%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A.

https://www.coinarchives.com/a/results.php?search=Nabataea.

http://nabataea.net/habismap.html

http://www.louvre.fr/en/oeuvre-notices/statue-god-bes

http://www.ancientegyptonline.co.uk/bes.html

http://www.wildwinds.com/coins/greece/arabia/petra/i.html